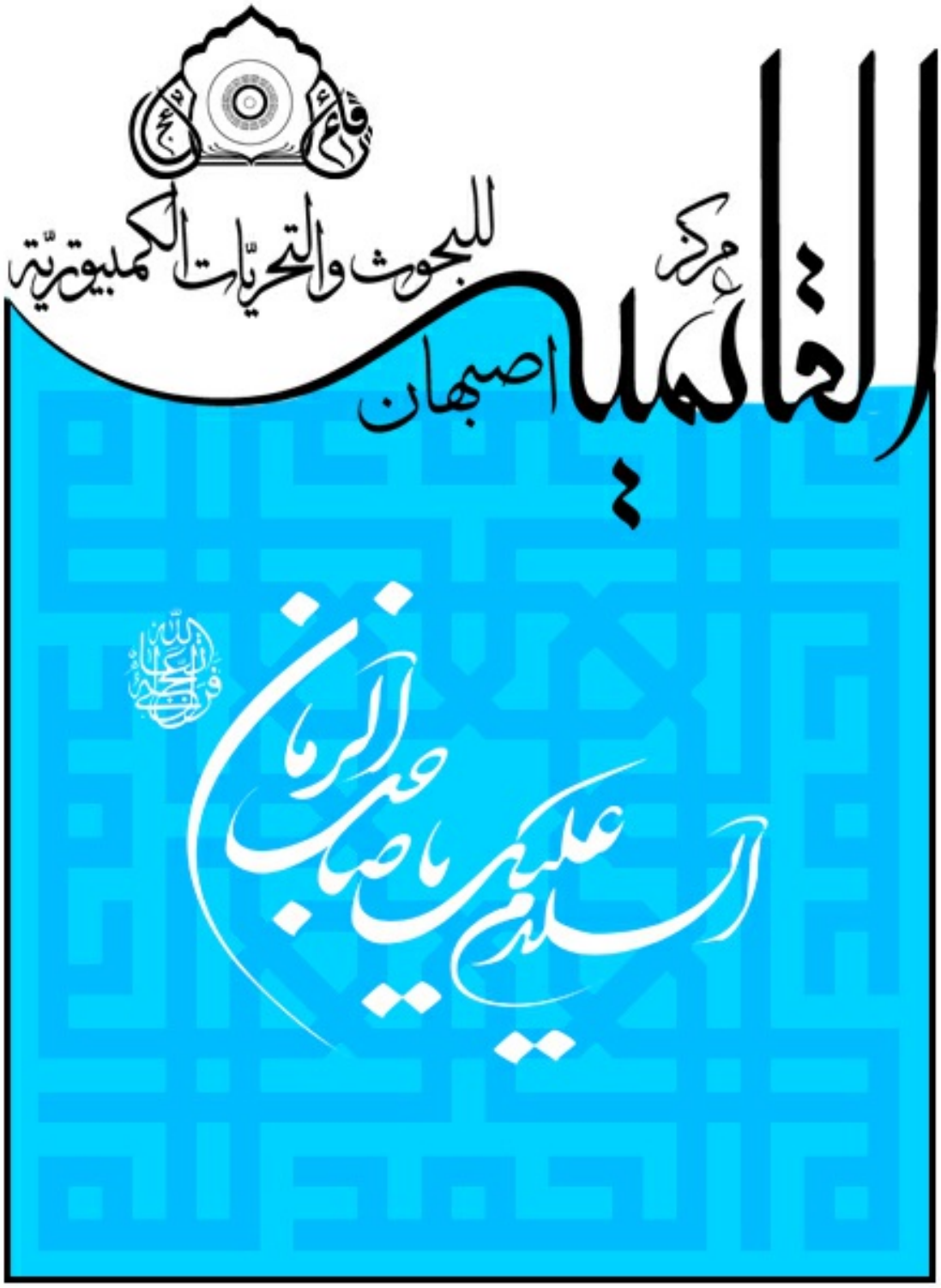

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

أسرار الحسين عليه السلام

بحث علمي حول بعض جوانب أسرار الإمام الحسين عليه السلام

لسماحة الشيخ
محمد قاسم مبشري العاملي

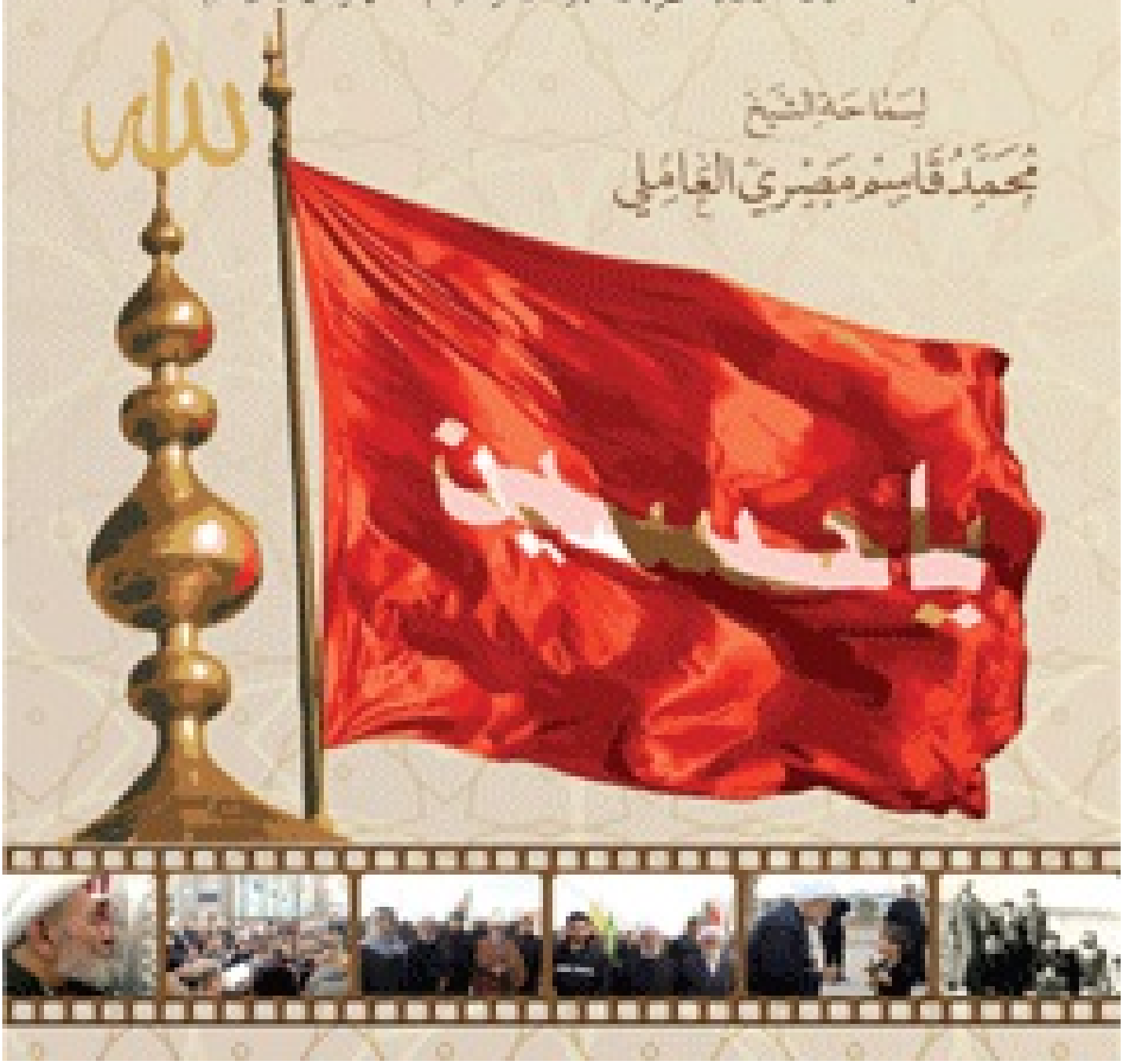

بسم الله الرحمن الرحیم

اسرار الحسين عليه السلام : بحث خاص حول بعض جوانب أسرار الامام الحسين عليه السلام

كاتب:

محمد قاسم مصرى العاملى

نشرت فى الطباعة:

دار البلال

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس ----- ٥
اسرار الحسين عليه السلام : بحث خاص حول بعض جوانب أسرار الامام الحسين عليه السلام ----- ١٧
اشاره ----- ١٧
اشاره ----- ١٧
تقديم ----- ٢١
مقدمه ----- ٢٣
حديث لذوى الألباب ----- ٢٩
نوع من بيان ----- ٣١
الإمام الحسين سر من أسرار الله ----- ٣٢
وقفه مع حديث: علمه علمى ----- ٣٣
العلم قسمان: علم لدنى وعلم كسبى ----- ٣٥
فى كل كائن سر من الأسرار ----- ٣٦
الله يختص بفضله من يشاء ----- ٤٠
لكل إنسان مقدار معين من التحمل ----- ٤٢
ابتداء خلق نور الحسين عليه السلام ----- ٤٣
تنبيه وإرشاد ----- ٤٤
وقفه مع نصوص الأحاديث ----- ٤٥
معرفه أهل السماء بهم أكثر من معرفه أهل الأرض ----- ٤٧
حديث ذو أبعاد ----- ٥١
لكل شيء حمله وأرباب هم أهله ----- ٥٢
أول الخلق أهل البيت عليهم السلام ----- ٥٦
الله يختص بفضله من يشاء ----- ٦٠
لكل إنسان مقدار معين من التحمل ----- ٦٢
ابتداء خلق نور الحسين عليه السلام ----- ٦٣

تنبيه وإرشاد ---- ۶۴
وقفه مع نصوص الأحاديث ---- ۶۵
معرفه أهل السماء بهم أكثر من معرفه أهل الأرض ---- ۶۷
حديث ذو أبعاد ---- ۷۱
لكل شيء حمله وأرباب هم أهله ---- ۷۲
أول الخلق أهل البيت عليهم السلام ---- ۷۶
حديثنا عن الأسرار والأنوار ---- ۷۷
مراحل واطوار الخلق ---- ۷۸
المخلوق الأول ---- ۷۸
وقفه وعوده للابتداء ---- ۷۹
السفينه ---- ۸۱
الوجود ---- ۸۱
للكون بكل ما فيه ابتداء ---- ۸۲
باب حول معانى السر ---- ۸۵
ابتداء خلق الأنوار ---- ۸۷
بدء مراحل النور المحمدى فى العوالم ---- ۸۸
لمحه فيها إشارات حول أنوار الإمامه ---- ۹۰
نظره خاصه حول الآيه ---- ۹۱
النور الحقيقى ابتداء ---- ۹۲
الانسان مفطور على حب النور ---- ۹۳
وقفه عند لفظ الكنز ---- ۹۵
النور يعرف بالنور ---- ۹۶
النور الحقيقى فوق ادراكنا ---- ۹۶
الامامه هى النور ---- ۹۷
حديث عن الأنوار والاسرار ---- ۹۹
اشاره ---- ۹۹

أولاً: ما قيل حول الملائكه ---- ٩٩
وجوب الإيمان بالملائكه ---- ١٠٠
الفرق بين الملائكه وغيرهم ---- ١٠١
وقفه عاجز عند حروف العرش ---- ١٠٢
ولايه أهل البيت مؤكده فى الميثاق ---- ١٠٢
فى القرآن مخازن الأسرار ---- ١٠٣
استمرار الهدايه ---- ١٠٥
إشاره إلى العلوم اللدنيه ---- ١٠٧
علم وأسرار ---- ١٠٧
دفع وهم ---- ١٠٨
وقفه وعوده للعلم ---- ١١٠
مصيبه الحسين عند السابقين ---- ١١٢
الفارق الكبير بين موقفين لآدم ---- ١١٣
ابتداء مسيره الحسين مع آدم عليهما السلام ---- ١١٤
الداء والدواء ---- ١١٦
الوجود سر وغيب ---- ١١٩
وقفه مع آيه الذبح العظيم ---- ١٢١
من خصوصيات الحسين: العبره ---- ١٢٢
وقفه عاجز عند الخصوصيات ---- ١٢٤
نظره خاصه ---- ١٢٥
الغايه ---- ١٢٥
وقفه عند لمعه الضياء ---- ١٢٦
وقفه عند الابتداء ---- ١٢٨
وقفه عند باب المحسوسات ---- ١٣١
حديث قبل الخلق ---- ١٣٢
وقفه تأمل ---- ١٣٤

أنواع الخلق ---- ١٣٥
وقفه عند أسرار تكوين الإنسان ---- ١٣٦
وقفه متكرره عند باب السماء ---- ١٣٨
إشارات حول ابتداء الخلق ---- ١٣٨
حديث جامع ---- ١٤٠
الأنوار الأربعه عشر ---- ١٤١
الحسين هو الوديعه ---- ١٤٢
وقفه ---- ١٤٣
أسرار الحياه كامنه فى خلق الإنسان ---- ١٤٤
وقفه متأمل حول الإنسان ---- ١٤٧
وقفه ---- ١٤٩
حديث جامع ---- ١٥١
من أحاديث المعراج ---- ١٥٣
أسرار حول خلق الإنسان ---- ١٥٩
الشعاع يدل على مصدر النور ---- ١٦١
وقفه عند آيه ---- ١٦٢
لمحه خاطفه عن ولاده الحسين عليه السلام ---- ١٦٦
نماذج من فضائله عليه السلام ---- ١٦٩
وقفه متيم عند باب الحسين ---- ١٧١
ما المراد من الابتداء ---- ١٧٢
من نماذج الأسرار الواقعيه ---- ١٧٧
وقفه على أبواب الأسرار ---- ١٧٨
خير الخلائق ---- ١٨٢
الأسباب والمسببات ---- ١٨٣
وقفه عند حديث من أحاديث المعراج ---- ١٨٥
وقفه عند باب حب الحسنين ---- ١٨٧

للحسين عليه السلام سير فى القلوب ---- ١٨٨
علم وأسرار ---- ١٩٠
علم الأئمه من علم الله تعالى ---- ١٩٢
الله أعلم حيث يجعل رسالته ---- ١٩٤
وقفه ملتمس على باب الحسين ---- ١٩٥
أدوار ومحطات الإمام الحسن مع الأمه ---- ١٩٦
يعرف الحق من أهله ---- ١٩٨
الحكمه الواقعيه عند الأئمه ---- ٢٠١
حديث يتضمن قواعد الحكمه ---- ٢٠١
عود على بدء ---- ٢٠٣
تجلى حكمه الله ---- ٢٠٤
من خصائص الحسين أن مصيبته من أعظم المصائب ---- ٢٠٦
أسرار ووقائع ---- ٢٠٩
أسرار الحسين مستقبلاً ---- ٢١١
وقفه عند ضوء الأسرار ---- ٢١٢
لم نفقه أبعاد كثير من الأحاديث ---- ٢١٥
الأسرار تعرف بعد الإظهار ---- ٢١٧
خلق الإنسان للنور ---- ٢١٧
السرائر ---- ٢٢٠
سعاده الإنسان فى إصلاح سريرته ---- ٢٢١
وقفه عند باب من أبواب السريره ---- ٢٢٢
وقفه لا بد منها لكل عاقل ---- ٢٢٥
عله الامتحان والابتلاء ---- ٢٢٦
حفظ الأسرار من صفات الأخيار ---- ٢٣٠
الأمر الأول: العفو عند المقدره ---- ٢٣٣
العفو سر من الأسرار ---- ٢٣٤

الأمر الثانى: الأمر بالمعروف ---- ٢٣٥
الأمر الثالث: وأعرض عن الجاهلين ---- ٢٣٦
وقفه لطرد الجهل ---- ٢٣٦
الجهلاء والدواء ---- ٢٣٧
وقفه عاجز عن البيان ---- ٢٣٨
عوده حول الأمر الثالث: وأعرض عن الجاهلين ---- ٢٣٩
وقفه باحث عن مصدر الجهل ---- ٢٤٣
وقفه عند حديث ---- ٢٤٤
حديث جامع ---- ٢٤٥
إشاره حول خلق الإنسان ---- ٢٤٦
الثالث: دور الإنسان وغايته ---- ٢٤٨
علم السر والنفس ---- ٢٤٨
ما هو علم الأسرار ---- ٢٤٩
وقفه عند باب العقل ---- ٢٥٤
العقل والإنسان ---- ٢٥٤
الإنسان والدنيا ---- ٢٥٥
الحجه ---- ٢٥٧
الإنسان والطاعه ---- ٢٥٨
العقل والدين ---- ٢٦٠
حديث جامع شامل ---- ٢٦٢
اضرب بطرفک حيث شئت ---- ٢٦٨
الانسان انسان بعقله ---- ٢٦٨
العقول والأدله ---- ٢٦٩
ابتداء الحديث ---- ٢٧٠
الانسان وكماله ---- ٢٧٠
انتصار الأنبياء ---- ٢٧١

سر البقاء ---------- ٢٧١
أعقل الناس ---------- ٢٧٢
المقطع الثالث من الوصيه ---------- ٢٧٣
أسرار الكون تكشف بالعقل ---------- ٢٧٤
القرآن وبقاؤه ---------- ٢٧٥
القرآن مصدر العلم ---------- ٢٧٦
لعلكم تعقلون ---------- ٢٧٧
القرآن حبل الله ---------- ٢٧٨
للقرآن طرفان ---------- ٢٧٩
المقطع الرابع: وعظ ---------- ٢٨١
العقل مع العلم ---------- ٢٨١
الخير كله لذوى العقول ---------- ٢٨٢
ما هى الحكمه؟ ---------- ٢٨٣
العقل والأدب ---------- ٢٨٤
لا غنى أكبر من العقل ---------- ٢٨٥
من أروع ما قيل ---------- ٢٨٦
العاقل والمعقول ---------- ٢٨٧
البرهان الثانى على وجود العلم ---------- ٢٨٩
البرهان الثالث ---------- ٢٩٠
البرهان الرابع ---------- ٢٩٠
العلم سر من الأسرار ---------- ٢٩٠
العلم وحقيقته ---------- ٢٩١
الفيض للعلم ---------- ٢٩١
وقفه عند باب العلم ---------- ٢٩٢
الإنسان وقابليته ---------- ٢٩٣
العلم الحضورى والحصولى ---------- ٢٩٤

العلم حياه ---------- ٢٩٥
علم الأسرار سعاده للأبرار ---------- ٢٩٧
وقفه عند باب من أبواب العلم ---------- ٢٩٨
العلم ميزان بين الحق والباطل ---------- ٢٩٨
ما هى حقيقه العلم؟ ---------- ٢٩٩
العلم الحضورى والحصولى ---------- ٣٠١
سر العلوم من عالم القدس ---------- ٣٠٢
أسرار الأكوان مبثوثه فى الإنسان والقرآن ---------- ٣٠٢
القرآن نزل لهدايه الإنسان ---------- ٣٠٤
القرآن مدرسه الإنسان ---------- ٣٠٥
الإنسان والأسرار ---------- ٣٠٥
الدنيا مظهر من مظاهر الأسرار ---------- ٣٠٨
العقل والإنسان ---------- ٣٠٩
العقل سر من أسرار الوجود ---------- ٣١٢
أسرار الحياه كامنه فى ثناياها ---------- ٣١٥
بالإخلاص تتفاضل مراتب المؤمنين ---------- ٣١٨
حديث فى قضيه موسى وشعيب ---------- ٣١٩
انما يتقبل الله من المخلصين ---------- ٣٢٠
حقيقه الإخلاص ---------- ٣٢١
سلامه القلب ---------- ٣٢٢
زياره الحسين سر من الأسرار ---------- ٣٢٣
وقفه عند مصدر الأنوار ---------- ٣٢٦
الأسرار يعرفها الأخيار ---------- ٣٢٩
حديث عن أنوارهم عليهم السلام ---------- ٣٣٥
كيف نتعرف على ميزان الإيمان؟ ---------- ٣٣٧
حديث جامع ---------- ٣٣٨

من عوالم الأنوار ---- ٣٤٠
أهل الكساء ---- ٣٤١
أسرار.. وأسرار ---- ٣٤٤
من إرث أسرار النبوه ---- ٣٤٥
وقفه ثانيه عند الخصوصيات ---- ٣٤٨
عجز وتنبيه ---- ٣٤٩
وقفه وتأملات ---- ٣٥٠
من أسرار الخصوصيات الظاهره ---- ٣٥١
وقفه على باب من أبواب الخصوصيات ---- ٣٥٢
الحسين هو صفوه من الصفوه ---- ٣٥٣
وقفه عند باب الصفات ---- ٣٥٣
الأسرار والأنوار ---- ٣٥٦
إشاره من النصوص حول الأئمه ---- ٣٥٧
الحسن والحسين صفوه الله ---- ٣٦٠
سلسله الأنوار ---- ٣٦٢
حديث جامع ---- ٣٦٤
طرف من حديث ---- ٣٦٦
من مصدر الأسرار ---- ٣٦٨
أسرار الحسين لا نهايه لها ---- ٣٧٠
من الأسرار أربعه عشر نوراً ---- ٣٧٢
النجاه مضمونه لشيعه آل بيت محمد ---- ٣٧٣
مواقف الحسين وامتثاله ---- ٣٧٥
من أسرار خبر اللوح ---- ٣٧٦
يوم ندعو كل أناس بإمامهم ---- ٣٧٨
لمحه موجزه عن الإمام الحسين ---- ٣٨٣
فضائل الحسين ---- ٣٨٣

ميزان التفضيل ---- ٣٨٤
الأسرار فوق الأفكار ---- ٣٨٦
وقفه عند لقب من ألقاب الحسين ---- ٣٨٧
حديث يتضمن أسرار المستقبل ---- ٣٨٩
الكرامات لمن كرمهم الله ---- ٣٩١
لقطات وكلمات ---- ٣٩٣
وقفه تحت شعاع من كلمات للحسين ---- ٣٩٤
لمحه ونوع من تحليل ---- ٣٩٥
آيه حول الأمم ---- ٣٩٦
آل البيت هم أهل سر الله ---- ٣٩٩
الأسرار يحملها الأبرار ---- ٤٠١
ومضات من أسمى حياه ---- ٤٠٢
يه وواقع ---- ٤٠٣
نموذج رفيع فى ليله عاشوراء ---- ٤٠٣
وقفه عند باب الصبر ---- ٤٠٤
وقفه نتلمس بها الشكر عند الحسين ---- ٤٠٥
لئن شكرتم لأزيدنكم ---- ٤٠٥
فقرات من دعاء عرفه ---- ٤٠٦
الإنسان والكمال ---- ٤٠٧
الإنسان أبعد من الحواس ---- ٤٠٨
ابتداء المعرفه عند ابتداء النفس ---- ٤٠٩
أسرار الحسين فوق ادراكات عقولنا ---- ٤١٠
التوحيد الأسمى ---- ٤١٢
حديث حول التوحيد ---- ٤١٥
أسرار أشار إليها أمير المؤمنين ---- ٤١٧
أسرار من القرآن ---- ٤٢٦

نموذج من أحاديث النور والطينه ---- ۴۲۷
إرشاد وتنبيه: ---- ۴۲۸
معرفه النفس ---- ۴۳۱
صون النفس من أوجب الواجبات ---- ۴۳۵
مسلک دقيق للنفس ---- ۴۳۵
سبب صلاح النفس ---- ۴۳۶
سبب صلاح النفس الورع ---- ۴۳۷
وقفه لذوى الأبصار ---- ۴۳۸
ثلاثه عوالم وثلاث مسافرين ---- ۴۳۹
وقفه عاجز عند هذه العوالم ---- ۴۴۰
النور أو النار ---- ۴۴۱
لا طاعه لمخلوق فى معصيه الخالق ---- ۴۴۳
أسرار فى زياره الحسين ---- ۴۴۵
أسرار بعض من خطبه الزهراء ---- ۴۴۶
إكمال الدين فى الولايه ---- ۴۵۷
وقفه مع آيه ---- ۴۵۸
الدعاء ---- ۴۶۰
القرآن دواء للإنسان ---- ۴۶۱
آيه مباركه من آيات الأسرار ---- ۴۶۴
علامات ومبشرات وإشارات ---- ۴۶۵
من أسرار الأحاديث: الدجال ---- ۴۶۷
آيه مباركه ---- ۴۶۹
آيه ---- ۴۷۶
وقفه مع حمل الأمانه ---- ۴۸۰
كتب للمؤلف ---- ۴۸۲
الفهرس ---- ۴۸۳

اسرار الحسين عليه السلام : بحث خاص حول بعض جوانب أسرار الامام الحسين عليه السلام

اشاره

اسرار الحسين عليه السلام

بحث خاص حول بعض جوانب أسرار الامام الحسين عليه السلام

لسماحه الشيخ محمد قاسم مصرى العاملى

الطبعه الأولى

دار بلال للطباعه والنشر

بيروت، لبنان ٢٠١٨ م

ص: ١

اشاره

ص: ٢

منشورات

الجمعيه العامليه لإحياء التراث

www.amililb.net

الطبعه الأولى

دار بلال للطباعه والنشر

بيروت، لبنان ٢٠١٨ م

ص: ۴

تقديم

هذا الكتاب...

منذ قرابه العقدين من الزمن دون سماحه الوالد.. هذه الخواطر ..

فأضيفت إلى عشرات المخطوطات على مدى عقود من الزمن، كتب فيها أبحاثا عن الآيات التى تتناول خلق الانسان، والغيب، والنفس، والقلب،والتقوى، والصبر، والأرض، وغير ذلك ضمن عنوان خواطر.

منذ عام ونيف تولدت رغبه فى نشر واحده من هذه الخواطر ، وهى عن أسرار الحسين عليه السلام لتكون باكوره النتاج المطبوع، فتولى ولدى الحبيب الشيخ محمد مهمه المراجعه والتصحيح والإخراج لكتاب جده، ليتم إنجازه فى هذه الحله فى الليله الأولى من شهر رمضان المبارك ١۴٣٩.

ما يميز هذا الكتاب.. هو أن ما تم تدوينه فيه هو عباره عن مجموعه خواطر وأفكار مترابطه بموضوع واحد.. فيمكن للقارئ أن يصل إلى معنى من خلال فقره أو عنوان، وفى نفس الوقت فإن جميع العناوين والفقرات توصل إلى معنى مشترك واحد.

للكتاب نمط خاص، فهو كما ورد فی مقدمته علی لسان المؤلف:

عند محاولتنا للكتابه حول الأسرار نقتطف من هنا زهره ومن هناك ورده، ومن هنالك نظره لنروی ظمأً لنفوس ترنو نحو المعرفه، لذلك لم يكن لكتابتنا منهج أو أسلوب محدد، بل نجول هنا مره ونحتار مراراً..

لذا قد تجد تكرارا فی بعض العبارات لأنها لم تكتب لتكون ضمن منهجيه تأليف الكتب، وقد قال المؤلف:

وكتابتنا هنا ما هی الا إشارات لمن يدرك حل رموزها.

كربلاء المقدسه، فی غره شهر رمضان المبارك ۱۴۳۹

الموافق ۱۷ أيار ۲۰۱۸

الشيخ مصطفی محمد مصری العاملی

ص: ۶

مقدمه

بسم الله الرحمن الرحيم

عندما نتأمل فی هذا الوجود نجدُ الكثير من الأسرار، وهذا لم يعد سرّاً خفيّاًخاصّةً بعد أن اكتشفت العلوم ما نراه محسوساً ظاهراً.

بَدَأ الإنسان على هذه الأرض سرّاً من أسرار الوجود، ولم يبق هذا السرُّ فی عالم الغيب، بل شاء الله سبحانه أن يظهره من عوالم الغيوب إلى واقع الوجود.

وعندما نحاول التعرف على حقيقه ذواتنا نجدُ ما نَعجَزعن بيانه وإظهاره مع أننا لا نجهلُ حقيقةَ وجودنا.

وعندما نبحث عن أفراد الإنسان نتلمس الفوارق بين شخص وآخر، وهی فوارق متقاربه تارةً ومتباعده أخرى، مع أن الجميع يجمعهم جنس واحد وهو: التكوين البشرى(۱).

وقد عرف أن فی الإنسان نموذجاً لكل ما فی الأكوان من أمور ظاهرهومستتره..

هذا عن المحسوس، أما الأسرار الكامنه بذات الإنسان فلم تكتشف بعد! ومن هذه الإشاره ندخل إلى بعض الجوانب وهی:

أولاً: أن ابتداء الخلق راجع الى الله عزوجل.

۱- الناس من جهه التمثال أكفاء * أبوهم آدم والأم حواء.

ثانياً: أن الإنسان هو أرقى وأسمى المخلوقات.

ثالثاً: أن الإنسان هو الصفوه والغايه القصوى من وجود سائر الأكوان(١).

وقد أوجب سبحانه على خلقه التسبيح والتقديس: فسبحانه من إلهٍ تجلى بذاته لذاته، وأظهر الأشياء بمشاهدتها فى غيب وجوده، وجعلهامظاهر ذاته وأسمائه، وتنزه عن مجانسه مخلوقاته(٢).

وأول مخلوق هو النور، وهو النبى محمد صلى الله عليه واله، وقد ثبت ذلك بكثير من الأحاديث الشريفه نذكر بعضها اختصاراً .

قال:كنت أول الناس فى الخلق وآخرهم فى البعث(٣).

وعظمه سر الحسين عليه السلام من جده رسول الله صلى الله عليه و اله حيث تجمعت أنوارالأئمه عند الحسين عليه السلام.

منذ أن بدأت الوعى والإدراك كان لدى رغبه فى التوغل بكل ما هو مجهول لدى، حتى يسر لى طلب العلم، فبدأت من الألف.. إلى.. ما شاء الله لى حصوله، فكنت أخشى كثيراً من التوغل فى أبحر الحسين عليه أفضل التحيه والسلام.

وفى هذا العام قبل هلال محرم (عاشوراء)(٤) جال الفكر: باذا أتكلم حول هذه المناسبه؟

ارتأيت بتوفيق أن أحوم حول الإمامه والإمام، فساقنى الفكر إلى شواطئ

١- راجع المظاهر الإلهيه لصدر المتألهين ص ١١٩.

٢- المصدر السابق، ص٥٣: مقدمه التحقيق.

٣- الطبقات الكبرى ج ١ ص ١٤٩، ينابيع الموده ٢:٩٩.

٤- محرم ١۴٢٢ ه - ٢٠٠١م.

الحسين عليه السلام، وعند هذه الشواطئ وقفت مرتعشاً، حيث لكل ابتداء رهبه، فكيف بلجج الأسرار؟!

وأحاول الآن أن أتعلم على ضفاف هذه الشواطئ، لعلى أتوفق لخوض اللجج، والتى دونها خوض المهج!

وعندما نحاول أن نكتب حول أسرار الحسين عليه السلام نجد هذا السر متصلاً إلى أبعد الحجب، وخصوصاً فيما يتعلق بالأنوار من عوالم الأسرار، ونجد أيضاً جهلاً وتجاهلاً حول معرفه ذلك فى هذه الأزمنه.

ونجد مع ذلك فى هذا الزمن عقولاً تبحث عن الحقائق المختبئه فى بطون الكتب، وما نذكره هنا ما هو إلا إشاره وأعلام للسائرين، فمن عرف عظمه الخالق يعرف أنه سبحانه أودع فى المخلوقات أسراراً، ومستودع الأسرار عند النبى المختارصلى الله عليه واله .

إن ما يتعلق بالحسين عليه السلام هو أشمل من كل ظاهره على وجه الأرض، وهذه الظاهره بالذات لا بد أن تنبه العقل البشرى نحوهذا الدين.

فكأنها الروح التى تتحرك فى أجسام البشريه قاطبه، وسوف تأخذ دورها الرائد لكل طبقات وأجناس الشعوب على وجه الأرض.

فعاشوراء نداء لأهل الأرض من صوت السماء!

وعندما نحاول التعرف على بعض الجوانب من أسرار الحسين عليه السلام فإننا لم نتجاوز ما هو محسوس وموجود و ملموس.

وفى الحقيقه إن ذلك ليس من الأسرار، وإن كان لفظ الحروف مؤداه سر، فالحسين عليه السلام هو ثمره من ثمرات سيد الكائنات، وقد خصه الله بخصوصيات

ظاهره وباطنه، لأنه عليه السلام حجه من حجج الله فى هذه الحياه، وهو سفينه نجاه، ولذا جاء التعبير أنها أوسع وأسرع وما شابه ذلك من الألفاظ التى تشير إلى جوانب من معانى الأسرار، فالسر هو وجود، وله وجود، وليس بخفاء مطلق، بل لأن عقولنا لم تصل إليه نقول لكل غائب عنا سراً، فلفظ السرليس ذات السر.

وكل مخلوق قبل اظهاره كان فى عوالم الأسرار، فالوجود أشمل من الظاهر والباطن، والملائكه عليهم السلام بالنسبه لبنى البشر أسرار الله فى الكون، ولهم آثار وأسرار فى هذا الوجود، لذلك نؤمن بهم ولا نشاهدهم، ولا يشك عاقل بهم.

إن كل ما ظهر من مواقف الحسين عليه السلام ما هو إلا خيط من أنوار وأسرار كربلاء، فإنا نهيب بالعلماء والأدباء أن لا يحاولوا تحجيم شعائر كربلاء، فإن كثيراً من المظاهر والظواهر لم ندرك بعد أبعاد أسرارها، فقد يمارس بعض الناس شيئاً من المظاهر بدون إدراك أبعادها ومعانيها، ومما لا شك فيه أنه ستأتى أجيال من الناس تستكشف أسرار تلك المظاهر وأبعاد تلك الشعائر، لأن مسيره كربلاء هى أكبر وأوسع من زمن أو جيلٍ محدود.

عند محاولتنا للكتابه حول الأسرار نقتطف من هنا زهره ومن هناك ورده ومن هنالك نظرةً لنروى ظماءً لنفوس ترنو نحو المعرفه، لذلك لم يكن لكتابتنا منهج أو أسلوب محدد، بل نجول هنا مره ونحتار مراراً..

والتعرف على هذه الأنوار يتم بقدر صفاء البصيره، وما نرسمه من حروف هنا ما هو إلا إشارات تأخذ بأبصارنا وعقولنا نحو الهدف المقدر للإنسان التابع بالاهتداء إلى هذه الأنوار، ونستشف ذلك من بعض الأحاديث الشريفه، وقد يتكرر ذكر بعضها لحكمه لا تخفى.

وليس للمعرفه حدود، فكلما بحث الإنسان كلما تحققت المعرفه عنده، لذلك يجد القارئ فى أبحاثنا مواضيع متعدده على خلاف ما تعارف من الحصر..

إن من يجاهد نفسه فى مده حياته قد يدرك شيئاً من هذه الأنوار، وإن كانت الحروف والكلمات عاجزه عن بيان حقائق المعانى، فالحروف ما هى إلا إشارات ورموز لمعانى الحقائق، ونحن عندما نرسم ذلك نأمل أن يبعث الله سبحانه أجيالاً قد تدرك ذلك، فالعجز عن الإدراك إدراك..

محمد قاسم مصرى العاملى

الجمعه ٥ محرم ١۴٢٢ ه

الموافق ٣٠ آذار ٢٠٠١م

ص: ١١

حديث لذوى الألباب

روى عبد العزيز بن كثير أن قوماً أتوا إلى الحسين عليه السلام وقالوا: حدثنا بفضائلكم.

قال: لا تطيقون، وانحازوا عنى لأشير إلى بعضكم، فإن أطاق سأحدثكم ،فتباعدوا عنه فكان يتكلم مع أحدهم حتى دهش ووله وجعل يهيم ولا يجيب أحداً وانصرفوا عنه(۱).

ونذكر ههنا حديثاً عن الأصبغ بن نباته قال: سألت الحسين عليه السلام فقلت: سيدى، أسألك عن شيء أنا به موقن و أنه من سرالله، وأنت المسرور إليه ذلك السر.

فقال: يا أصبغ، أتريد أن ترى مخاطبه رسول الله لأبى دونٍ(۲) يوم مسجد قبا؟

قال: هذا الذى أردت .

قال: قم.

فإذا أنا وهو بالكوفه، فنظرت فإذا المسجد من قبل أن يرتد إلى بصرى، فتبسم فى وجهى فقال: يا أصبغ إن سليمان بن داود أعطى الريح غدوها شهر ورواحها شهر وأنا قد أعطيت أكثر مما أعطى سليمان.

فقلت: صدقت والله يا ابن رسول الله .

۱- مناقب آل ابى طالب لابن شهر آشوب، ج ۴ ص ۵۱، وعنه البحار ج ۴۴ ص ۱۸۴، ومثله فى كتاب الواعظ ج۱ ص۵۲ عن كتاب الخرائج للراوندى.

۲- الدون: الخسيس، واللفظ المذكور رمز يعبر به تقيه عن أول ظالميهم عليهم السلام .

فقال: نحن الـذين عندنا علم الكتاب وبيان ما فيه، وليس لأحد من خلقه ما عندنا لأنا أهل سـر الله، فتبسم فى وجهى ثم قال: نحن آل الله وورثه رسوله .

فقلت: الحمد لله على ذلك.

ثم قال لى: ادخل، فدخلت فإذا أنا برسول الله صـلى الله عليه واله محتب فى المحراب بردائه، فنظرت فإذا أنا بأمير المؤمنين قابض على تلابيب الأعسر، فرايت رسول الله صـلى الله عليه واله يعض على الأنامـل وهو يقول: بئس الخلف خلفتنى أنت وأصـحابك عليكم لعنه الله ولعنتى(۱).

وههنا ملاحظه لكل من يقرأ كتابى هذا أننى أكتب لذوى الألباب ولنفسى، فلا عجب!

ونـذكر حـديثاً آخرفيه إشارات، فعن ابن عباس قال: رأيت الحسـين قبل أن يتوجه إلى العراق على باب الكعبه وكف جبرئيل فى كفه وجبرئيل ينادى: هلموا إلى بيعه الله عزوجل.

وعنف ابن عبـاس على تركه الحسـين فقـال: إن أصـحاب الحسـين لم ينقصوا رجلاً و لم يزيـدوا رجلاً نعرفهم بأسـمائهم من قبل شهودهم.

وقال محمد بن الحنفيه و أصحابه عندنا لمكتوبون بأسمائهم وأسماء آبائهم(۲).

وعن حذيفه قال: سـمعت الحسـين بن على عليهما السـلام يقول: والله ليجتمعن على قتلى طغاه بنى أميه، ويقدمهم عمر بن سـعدٍ. وذلك فى حياه النبى (صلى الله عليه

۱- مناقب آل ابى طالب لابن شهر آشوب، ج ۴ ص ۵۲.

۲- المصدر السابق.

وآله)، فقلت له: أنبأك بهذا رسول الله؟

فقال لا.

فاتيت النبى فأخبرته، فقال: علمى علمه، وعلمه علمى، وإنا لنعلم بالكائن قبل كينونته(۱).

نوع من بيان

إن كل مخلوق فى الكائنات يحمل فى ذاته نوعاً من الأسرار، ولا بدلنا عندما نحاول التعرف على جانب من أسرار الحسين عليه السلام من رسم كلماتٍ و أحرف تدل على شيء من تلك الأسرار، فقد اجتمعت فى الحسين عليه السلام جميع أسرار الكائنات، منها ما هو ظاهر للعيان ومنها ما هو كامن بذاته المقدسه.

ونشير أولاً ـ لما هو ظاهر: ينقل المجلسى عن بعض الكتب المعتبره عن الطبرى عن طاووس اليمانى: أن الحسين بن على عليه السلام كان إذا جلس فى المكان المظلم يهتدى إليه الناس ببياض جبينه ونحره، فإن رسول الله صلى الله عليه واله كان كثيراً ما يقبل جبينه ونحره، وإن جبرئيل عليه السلام نزل يوماً فوجد الزهراء عليها السلام نائمةً و الحسين فى مهده يبكى فجعل يناغيه ويسليه حتى استيقظت فسمعت صوت من يناغيه فالتفتت فلم تر أحداً فأخبرها النبى صلى الله عليه واله أنه كان جبرئيل عليه السلام(۲).

إن أسرار الحسين عليه السلام عند أهل السماء أعظم منها عند أهل الأرض، وهذا معلوم و معروف عند أهله.

۱- دلائل الإمامه ص۱۸۳.

۲- بحار الأنوار ج ۴۴ ص ۱۸۷.

وقد روى أنه: لما ولد الحسين عليه السلام أمر الله تعالى جبرئيل أن يهبط فى ملإٍ من الملائكه فيهنئ محمداً فهبط فمربجزيرهٍ فيها ملك يقال له فطرس بعثه الله فى شىء فأبطأ فكسرجناحه وألقاه فى تلك الجزيره فعبد الله سبعمائه عام.

فقال فطرس لجبرئيل: إلى أين؟

قال: إلى محمد.

قال: احملنى معك إلى محمد لعله يدعو لى، فلما دخل جبرئيل وأخبرمحمداً بحال فطرس قال له النبى : قل له يمسح بهذا المولود جناحه.

فمسح فطرس بمهد الحسين عليه السلام فأعاد الله عليه فى الحال جناحه ثم ارتفع مع جبرئيل إلى السماء فسمى عتيق الحسين عليه السلام (١).

الإمام الحسين سر من أسرار الله

تارةً نقرأ عن هذا السر فى الحروف والكلمات، وتاره نقرأه فى مسيره وواقع الحياه.

ونقف هنا لنقرأ عن الحسين عليه السلام، ونسأل لماذا يذكرالحسين عليه السلام فى كل بقاع الأرض؟ وما هو السر فى ذلك؟

لنبدأ أولاً بما هو ظاهر من جانب النسب والوراثه: فجده النبى محمد صلى الله عليه واله ، وجدته خديجه الكبرى عليها السلام، ووالده على بن ابى طالب عليهماالسلام ، ووالدته فاطمه الزهراء عليها السلام ، وأخوه الإمام الحسن عليه السلام ، وأولاده الأئمه المعصومون عليهم السلام .

من هنا تعجز الأفهام وتقف الأقلام عن شرح وبيان هذه السلسله الذهبيه

١- الخرائج والجرائح ج١ ص٢٥٢.

التى خصها الله بالإصطفاء والصفوه، فالحسين عليه السلام خامس أهل الكساء، وما اجتمع فى الحسين عليه السلام لم يجتمع فى غيره قط، فقد امتاز بهذا الجانب عن كل مخلوق، وقد اشترك مع حلقات السلسله بكل الفضائل.

وبناء على ذلك فهو الثمره المصفاه بكل ما ترمز إليه الحروف والكلمات .

وقفه مع حديث: علمه علمى

لقد أوقفنى كثيراًحديث تقدم عن النبى صلى الله عليه واله فى الحسين عليه السلام حيث قال صلى الله عليه واله : علمه علمى وعلمى علمه.. .

وقد قرأت هذا الحديث على كثير ممن يفد ويستمع منا، وفى يوم الأحد ١٤ محرم ١۴٢٢ ه بعد الظهر أسمعته للأخ المهندس عبد الله عاصى، فقال لى: ماذا تجيب لو سألك أحد بجوابٍ مقنع فيه دلاله؟

فكان جوابى فى تلك اللحظه بتوفيق سريع ما يلى:

أولاً: أن العلم علمان، علم كسبى وعلم لدنى، وأوضح دليل ما جرى بين النبى موسى عليه السلام والخضر عليه السلام فى قصه العلم، وهى واضحه بظواهرها فى القرآن الكريم، فالخضر عليه السلام ليس نبياً، ولم يخاطبه الوحى، وهو تابع لموسى عليه السلام فى التكليف.

ثانياً: أن نور الحسين عليه السلام هو من ذات النور للنبى صلى الله عليه واله ، وهذا فى عالم الأنوار وعالم الذر، فضلاً عن الأحاديث بحق الحسين عليه السلام ومكانته الرفيعه بنصوص صريحه.

ألم يثبت عن النبى صلى الله عليه واله ما مضمونه أنه وعلى من نور واحد؟ ثم انقسم هذا

النور عند ابى عبد الله وعند أبى طالب(۱).

ومن هنا يحسن القول أنه قد اجتمع فى الحسين عليه السلام القسمان، ويكفى أنه خامس أهل الكساء.

وحتى لو أردنا الدخول فى تفاصيل عالم الوراثه، فالحسين عليه السلام هو مجمع نقطه الارتكاز للسلسله النورانيه بكل الأبعاد.

لـذلك لا غرابه ولا عجب أن يكون علم الحسـين عليه السـلام معه من عوالم التكوين الابتـدائيه، وهى عالم النور، والأشـباح قبل الظهور لعالم الدنيا المحسوس، وهذا له تفاصيل تأتى فى محلها إن شاء الله.

وهنا حاولت الإشاره لا أكثر، وأذكر حديثاً مقتضـباً من حديث طويل للإمام الحسن عليه السـلام لأخيه محمد بن الحنفيه بوصـيته له:.. سمعت أباك يوم البصره يقول: من أحب أن يبرنى فى الدنيا والآخره فليبر محمداً ولدى.

يا محمد بن على لوشئت أن أخبرك وأنت نطفه من ظهر أبيك لا خبرتك.

يا محمـد بن على أما علمت أن الحسـين بن على بعـد وفاه نفسـى ومفارقه روحى جشـمى إمام من بعـدى، وعنـد الله فى الكتاب الماضـى وراثـه مـن النـبى أضافهـا الله له فى تراثه أبيه وأمه، علم الله أنكم خيره خلقه فاصـطفى منكم محمـداً واختارمحمـد علياً واختارنى على للإمامه واخترت أنا الحسين.

فقال له محمـد بن على: أنت إمامى وسـيدى ألا وإن فى رأسـى كلاماً لا تنزفه الدلاء ولا تغيره نغمه الرياح كالكتاب المعجم فى الرق المنمنم أهم بإبدائه فأجدنى

۱- معانى الأخبار ص ۵۶.

سبقت إليه سبق الكتاب المنزل وما جاءت به الرسل وإنه لكلام يكل به لسان الناطق ويد الكاتب حتى لا يجد قلماً ويؤتوا بالقرطاس حمماً ولا يبلغ فضلك وكذلك يجزى الله المحسنين ولا قوه إلا بالله.

الحسين أعلمنا علماً وأثقلنا حلماً أقربنا من رسول الله رحماً، كان إمامنا قبل أن يخلق، وقرأ الوحى قبل أن ينطق، ولو علم الله أن أحداً خيراً منا ما اصطفى محمداً، فلما اختار محمداً اختار علياً إماماً واختارك على من بعده واخترت الحسين عليه السلام من بعدك سلمنا ورضينا بمن هو الرضى وبمن نسلم به من المشكلات(۱).

وفى الكافى هذه العباره: سلمنا ورضينا من هو بغيره يرضى ومن غيره كنا نسلم به من مشكلات أمرنا(۲).

العلم قسمان: علم لدنى وعلم كسبى

قد مرت كلمات تدل على العلم اللدنى، منها: كان إماماً قبل أن يخلق .وفى الكافى : كان فقيهاً قبل أن يخلق(۳).

فى مثل هذه العباره إشاره إلى أن أرواحهم عليهم السلام كانت فى عوالم الغيوب والعرش قبل تعلقها بأجسادهم الطاهره، فكانت أرواحهم عالمه بالعلوم اللدنيهومعلمه للملائكه(۴).

۱- إعلام الورى بأعلام الهدى ج ۱ ص ۲۳.

۲- الكافى ج ۱ ص ۳۰۲.

۳- الكافى ج ۱ ص ۳۰۲.

۴- تفاصيل هذه المعانى فى مكان آخر، راجع مثلاً البحار ج ۴۴ ص۱۷۹.

إن أسرار أهل بيت النبى صلى الله عليه واله لا تتحملها عقولنا التى خيمت عليها شهوات الدنيا، بل حتى عقول الكثير ممن عايشهم وسمع منهم ومن جدهم عليهم السلام جميعاً.

وقد تقدم الحديث عندما قال الحسين عليه السلام لقوم أتوه وقالوا: حدثنابفضائلكم، قال عليه السلام : لا تطيقون. وهذا يدل على ضعف الإدراك، فليس كل انسان قادر على حمل الأسرار، إذ ذلك مختص بالأبرار.

فى كل كائن سر من الأسرار

من المعلوم أن أسرار الكائنات تجمعت فى حقيقه الإنسان، وهنا نشير إشاره إلى مكامن الأسرار، فقد جاء فى مضامين الأحاديث أن: للعلماء سر، وللخلفاء سر، وللأنبياء سر، وللملائكه سر، والله تعالى من وراء ذلك سر.

فلو اطلع الجهال على سير العلماء لأبادوهم، ولو اطلع العلماء على سر الخلفاء لنابذوهم، ولو اطلع الخلفاء على سر الأنبياء لخالفوهم، ولو اطلع الأنبياء على سر الملائكه لخالفوهم، ولو اطلع الملائكه على سرالله لطاحوا حائرين و بادوا بائدين(۱).

وقد قيل: إذا عرف السبب زال العجب!

۱- ذكره الملا صدرا فى شرح أصول الكافى ج ۲ ص ۵۴۷، والفخر الرازى فى تفسيره ج۲ ص۳، ولكن لم نعثر على الحديث فى مجاميعنا الروائيه، وظاهره أن الملائكه أفضل من الأنبياء، وهو مخالف للمقطوع به عندنا من أن الأنبياء أفضل من الملائكه، وظاهره أيضاً أن مرتبه الأنبياء مما لا يمكن للأوصياء أن يتحملها وهذا مخالف لما ثبت من كون على عليه السلام نفس النبى صلى الله عليه واله.

ومنه أيضاً: والسبب فی ذلک أن العقول والاذهان لا یحتمل الاسرار القویه کما لا یحتمل الابصار الضعیفه کابصار الخفافیش نور الشمس، وکذلک کل مرتبه من النور القوی لا یحتمل ما هو اقوی منه وأشد کثیراً فیضمحل فی مشهده، وکذلک فی قوله: «إِنَّا أَعْطَیْنَاکَ الْکَوْثَرَ»، فالکوثر صورته صوره الماء وحقیقته حقیقه العلم(۱).

فعندما نحاول التعرف علی بعض الجوانب من أسرار الحسین علیه السلام نجد أنفسنا أضعف من الخفافیش فی مقابل هذا النور، فقد تحققت فی مقام الحسین علیه السلام الأنوار والأسرار فکان ملتقی السابقین وذخیره الباقین.

وبعد أن حمل آدم علیه السلام النور واستمر من صلب إلی صلب فی قافله الأنبیاء علیهم السلام وانشطر من عبد المطلب عاد واجتمع فی الحسین علیه السلام، فکان الحسین علیه السلام منتهی مجمع الأنوار ومستودع الأسرار.

وعندما نحاول التعرف علی ضیاء الأنوار من الأسرار، لا بد لنا من أن نتعرف علی مقام الإمامه والإمام، فمعرفه الإمام هی المعرفه التامه لکل معارف الحیاه، لأن هذه المعرفه تتضمن أسرار الوجود بکل أبعاده وتفاصیله، ولذا نقول: معرفه الحسین علیه السلام معرفه للجمیع، لأنه علیه السلام نقطه الارتکاز بکل أبعادها.

۱- المصدر السابق، وفی العباره جهه اشتراک مع ما نقله الفخر الرازی وجهه اختلاف، ولیس لذکر الکوثر أثر فی کلمات الرازی، علی أن هذا الکلام للملا صدرا نفسه بحسب الظاهر، وإن قیل بأنه ینقله عن بعض العلماء استکمالاً لما نقله قبل أسطر، ورغم تصریحه بأنه غیر منکر للظاهر وأنه طریق للباطن یرد علیه أن معرفه البواطن مقصوره علی السمع من آل محمد علیهم السلام، وما لم یرد ما یؤید أو یشیر إلی هذا المعنی یبقی محتملاً کسائر الاحتمالات لا وجه لإثباته والجزم به .

وإذا ما حاولنا معرفه الابتداء نجد أنه عليه السلام نور من الأنوار على ساق العرش، وعندما نسير إلى منتهى سلسله الأنوار والأسرارنجده ملتقاها، لذلك كانت معرفته معرفه الابتداء والانتهاء، بنص صريح عنه عليه السلام حيث قال: دخلت أنا وأخى على جدى رسول الله صلى الله عليه واله فأجلسنى على فخذه وأجلس أخى الحسن على فخذه الأخرى ثم قبلنا وقال: بأبى أنتما(۱) من إمامين صالحين اختاركما الله منى ومن أبيكما و امكما واختار من صلبك يا حسين تسعه أئمه تاسعهم قائمهم وكلكم فى الفضل والمنزله عند الله تعالى سواء(۲).

من هذا الحديث الشريف ندرك اختيار الله للإمامه، وليس وراء اختيار الله اختيار، فهو الخالق الموجد المقدر.

وفى الأحاديث الشريفه الكثير من هذه الأبعاد والمعانى حول الإمامه والإمام.

ومنها ما روى عن الحسين بن على عليهما السلام قال: دخلت على رسول الله صلى الله عليه واله وعنده أبى بن كعب فقال لى رسول الله صلى الله عليه واله : مرحباً بك يا أبا عبد الله يا زين السماوات والأرضين.

قال له أبى: وكيف يكون يا رسول الله صلى الله عليه واله زين السماوات والأرضين أحدغيرك؟

۱- لا يقال : كيف يفدى النبى صلى الله عليه واله الحسنين عليهما السلام بأبيه؟ وهل يتناسب هذا مع بر الوالدين؟ فإنه يقال أنها عليهما السلام أئمه لكافه البشر بمن فيهم عبد الله والد النبى صلى الله عليه واله ، ولا شك بلزوم فداء المفضول للفاضل كما يحكم به العقل السليم والفطره غير الملوثه.
۲- كمال الدين و تمام النعمه ج ۱ ص ۲۶۹.

قال: يا أبى، والذى بعثنى بالحق نبيا إن الحسين بن على فى السماء أكبر منه فى الأرض، وإنه لمكتوب عن يمين عرش الله عزوجل ومصباح هدى وسفينه نجاه وإمام غير وهن، وعز وفخر وعلم وذخر.

وإن الله عزوجل ركب فى صلبه نطفةً طيبةً مباركةً زكيةً، ولقد لقن دعوات ما يدعو به مخلوق إلاحشره الله عزوجل معه وكان شفيعه فى آخرته وفرج الله عنه كربه وقضى بها دينه يسر أمره وأوضح سبيله وقواه على عدوه ولم يهتك ستره.

فقال له أبى بن كعب: وما هذه الدعوات يا رسول الله صلى الله عليه واله ؟

قال: تقول إذا فرغت من صلاتك وأنت قاعد: اللهم إنى أسألك بكلماتك ومعاقد عرشك وسكان سماواتك وأنبيائك ورسلك أن تستجيب لى فقد رهقنى من أمرى عسراً فأسألك أن تصلى على محمدٍ وآل محمدٍ وأن تجعل لى من أمرى

يسراً.

فإن الله عزوجل يسهل أمرك ويشرح صدرك ويلقنك شهاده أن لا إله إلا الله عند خروج نفسك.

قال له أبى: يا رسول الله فما هو النطفه التى فى صلب حبيبى الحسين ؟

قال: مثل هذه النطفه كمثل القمر وهى نطفةً تبيين وبيان يكون من اتبعه رشيداً ومن ضل عنه هويا.

قال: فما اسمه وما دعاؤه؟

قال : اسمه على ودعاؤه يا دائم يا ديموم يا حى يا قيوم يا كاشف الغم ويا فارج الهم ويا باعث الرسل ويا صادق الوعد

من دعا بهذا الدعاء حشره الله عزوجل مع على بن الحسين وكان قائده إلى الجنه(۱).

إن الحديث عن الإمام الحسين عليه السلام أبعد من تقييمات عقولنا وأفهامنا، فالذى اجتمع فى ذاته وكيانه كل أسرار الكون من محسوس وما فوق المحسوس هو فوق ادراكنا!

ومن يتتبع مراحل سيرته يدرك أن له عليه السلام ميزات لم يشاركه فيها أحد، ولم يتوفر من الصفات الرفيعه لغيره ما توفر له من بدء تكوينه فى العوالم إلى مراحل مسيرته فى هذا الكون، فهو فريد بكل ما للكلام من أبعادٍ ومعانٍ.

فكأن كل انسانيه الإنسان قد تحققت بذاته، ويكفى ما تظافرت النصوص به عن عظيم شأنه، ومن أراد فليبحث، وهو بلا شك فوق إدراك الباحثين.. هو ثارالله فى الأولين والآخرين.

الله يختص بفضله من يشاء

ميز الله الإنسان عن بقيه المخلوقات، فعندما نلقى نظره فاحصه نجدأن أعظم ميزه وفضل هى العلم والتعلم.

وقد خص الله سبحانه الإنسان بالعلم بعد تكوينه:«وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا »(۲)، وبالعلم امتازعن الملائكه.

وللعلم الربانى حمله، فقد اختص به الأنبياء والأوصياء عليهم السلام ، وكان الحظ

۱- عيون أخبار الرضا عليه السلام ج۱ ص ۵۹.

۲- البقره: ۳۱

الأوفر من العلوم لسيد الأنبياء صلى الله عليه واله.

ويمكن حصر علم الأنبياء عليهم السلام بقسمين أساسيين:

الأول: ما جاء به الملائكه وحياً، وهو علم للتبليغ والتشريع.

والثانى: بينهم وبين الله عزوجل قد خصهم به، ويصح اطلاق العلم اللدنى عليه من باب التعريف بالحروف، فعندما ندرک أن هناک علماً أبعد من الظواهر والحروف ندرک نوعاً ما إشماماً من العلم اللدنى(۱).

وندرک أيضا أن للأنبياء والأوصياء علما فوق علوم التبليغ للناس التابعين فى هذه الدنيا، فالمخلوقات عموماً تابع ومتبوع، فالعالم متبوع وما دونه تابع، وعلى هذا قامت السماوات وتفاوتت المخلوقات.

وبعد أن ثبت دون شک أن خاتم الأنبياء صلى الله عليه واله هو الأول والآخر من مخلوقات الكائنات، وأن علوم الأولين والآخرين قد انتهت إليه، وقد خصه الله تعالى بما تعجز العقول والأفهام عن إدراكه ومعرفه حقيقه ذاته، ندرک أن ذريته صلى الله عليه واله نسخه عنه وقد تمثلت بالحسين عليه السلام .

وعندما نقرأ عن الحسين عليه السلام من أقوال الصادق الأمين: إنه منى وأنا منه،

۱- قد يقال بأن العلم اللدنى هو العلم الحضورى عند المعصوم عليه السلام، ويقابله العلم الكسبى، وبهذا يكون كل علمهم لدنيا إذ لم يتعلم الأنبياء والأئمه عند أحد من الخلق، وعلى هذا التفسير يدخل الوحى فى العلم اللدنى، أما لو فرقنا بين العلم الموحى به والعلم اللدنى الذى قد ينزله الله تعالى على الأنبياء دون توسط الملائكه تتم القسمه المذكوره. على أن نزول الملائكه على الأنبياء لا يعنى جهل الأنبياء بها كان الملائكه قد علموه ونزلوا به عليهم، فإن الأنبياء أفضل من الملائكه بلا شک وريب وأعلم منهم، سيما سيدنا محمد صلى الله عليه واله، ولنزول الملائكه بالوحى عن الله تعالى معانى وتفاسير لا تتنافى مع ما ذكرناه ليس هذا محل ذكرها.

أو: وعلمى علمه وعلمه علمى، لا يبقى مجال للتأويلات والتخيلات التى نتخيلها، ذلك أنه قد اجتمع فى ذات وكيان الحسين عليه السلام كل ما يمكن أن يكون الجده صلى الله عليه واله سواء من علوم التبليغ أو من العلم اللدنى، وقد اجتمعت فيه عليه السلام الأنوارالتى تفرعت و لم تنشطر فيها بعده عليه السلام بل استمرت من واحد لآخر، وهذا ليس من علوم الغيب التى قد يعترض عليها معترض!

لكل إنسان مقدار معين من التحمل

ومن هنا تفاوت الناس وتفاضلوا، فليس حمل العلم مقدوراً لأى كان، والأسرار مبثوثه فى ذرات هذا الكون، والإنسان مكون من هذه الذرات.

ومهما قيل أو يقال فى دنيا العلوم والخلايا وعلم الأجنه والوراثه وما شابه، ورغم تقدم العلوم الحديثه فإنها تقر بعجزها عن إدراك الكثير مما لم يكتشف بعد من الأسرار(١).

ويمكن القول بلغه الحروف أن العلوم لم تتجاوز حدود حرف(الألف) وتنتقل الى حرف (الباء) بعد:«وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا»(٢).

وفى حديث يشبه ما مر: أتى رجل الحسين بن على عليه السلام فقال: حدثنى بفضلكم الذى جعل الله لكم.

قال: إنك لن تطيق حمله.

قال: بلى حدثنى يا ابن رسول الله إنى أحتمله .

١- يحسن مراجعه كتابنا حول مراحل خلق الإنسان من تراب (مخطوط)

٢- الإسراء: ٨٥.

فحدثه بحديث فلما فرغ الحسين عليه السلام من حديثه حتى ابيض رأس الرجل ولحيته وأنسى الحديث.

فقال الحسين عليه السلام: أدركته رحمه الله حيث أنسى الحديث (۱).

وهنا يمكن القول أن العلوم تتوارث من مصدرين محسوسين هما: الكسب بواسطه الحروف والكلمات، والثانى من عوالم الوراثه والذرات التى تتكون منها الخلايا والجينات.

ألم تقر العقول الباحثه بكسبيه العلوم كا أذعنت لعالم الوراثه من جيل الآخر وبحثت فى عالم الأجنه؟

ابتداء خلق نور الحسين عليه السلام

لقد تعددت أقوال الحكماء والفلاسفه حول ابتداء الخلق، وليس هذا بحثنا هنا، وإنما نحاول الاشاره الى ابتداء خلق أنوار الحسين عليه السلام فى عوالم الحجب قبل ايجاد هذه المحسوسات، لأن ذلك يرسم أمامنا خريطه ما قبل الدنيا، فقد ثبت أن هذا الكون محدث، ولم يكن فكان كما أراده الله سبحانه، وقد تساءل العقل البشرى عن أول مخلوق ما هو؟

فكانت الاجابات مختلفه ومتعدده ومتنوعه، وهذا التساؤل لم يحسم وبقى من جيل لأخر وسيستمر.

وحيث ساقنا البحث إلى الاشاره لابتداء المخلوقات نذكر بعضاً من ذلك.

۱- الخرائج والجرائح ج ۲ ص ۷۹۵.

سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن أول ما خلق الله فقال عليه السلام: خلق النور(۱).

والمراد بالنور نور النبى صلى الله عليه واله والأئمه عليهم السلام، وقد ورد ذلك فى أحاديث كثيره، وهناك أقوال حول ذلك منها أن أول ما خلق الله العقل، وهو أول خلق خلقه من الروحانيين. وقال صلى الله عليه واله : أول ما خلق الله نورى(۲).

وهذه المعانى وارده فى أحاديث كثيره وضمن موارد متنوعه، منها قوله صلى الله عليه واله: إن أول ما خلق الله عز وجل أرواحنا فأنطقها بتوحيده و تحميده ثم خلق الملائكه(۳).

تنبيه وإرشاد

عندما يغوص الباحث فى بحار الأحاديث والآثار وحقائق الأخبار يجد من الروايات الجمه تعابير قد لايدرك أبعادها ومضامين معانيها، خصوصاً فى هذه الأزمنه التى كادت أن تفقد فيها علامات ومعايير الميزان.

ليس ذلك لبعدنا عن زمن الأنبياء عليهم السلام كما يقال، بل لأنا توغلنا فى عالم الماديات منالمحسوسات،واشتبه علينا الفارق الكبير بين ما هو مدرك بالبصر وما يعرف بالبصيره. والفرق بينهما أبعد بكثير من الفرق بين السماء والأرض!

وحتى عندما نقرأ حروف النور، أصبحنا ندرك من النور هذه المحسوسات، ولكن الحقيقه ليست هذهالأنوار المصنوعه ، ولا أنوار القمر وضياء الشمس فإنهما من المحسوسات، إذ أن موازين أنوار العرش ليست

۱- بحارالأنوار ج ۵ ص ۷۳.

۲- بحار الأنوار ج ۱ ص۹۷.

۳- بحار الأنوار ج ۱ ص ۵۸.

كموازين أنوار الأقمار، سواء السماويه أو غيرها.

فعندما نقرأ حديثاً عن أنوار النبى صلى الله عليه واله والأئمه عليهم السلام قد لا نحسن تطبيق ذلك لأننا ألفنا ما هو محسوس، وقد استعملنا البصر أكثر من الاهتداء بالبصيره.

وقفه مع نصوص الأحاديث

الحديث الأول: عن سلمان الفارسى رحمه الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه واله : ياسلمان، خلقنى الله من صفاء نوره فد عانى فأطعته، فخلق من نورى علياً فدعاه فأطاعه، فخلق من نورى ونور على فاطمه فدعاها فأطاعته، فخلق منى ومن على ومن فاطمه الحسن والحسين فدعاهما فأطاعاه، ثم خلق من نورالحسين تسعه أئمه فدعاهم فأطاعوه قبل أن يخلق الله سماء مبنيه أو أرضاً مدحيه أوهواءً أو ماءً أو ملكاً أو بشراً وكنا بعلمه أنواراً نسبحه و نسمع له و نطيع(١).

نقول: معانى مثل هذه الأحاديث الشريفه فوق ادراكاتنا، خاصه أنا نعيش فى عوالم المحسوسات، لذلك قد لا ندرك حقائق هذه الأنوار.

وقد جاء التعبير بالنور لكونه ألطف وأشرف ما ندرك من الأجسام والجسمانيات، فأنوارالنبى صلى الله عليه واله والأئمه عليهم السلام فوق الزمان والمكان بل هى أرفع بكثير(٢).

وأحاديث النور والطين وما شابه رموز لأنا أهل اللغه، والكلمات قوالب للمعانى.

١- بحار الأنوار ج٥٤ ص ١٦٩، والنور هنا لا يحتاج الى مكان، بل نور مجرد.
٢- راجع حاشيه الحديث ١١٧ فى بحار الأنوار ج ٥٤ ص ١٧٠.

الحديث الثانی: عن جابر بن عبد الله قال: قلت لرسول الله صلی الله علیه واله : أول شیء خلق الله تعالی ما هو؟

فقال: نورنبیک یا جابر خلقه الله ثم خلق منه کل خیر(۱).

وعن أحمد بن حنبل عن رسول الله صلی الله علیه واله أنه قال:کنت أنا وعلی نوراً بین یدی الرحمن قبل أن یخلق عرشه بأربعه عشر ألف عام(۲).

وفی حدیث عن أمیر المؤمنین علیه السلام : إن الله خلق نورمحمد صلی الله علیه واله قبل المخلوقات بأربعه عشر ألف سنه وخلق معه اثنی عشر حجابا(۳).

إشاره وبیان: لا ـ بد لمن أراد أن یتعرف علی أسرار الأنوار للأئمه الأطهارأن یتعرف علی الخالق عز وجل، وهو الواحد القهار، فعظمه ست الحسین علیه السلام من جده رسول الله صلی الله علیه واله حیث تجمعت أنوار الأئمه عند الحسین علیه السلام واستقرت عند الإمام المنتظرعجل الله تعالی فرجه الشریف ، وهذه المعانی والأبعاد مبثوثه فی عشرات الأحادیث، ومن یتبصر ویبحث یجد ذلک، وقد ورد الکثیر مما ذکرنا فیها.

لقد حددت آیات القرآن والنصوص النبویه أن النبی صلی الله علیه واله والأئمه علیه السلام هم خیر الخلائق.

والحدیث عن أسرار وأنوار الحسین علیه السلام لا یقف عند رسم الحروف والکلمات، بل یتجاوز لما قبل خلق الکائنات، ولذا کثیراً ما نقف حائرین عند

۱- بحار الأنوار ج ۵ ص ۱۷۰.

۲- نقله السید المرعشی فی إحقاق الحق ج ۵ ص ۲۴۶ عن کتاب فضائل الصحابه لأحمد بن حنبل ح۹۸۵.

۳- بحار الأنوار ج ۵۴ ص ۱۷۰.

بيان بعض العناوين.

فالباحث أو الكاتب يرسم ما لديه، وأما ما قبل الخلق وعند ابتدائه فعقولنا قاصره عن إدراك ذلك، وإنما نحاول أن نهتدى بخيوط من نور وصلت إلينا عن الأوائل، وعن المصادر المسلم بها، لعلنا نوصل منها بعض الأسلاك لأجيال قادمه تبصر الحقائق على وجه أكمل، ,ورب حامل علم لمن هو أعلم منه.

ومما وصل إلينا وننقله لأحفادنا ما ورد عن معاذ بن جبل أن رسول الله صلى الله عليه واله قال: إن الله خلقنى وعلياً وفاطمه والحسن والحسين قبل أن يخلق الدنيا بسبعه آلاف عام.

قلت: فاين كنتمم يا رسول الله ؟

قال: قدام العرش نسبح الله ونحمده نقدسه ونمجده.

قلت:على أى مثال؟

قال: أشباح نور(١).

ويوجد الكثير من هذه النماذج حول ابتداء الخلق، وذلك بتعابيرمتنوعه بظواهرها ملتقيه بمضامينها.

معرفه أهل السماء بهم أكثر من معرفه أهل الأرض

من خلال بحثنا حول أسرار الحسين عليه السلام نتعرف على كل ما يتعلق بأهل البيت عليهم السلام، لأن الحسين عليه السلام كما تقدم ملتقى الأنوار ومستودع الأسرار، وعنده اجتمعت كل خصائص الأنبياء والمرسلين من الأولين والآخرين، وقد عرف

١- بحار الأنوار ج ٥۴ ص ۶٩ عن علل الشرائع ج١ ص٢٠٩.

ذلك أهل السماء قبل أهل الأرض، وهذا ما تدل عليه بوضوح أخبار المعراج لسيد الكائنات المصطفى صلى الله عليه واله ، وهنا نذكر طرفاً من الحديث الطويل عن أبى ذررحمه الله عن رسول الله صلى الله عليه واله قال: قلت: يا ملائكه ربى هل تعرفونا حق معرفتنا؟

فقالوا: يا نبى الله وكيف لانعرفكم وأنتم أول ما خلق الله؟

خلقكم أشباح نور من نوره وجعل لكم مقاعد فى ملكوت سلطانه وعرشه على الماء قبل أن تكون السماء مبنيه والأرض مدحيه ثم خلق السماوات والأرض فى سته أيام ثم رفع العرش إلى السماء السابعه فاستوى على عرشه وأنتم أمام عرشه تسبحون و تقدسون وتكبرون ثم خلق الملائكه من بدو ما أراد من أنوار شتى(١).

إشاره لذوى الألباب: نذكر فى بحثنا نماذج دون استقصاءٍ لكل ما جاء به الأمناء، حيث أن البحث يتعلق بجانب من جوانب أسرار الحسين عليه السلام ولا مجال للإحصاء لأحد، ومن يريد الهدايه تكفيه الإشاره، وقليل من الماء يروى غليل العطشان، و خيط من النور يبدد الظلام، والهدايه تحتاج إلى توفيق،والعلم يحتاج إلى البصيره، وللهدايه أسباب!

منذ أن بدأت الوعى والإدراك كان لدى رغبه فى التوغل بكل ما هو مجهول لدى، حتى يسر لى طلب العلم، فبدأت من الألف.. إلى.. ما شاء الله لى حصوله، فكنت أخشى كثيراً من التوغل فى أبحر الحسين عليه أفضلالتحيه والسلام.

وفى هذا العام قبل هلال محرم (عاشوراء)(٢)جال الفكر: بماذا أتكلم حول

١- بحار الأنوار ج ٥ ص ١٧۶ عن تفسير فرات.

٢- محرم ١۴٢٢ ه - ٢٠٠١م.

هذه المناسبه؟

ارتأیت بتوفیق أن أحوم حول الإمامه والإمام، فساقنی الفکر إلی شواطئ الحسین علیه السلام، وعند هذه الشواطئ وقفت مرتعشاً، حیث لکل ابتداء رهبه، فکیف بلجج الأسرار؟!

وأحاول الآن أن أتعلم علی ضفاف هذه الشواطئ، لعلی أوفق لخوض اللجج، والتی دونها خوض المهج!

روی عن الإمام الصادق علیه السلام : إنی أمرنا هو الحق، وحق الحق، وهو الظاهر وباطن الباطن، وهو السرو سر السر، وسر المستسر وسر مقنع بالسر(۱).

لم أدرک المعانی من هذا الحدیث مع أن سنده مقطوع، وهذا راجع لأهل المعرفه(۲).

۱- بصائر الدرجات ج۱ ص ۴۹.

۲- سند الحدیث فی البصائر: (وروی عن ابن أبی محبوب عن مرازم) والراوی فی الحدیث الذی سبقه هو هو (زید بن المعدل) ولم یذکر فی کتب الرجال والتراجم، أما ابن ابی محبوب فقد ورد فی نسخ أخری کما فی البحار عن البصائر (ابن محبوب) وهو من أصحاب الإجماع علی قول، ومرازم هو ابن حکیم الأزدی، إمامی ثقه، فیکون الحدیث ضعیفاً بزید بن المعدل. لکن وردت روایات قریبه منها بأسانید صحیحه علی بعض المبانی، منها ما فی البصائر أیضاً ص ۴۸: حدثنا محمد بن الحسین (بن أبی الخطاب: إمامی ثقه جلیل) عن محمد بن سنان (مختلف فیه فضعفه بعض ووثقه بعض) عن عمار بن مروان (الیشکری: إمامی ثقه) عن جابر(بن یزید الجعفی : إمامی ثقه وإن ضعفه بعضهم) عن أبی عبد الله علیه السلام قال: إن أمرنا سر فی سر، وسر مستسر، وسر لا یفید الا سر، وسر علی سر، وسر مقنع بسر. نعم ما ورد فی الروایات من کون أمرهم صعباً ومن أن عندهم سر قد بلغ حداً من الکثره لا یحتاج معه إلی البحث فی الأسانید.

وهنا نذكر حديثاً طويلاً وفيه جوانب عديده:

عن أنس بن مالك قال: بينا رسول الله صلى الله عليه واله، صلى صلاه الفجر ثم استوى فى محرابه كالبدر فى تمامه فقلنا: يا رسول الله، إن رأيت أن تفسر لنا هذه الآيه قوله تعالى«فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ »(۱).

فقال النبى صلى الله عليه واله : أما النبيون فانا، وأما الصديقون فعلى بن أبى طالب، وأما الشهداء فعمى حمزه، وأما الصالحون فابنتى فاطمه وولداها الحسن والحسين .

فنهض العباس من زاويه المسجد إلى بين يديه صلى الله عليه واله وقال: يا رسول الله ألست أنا وأنت وعلى وفاطمه الحسين الحسين من ينبوع واحد؟

قال صلى الله عليه واله : وما وراء ذلك يا عماه؟

قال: لأنك لم تذكرنى حين ذكرتهم و لم تشر فنى حين شرفتهم.

فقال رسول الله صلى الله عليه واله : يا عماه أما قولك: أنا وأنت وعلى والحسن والحسين من ينبوع واحدٍ فصدقت، ولكن خلقنا الله نحن حيث لا سماء مبنيه ولا أرض مدحيه ولا عرش ولا جنه ولا نار.

كنا نسبحه حين لا تسبيح ونقدسه حين لا تقديس.

فلما أراد الله بدء الصنعه فتق نورى فخلق منه العرش فنور العرش من نورى ونورى من نور الله وأنا أفضل من العرش.

ثم فتق نور ابن أبى طالب فخلق منه الملائكه فنور الملائكه من نور ابن أبى

۱- النساء: ۶۹.

طالب، ونور ابن أبی طالب من نور الله ونور ابن أبی طالب أفضل من الملائکه .

وفق نور ابنتی فـاطمه منه فخلق السـماوات والأـرض فنور السـماوات والأـرض من نورابنتی فاطمه ونور فاطمه من نور الله وفاطمه أفضل من السماوات والأرض.

ثم فتـق نـور الحسن فخلـق منه الشـمس والقمر فنـور الشـمس والقمر من نور الحسن ونور الحسن من نور الله والحسن أفضـل من الشمس والقمر.

ثم فتـق نـور الحسـين فخلق منه الجنه والحور العين فنور الجنه والحور العين من نور الحسـين ونور الحسـين من نور الله والحسـين أفضل من الجنه والحور العين (۱).

عندما نحاول أن نتحدث عن أسرار الحسين علیه السلام نجد هذا السر متصلاً إلی أبعد الحجب، وخصوصاً فیما یتعلق بالأنوار من عوالم الأسـرار، ونجـد أیضـاً جهلاً وتجاهلاً حول معرفه ذلک فی هـذه الأزمنه، ونجـد مع ذلک فی هـذا الزمن عقولاً تبحث عن الحقـائق المختبئه فی بطون الکتب، وما نـذکره هنا ما هو إلا إشاره وأعلام للسائرین، فمن عرف عظمه الخالق یعرف أنه سـبحانه أودع فی المخلوقات أسراراً، ومستودع الأسرار عند النبی المختارصلی الله علیه واله.

حدیث ذو أبعاد

وهو طویل جداً، نشیر إلی بعض المقاطع منه حرفیاً دون تصرف.

ینقل المجلسی: وقال أبو الحسن البکری أستاذ الشهید الثانی رحمه الله فی کتاب

۱- بحار الأنوار ج ۲۵ ص۱۷.

الأنوار: روى عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: كان الله ولا شی ء معه فأول ما خلق نور حبيبه محمد صلى الله عليه واله قبل خلق الماء والعرش والكرسی والسماوات والأرض واللوح والقلم والجنه والنار والملائكه وآدم وحواء بأربعه وعشرين أربعمائه ألف عام.

فلماخلق الله تعالى نور نبينا محمد صلى الله عليه واله بقى ألف عام بين يدى الله عزوجل واقفا يسبحه ويحمده والحق تبارك وتعالى ينظر إليه ويقول: يا عبدى أنت المراد المريد، وأنت خيرتى من خلقى، وعزتى وجلالى لولاك ما خلقت الأفلاك، من أحبك أحببته ومن أبغضك أبغضته فتلا لا نوره و ارتفع شعاعه فخلق الله منه اثنى عشر حجابا(۱).

لكل شیء حمله وأرباب هم أهله

لا بد لنا عندما نبحث حول ما يتعلق ببعض جوانب الحسين عليه السلام من معرفه الأسس لدين الله على هذه الأرض،فالدين قائم على العلم الحقيقى من الله عزوجل، وهذا الدين لا بد له من حمله وأرباب، وليس لأى مخلوق القدره على حمل العلم، فقابليات المخلوقات معروفه عند خالقها، وهذه المعانى يدركها أهل الصفاء والطهاره، فالعلم الحقيقى مخزون عند أهله.

ومما هو معلوم لدى العقلاء أن الدين من عند خالق الأرض والسماء، وليس للمخلوقات دور فيه إلا الإدراك والطاعه، فواجبها الإطاعه لما يأمر به الخالق سبحانه، ولا تتحقق الطاعه إلا بإدراك حقيقه العلم. من هنا بدأ دور الإنسان على هذه الأرض، لأنه مؤهل أكثر من بقيه المخلوقات.

۱- بحار الأنوار ج۵۴ ص ۱۹۸.

وعندما ننظر على أرض الواقع نجد تفاوتاً حتى بين أفراد الإنسان، ومن حدود هذا التفاوت بين أفراد البشر امتاز بعضهم عن بعض، فكان العلم رافعاًلقوم، والجهل خافضاً لآخرين، مع أن أفراد البشر متقاربون فى أصل التكوين.

ومن هذا الواقع ندرك البون الواسع بين فرد وآخر، فحكمه الخالق أودعت بالأسباب العلوم عند أهلها.

والإنسان مؤهل لكثير من العلوم، بدء من الأمور البسيطه وانتهاء بما وراء الكون، وكل فرد يسعى للحصول على قسط معين.

وعندما نبحث فى المراحل الأولى للإنسان على هذا الكوكب من الكون نجد ونتلمس أنه مؤهل لحمل العلم(١).

فالعلم معجون فى ذرات وخلايا هذا المخلوق المميز. وليس العلم من فراغ أو من جهل، بل هو من عالم خبيرحكيم.

وليس للعلم شبيه فى مقدار المحسوسات، بل إن العلم يعطى الميزان للمحسوسات وما فوقها، فلمقادير المحسوسات حدود وانتهاء، ولكن حقيقه العلم لا حدود لها ولا انتهاء، لأن ابتداء العلم من فيض لا ينتهى، ولا يحد بحدودماديه.

فالماديات والمحسوسات مظهر من مظاهر الوجود.

وقد تمثل فى الإنسان أكثر من جانب، وعندما نضع ميزان للمحسوسات والماديات يكون محدوداً ضمن مقاييس معينه، وعندما نأخذ ميزان العلوم الحقه

١- «وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا..»[البقره : ٣١]

بتحدیـده و حدوده لا یمکن حصـره بمقدار معین، اوانتهاؤه بمده معینه، بل هو أبعد من ذلک، فللإنسان ابتداء من جانب المظهر والظهور، ولکن لا یمکن تحدیده فی العلم والانتهاء.

وفی کل ذره من خلایا ترابه أسرار. والذی أودع فی الإنسان أسراراً وأنواراً هو وحده یعلم ذلک.

وحتی الإنسـان نفسه قـد لا یحیط بما یمتلک، لأنه لم یوجـد ذرات ترابه وکیان وجوده، فالإنسان یـدرک ما هو خاضع لموازینه، وهو لا یعلم شیئاً قبل التعلیم من خالقه، وبعد التعلیم انفتحت أمامه أبواب السماوات والأرض فأصبح عالماً.

وبدأ التعلیم للإنسان من العالم العلیم.

ومن هنا بدأت تظهر حکمه التجلی علی الإنسان، إذ بدأ بامتثال الأمربعد التعلیم عندما تلقی قوله تعالی:«أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ»(۱).

فتلقی کل بحسـبه وبمقدار اسـتعداداته، ونظافه وطهاره ذاته، وسلامه خلایاه و جیناته، ولیس کل من ألقی علیه علم أصبح عالماً، ولا کل من أمر امتثل الأمر، ولیس کل من حقق الطاعه أتی بها علی الوجه الأکمل، ومن هنا یتفاوت الأفراد.

وقد قالت الملائکه علیهم السلام : «سُبْحَانَکَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّکَ أَنْتَ الْعَلِیمُ الْحَکِیمُ»(۲)

وقد بدأ التعلیم لجمیع المخلوقات من سماویه وأرضیه وما بینهما، فعندما

۱- یمکن مراجعه الآیات ۳۰ وما بعدها من سوره البقره.

۲- البقره: ۳۲.

نقرأ حديثاً عن عوالم الأنوار قد لا تدركه عقولنا التى ألفت الأرض والمحسوسات، و نتوهم التخيلات، ونقول: كيف؟ ولماذا؟ ومتى؟ وما شابه ذلك دون أن نركن إلى ركن وثيق!

مع العلم أنا نسلم بجهلنا كثيراً مما نراه على هذه الأرض!

فعندما قرأت الحديث المتقدم عن الحسين عليه السلام حيث قال النبى صلى الله عليه واله: علمى علمه وعلمه علمى.. لم أسمع منهم إلا الإشكالات أو الاعتراضات، رغم أنهم من أهل العلم الدنيوى أو من أهل العلم الدينى.. إلا القليل..

وهنا يحسن القول أن الإلقاء والتعليم من خالق الأكوان شامل لجميع المخلوقات من الملائكه المقربين ومن الجن والإنس أجمعين، ولا فرق فى ذلك بين أن يكون الالقاء والتعليم لمن فى السماوات ولمن فى الأرضين. وسواء كان التعليم للكبير وللطفل الصغير، ولا مانع أيضاً من كون التعليم فى عوالم الأنوار، أو فى ظلمات الأرحام، فكل كائن يأخذ بقسط معين، أى بحسبه .

وقد ورد فى الزياره الجامعه: خلقكم الله أنواراً فجعلكم بعرشه محدقين(۱).

ثم نرى التصرفات فى تلك العوالم بعيده ونحن فى هذا العالم الأرضى، لجهلنا الرضى، ولم نقرأ قوله تعالى :«وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا»(۲).

من الذى علمنا الرضاعه ؟ من هو المعلم فى بطون الأمهات؟

۱- من لا يحضره الفقيه ج ۲ ص ۶۱۳، تهذيب الأحكام ج۶ ص

۲- النحل: ۷۸.

فسبحانك ما عبدناك.. حيث ما عرفناك!

فبالمعرفه تعبد، وبالعلم تعرف، ولا علم لنا إلا ما علمتنا.

ليس العلم بالحرف فقط، وليست العباده بالجوارح فحسب.

بل هناك علم أبعد من الحروف، وهناك عباده أرقى من المظهر المكشوف!

أول الخلق أهل البيت عليهم السلام

وهم أول من حمل أمانه العلم والدين، فالنبى صلى الله عليه واله وعلى والحسن والحسين عليهم السلام أول من خلق الله فى عوالم الغيب والأسرار، وهم أول المقرين لله سبحانه بالوحدانيه، ولذا حملهم العلم والدين فكانوا لذلك أهلاً.

وأودع الله عز وجل علمه فى الأنبياء عليهم السلام وشاء سبحانه أن يكون خاتمهم النبى محمد صلى الله عليه واله، وهذه الحكمه بالغه لم تخف على ذوى الألباب فى عصرنا هذا، ومما يمكن لعقولنا ادراكه هو التدرج لبنى البشر، وهذا المعنى (وهو التدرج) اتمام للحجه البالغه، وتحقيق لمنتهى كمال الدين حيث لا نبى ولا رساله بعد محمد صلى الله عليه واله وبعد دين الإسلام.

وكل ما جاء به الأنبياء السابقون عليهم السلام كان من باب التدرج فى المعرفه لبنى البشر، ويدل واقع الدنيا على هذه المعانى، وهنا نذكر من باب الإشاره أن الكمال لكل شىء يتحقق عند الانتهاء منه، حتى براعم الأثار.

وعندما ننظر فى مسيره البشريه عموماً نجد أنها تسير نحو الأفضل باستمرار، مهما رأينا من جوانب سلبيه. ولا يقاس هذا الزمن بالأزمنه السابقه، فكل زمن لاحق يأتى بما هو أرقى وأتم من سابقه، وهذا من الأمور الواقعه

ومنه أيضاً: والسبب فی ذلک أن العقول والاذهان لا یحتمل الاسرار القویه کما لا یحتمل الابصار الضعیفه کابصار الخفافیش نور الشمس، وکذلک کل مرتبه من النور القوی لا یحتمل ما هو اقوی منه وأشد کثیراً فیضمحل فی مشهده، وکذلک فی قوله: «إِنَّا أَعْطَیْنَاکَ الْکَوْثَرَ»، فالکوثر صورته صوره الماء وحقیقته حقیقه العلم(۱).

فعندما نحاول التعرف علی بعض الجوانب من أسرار الحسین علیه السلام نجد أنفسنا أضعف من الخفافیش فی مقابل هذا النور، فقد تحققت فی مقام الحسین علیه السلام الأنوار والأسرار فکان ملتقی السابقین وذخیره الباقین.

وبعد أن حمل آدم علیه السلام النور واستمر من صلب إلی صلب فی قافله الأنبیاء علیهم السلام وانشطر من عبد المطلب عاد واجتمع فی الحسین علیه السلام، فکان الحسین علیه السلام منتهی مجمع الأنوار ومستودع الأسرار.

وعندما نحاول التعرف علی ضیاء الأنوار من الأسرار، لا بد لنا من أن نتعرف علی مقام الإمامه والإمام، فمعرفه الإمام هی المعرفه التامه لکل معارف الحیاه، لأن هذه المعرفه تتضمن أسرار الوجود بکل أبعاده وتفاصیله، ولذا نقول: معرفه الحسین علیه السلام معرفه للجمیع، لأنه علیه السلام نقطه الارتکاز بکل أبعادها.

۱- المصدر السابق، وفی العباره جهه اشتراک مع ما نقله الفخر الرازی وجهه اختلاف، ولیس لذکر الکوثر أثر فی کلمات الرازی، علی أن هذا الکلام للملا صدرا نفسه بحسب الظاهر، وإن قیل بأنه ینقله عن بعض العلماء استکمالاً لما نقله قبل أسطر، ورغم تصریحه بأنه غیر منکر للظاهر وأنه طریق للباطن یرد علیه أن معرفه البواطن مقصوره علی السمع من آل محمد علیهم السلام، وما لم یرد ما یؤید أو یشیر إلی هذا المعنی یبقی محتملاً کسائر الاحتمالات لا وجه لإثباته والجزم به .

وإذا ما حاولنا معرفه الابتداء نجد أنه عليه السلام نور من الأنوار على ساق العرش، وعندما نسير إلى منتهى سلسله الأنوار والأسرارنجده ملتقاها، لذلك كانت معرفته معرفه الابتداء والانتهاء، بنص صريح عنه عليه السلام حيث قال: دخلت أنا وأخى على جدى رسول الله صلى الله عليه واله فأجلسنى على فخذه وأجلس أخى الحسن على فخذه الأخرى ثم قبلنا وقال: بأبى أنتما(۱) من إمامين صالحين اختاركما الله منى ومن أبيكما و امكما واختار من صلبك يا حسين تسعه أئمه تاسعهم قائمهم وكلكم فى الفضل والمنزله عند الله تعالى سواء(۲).

من هذا الحديث الشريف ندرك اختيار الله للإمامه، وليس وراء اختيار الله اختيار، فهو الخالق الموجد المقدر.

وفى الأحاديث الشريفه الكثير من هذه الأبعاد والمعانى حول الإمامه والإمام.

ومنها ما روى عن الحسين بن على عليهما السلام قال: دخلت على رسول الله صلى الله عليه واله وعنده أبى بن كعب فقال لى رسول الله صلى الله عليه واله : مرحباً بك يا أبا عبد الله يا زين السماوات والأرضين.

قال له أبى: وكيف يكون يا رسول الله صلى الله عليه واله زين السماوات والأرضين أحدغيرك؟

۱- لا يقال : كيف يفدى النبى صلى الله عليه واله الحسنين عليهما السلام بأبيه؟ وهل يتناسب هذا مع بر الوالدين؟ فإنه يقال أنها عليهما السلام أئمه لكافه البشر بمن فيهم عبد الله والد النبى صلى الله عليه واله ، ولا شك بلزوم فداء المفضول للفاضل كما يحكم به العقل السليم والفطره غير الملوثه.
۲- كمال الدين و تمام النعمه ج ۱ ص ۲۶۹.

قال: يا أبى، والذى بعثنى بالحق نبيا إن الحسين بن على فى السماء أكبر منه فى الأرض، وإنه لمكتوب عن يمين عرش الله عزوجل ومصباح هدى وسفينه نجاه وإمام غير وهن، وعز وفخر وعلم وذخر.

وإن الله عزوجل ركب فى صلبه نطفةً طيبةً مباركةً زكيةً، ولقد لقن دعوات ما يدعو به مخلوق إلاحشره الله عزوجل معه وكان شفيعه فى آخرته وفرج الله عنه كربه وقضى بها دينه يسر أمره وأوضح سبيله وقواه على عدوه ولم يهتك ستره.

فقال له أبى بن كعب: وما هذه الدعوات يا رسول الله صلى الله عليه واله ؟

قال: تقول إذا فرغت من صلاتك وأنت قاعد: اللهم إنى أسألك بكلماتك ومعاقد عرشك وسكان سماواتك وأنبيائك ورسلك أن تستجيب لى فقد رهقنى من أمرى عسراً فأسألك أن تصلى على محمدٍ وآل محمدٍ وأن تجعل لى من أمرى

يسراً.

فإن الله عزوجل يسهل أمرك ويشرح صدرك ويلقنك شهاده أن لا إله إلا الله عند خروج نفسك.

قال له أبى: يا رسول الله فما هو النطفه التى فى صلب حبيبى الحسين ؟

قال: مثل هذه النطفه كمثل القمر وهى نطفةً تبيين وبيان يكون من اتبعه رشيداً ومن ضل عنه هويا.

قال: فما اسمه وما دعاؤه؟

قال : اسمه على ودعاؤه يا دائم يا ديموم يا حى يا قيوم يا كاشف الغم ويا فارج الهم ويا باعث الرسل ويا صادق الوعد

من دعا بهذا الدعاء حشره الله عزوجل مع على بن الحسين وكان قائده إلى الجنه(۱).

إن الحديث عن الإمام الحسين عليه السلام أبعد من تقييمات عقولنا وأفهامنا، فالذى اجتمع فى ذاته وكيانه كل أسرار الكون من محسوس وما فوق المحسوس هو فوق ادراكنا!

ومن يتتبع مراحل سيرته يدرك أن له عليه السلام ميزات لم يشاركه فيها أحد، ولم يتوفر من الصفات الرفيعه لغيره ما توفر له من بدء تكوينه فى العوالم إلى مراحل مسيرته فى هذا الكون، فهو فريد بكل ما للكلام من أبعادٍ ومعانٍ.

فكأن كل انسانيه الإنسان قد تحققت بذاته، ويكفى ما تظافرت النصوص به عن عظيم شأنه، ومن أراد فليبحث، وهو بلا شك فوق إدراك الباحثين.. هو ثارالله فى الأولين والآخرين.

الله يختص بفضله من يشاء

ميز الله الإنسان عن بقيه المخلوقات، فعندما نلقى نظره فاحصه نجدأن أعظم ميزه وفضل هى العلم والتعلم.

وقد خص الله سبحانه الإنسان بالعلم بعد تكوينه:«وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا »(۲)، وبالعلم امتازعن الملائكه.

وللعلم الربانى حمله، فقد اختص به الأنبياء والأوصياء عليهم السلام ، وكان الحظ

۱- عيون أخبار الرضا عليه السلام ج۱ ص ۵۹.

۲- البقره: ۳۱

الأوفر من العلوم لسيد الأنبياء صلى الله عليه واله.

ويمكن حصر علم الأنبياء عليهم السلام بقسمين أساسيين:

الأول: ما جاء به الملائكه وحياً، وهو علم للتبليغ والتشريع.

والثانى: بينهم وبين الله عزوجل قد خصهم به، ويصح اطلاق العلم اللدنى عليه من باب التعريف بالحروف، فعندما ندرک أن هناک علماً أبعد من الظواهر والحروف ندرک نوعاً ما إشماماً من العلم اللدنى(۱).

وندرک أيضا أن للأنبياء والأوصياء علما فوق علوم التبليغ للناس التابعين فى هذه الدنيا، فالمخلوقات عموماً تابع ومتبوع، فالعالم متبوع وما دونه تابع، وعلى هذا قامت السماوات وتفاوتت المخلوقات.

وبعد أن ثبت دون شک أن خاتم الأنبياء صلى الله عليه واله هو الأول والآخر من مخلوقات الكائنات، وأن علوم الأولين والآخرين قد انتهت إليه، وقد خصه الله تعالى بما تعجز العقول والأفهام عن إدراكه ومعرفه حقيقه ذاته، ندرک أن ذريته صلى الله عليه واله نسخه عنه وقد تمثلت بالحسين عليه السلام .

وعندما نقرأ عن الحسين عليه السلام من أقوال الصادق الأمين: إنه منى وأنا منه،

۱- قد يقال بأن العلم اللدنى هو العلم الحضورى عند المعصوم عليه السلام، ويقابله العلم الكسبى، وبهذا يكون كل علمهم لدنيا إذ لم يتعلم الأنبياء والأئمه عند أحد من الخلق، وعلى هذا التفسير يدخل الوحى فى العلم اللدنى، أما لو فرقنا بين العلم الموحى به والعلم اللدنى الذى قد ينزله الله تعالى على الأنبياء دون توسط الملائكه تتم القسمه المذكوره. على أن نزول الملائكه على الأنبياء لا يعنى جهل الأنبياء بها كان الملائكه قد علموه ونزلوا به عليهم، فإن الأنبياء أفضل من الملائكه بلا شک وريب وأعلم منهم، سيما سيدنا محمد صلى الله عليه واله، ولنزول الملائكه بالوحى عن الله تعالى معانى وتفاسير لا تتنافى مع ما ذكرناه ليس هذا محل ذكرها.

أو: وعلمى علمه وعلمه علمى، لا يبقى مجال للتأويلات والتخيلات التى نتخيلها، ذلك أنه قد اجتمع فى ذات وكيان الحسين عليه السلام كل ما يمكن أن يكون الجده صلى الله عليه واله سواء من علوم التبليغ أو من العلم اللدنى، وقد اجتمعت فيه عليه السلام الأنوارالتى تفرعت و لم تنشطر فيها بعده عليه السلام بل استمرت من واحد لآخر، وهذا ليس من علوم الغيب التى قد يعترض عليها معترض!

لكل إنسان مقدار معين من التحمل

ومن هنا تفاوت الناس وتفاضلوا، فليس حمل العلم مقدوراً لأى كان، والأسرار مبثوثه فى ذرات هذا الكون، والإنسان مكون من هذه الذرات.

ومهما قيل أو يقال فى دنيا العلوم والخلايا وعلم الأجنه والوراثه وما شابه، ورغم تقدم العلوم الحديثه فإنها تقر بعجزها عن إدراك الكثير مما لم يكتشف بعد من الأسرار(١).

ويمكن القول بلغه الحروف أن العلوم لم تتجاوز حدود حرف(الألف) وتنتقل الى حرف (الباء) بعد:«وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا»(٢).

وفى حديث يشبه ما مر: أتى رجل الحسين بن على عليه السلام فقال: حدثنى بفضلكم الذى جعل الله لكم.

قال: إنك لن تطيق حمله.

قال: بلى حدثنى يا ابن رسول الله إنى أحتمله .

١- يحسن مراجعه كتابنا حول مراحل خلق الإنسان من تراب (مخطوط)

٢- الإسراء: ٨٥.

فحدثه بحديث فلما فرغ الحسين عليه السلام من حديثه حتى ابيض رأس الرجل ولحيته وأنسى الحديث.

فقال الحسين عليه السلام: أدركته رحمه الله حيث أنسى الحديث (۱).

وهنا يمكن القول أن العلوم تتوارث من مصدرين محسوسين هما: الكسب بواسطه الحروف والكلمات، والثانى من عوالم الوراثه والذرات التى تتكون منها الخلايا والجينات.

ألم تقر العقول الباحثه بكسبيه العلوم كا أذعنت لعالم الوراثه من جيل الآخر وبحثت فى عالم الأجنه؟

ابتداء خلق نور الحسين عليه السلام

لقد تعددت أقوال الحكماء والفلاسفه حول ابتداء الخلق، وليس هذا بحثنا هنا، وإنما نحاول الاشاره الى ابتداء خلق أنوار الحسين عليه السلام فى عوالم الحجب قبل ايجاد هذه المحسوسات، لأن ذلك يرسم أمامنا خريطه ما قبل الدنيا، فقد ثبت أن هذا الكون محدث، ولم يكن فكان كما أراده الله سبحانه، وقد تساءل العقل البشرى عن أول مخلوق ما هو؟

فكانت الاجابات مختلفه ومتعدده ومتنوعه، وهذا التساؤل لم يحسم وبقى من جيل لأخر وسيستمر.

وحيث ساقنا البحث إلى الاشاره لابتداء المخلوقات نذكر بعضاً من ذلك.

۱- الخرائج والجرائح ج ۲ ص ۷۹۵.

سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن أول ما خلق الله فقال عليه السلام: خلق النور(۱).

والمراد بالنور نور النبى صلى الله عليه واله والأئمه عليهم السلام، وقد ورد ذلك فى أحاديث كثيره، وهناك أقوال حول ذلك منها أن أول ما خلق الله العقل، وهو أول خلق خلقه من الروحانيين. وقال صلى الله عليه واله : أول ما خلق الله نورى(۲).

وهذه المعانى وارده فى أحاديث كثيره وضمن موارد متنوعه، منها قوله صلى الله عليه واله: إن أول ما خلق الله عز وجل أرواحنا فأنطقها بتوحيده و تحميده ثم خلق الملائكه(۳).

تنبيه وإرشاد

عندما يغوص الباحث فى بحار الأحاديث والآثار وحقائق الأخبار يجد من الروايات الجمه تعابير قد لايدرك أبعادها ومضامين معانيها، خصوصاً فى هذه الأزمنه التى كادت أن تفقد فيها علامات ومعايير الميزان.

ليس ذلك لبعدنا عن زمن الأنبياء عليهم السلام كما يقال، بل لأنا توغلنا فى عالم الماديات منالمحسوسات،واشتبه علينا الفارق الكبير بين ما هو مدرك بالبصر وما يعرف بالبصيره. والفرق بينهما أبعد بكثير من الفرق بين السماء والأرض!

وحتى عندما نقرأ حروف النور، أصبحنا ندرك من النور هذه المحسوسات، ولكن الحقيقه ليست هذهالأنوار المصنوعه ، ولا أنوار القمر وضياء الشمس فإنهما من المحسوسات، إذ أن موازين أنوار العرش ليست

۱- بحارالأنوار ج ۵ ص ۷۳.

۲- بحار الأنوار ج ۱ ص۹۷.

۳- بحار الأنوار ج ۱ ص ۵۸.

كموازين أنوار الأقمار، سواء السماويه أو غيرها.

فعندما نقرأ حديثاً عن أنوار النبى صلى الله عليه واله والأئمه عليهم السلام قد لا نحسن تطبيق ذلك لأننا ألفنا ما هو محسوس، وقد استعملنا البصر أكثر من الاهتداء بالبصيره.

وقفه مع نصوص الأحاديث

الحديث الأول: عن سلمان الفارسى رحمه الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه واله : ياسلمان، خلقنى الله من صفاء نوره فد عانى فأطعته، فخلق من نورى علياً فدعاه فأطاعه، فخلق من نورى ونور على فاطمه فدعاها فأطاعته، فخلق منى ومن على ومن فاطمه الحسن والحسين فدعاهما فأطاعاه، ثم خلق من نورالحسين تسعه أئمه فدعاهم فأطاعوه قبل أن يخلق الله سماء مبنيه أو أرضاً مدحيه أوهواءً أو ماءً أو ملكاً أو بشراً وكنا بعلمه أنواراً نسبحه و نسمع له و نطيع(١).

نقول: معانى مثل هذه الأحاديث الشريفه فوق ادراكاتنا، خاصه أنا نعيش فى عوالم المحسوسات، لذلك قد لا ندرك حقائق هذه الأنوار.

وقد جاء التعبير بالنور لكونه ألطف وأشرف ما ندرك من الأجسام والجسمانيات، فأنوارالنبى صلى الله عليه واله والأئمه عليهم السلام فوق الزمان والمكان بل هى أرفع بكثير(٢).

وأحاديث النور والطين وما شابه رموز لأنا أهل اللغه، والكلمات قوالب للمعانى.

١- بحار الأنوار ج۵۴ ص ۱۶۹، والنور هنا لا يحتاج الى مكان، بل نور مجرد.
٢- راجع حاشيه الحديث ١١٧ فى بحار الأنوار ج ۵۴ ص ١٧٠.

الحديث الثانی: عن جابر بن عبد الله قال: قلت لرسول الله صلی الله علیه واله : أول شیء خلق الله تعالی ما هو؟

فقال: نورنبیک یا جابر خلقه الله ثم خلق منه کل خیر(۱).

وعن أحمد بن حنبل عن رسول الله صلی الله علیه واله أنه قال:کنت أنا وعلی نوراً بین یدی الرحمن قبل أن یخلق عرشه بأربعه عشر ألف عام(۲).

وفی حدیث عن أمیر المؤمنین علیه السلام : إن الله خلق نورمحمد صلی الله علیه واله قبل المخلوقات بأربعه عشر ألف سنه وخلق معه اثنی عشر حجابا(۳).

إشاره وبیان: لا ـ بد لمن أراد أن یتعرف علی أسرار الأنوار للأئمه الأطهارأن یتعرف علی الخالق عز وجل، وهو الواحد القهار، فعظمه ست الحسین علیه السلام من جده رسول الله صلی الله علیه واله حیث تجمعت أنوار الأئمه عند الحسین علیه السلام واستقرت عند الإمام المنتظرعجل الله تعالی فرجه الشریف ، وهذه المعانی والأبعاد مبثوثه فی عشرات الأحادیث، ومن یتبصر ویبحث یجد ذلک، وقد ورد الکثیر مما ذکرنا فیها.

لقد حددت آیات القرآن والنصوص النبویه أن النبی صلی الله علیه واله والأئمه علیه السلام هم خیر الخلائق.

والحدیث عن أسرار وأنوار الحسین علیه السلام لا یقف عند رسم الحروف والکلمات، بل یتجاوز لما قبل خلق الکائنات، ولذا کثیراً ما نقف حائرین عند

۱- بحار الأنوار ج ۵ ص ۱۷۰.

۲- نقله السید المرعشی فی إحقاق الحق ج ۵ ص ۲۴۶ عن کتاب فضائل الصحابه لأحمد بن حنبل ح۹۸۵.

۳- بحار الأنوار ج ۵۴ ص ۱۷۰.

بيان بعض العناوين.

فالباحث أو الكاتب يرسم ما لديه، وأما ما قبل الخلق وعند ابتدائه فعقولنا قاصره عن إدراك ذلك، وإنما نحاول أن نهتدى بخيوط من نور وصلت إلينا عن الأوائل، وعن المصادر المسلم بها، لعلنا نوصل منها بعض الأسلاك لأجيال قادمه تبصر الحقائق على وجه أكمل، ,ورب حامل علم لمن هو أعلم منه.

ومما وصل إلينا وننقله لأحفادنا ما ورد عن معاذ بن جبل أن رسول الله صلى الله عليه واله قال: إن الله خلقنى وعلياً وفاطمه والحسن والحسين قبل أن يخلق الدنيا بسبعه آلاف عام.

قلت: فاين كنتمم يا رسول الله ؟

قال: قدام العرش نسبح الله ونحمده نقدسه ونمجده.

قلت:على أى مثال؟

قال: أشباح نور(١).

ويوجد الكثير من هذه النماذج حول ابتداء الخلق، وذلك بتعابيرمتنوعه بظواهرها ملتقيه بمضامينها.

معرفه أهل السماء بهم أكثر من معرفه أهل الأرض

من خلال بحثنا حول أسرار الحسين عليه السلام نتعرف على كل ما يتعلق بأهل البيت عليهم السلام، لأن الحسين عليه السلام كما تقدم ملتقى الأنوار ومستودع الأسرار، وعنده اجتمعت كل خصائص الأنبياء والمرسلين من الأولين والآخرين، وقد عرف

١- بحار الأنوار ج ٥٤ ص ٦٩ عن علل الشرائع ج١ ص٢٠٩.

ذلك أهل السماء قبل أهل الأرض، وهذا ما تدل عليه بوضوح أخبار المعراج لسيد الكائنات المصطفى صلى الله عليه واله ، وهنا نذكر طرفاً من الحديث الطويل عن أبى ذررحمه الله عن رسول الله صلى الله عليه واله قال: قلت: يا ملائكه ربى هل تعرفونا حق معرفتنا؟

فقالوا: يا نبى الله وكيف لانعرفكم وأنتم أول ما خلق الله؟

خلقكم أشباح نور من نوره وجعل لكم مقاعد فى ملكوت سلطانه وعرشه على الماء قبل أن تكون السماء مبنيه والأرض مدحيه ثم خلق السماوات والأرض فى سته أيام ثم رفع العرش إلى السماء السابعه فاستوى على عرشه وأنتم أمام عرشه تسبحون و تقدسون وتكبرون ثم خلق الملائكه من بدو ما أراد من أنوار شتى(١).

إشاره لذوى الألباب: نذكر فى بحثنا نماذج دون استقصاءٍ لكل ما جاء به الأمناء، حيث أن البحث يتعلق بجانب من جوانب أسرار الحسين عليه السلام ولا مجال للإحصاء لأحد، ومن يريد الهدايه تكفيه الإشاره، وقليل من الماء يروى غليل العطشان، و خيط من النور يبدد الظلام، والهدايه تحتاج إلى توفيق،والعلم يحتاج إلى البصيره، وللهدايه أسباب!

منذ أن بدأت الوعى والإدراك كان لدى رغبه فى التوغل بكل ما هو مجهول لدى، حتى يسر لى طلب العلم، فبدأت من الألف.. إلى.. ما شاء الله لى حصوله، فكنت أخشى كثيراً من التوغل فى أبحر الحسين عليه أفضلالتحيه والسلام.

وفى هذا العام قبل هلال محرم (عاشوراء)(٢)جال الفكر: بماذا أتكلم حول

١- بحار الأنوار ج ٥ ص ١٧۶ عن تفسير فرات.

٢- محرم ١۴٢٢ ه - ٢٠٠١م.

هذه المناسبه؟

ارتأیت بتوفیق أن أحوم حول الإمامه والإمام، فساقنی الفکر إلی شواطئ الحسین علیه السلام، وعند هذه الشواطئ وقفت مرتعشاً، حیث لکل ابتداء رهبه، فکیف بلجج الأسرار؟!

وأحاول الآن أن أتعلم علی ضفاف هذه الشواطئ، لعلی أوفق لخوض اللجج، والتی دونها خوض المهج!

روی عن الإمام الصادق علیه السلام : إنی أمرنا هو الحق، وحق الحق، وهو الظاهر وباطن الباطن، وهو السرو سر السر، وسر المستسر وسر مقنع بالسر(۱).

لم أدرک المعانی من هذا الحدیث مع أن سنده مقطوع، وهذا راجع لأهل المعرفه(۲).

۱- بصائر الدرجات ج۱ ص ۴۹.

۲- سند الحدیث فی البصائر: (وروی عن ابن أبی محبوب عن مرازم) والراوی فی الحدیث الذی سبقه هو هو (زید بن المعدل) ولم یذکر فی کتب الرجال والتراجم، أما ابن ابی محبوب فقد ورد فی نسخ أخری کما فی البحار عن البصائر (ابن محبوب) وهو من أصحاب الإجماع علی قول، ومرازم هو ابن حکیم الأزدی، إمامی ثقه، فیکون الحدیث ضعیفاً بزید بن المعدل. لکن وردت روایات قریبه منها بأسانید صحیحه علی بعض المبانی، منها ما فی البصائر أیضاً ص ۴۸: حدثنا محمد بن الحسین (بن أبی الخطاب: إمامی ثقه جلیل) عن محمد بن سنان (مختلف فیه فضعفه بعض ووثقه بعض) عن عمار بن مروان (الیشکری: إمامی ثقه) عن جابر(بن یزید الجعفی : إمامی ثقه وإن ضعفه بعضهم) عن أبی عبد الله علیه السلام قال: إن أمرنا سر فی سر، وسر مستسر، وسر لا یفید الا سر، وسر علی سر، وسر مقنع بسر. نعم ما ورد فی الروایات من کون أمرهم صعباً ومن أن عندهم سر قد بلغ حداً من الکثره لا یحتاج معه إلی البحث فی الأسانید.

وهنا نذكر حديثاً طويلاً وفيه جوانب عديده:

عن أنس بن مالك قال: بينا رسول الله صلى الله عليه واله، صلى صلاه الفجر ثم استوى فى محرابه كالبدر فى تمامه فقلنا: يا رسول الله، إن رأيت أن تفسر لنا هذه الآيه قوله تعالى«فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ »(۱).

فقال النبى صلى الله عليه واله : أما النبيون فانا، وأما الصديقون فعلى بن أبى طالب، وأما الشهداء فعمى حمزه، وأما الصالحون فابنتى فاطمه وولداها الحسن والحسين .

فنهض العباس من زاويه المسجد إلى بين يديه صلى الله عليه واله وقال: يا رسول الله ألست أنا وأنت وعلى وفاطمه الحسين الحسين من ينبوع واحد؟

قال صلى الله عليه واله : وما وراء ذلك يا عماه؟

قال: لأنك لم تذكرنى حين ذكرتهم و لم تشر فنى حين شرفتهم.

فقال رسول الله صلى الله عليه واله : يا عماه أما قولك: أنا وأنت وعلى والحسن والحسين من ينبوع واحدٍ فصدقت، ولكن خلقنا الله نحن حيث لا سماء مبنيه ولا أرض مدحيه ولا عرش ولا جنه ولا نار.

كنا نسبحه حين لا تسبيح ونقدسه حين لا تقديس.

فلما أراد الله بدء الصنعه فتق نورى فخلق منه العرش فنور العرش من نورى ونورى من نور الله وأنا أفضل من العرش.

ثم فتق نور ابن أبى طالب فخلق منه الملائكه فنور الملائكه من نور ابن أبى

۱- النساء: ۶۹.

طالب، ونور ابن أبی طالب من نور الله ونور ابن أبی طالب أفضل من الملائکه .

وفق نور ابنتی فـاطمه منه فخلق السـماوات والأـرض فنور السـماوات والأـرض من نورابنتی فاطمه ونور فاطمه من نور الله وفاطمه أفضل من السماوات والأرض.

ثم فتـق نـور الحسن فخلـق منه الشـمس والقمر فنـور الشـمس والقمر من نور الحسن ونور الحسن من نور الله والحسن أفضـل من الشمس والقمر.

ثم فتـق نـور الحسـين فخلق منه الجنه والحور العين فنور الجنه والحور العين من نور الحسـين ونور الحسـين من نور الله والحسـين أفضل من الجنه والحور العين (۱).

عندما نحاول أن نتحدث عن أسرار الحسين علیه السلام نجد هذا السر متصلاً إلی أبعد الحجب، وخصوصاً فیما یتعلق بالأنوار من عوالم الأسـرار، ونجـد أیضـاً جهلاً وتجاهلاً حول معرفه ذلک فی هـذه الأزمنه، ونجـد مع ذلک فی هـذا الزمن عقولاً تبحث عن الحقـائق المختبئه فی بطون الکتب، وما نـذکره هنا ما هو إلا إشاره وأعلام للسائرین، فمن عرف عظمه الخالق یعرف أنه سـبحانه أودع فی المخلوقات أسراراً، ومستودع الأسرار عند النبی المختارصلی الله علیه واله.

حدیث ذو أبعاد

وهو طویل جداً، نشیر إلی بعض المقاطع منه حرفیاً دون تصرف.

ینقل المجلسی: وقال أبو الحسن البکری أستاذ الشهید الثانی رحمه الله فی کتاب

۱- بحار الأنوار ج ۲۵ ص۱۷.

الأنوار: روى عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: كان الله ولا شی ء معه فأول ما خلق نور حبيبه محمد صلى الله عليه واله قبل خلق الماء والعرش والكرسی والسماوات والأرض واللوح والقلم والجنه والنار والملائكه وآدم وحواء بأربعه وعشرين أربعمائه ألف عام.

فلماخلق الله تعالى نور نبينا محمد صلى الله عليه واله بقى ألف عام بين يدى الله عزوجل واقفا يسبحه ويحمده والحق تبارك وتعالى ينظر إليه ويقول: يا عبدى أنت المراد المريد، وأنت خيرتى من خلقى، وعزتى وجلالى لولاك ما خلقت الأفلاك، من أحبك أحببته ومن أبغضك أبغضته فتلا لا نوره و ارتفع شعاعه فخلق الله منه اثنى عشر حجابا(۱).

لكل شیء حمله وأرباب هم أهله

لا بد لنا عندما نبحث حول ما يتعلق ببعض جوانب الحسين عليه السلام من معرفه الأسس لدين الله على هذه الأرض،فالدين قائم على العلم الحقيقى من الله عزوجل، وهذا الدين لا بد له من حمله وأرباب، وليس لأى مخلوق القدره على حمل العلم، فقابليات المخلوقات معروفه عند خالقها، وهذه المعانى يدركها أهل الصفاء والطهاره، فالعلم الحقيقى مخزون عند أهله.

ومما هو معلوم لدى العقلاء أن الدين من عند خالق الأرض والسماء، وليس للمخلوقات دور فيه إلا الإدراك والطاعه، فواجبها الإطاعه لما يأمر به الخالق سبحانه، ولا تتحقق الطاعه إلا بإدراك حقيقه العلم. من هنا بدأ دور الإنسان على هذه الأرض، لأنه مؤهل أكثر من بقيه المخلوقات.

۱- بحار الأنوار ج۵۴ ص ۱۹۸.

وعندما ننظر على أرض الواقع نجد تفاوتاً حتى بين أفراد الإنسان، ومن حدود هذا التفاوت بين أفراد البشر امتاز بعضهم عن بعض، فكان العلم رافعاًلقوم، والجهل خافضاً لآخرين، مع أن أفراد البشر متقاربون فى أصل التكوين.

ومن هذا الواقع ندرك البون الواسع بين فرد وآخر، فحكمه الخالق أودعت بالأسباب العلوم عند أهلها.

والإنسان مؤهل لكثير من العلوم، بدء من الأمور البسيطه وانتهاء بما وراء الكون، وكل فرد يسعى للحصول على قسط معين.

وعندما نبحث فى المراحل الأولى للإنسان على هذا الكوكب من الكون نجد ونتلمس أنه مؤهل لحمل العلم(١).

فالعلم معجون فى ذرات وخلايا هذا المخلوق المميز. وليس العلم من فراغ أو من جهل، بل هو من عالم خبيرحكيم.

وليس للعلم شبيه فى مقدار المحسوسات، بل إن العلم يعطى الميزان للمحسوسات وما فوقها، فلمقادير المحسوسات حدود وانتهاء، ولكن حقيقه العلم لا حدود لها ولا انتهاء، لأن ابتداء العلم من فيض لا ينتهى، ولا يحد بحدودماديه.

فالماديات والمحسوسات مظهر من مظاهر الوجود.

وقد تمثل فى الإنسان أكثر من جانب، وعندما نضع ميزان للمحسوسات والماديات يكون محدوداً ضمن مقاييس معينه، وعندما نأخذ ميزان العلوم الحقه

١- «وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا..»[البقره : ٣١]

بتحدیـده و حدوده لا یمکن حصـره بمقدار معین، اوانتهاؤه بمده معینه، بل هو أبعد من ذلک، فللإنسان ابتداء من جانب المظهر والظهور، ولکن لا یمکن تحدیده فی العلم والانتهاء.

وفی کل ذره من خلایا ترابه أسرار. والذی أودع فی الإنسان أسراراً وأنواراً هو وحده یعلم ذلک.

وحتی الإنسـان نفسه قـد لا یحیط بما یمتلک، لأنه لم یوجـد ذرات ترابه وکیان وجوده، فالإنسان یـدرک ما هو خاضع لموازینه، وهو لا یعلم شیئاً قبل التعلیم من خالقه، وبعد التعلیم انفتحت أمامه أبواب السماوات والأرض فأصبح عالماً.

وبدأ التعلیم للإنسان من العالم العلیم.

ومن هنا بدأت تظهر حکمه التجلی علی الإنسان، إذ بدأ بامتثال الأمربعد التعلیم عندما تلقی قوله تعالی:«أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ»(۱).

فتلقی کل بحسـبه وبمقدار اسـتعداداته، ونظافه وطهاره ذاته، وسلامه خلایاه و جیناته، ولیس کل من ألقی علیه علم أصبح عالماً، ولا کل من أمر امتثل الأمر، ولیس کل من حقق الطاعه أتی بها علی الوجه الأکمل، ومن هنا یتفاوت الأفراد.

وقد قالت الملائکه علیهم السلام : «سُبْحَانَکَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّکَ أَنْتَ الْعَلِیمُ الْحَکِیمُ»(۲)

وقد بدأ التعلیم لجمیع المخلوقات من سماویه وأرضیه وما بینهما، فعندما

۱- یمکن مراجعه الآیات ۳۰ وما بعدها من سوره البقره.

۲- البقره: ۳۲.

نقرأ حديثاً عن عوالم الأنوار قد لا تدركه عقولنا التى ألفت الأرض والمحسوسات، و نتوهم التخيلات، ونقول: كيف؟ ولماذا؟ ومتى؟ وما شابه ذلك دون أن نركن إلى ركن وثيق!

مع العلم أنا نسلم بجهلنا كثيراً مما نراه على هذه الأرض!

فعندما قرأت الحديث المتقدم عن الحسين عليه السلام حيث قال النبى صلى الله عليه واله: علمى علمه وعلمه علمى.. لم أسمع منهم إلا الإشكالات أو الاعتراضات، رغم أنهم من أهل العلم الدنيوى أو من أهل العلم الدينى.. إلا القليل..

وهنا يحسن القول أن الإلقاء والتعليم من خالق الأكوان شامل لجميع المخلوقات من الملائكه المقربين ومن الجن والإنس أجمعين، ولا فرق فى ذلك بين أن يكون الالقاء والتعليم لمن فى السماوات ولمن فى الأرضين. وسواء كان التعليم للكبير وللطفل الصغير، ولا مانع أيضاً من كون التعليم فى عوالم الأنوار، أو فى ظلمات الأرحام، فكل كائن يأخذ بقسط معين، أى بحسبه .

وقد ورد فى الزياره الجامعه: خلقكم الله أنواراً فجعلكم بعرشه محدقين(۱).

ثم نرى التصرفات فى تلك العوالم بعيده ونحن فى هذا العالم الأرضى، لجهلنا الرضى، ولم نقرأ قوله تعالى :«وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا»(۲).

من الذى علمنا الرضاعه ؟ من هو المعلم فى بطون الأمهات؟

۱- من لا يحضره الفقيه ج ۲ ص ۶۱۳، تهذيب الأحكام ج۶ ص

۲- النحل: ۷۸.

فسبحانک ما عبدناک.. حیث ما عرفناک!

فبالمعرفه تعبد، وبالعلم تعرف، ولا علم لنا إلا ما علمتنا.

لیس العلم بالحرف فقط، ولیست العباده بالجوارح فحسب.

بل هناک علم أبعد من الحروف، وهناک عباده أرقی من المظهر المکشوف!

أول الخلق أهل البیت علیهم السلام

وهم أول من حمل أمانه العلم والدین، فالنبی صلی الله علیه واله وعلی والحسن والحسین علیهم السلام أول من خلق الله فی عوالم الغیب والأسرار، وهم أول المقرین لله سبحانه بالوحدانیه، ولذا حملهم العلم والدین فکانوا لذلک أهلاً.

وأودع الله عز وجل علمه فی الأنبیاء علیهم السلام وشاء سبحانه أن یکون خاتمهم النبی محمد صلی الله علیه واله، وهذه الحکمه بالغه لم تخف علی ذوی الألباب فی عصرنا هذا، ومما یمکن لعقولنا ادراکه هو التدرج لبنی البشر، وهذا المعنی (وهو التدرج) اتمام للحجه البالغه، وتحقیق لمنتهی کمال الدین حیث لا نبی ولا رساله بعد محمد صلی الله علیه واله وبعد دین الإسلام.

وکل ما جاء به الأنبیاء السابقون علیهم السلام کان من باب التدرج فی المعرفه لبنی البشر، ویدل واقع الدنیا علی هذه المعانی، وهنا نذکر من باب الإشاره أن الکمال لکل شیء یتحقق عند الانتهاء منه، حتی براعم الأثار.

وعندما ننظر فی مسیره البشریه عموماً نجد أنها تسیر نحو الأفضل باستمرار، مهما رأینا من جوانب سلبیه. ولا یقاس هذا الزمن بالأزمنه السابقه، فکل زمن لاحق یأتی بما هو أرقی وأتم من سابقه، وهذا من الأمور الواقعه

ولم يزل الله تعالى يخبأ النور تحت الزمان إلى أن فضل محمداًصلى الله عليه واله فى ظاهر الفترات، فدعى الناس ظاهراً وباطناً، وندبهم سراً وإعلاناً، واستدعى عليه السلام التنبيه على العهد الذى قدمه إلى الذر قبل النسل، فمن وافقه و قبس من مصباح النور المقدم اهتدى الى سره، واستبان واضح أمره، ومن أبلسته الغفله استحق السخط.

ثم انتقل النور الى غرائزنا، ولمع فى أئمتنا، فنحن أنوارالسماء وأنوار الأرض، فبنا النجاه، ومنا مكنون العلم، وإلينا مصير الأمور، وبمهدينا تنقطع الحجج، خاتمه الأئمه، ومنقذ الأمه، وغايه النور، ومصدر الأمور، فنحن أفضل المخلوقين، وأشرف الموحدين، وحجج رب العالمين، فليهنأ بالنعمه من تمسك بولايتنا، وقبض على عروتنا(١).

حديثنا عن الأسرار والأنوار

تدرك هذه الأنوار من ذوى الأبصار،ويحمل الأتقياء الأبرار الأسرار،ونحن اليوم فى الشهر المبارك للنبى المختار(٢).

جوله فكر: لقد أودع الله فى الإنسان ودائع كثيره وأعظمها العقل البشرى، فهو الحاكم، كما أودع فى الكائنات والمخلوقات ودائع لا حصر لها، ولا بد أن يعرض كل ما يجول به الفكر على موازين العقل السليم، ولهذا العقل مراحل للنمو.

لكل مخلوق أوصاف، وله مراحل للنمو والتكامل، ومصدر المخلوقات

١- مروج الذهب للمسعودى ج ١ ص ۴٢.

٢- أول ربيع الأول سنه ١۴٢٢ ه.

بكل أبعادها هو الخالق عز وجل، سواء كانت من المحسوسات أو مما هو وراء ذلك، فاسرارالخلق أبعد مما ألفته أفكارنا.

إن مجال عقولنا تنمو فيما نكتسبه فى عالم المحسوسات، وأما ما هو من عالم الأنوار فتبقى عقولنا قاصره عنه، وهذا القصور لا يخفى على المنصفين لواقع وجودهم، والنمو لكل كائن يحصل بحسب ما يحيط به .

مراحل واطوار الخلق

من المتسالم عليه أن لكل مخلوق ابتداء، وقد ندرك هذا أو ذاك عند ابتداء وجوده فى عالمنا المحسوس، ولكن هناك مراحل وأطوار فى عوالم الغيوب لا ندرك ابتداء هذا أو ذاك فيها، من هنا نعلم إجمالاً أنه يوجد ابتداء لكثير من المخلوقات فى غير عالمنا المحسوس، فعندما نقرأ حديثاً عما وراء المحسوسات نشعر بالحيره فضلاً عن الإنكار، وهذا ناتج عن التصاق افكارنا بما يخضع للحواس الخمس، بينما ثبت علمياً أن مافوق الحواس لا حصر له، ومنها عوالم النور.

ولأجل تقريب المعانى للأذهان أطلق العلماء مصطلح السنين الضوئيه، وأدخل فى مناهج التعليم حيث أخذت سرعه الضوء مقياساً .

أشير هذه الاشاره بهذه الكلمات لأننى أحاول رسم بعض الحروف عن عوالم الأنوار التى نأخذها من آيات أو أحاديث و روايات.

المخلوق الأول

قال رسول الله صلى الله عليه واله : أول ما خلق الله نورى، ابتدعه من نوره واشتقه من

جلال عظميه(١).

وهنا نـذكر حـديثاً آخر تقـدم فيه توضـيح لـذلك، فعن المفضل قال: قلت لأبى عبد الله عليه السـلام: كيف كنتم حيث كنتم فى الأظله؟

فقال: يا مفضل، كنا عنـد ربنا ليس عنـده أحد غيرنا فى ظله خضـراء نسـبحه ونقدسه ونهلله ونمجده وما من ملك مقرب ولا ذى روح غرينا حتى بدا له فى خلق الأشياء، فخلق ما شاء كيف شاء من الملائكه وغيرهم ثم أنهى علم ذلك إلينا(٢).

والأحـاديث حول هـذه المعـانى عديـده تـدل بمضامينهـا على أن النبى محمـد وآله عليه وعليهم السـلام هم أول مـا خلق الله من المخلوقـات، وعوالم الأـنوار لاـ نعرف عنهـا شـيئاً إلا ما وصـلنا عن طريق الأوصاف، فالنور الـذى قـد نتحـدث عنه ليس كالأنوار المعلومه عندنا على هذه الأرض، بل هو من نوع آخر، والتعابير بلفظ النور من باب أوضح المحسوسات.

وقفه وعوده للابتداء

عندما ننظر فى هذا الكون ندرك أنه لم يكن فكان، وهذا ما تعارفوا عليه بأنه حادث زمانى(٣).

وعندما نتدبر ذلك ندرك أيضاً أن خلق الكون كان لغايه، اذ الغايات من وجود كل شىء هى الأسمى.

١- بحار الأنوار ج ١٥ ص٢۴.

٢- الكافى ج ١ ص ۴۴١.

٣- راجع المظاهر الإلهيه ص ١٠٨، المظهر السابع .

فالوجدان حاكم قبل البرهان أن غايه الكون ليست لذاته، بل هو لأمرأسمى مما هو موجود.

لأن خلق السماوات والأرض وما بينها وما فيها لما هو أسمى منها، فكل ما فيها يسير إلى غايه ذاتيه أصيله بحد ذاتها، ويمكن القول أنه لا بد من وصول هذا الكون بما فيه الى الخير المحض، وانتهاء الشرور، ورفض النقائص، وارتفاع الظلمه، ولا بد من الوصول إلى نور محض لا ظلمه فيه، والى تمام لا نقص فيه أو معه، وهذا ما يمكن إدراكه من الآيه المباركه «ويكون الدين كله لله »والوصول إلى هذا الهدف لا بد لهذا الدين من قيم.

والقيم لا بد أن يكون حجه، لذلك أراد الله سبحانه وتعالى أن تكون الحجه حاويه للكمال بكل معانيه، ومدركه للكون بكل ما فيه، وهذا ما ندر كه من مرور أنوار الحجج بكل ما خلق الله من أكوان و مخلوقات فى هذه العوالم، بدء من سدره المنتهى إلى ما لا نهايه لوصفه.

فعندما نقرأ بتدبرابتداء خلق الأنوار، وختام مبعث المختار، نستنبط الهدف الأسمى والغايه الكبرى من خلق هذه العوالم والأكوان.

فالقصور الشامخه غايه لسكانها، والبساتين المثمره مقصد لزوارها، والأنهار الجاريه للناظرين إليها، والنمارق المصفوفه لأهلها، والنعيم والتسنيم جوائز للمتقين، ونحن فى هذه الدنيا على شواطئ الأبحر نحتاج إلى سفينه متينه تبحربنا إلى شواطئ النجاه البعيده لنصل بهاإلى الأمان والاطمئنان، فلابد من اختيار من جعله الله رباناً للسفينه.

السفينه

كثيراً ما نردد هذ العباره: لكن سفينه الحسين أوسع وأسرع.

هـذه السـفينه صـنع شـراعها من ابتداء عالم الأنوار، لذلك كان الجواب لحذيفه من النبى المختارصـلى الله عليه واله: فأتيت النبى فأخبرته، فقال: علمى علمه، وعلمه علمى، وإنا لنعلم بالكائن قبل كينونته(۱)...

هـذا العلم الـذى بـدأ من ابتـداء عوالم الأنوار لتكون الحجه على جميع المخلوقات أبلغ، وهـذا ما أقرت به الملائكه بعـد خلقها، فعندما يغوص الباحث فى عوالم الأنوار للحجج الأطهار يجد لهم نفحات فاضت بحروف الكلمات.

منها هذه التعابير للحسـين عليه السلام من دعائه يوم عرفه: أنت الذى أشرقت الأنوار فى قلوب أوليائك حتى عرفوك ووحدوك [و وجدوك]، وأنت الذى أزلت الأغيار عن قلوب أحبائك حتى يحبوا سواك(۲).

من هنا يمكن القول أن الابتداء كان فى عالم الأنوار: كنا بعرشه محدقين..

الوجود

كلمات فيها تعاريف: الواجب، الممكن، والمستحيل.

واجب الوجود هو الله الخالق لكل شىء.

هذه الكلمات تصالح عليها الفلاسفه والحكماء، وجعلوا لكل لفظ تعاريف

۱- تقدم الحديث عن البحار ج۴۴ ص ۱۸۵.

۲- إقبال الأعمال ج ۱ ص۳۴۹.

معينه من باب تقريب المعانى للأذهان.

ومن هذه التعاريف تعريف (الواجب لذاته): هو الموجود الذى لا تكون ذاته قابلةً للعدم أصلاً مع قطع النظر عن غيره ، بل يكون ضرورى الوجود (١).

ولفظ الواجب من الألفاظ المشتركه وله تقسيمات و اعتبارات.

للكون بكل ما فيه ابتداء

وهنا نشير إلى الكون والإنسان، لأن الإنسان هو صفوه الكائنات بكل معانيها مهما قيل أو يقال.

والإنسان سر من الأسرار لا ينكشف إلا بعد إكمال الدوره.

فهو فى هـذه الـدنيا بنصف الطريق تقريباً، وسـيره فى كل طور من الأطوار له مرحله ابتـداء، وكل مخلوق له ابتـداء وهو سائر الى نهايه غايته، وسـير الإنسان مميز عن سير غيره، فعندما ننظر الى مراحل حياتنا الدنيويه نجد ابتداءنا من مراحل الولاده، ولكن ليس هو الابتداء الأولى، بل هناك ابتداءللإنسان قبل عالم الأصـلاب(٢)، وقبل عالم الأرحام، وهذا ما بدأ تقدم العلوم يكتشـفه رويداً رويـداً، ويبقى هـذا الاكتشاف بحـدود المحسوسات ضـمن دراسه عالم الجينات. وليس لدى العلم المخبرى والآلى أكثر مما هو محسوس تحت المختبرات،حتى ولو كانت تحت الأشعه الحمراء.

فالإنسان كلما اكتشف شيئاً ما يبقى أمامه مجاهيل لا حصر لها يحاول

١- شرح المصطلحات الكلاميه ص٣٨٣.

٢- راجع كتابنا حول خلق الإنسان من الصلب (مخطوط).

التعرف عليها، سواء كان ذلك بغيب نفسه (أى بذاته) أو مما هو من الكائنات الأخرى فى الكون الفسيح.

فناذج الأسرار كامنه بذات الإنسان، وعندما نقول أنه صفوه فمعناه أن كل ذره وخليه وجينه هى من عصارات جميع الكائنات، بدء من التراب مروراً بالأرواح والنفوس، الى شفافيه الأنوار و شعاعها، وانبساط ضوئها.

وهنا نلقى على أنفسنا سؤالاً: هل كان الابتداء من تراب أم من أنوار؟

ومن هذا السؤال تتفرع أسئله كثيره لسنا بصدد تفاصيلها، وإنما نحاول التعرف على مراحل ابتداء خلق الأنوار، لعلنا ندرك شيئاً من الاشاره الى ضوء الغايه .

فالله سبحانه خلق الإنسان وأخرجه من مكمن الإمكان، ويظهر من بعض النصوص أن الابتداء كان فى السماء، ليتعرف على الكون الأسمى قبل الأدنى، فكان الابتداء: أشباح ثم أرواح مروراً بالملكوت.

نقول وبه نستعين: شاءت حكمه الخالق سبحانه أن تبدأ مسيره الإنسان على أسس سليمه، فكان الابتداء بالنور، ومن هنا تتجلى العظمه...

ومن النور تظهر خيوط الضياء ليغمر الشعاع والأكوان، ويأخذ كل كائن قسطاً من الضياء، كل بحسب قابلياته، وعندئذ تتجلى الحكمه البديعه من غايه الخلق، لأن قيمه كل كائن بحسب مراتب الغايه، وقد سخر الله للإنسان الأكوان وما فيها، وهذا من أوضح الدلالات على مرتبه الإنسان الرفيعه، وتوجد مؤشرات كثيره على ذلك، منها: خلق الإنسان بالسماء قبل الأرض.

ومن كرامه الإنسان على الله سبحانه أن خلقه بيده.

ومن هـذا الـدليل المحسوس كان خلق الحجه فى منتهى الكمال، ونقصد هنا الكمال الإنسانى لأن الكمال غايه مطلوبه، وبها كان امتياز الإنسان عن بقيه المخلوقات، وامتاز بعض أفراد الانسان عن بعضهم بمقدار النورانيه.

من هذه الواضـحات يحكم العقل السـليم بكمال الحجه، لأن الحجه بكل معانيها يجب أن تكون كامله بكل أبعادها، سواء كانت أرضيه أو سماويه.

وعنـدما نقرأ حـديثاً أو نؤول آيه حول خلق أنوار الحجج عليهم السـلام يكون ذلك على قاعده الكمال الإنسانى فى هذه الحياه، ومسـيره الكون، فلا غرابه أن يكون الابتداء نوراً يجوب هذا الكون الفسيح حتى لا يبقى مجال للغموض فى كل أرجاء المعموره من الملك والملكوت..

وبهذا نسـتشف بعض المعانى من تعابير الحسـين عليه السـلام فى الدعاء حيث يقول عليه السـلام : أنت الذى أشـرقت الأنوار فى قلوب أوليائك حتى عرفوك(۱).

إن منتهى غايات المخلوقات هو الوصول إلى معرفه الخالق، وبالمعرفه تتفاضل المخلوقات، وبها تنال مراتب الـدرجات، وبكمالها وتمامها تتزين للفائزين الجنات، فمعرفه النورلاتقاس بمعرفه النار، ولا تصح المقارنه بين الأبرار والفجار.

والنور المخلوق ابتـداء طـاف حول الحجب المتنوعه، وجـاب أرجـاء الملكوت، وشاهـد بضـياء نوره كل مراتب المخلوقات، من ملائكه وملـك وسـماوات حـتى اسـتقر بجبهه آدم عليه السـلام حيث اطلع على الملكوت الأعلى ليكون دور الهـدايه والمعرفه والحجه على الخلق، وللخلق، وقد قيل باختصار:

۱- من دعائه يوم عرفه.

ليس على الله بمستنكر *** أن يجمع العالم فى واحد

فالحجه جامعه للكمال، واسم النور تبديد للظلام، واسم الامام اقتداء للأنام.. وقد جاء فى الأثر : اجعل لنا رباً نئوب إليه وقولوا فينا ما شئتم(١).

وقال عليه السلام : نحن أسرار الله المودعه فى الهياكل البشريه(٢) .

باب حول معانى السر

قال أبو جعفر عليه السلام : ولايه الله أسرها إلى جبرئيل عليه السلام،وأسرها جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه واله أسرها محمد إلى على عليه السلام، وأسرها على إلى من شاء الله (٣).

هذا الحديث الشريف يتضمن أبعاداً كثيره تتعلق بحياه أهل الإيمان، وله تتمه، ففى أواخره الأمر بالتقوى: فعليكم بتقوى الله، ولا تغرنكم الحياه الدنيا(٤).

عندما ننظر فى وقائع هذه الحياه نجد كل ما حولنا سر من الأسرار، وهذا موجود فى الجمادات والنباتات والحيوانات، ولذلك يعثر العلماء والباحثون كل مده وفى كل حقل على نوع من الأسرار فى هذه الموجودات، والإنسان هو الأسمى فى الكائنات، ويحتوى على نماذج من كل عناصر الكون وما فيه، وهذه المعانى أصبحت من البديهيات فى مناهج التعليم.

فالأنبياء عليهم السلام هم سر من أسرارالله تعالى، أودعهم الكثير من الأسرار وجعل لهم الولايه، وقد أظهر لنا بعض هذه الأسرار بكثير من نماذج مسيره الحياه

١- بحار الأنوار ج ٢٥ ص٢٨٣.

٢- راجع المظاهر الإلهيه ص ١١٥.

٣- بحار الأنوار ج ٧٢ ص ٧٨.

٤- الحديث طويل تحسن مراجعته .

لبنى البشر، وقد أشار إليها فى القرآن المجيد بأكثر من آيه ظاهره، وأبعد من آيه ناطقه، وقصص الأنبياء والأولياء لا تخفى على ذوى الأفهام، مروراً من آدم عليه السلام إلى جميع الأنبياء عليهم السلام ، هذا من ابتداء اظهار الإنسان إلى عالم الدنيا.

مع العلم أن هناك عوالم قبل آدم عليه السلام ، كذلك لم تقف بعد مسيره البشريه على حدود، فضلًا عن العوالم التى سوف نمر بها بعد هذه الحياه، فعندما نحاول التعرف على بعض الجوانب من أسرار الحسين عليه السلام لم نتجاوز ما هو محسوس وموجود و ملموس.

وفى الحقيقه أن ذلك ليس من الاسرار، وإن كان لفظ الحروف مؤداه سر، فالحسين عليه السلام هو ثمره من ثمرات سيد الكائنات، وقد خصه الله بخصوصيات ظاهره وباطنه، لأنه عليه السلام حجه من حجج الله فى هذه الحياه، وهو سفينه نجاه، ولذا جاء التعبير أنها أوسع وأسرع وما شابه ذلك من الألفاظ التى تشير إلى جوانب من معانى الأسرار، فالسر هو وجود، وله وجود، وليس بخفاء مطلق، بل لأن عقولنا لم تصل إليه نقول لكل غائب عنا سراً، فلفظ السر ليس ذات السر.

وكل مخلوق قبل اظهاره كان فى عوالم الأسرار، فالوجود أشمل من الظاهر والباطن، والملائكه عليهم السلام بالنسبه لبنى البشر أسرار الله فى الكون، ولهم آثار وأسرار فى هذا الوجود، لذلك نؤمن بهم ولا نشاهدهم، ولا يشك عاقل بهم.

بينما عندما نقرأ أو نسمع حديثاً عن الأئمه الأطهارعليهم السلام لا يتلاءم وإدراكنا لمعانيه ننكر ذلك أو نتعجب، أو نقول ما لا يليق !!

وهنا تحسن الإشاره إلى هذا الحديث لذوى الأفهام، قال أبو جعفر عليه السلام : يا أبا حمزه، يخرج أحدكم فراسخ فيطلب لنفسه دليلًا، وأنت بطرق السماء أجهل

منک بطرق الأرض، فاطلب لنفسک دليلاً(۱).

فالـدليل هم أهل بيت العصـمه عليهم السـلام، والسـر كامن فی معرفتهم، وقـد عرفهم أهل السـماء قبل أهل الأرض، عندما كانوا أسـراراً فی عوالم الأنوار، ولذا ورد عن أميرالمؤمنين عليه السلام حيث قال: فلانا بطرق السماء أعرف منی بطرق الأرض(۲). وفيه إشاره إلی مراحل الأنوار وهم فی عوالم الأسرار.

وللإنسان عوالم عديـده لا تقتصـر علی هـذا العالم الـدنيوی فحسب، فقـد مر بعوالم سابقه وله عوالم لاحقه لا بـد من المرور بها، فعالم الدنيا كأنه برزخ بين عوالم سابقه وعوالم لاحقه. فالنفس المؤهله لقياده الأمم لا بد من أن تمر فی العوالم السابقه.

ابتداء خلق الأنوار

لكـل مخلوق ابتـداء، ومـا يظهر من الأحاديث الشـريفه أن أول المخلوقات هو النور، وأول نور من المخلوقات هو سـيد الكائنات محمـد بن عبد الله صـلی الله عليه واله والأئمه أهل بيت العصـمه عليهم السـلام ، وقد ألمحنا بأحاديث عديده ومنها هذا الحديث الجامع، قال الإمام الصادق عليه السلام :

إن الله تبارک وتعالی خلق أربعه عشر نوراً قبل خلق الخلق بأربعه عشر ألف عام فهی أرواحنا(۳).

۱- شرح أصول الكافی ج ۲ ص ۵۴۹، الكافی ج ۱ ص ۱۸۵.

۲- إثبات الهداه بالنصوص والمعجزات ج۳ ص ۵۳۸.

۳- لهذه الأحاديث معان دقيقه جداً تدرک ببصائر صافيه..

فقيل له: يا ابن رسول الله من الأربعه عشر؟

فقال: محمـد وعلى وفاطمه والحسن والحسـين والأئمه من ولد الحسـين آخرهم القائم الذى يقوم بعد غيبته فيقتل الدجال ويطهر الأرض من كل جور وظلم(١).

وفى حـديث آخر عن أبى جعفر عليه السـلام لجابر الجعفى قال: يا جابر كان الله ولا شـىء غيره لا معلوم و مجهول فاول ما ابتـدا من خلقه أن خلق محمـداً صـلى الله عليه واله وخلقنا أهل البيت معه من نور عظمته، فأوقفنا أظله خضـراء بين يديه حيث لا سـماء ولا أرض ولا مكان ولا ليل ولا نهار ولا شمس ولا قمر(٢).

بدء مراحل النور المحمدى فى العوالم

فى عصـرنا الحاضـر أصـبح من البديهيات أن عوالم الكون لا حدود ولا حصـر لها، وأن عقول البشـر لا تدرك أكثر من التحديد بالوصف، والتعابير بالألفاظ، وجل ما أدرك العلم بعض جوانب كوكب الأرض، وما هو قريب منه تحت فلك الشمس.

وعنـدما نتحـدث عن ابتـداء خلق الأنوار التى شاء الله أن يكون أول الأنوار من المخلوقات محمد بن عبد الله سـيد الكائنات وآله هداه المخلوقات، نريد التعرف عليها.

والتعرف على هذه الأنوار يتم بقدر صفاء البصيره، وما نرسمه من حروف

١- بحار الأنوار ج ١٥ ص٢٣.

٢- بحار الأنوار ج ١٥ ص٢٣، عن رياض الجنان (مخطوط).

هنا ما هو إلا إشارات تأخذ بأبصارنا وعقولنا نحو الهدف المقدر للإنسان التابع بالاهتداء إلى هذه الأنوار، ونستشف ذلك من بعض الأحاديث الشريفه، وقد يتكرر ذكر بعضها لحكمه لا تخفى.

عن أبى حمزه قال: سمعت على بن الحسين عليهما السلام يقول: إن الله عزوجل خلق محمداً علياً والأئمه الأحد عشر من نور عظمته أرواحاً فى ضياء نوره، يعبدونه قبل خلق الخلق(۱).

لهذه الأحاديث الشريفه التى تتضمن إشارات إلى ما وراء المحسوسات أكثرمن نظره، فعندما نضعها على موازين عقولنا القاصره قد نستعظم ذلك، وعندما نرجع الأمر للخالق سبحانه تكون القضيه واضحه لا لبس فيها، لأننا نؤمن وندرك أن كل ما هو كائن أو يكون هو بقدره الله سبحانه، وعليه تكون المخلوقات تحت هذا القانون، سواء كانت المخلوقات تحت مجهر المحسوسات أو كانت فوق ذلك مما هو وراء الغيب، من الأنوار السابقه أو اللاحقه، فكل ما فى الكون خاضع لقدرته.

إن أنوار النبى صلى الله عليه واله وآله الأطهار عليهم السلام هم ودائع الله فى الأكوان، ولا فرق بين ما هو سابق وما هو لاحق، فبهم بدأ المخلوقات و بهم يختم ذلك، فالابتداء والمسير نحو الانتهاء راجع لله سبحانه وهو الخالق، والأحاديث واضحه بذلك، منها ما ورد عن أبى عبد الله عليه السلام قال: إن الله كان إذ لا كان فخلق الكان والمكان وخلق نور الأنوار الذى نورت منه الأنوار وأجرى فيه من نوره الذى نورت منه الأنوار وهو النور الذى خلق منه محمداً وعلياً فلم يزالانورين أولين إذ لا شىء

۱- بحار الأنوار ج ۱۵ ص۲۳، باب بدء خلقه، ولهذا الحديث تتمه وأبعاد فى معانيه .

كون قبلهما.

فلم يزالا يجران طاهرين مطهرين فى الأصلاب الطاهره حتى افترقا فى أطهر طاهرين فى عبد الله و أبى طالب عليهما السلام(۱).

حتى ختمت سلسله الأنوار فى الحجه المنتظر عجل الله تعالى فرجه .

لمحه فيها إشارات حول أنوار الإمامه

ليس من السهل الحديث عن أنوار الإمام والإمامه مع إدراك حقيقتها، بل نحاول لفت الأنظار إلى هذه الأنوار، لعلنا نستضىء بخيط من النور يبدد لنا الظلام..

وفى الآيات القرآنيه إشارات لهذا الموضوع، ولكن حيث أصبح مألوفاً لدينا الجمود الحرفى بما حجب البصيره من شهوات النفوس وحب الدينا، فقليلاً ما نتجاوز الظواهر لنور البواطن من الآيات والكلمات، وفى الكتابه هنا نتبرك بهذه الآيه المباركه، وطبعاً كما أسلفنا لنا نمط خاص قد لا يكون مألوفاً !

قال عز من قائل: «فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِى أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ»(۲).

ولسنا بصدد ما قاله المفسرون حول هذه الآيه، وإنما يستدل من الأحاديث الشريفه أن النور هنا هو نور الأئمه عليهم السلام ، لأن القرآن الكريم له ظاهر وله بواطن، كذلك الإنسان له بصر ظاهر، وله بصيره باطنه.. وحديث الأنوار يتجاوز إلى

۱- الكافى ج ۱ ص ۴۴۲، وتوجد أحاديث الحجب والأبحر فى بحار الأنوار ج ۱۵ ص۲۸.

۲- التغابن ۸.

نظره خاصه حول الآيه

تتضمن الآيه الأمر بالايمان بتوجيه محدد وهو:

الايمان بالله سبحانه .

الإيمان بالرسول صلى الله عليه واله.

الإيمان بالنور.

والحديث حول ما هو هذا النور الذى وصف أنه نزل من السماء ؟

هـذا النور بحسب التفاسير للظواهر هو القرآن المجيـد، وعندما نبحث فى الأحاديث تدلنا أن هذا النور هو الإمامه والإمام، وليس بين الظاهر والباطن هنا منافاه، وذلك أن الإمام عليه السلام هو القرآن الناطق، ونصوص الأحاديث الشريفه أن الأئمه مع القرآن.

يبقى لفـظ (أنزلنـا) الـذى ينطبق بالظـاهرعلى القرآن، وهنـا يمكن القول بتـدبر : أليست أنوار الأئمه أيضاً مما يصـدق عليها هـذا الإنزال؟

فـالقرآن الكريم أنزله الله آخر رسـاله للإنسـانيه على الأـرض، والـذين أراد الله سـبحانه منهم أن يبلغوا ويطبقوا هـذا القرآن عملياً أيضـاً كـان اظهـارهم من الله وكـانوا آخر من يأمر باتباعهم، حيث لا مبلغ ولا هادى يأتى بعـدهم، وهـذا بنص القرآن الكريم أن النبى صلى الله عليه واله خاتم الأنبياء والمرسلين.

وعنـدما نقرأ الأحـاديث حول هـذه الآـيه نـدرك معانى الغايه من الآيه والأحاديث، فالإيمان بالله وبالرسول ليس مجرداً نظرياً بل لوصول البشريه إلى

ضياء النور من الناحيه العمليه .

وعندما يسأل الإمام عليه السلام عن هذه الآيه يكون الجواب ما يلى لأبى خالدالكابلى : يا أبا خالد النور والله الأئمه من آل محمد صلى الله عليه واله إلى يوم القيامه، وهم والله نور الله الذى أنزل وهم والله نور الله فى السماوات وفى الأرض، والله يا أبا خالد لنورالإمام فى قلوب المؤمنين أنور من الشمس المضيئه بالنهار، وهم والله ينورون قلوب المؤمنين ويحجب الله عزوجل نورهم عمن يشاء فتظلم قلوبهم.

والله يا أبا خالد لا يحبنا عبد ويتولانا حتى يطهر الله قلبه ولا يطهر الله قلب عبد حتى يسلم لنا ويكون سلماً لنا، فإذا كان سلماً لنا سلمه الله من شديد الحساب وآمنه من فزع يوم القيامه الأكبر(١).

النور الحقيقى ابتداء

إن الحديث عن الحسين عليه السلام هو حديث عن أهل بيت العصمه عليهم السلام وهو مرتبط مباشره بنور سيد الخلائق النبى المبعوث محمد بن عبد الله صلى الله عليه واله ، حيث كما عرفنا هو أول نور خلقه الله من الخلائق، والأحاديث الشريفه كثيره حول ذلك، ومنها قوله صلى الله عليه واله: ان الله خلق نورى من نور عزته(٢).

هذا النور اجتمع واستقر بالحسين عليه السلام ، ومن هنا تحقق اتمام النعمه وكمال وبقاء هذا الدين، ذلك أنه بالحسين عليه السلام وبذريته استمر وهج هذا النور المحمدى، ومن هنا كانت مسيره هذا الدين محفوظه ومصانه بالأئمه الأطهار عليهم السلام ، وقد ظهرت الحكمه الواضحه ببقاء الحجه المنتظر عجل الله فرجه،

١- الكافى ج ١ ص ١٩۴.

٢- راجع تفسير ملا صدرا ج ۴ ص ٣٨۴.

وهو من أحفاد الرسول صلى الله عليه واله والحسين عليه السلام ، وهذا معنى: ليظهره على الدين كله.

وهذا الظهور الشامل لا بد أن يتحقق على أيدى الحجه المنتظر الذى يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، وبذلك ندرك الحديث القدسى: لولاك ما خلقت الأفلاك(١).

وعندما نقرأ أحاديث النور ونقرأ هذه الآيه «يهدى الله لنوره من يشاء »، فنور النبى وأهل بيته عليهم السلام هو من نور عزته، وأول خلقه من جميع المخلوقات، فالهدايه منهم و بهم حيث اختارهم الله سبحانه للغايه الكبرى من خلق المخلوقات وهى كمال العباده، فالكمال لا بد أن يصدر ممن هو فى منتهى الكمال.

والنور المحمدى صادر من معدن النور، وهذا النور باق لا ينطفئ ولاينقض ولا يتبدد ولا يضعف، بل يزداد تألقاً فى أى موقع كان.

فعندما نتحرى كل مسيره الحسين عليه السلام نجده امتداداً لهذا النور إلى يوم القيامه، فالنور المشار إليه هنا هو الكاشف لحقائق الوجود ومعانى الحياه، ومن هذا الكشف تظهر معانى الحديث القدسى: كنت كنزاً مخفياً...

فالتعبير بلفظ الكنزله دلالات معينه، ومن أهمها أن الإنسان فى هذه الحياه لا بد أن يصل لضياء النور المحمدى الذى جعله الله هدايه لجميع المخلوقات.

الانسان مفطور على حب النور

عندما ندقق فى خفايا حقائق الإنسان، نجد أن أعظم شىء يتعلق به هو

١- المصدر السابق.

النور، وسواء كان هذا النور ظاهراً محسوساً أو باطناً معنوياً فهو مطلب الإنسان أينما كان، لأن الإنسان بالنور الظاهری یروی المحسوسات الظاهریه، وبالنور الباطنی یروی ذواته المعنویه.

ومما لا شک فیه أن المعنویات الباطنیه عند الإنسان أهم من المحسوسات الظاهریه، لأن الجوارح الظاهریه تنقل البهجه والسرور إلی الجوانح الباطنیه، فما یلتذ به العقل أعظم مما تلتذ به جارحه العین، وما تأنس به النفس أرقی مما یأنس به اللمس، وهکذا بقیه الجوارح، فالنور المحمدی هو الغایه المطلوبه للإنسان عندما یهتدی إلی معرفه خالقه والمنعم علیه، ولذلک نجد أن النور هو منتهی ما یحصل علیه الإنسان فی هذه الحیاه، سواء فی الدنیا أو فی الآخره.

فالإنسان یحیا ویهنأ بالنورین معاً: النور الباطنی وهو الأهم، والنور الظاهری المسخر للمعنوی، کما أن تکوین الإنسان من هیکل مادی وروح انسانی، فبهما معاً تتحقق الغایه المطلوبه، فلیس بالروح وحدها ولیس بالبدن وحده، لذلک کانت غایه الوجود الإنسان.

فلا تتحقق السعاده للإنسان بالبدن وحده، ولا بالروح وحدها أی بالنفس الانسانیه، ولأجل هذه المعانی کانت الآخره، فالاعاده للإنسان بعد الموت لا ـ بد فیها من عوده النفس لذات البدن، والثواب والعقاب یکون فعلاً بعد اقتران النفس والبدن معاً فی الآخره، ومن هنا تظهر فلسفه المعاد والحساب والثواب والعقاب، قال سبحانه:«بَلَی قَادِرِینَ عَلَی أَنْ نُسَوِّیَ بَنَانَهُ»(۱).

فالهدایه والإیمان والعمل کلها ضمن قوانین محدده، وموازین دقیقه، لذلک

۱- من سوره القیامه آیه ۴.

كان الخلود والبقاء .

وقفه عند لفظ الكنز

كنت كنزا مخفيا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لكى أعرف (۱).

الغايه هى المعرفه، وهى ليست هنا المعرفه المطلقه، بل معرفه محدده ومخصصه، فلو عرف الإنسان كل أسرار الأكوان ولم يعرف الخالق الديان لم ينفعه شىء من هذه المعرفه، وعندما يعرف الخالق سبحانه يهتدى وينتفع بكل معرفه وصل إليها.

من هنا يحسن القول أنه سبحانه أراد أن يكون ابتداء المعرفه من عنده تعالى برسم مناهج تدل عليه سبحانه، فكان المخلوق الأول من نور عزته، وهذا النورجاب به فيما بعد جميع الأكوان من المخلوقات، وهذا التكريم للإنسان مرتبط بمقدار المعرفه لحقيقه الكنز.

فمعنى لفظ الكنز ما كان فى الخفاء عن غيره، فبمقدار ارتباط هذا الغيربحقيقه الكنز تظهر عظمه التكريم للعارف، وترتفع به درجات التقدير، والمعرفه الحقيقيه لا تتم إلا بمعرفه النور.

فمن اكتشف بنور المعرفه حقيقه وجوده كشف له ضياء المعرفه أنوارخالقه، لذلك جاء فى تفسير الآيه:«الله نور السماوات والأرض ».

أى منور قلوب عارفيه، ولا يعرف الا من باب مدينه العلم، وهذا ما تشير إليه الآيات وألفاظ الروايات، قال سبحانه:« سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِى الْآفَاقِ وَفِ

۱- من الحديث القدسى: بحار الأنوار ج ۸۴ص ۱۹۹.

أَنْفُسِهِمْ »(۱).

النور يعرف بالنور

عندما نتأمل فى هذا الوجود ندرک ما هو محسوس بل ما فوق المحسوس لذلک يمکن القول أن ابتداء الموجودات هو النور، فالنور سابق على کل ما هو مخلوق، وما نشاهده من المحسوسات لاحق لوجود النور، وليس بحثنا هنا حول مطلق النور، إنما نحاول معرفه نور الحسين عليه السلام ، والمراد به نور الإمامه، فهو محورلمرکز الأنوار باعتبارات متنوعه(۲).

فالنور الحقيقى المحمدى هو من نور عزته سبحانه، والحسين عليه السلام امتداد لهذا النور، من هنا ندرک الحديث المشهور: حسين منى وأنا من حسين، باعتبار أن ذات النور الممتد من معدن الوجود، فالبارى سبحانه ينبوع النور والوجود(۳) .

النور الحقيقى فوق ادراکنا

کثيراً ما نتکلم أو نکتب لفظ (نور)، ولکن قليلاً ما ندرک مثل هذا النور، لأننا لا نملک قدره التحمل لمثل ذلک، وهذا راجع للعجز فى ذواتنا وقله قدرتنا، والأنبياء والأوصياء عليهم السلام أيضاً تتفاوت قدراتهم لحمل ذلک، وهذا ما دل عليه الوجدان والبرهان. ويکفى دلاله أنه لم يصعد إلى السماء من الأنبياء والرسل إلا سيد الأنبياء محمد بن عبد الله صلى الله عليه واله، مع العلم أنهم جميعاً حمله الرساله، وقد بلغوا

۱- فصلت ۵۳.

۲- محسن مراجعه ميزان الحکمه، الجزء الأول، من ص ۱۶۳ (الإمامه).

۳- يحسن مراجعه مفاتيح الغيب ص ۴۴۵.

عن الله سبحانه رسالات ربهم.

وهنا نشير إلى جانب من الدليل حول ذلك لذوى الألباب:

فعن عبد الله بن عباس قال: إن رسول الله لما أسرى به إلى السماء انتهى به جبرئيل إلى نهر يقال له النور وهو قول الله عز وجل «جعل الظلمات والنور»فلما انتهى به إلى ذلك النهر قال له جبرئيل عليه السلام: يا محمد اعبر على بركه الله فقد نور الله لك بصرك ومد لك أمامك فإن هذا النهر لم يعبره أحد لا ـ ملك مقرب ولا نبى مرسل غير أن لى فى كل يوم اغتماسه فيه ثم أخرج منه فانقض أجنحتى(١)...

ومعلوم أن أحاديث الإسراء كثيره ومتنوعه، والحديث عن النور فوق الأسرار وإن كان لفظه واضحاً.

وقد ورد عن الإمام أبى الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام لأحد أصحابه ضمن أسئله، قال عليه السلام: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله العلى العظيم الذى بعظمته ونوره أبصر قلوب المؤمنين، وبعظمته ونوره عاداه الجاهلون وبعظمته ونوره ابتغى من فى السماوات ومن فى الأرض إليه الوسيله بالأعمال المختلفه والأديان المتضاده.

فمصيب ومخطى وضال ومهتدوسميع وأصم بصير وأعمى حيران (٢)..

الامامه هى النور

عندما نحاول الكتابه عن الأسرار والأنوار نجد أن النور الحقيق هم الائمه

١- أمالى الصدوق ص ٣٥۴

٢- الكافى ج٨ ص ١٢۴، والحديث طويل.

بعد الرسول صلى الله عليه واله ، وقد استقر هذا النور بعد المراحل العديده فى الحسين عليه السلام ، واجتمع فيه بكل أبعاده وتفاصيله. .

فعندما نقرأ الحياه من النواحى الواقعيه نجد الأئمه علهم السلام وخصوصاً الحسين عليه السلام قد حفظوا الدين، وبالحسين عليه السلام ظهر وبقى النموذج الأمثل، ولم يزل يشع ضياؤه فى الكره الأرضيه.

وتوجد ظاهره محسوسه أن الأمم والشعوب قد تباينت واختلفت بكثير من الحقائق، لكنها لم تتباين أو تختلف على الحسين عليه السلام ، حتى الذين ليس لديهم دين وعقيده سماويه. فاجتمع فى الحسين عليه السلام النور الظاهر والنور والباطن. بل يمكن القول أنه قد اجتمع فيه نور الأولين والآخرين.

وعليه تنطبق الكثير من الآيات، ومنها: «قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ»(۱).

وعندما نقرأ ما بعد هذه الآيه يظهر لنا الواقع أكثر، لأن الآيات يعضدبعضها بعضاً، وترتبط معانيها بموارد متعدده، خصوصاً عندما نقرأ واقع الحياه ..

قال تعالى :«يَهْدِى بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ»(۲).

ويمكن القول أن مجمع الأنوار بكل معانيه وأبعاده قد استقر فى الحقيقه المحمديه المنوره بنور معرفه الله بلا واسطه.

۱- المائده من آيه ۱۵.

۲- المائده آيه ۱۶.

من هنا ندرک بعض معانی الحدیث من قوله صلی الله علیه واله : لو کان موسی علیه السلام حیاً ما وسعه إلا اتباعی (۱).

فکل ما کان من نور وعلم للحقیقه المحمدیه قد اجتمع عند الحسین علیه السلام ، ولذا امتاز نوره عن بقیه الأنوار بکل الأبعاد.

حدیث عن الأنوار والاسرار

اشاره

نحاول فی أبحاثنا قطف نوع من الأثمار، لیکون ذلک أرقی غذاء للأفکار، خصوصاً فیمایتعلق فی بعض الجوانب عن النبی المختار صلی الله علیه واله وأهل بیته حمله الأسرار.

مما لا شک فیه أن الله سبحانه خلقاً من الملائکه المقربین، ونوعیه خلق الملائکه ممیزه عن بقیه المخلوقات التی ندرکها، وهناک أقوال وتفاسیر حول الملائکه.

ومما هو معلوم ورود ذکر الملائکه فی القرآن الکریم بکثیر من الآیات، وفی الأحادیث الشریفه.

أولاً: ما قیل حول الملائکه

قد اختلف الناس فی حقیقه الملائکه علی أقوال:

أحدها: وهو قول المحققین من المتکلمین، قالوا: أن الملائکه أجسام لطیفه نوارنیه، إلهیه، خیره، سعیده، قادره علی التصرفات السریعه، والأفعال الشاقه، والتشکل بأشکال مختلفه، ذوات عقول وأفهام، مسکنها السماوات،وبعضها عند

۱- معانی الأخبار لابن بابویه ص۲۸۲.

الله أقرب من بعض وأكمل درجه، كما قال تعالى حكايه عنهم: «وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ ...»(۱)، وإلى هذا القول ذهب أكثر المسلمين، وفى الأخبار ما يدل عليه(۲)

وجوب الإيمان بالملائكه

عندما ننظر فى كائنات هذا الوجود نجد مخلوقات عديده، منها الجماد ومنها النبات ومنها الحيوان ومنها الإنسان، ولكل كائن من هذه الكائنات خصوصيه وصفات. وأمير هذه المخلوقات بحسب إدراكنا وما توصلنا إليه هو الانسان.

وقد دل الوجدان والبرهان أن هناك مخلوقات غير ما أشرنا إليه، وهى الجن فى الأرض، والملائكه فى السماء.

وعندما نحاول التعرف على هذه المخلوقات لا ندرك إلا ما أشار إليه القرآن المجيد والأحاديث الشريفه.

وحديثنا هنا حول الملائكه، وقد قلنا أن أجسام الملائكه نورانيه إلهيه خيره.

ومعلوم أن أجسام بنى آدم من تراب، وأجسام الجن من لهيب النار كما ورد فى الآيات البينات، وأما الملائكه فهى نورانيه.

ومن الآيات القرآنيه ثبت وجوب الإيمان بالملائكه، ومن هذه الآيات قوله سبحانه«آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَ

۱- الصافات، الآيه ۱۶۴.

۲- راجع رياض السالكين ج ۲ ص ۹، شرح الصحيفه السجاديهالدعاء۳.

مَلَائِكَتِهِ..»(۱).

وقد ورد الايمان بالملائكه فى الأحاديث كما ورد فى الروايات، ومنها ما روى عن النبى صلى الله عليه واله حين سئل عن الإيمان أنه قال صلى الله عليه واله : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله(۲).

من هنا ندرك أن الإيمان بالملائكه يتضمن معانى عده، منها التصديق بوجودهم لأن حكم العقل السليم عندما يلزم بالإيمان بشىء لا بد وأن يكون ذلك موجوداً وإلا لا يصح الإيمان بمالا وجود له.

والإيمان بالملائكه مقرون بالإيمان بالله ورسله وكتبه التى جاء بها الأنبياءعليهم الصلاه والسلام.

وأما تفاصيل حقيقه الملائكه فليس مطلوباً بالدقه، بل يكفى الإيمان بهم أنهم مخلوقون بقدره رب العالمين، وأنهم مكلفون بأنواع من الطاعه والعباده، وأنهم عباد مكرمون ولهم شأنيات خاصه.

الفرق بين الملائكه وغيرهم

هناك جوانب متقاربه بين المخلوقات وأخرى مختلفه، ومما تختلف به المخلوقات:

أولاً: أن الملائكه ليسوا بذكور ولا إناث، ولا يتوالدون ولا يأكلون ولا يشربون.

۱- البقره ۲۸۵.

۲- كتاب سليم بن قيس ج ۲ ص۶۱۳.

ثانياً: أن الجن يتوالدون ويموتون، وفيهم ذكور وإناث.

ثالثاً: أن الشياطين ذكور وإناث ويتوالدون، ولا يموتون حتى يموت إبليس(١).

وقد ورد ذكر الملائكه فى كثير من الآيات والأدعيه، ومن ذلك دعاء خاص بهم فى الصحيفه السجاديه فيه أوصاف لهم تتضمن الكثير من المعانى والأبعاد التى تعجز عقولنا عن إدراكها، نذكر بعضاً منها لعل أجيالاً تأتى تدرك ذلك، منها ما قاله على بن الحسين عليهما السلام: اللهم وحمله عرشك الذين لا يفترون من تسبيحك، ولا يسأمون من تقديسك(٢).

وقفه عاجز عند حروف العرش

كثيراً ما نقرأ آيه أو روايه فنحملها على مقدار ادراكنا القاصر، أو نفسرها بما ألفته أذهاننا من المحسوسات، ولكن تبقى الحقيقه عند الذين اختارهم الله سبحانه لحمل دينه، وهم أهل بيت العصمه ومعدن الرساله عليهم السلام ، وهم الذين لا يقاس بهم أحد.

ولايه أهل البيت مؤكده فى الميثاق

عندما يتدبر أولو الألباب فى هذه الحياهيدركون أن الله تعالى أراد ابداع هذا الخلق، وأراد سبحانه منهم التعبد له.

١- راجع رياض الصالحين ج٢ ص١١، عن ربيع الابرار للزمخشرى، النسخه المخطوطه ص ٢٣، باب الملائكه.

٢- الدعاء الثالث من الصحيفه السجاديه للإمام زين العابدين عليه السلام.

فكـان هـذا الكون ومـا فيه، وجعل هـذه الأرض وما عليها، وخلق خلقاً كثيراً، وميز بنى آدم عن بقيه المخلوقات، وخص آدم عليه السلام بكثير عن بقيه ما فى الأرض.

وقـد أخـذ العهود والمواثيق على آدم وذريته، فمن أعظم تلك العهود والمواثيق الإقرار لله بالوحـدانيه، وللنبى صـلى الله عليه واله وآله بالنبوه.

وهذه المعانى من المسلمات عند أهل التحقيق، فالنبى صلى الله عليه واله هو الهادى والمنذر والمعلم والشاهد على الخلائق.

فقـد أنذرصـلى الله عليه واله العبـاد، وبقيت مهمه الهـدايه لأهـل كـل زمـان على هـذه الأرض، فكان الإمام على عليه السـلام هو الهادى: «وَ لِكُلِّ قَومٍ هاد» .

وكانت السلسـله الـذهبيه، واسـتمر سـر الهـدايه من إمام لآخر، ومعلوم أن الحجه عجل الله تعالى فرجه الشـريف هو الحامل لهـذه الأسرار، وهو الذى يملأ هذه الأرض قسطاً وعدلاً بمشيئه الله سبحانه(۱).

فى القرآن مخازن الأسرار

عنـدما نرسم بعض الحروف من كلمـات وأسـرار، ونور وغيب وهـدايه ومـا شـابه، نقصـد بها ما جاء فى القرآن من آيات بينات، ومثـل هـذه الآيـات لاـ يعلم تأويلها إلا الله والراسـخون فى العلم، وهم النبى صـلى الله عليه واله والأئمه عليهم السـلام ، فلا يتوهم أحدأنه يوجد أسرار بغير القرآن الكريم.

وكل ما جاء من أحاديث على تنوعها ترجع معانيها إلى ما أشار إليه كلام

۱- لسنا بصدد بيان ذلك هنا، وما ذكرناه بالعرض.

الله تعالى، حتى الأحاديث القدسيه .

من هنا نؤمن ونجزم أن أسرار الكون وأنواره قد أودعها الله عند خاتم الأنبياء صلى الله عليه واله والأئمه من أهل بيت العصمه عليهم السلام.

توضيح ذلك بمقدار ادراكنا وفهمنا:

كل ما نزل إلى أهل الأرض من الأولين والآخرين عند سيد الكائنات وخاتم الأنبياء محمد بن عبد الله صلى الله عليه واله، وقد أودعه كله عند الأئمه المعصومين عليهم السلام ، بدءاً من على بن أبى طالب عليه السلام إلى الحجه الغائب عجل الله تعالى فرجه الشريف، لأن المنزل اليه من كلام الله مشتمل على العلم بالله وصفاته وأفعاله و ملائكته وملكوته وقضائه وقدره وبدايه الخلق ونهايته(۱).

وما من علم حقيقى إلا وفى القرآن أصله وفرعه وبرهانه وتبيانه، ولكن على وجه الإجمال، وأما الكشف عن رموز آياته واسرار بيناته وتأويل متشابهاته وتبيين مجملاته فينحصر بمن هو أهل له ومستحق.. وهذا شأن الأوصياءعليهم السلام ، فلا بد فى كل زمان من ولى قائم بحفظ القرآن عارف بر موزه وأسراره(۲).

قال تعالى: «إِنَّما أَنتَ مُنذِر وَلِكُلِّ قَومٍ هاد ».

فالنبى صلى الله عليه واله هو المنذر، وعلى عليه السلام هو الهادى، ومن بعده الأئمه عليهم السلام .

فالمنذر واحد وهو النبى المرسل، وبعد الانذار تسير مسيره الهدايه، ولا بد أن تكون الهدايه على نهج الإنذار، لأن الهدايه نهج واحد وان تفاوتت مراتبها، فالخالق واحد والقرآن واحد والرسول صلى الله عليه واله واحد. وهو المنذر والمبلغ عن الله،

۱- هذه العبارات الأخيره متقبسه من التفسير لشرح الكافى للملا صدرا، ج ۲ من ص ۶۱۰.

۲- راجع شرح الكافى ج ۲ ص ۶۱۱ لصدر المتألهين.

ولكن تبقى الهدايه لكل جيل ولكل قوم.

من هنا ندرك سر البقاء لرساله سيد الأنبياء صلى الله عليه واله ، فلا بد بحكم العقل المرتكز على أحكام الشرع من استمرار الهادى للأمه وللبشريه فى كل زمان ومكان.

وعندما نحاول التعرف على نوع من سيره وأسرار الحسين عليه السلام ، نجد لهذه السيره خصوصيات مميزه، فلم يزل يترشح من أسرار سيره الحسين ما ليس فيه خفاء فى كل جوانب الحياه وفى كل زمان ومكان..

هذه السيرهالتى أجمع على واقعها واستمرار بقائها بكل أبعاد الحياه جميع العقلاء على اختلاف مشاربهم ومذاهبهم وأجناسهم، لهى نوع من أسرار هذه الواقعه التى ليس على وجه الأرض لها من مثيل.. وخصوصاً عندما نستكشف أن حب الحسين عليه السلام داخل فى جميع القلوب، وكأن العهد فى عالم الذرمأخوذ فيه سر الحسين، وهذا ما يثبته الوجدان قبل أدله البرهان .

استمرار الهدايه

يرتكز استمرار كل شىء فى هذا الوجود على ركائز ثابته وأسباب عديده، ومنها الهدايه للإنسان، فقد اهتدى الإنسان على هذه الأرض إلى الحقائق بواسطه الأنبياء عليهم السلام ، فكانت الرسالات والأنبياء يتبع بعضها بعضاً، حتى استقرت بآخر رساله من السماء وبخاتم الأنبياء سلام الله عليه وعلى آله.

فالحسين عليه السلام قد اجتمعت فيه هدايه ظاهره وأسرار باطنه، فالأسرار الباطنه كلما تعاقبت الأزمان لاح منها ضياء للإنسان.

والهدايه الظاهره أنه قد اجتمع فى الحسين عليه السلام ما لم يجتمع فى غيره قط،

بدءاً من دائره النسب ومروراً بالحدث العظيم فی کربلاء.

فالبشریه لم تزل مدهوشه مما حدث فی واقعه الطف، ولم نزل نحوم حول مفردات تلک الواقعه من یوم وقوعها حتی یومنا الحاضر.

فلم نتعرف علی سر استمرار هدایتها بعد، وقد لا ندرک ذلک السر إلاعندما ینادی منادی السماء:«أَتی أَمرُ الله فَلا تَستَعجِلُوه»(۱).

فإن الهدایه المستمره ترتکز علی إدراک ومعرفه أسرار الحسین علیه السلام ، والسرلا یعرف إلابعدحصول الغایه .

فعندما نقرأ الکثیر من وقائع القرآن المجید لا نعرف أبعاده إلا بعد أن نصل إلی الحکمه والغایه، وهذا موجود بما لا حصرله.

من ذلک قصه الخضر علیه السلام من خرق السفینه وقتل الولد وعماره الحائط ..

فقبل بیان الحکمه والغرض یبقی العقل البشری حائراً، ولکن بعد البیان ندرک وضوح الحکمه والغایه.

وفی أسرار الآیات والأحادیث الشریفه الکثیر من ذلک(۲).

فلو أن هذه البشریه اهتدت تماماً بنور خیر البریه لما وقعت مصیبه کربلاء.

لذلک یمکن القول أن استمرار الهدایه الی یوم القیامه مرتبط ارتباطاً وثیقاً بجوانب مهمه من أسرار واقعه الحسین علیه السلام فی کربلاء.

۱- هذا النداء یقع عند ظهور صاحب الأمرعجل الله تعالی فرجه الشریف: یا لثارات الحسین.

۲- ولذا قیل: أن صاحب العصر والزمان کأنه یأتی بدین جدید، ولکن الواقع أنه نفس هذا الدین ونفس هذا القرآن ونفس هذه الشریعه.

وإلا ـ فما هو معنى الأخذ والميثاق على الأولين والآخرين بما يتعلق بالحسين عليه السلام ، فكأنه نقطه الربط بين الماضى والمستقبل إلى يوم الدين .

وهنا ينطبق أن الحسين مصباح الهدى و سفينه النجاه.

إشاره إلى العلوم اللدنيه

لقد تقدم ضمن حديث طويل حول الحسين عليه السلام : كان إماماً قبل أن يخلق(١).. وقرأ الوحى قبل أن ينطق .. وفى حديث آخر: كان فقيهاً قبل أن يخلق(٢).

العلم علمان: علم كسبى لعامه الناس، وعلم لدنى من الواهب سبحانه،يهبه الله لمن كان مؤهلاً لحمله، حتى وان كان فى عالم الأنوار.

فالحسين عليه السلام كان إماماً من قبل تعلق روحه النورانيه بالجسد المطهر فى هذه الدنيا، فروحه عالمه وهو بذاك العالم النورانى.

ولذا امتاز الأنبياء والأولياء عن بقيه المخلوقات .

وقد كان بدؤهم أنواراً محدقين بعرش رب العالمين، فهم الأنوارالذين تعلمت منهم الملائكه التسبيح والتهليل، فكانت أرواحهم معلمه للملائكه، وهذا يدل أن هذه الأرواح كانت عالم بالعلم اللدنى(٣) .

علم وأسرار

عندما نبحث فى ميزات هذا الوجود نجد أن أعظم ما فيه هو العلم، والعلم

١- البحار ج ۴۴ ص ١٧۶.

٢- الكافى ج ١ ص ٣٠٢.

٣- البحار ج ۴ ص ١٧٩.

مبكـل أبعـاده مختص بالإنسان، وقـد دل على هـذا الاختصاص العقل والنقل. فبالعلم تكشف الاسـرار، وعليه قام الوجود، وبالعلم عرف المعبود.

فعنـدما نحاول التعرف على بعض جوانب الأسـرار نجد أنفسـنا أمام بحار لا حدود لها، لذلك نأخذ تاره من هنا ونقطف تاره من هناك، ولكن تبقى حقائق الأسرار تلمع على صفحات الأفكار.

ولمـا لم يكن هناك شـيء افضل من العلم، خص الله أول مخلوق بـدأه من بنى البشـر بالعلم،«وعَلَّمَ آدَمَ الأَسـماء..»وإكراماً لشأن العلم أسجد له الملائكه.

ولسنا بحاجه للدلاله على هذه الأفضليه للعلم، لأننا إذا أردنا أن نستدل على أمرٍ ما نستدل عليه بنور العلم.

فالنور لا يحتاج إلى دليل فهو دال بذاته على ذاته، ولكن يبقى السؤال: من هو القادر على حمل العلم والأسرار؟

دفع وهم

نتوهم فى هـذه الحياه أن لـدينا علماً، فقـد نحسن تركيب الحروف، وقد نقدرعلى سبك العبارات، وقد نجعل مقارنه بين مراحل الطفوله والرجوله، ونقيس أنفسـنا على هـذه المراحـل، لكن هـذا ليس من حقائق العلم، بل هو اكتساب بالتجربه والتكرار، وهـذا يرجع إلى مقدار سلامه الفطره، ومقدار المحافظه عليها،أما العلم الحقيقى فهو فوق كل هذا!

إن العلم الحقيقى مـا كـان قبل التجربه والتكرار، وهو ما قاله الرسول المختارصـلى الله عليه واله فى جواب حـذيفه اليمانى عنـدما أخبر الحسين عليه السلام حذيفه بقتله، فكان جواب النبى صلى الله عليه واله : علمى علمه، وعلمه علمى، فإنا نعلم بالكائن قبل

كينونته(١). ولم يكن عدد سنى الحسين عليه السلام ذلك الوقت متجاوزاً للخمسه..

وقد يحاول البعض الأخذ والرد فى مثل هذا الحديث على طريقه المباحث الأصوليه، أو التشكيك بالأسانيد.. فنقول: ليس من مجال هنا للمناظره.. إذا يمكن القول بأن ما هو ثابت لدى المنصفين أن أول ما خلق الله نور محمد وآله صلوات الله عليهم، فمن ثبت لديه ذلك نقول له: هذا النور وهذه الأسرار بقيت مستمره واجتمعت بالحسين عليه السلام، فكان علمه علم الرسول صلى الله عليه واله ، ونوره نفس النور.

ويكفى هذالمن كان له قلب سليم وفكر غير سقيم.

من هنا يتحقق من هم الذين عندهم القابليه والقدره والصيانه لعلم الله ونوره واسراره.

فعندما نقرأ الحديث أن الحسين عليه السلام كان إماماً قبل أن يخلق وقرأ الوحى قبل أن ينطق(٢)، عندئذ يمكن أن ندرك شيئاً من العلم الحقيقى، ومن الأسرار التى تظهر للعيان والأفكار.

هذه الاشارات لذوى الأفهام تشير إلى أبواب العلم ومصادره .

والحديث المتقدم فى أوائل البحث أن الرسول صلى الله عليه واله خاطب الحسين عليه السلام:

يا زين السماوات والأرضين (٣).

وفى هذا الحديث: وإن الله عز وجل ركب فى صلبه نطفه طيبه مباركه زكيه .

١- تقدم الحديث عن البحار ج ۴۴ ص ١٨٥.

٢- راجع البحار ج ۴۴ ص ١٧٩.

٣- من حديث طويل فى الحار ج ٩١ ص ١٨۴ باب ٣٥.

بهذه المواهب التى خص الله بها الحسين عليه السلام كان إماماً وفقيهاً ونال أسراراًقادراً على حملها بعلم الله تعالى.

وقفه وعوده للعلم

العلم الحقيقى من النور الإلهى، والإنسان هو المؤهل لحمله، قال تعالى:«أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ»(۱).

ولا يقدر كل إنسان على حمل هذا النور، ولا يتمكن كل أحد من التخلى عن شهوات هذه الدنيا، حتى وإن كان يرغب بذلك بقراره نفسه، فالكثير منا مقيد بحبائل زخارف هذه الدنيا .. ومن هنا تتفاوت مراتب الحاملين، حتى عند المؤمنين.

فقد قرأنا الكثير عن الذين مروا فى هذه الدنيا على اختلاف الأزمنه والدهور، فلم نجد من الناحيه العمليه أحداً قد وقف فعلاً مثل لحسين عليه السلام ، ولسان حاله:

تركت الخلق طراً فى هواك *** وأيتمت العيال لكى أراك

فلو قطعتنى بالحب إرباً ** لما مال الفؤاد إلى سواك

فعندما نقرأ عن الحسين عليه السلام وهو فى عالم الأنوار أو فى مهد الطفوله يناغيه جبرائيل عليه السلام، أو عندما يغذيه الرسول الأعظم صلى الله عليه واله من ابهامه(۲)، أو نقرأ بكل

۱- الزمر آيه ۲۲.

۲- بحار الأنوار ج ۴۴ ص ۲۳۳: يؤتى بالحسين لجده صلى الله عليه واله فيضع ابهامه فى فيه فيمص منها ما يكفيه لثلاثه أيام..

سيرته فلا نجد له مثيلاً..

وهـذا وشـبهه ليس من بـاب المديـح أو عـاطفه الحب، بـل من بـاب الواقع العملى، ومن بـاب المحاوله لإضاءه القلوب والعقول، وتطهير النفوس بضياء نور الحسين عليه السلام ، بل لعلنا نقف على خيط علم من أسراره.

فيا حبذا لو سـعينا لقراءه سيره الحسين عليه السلام بحروف أنواره، فلا نضل أبداً، لأنه من لم يحسن القراءه لا يخفى عليه مشاهده الأنوار.

ويا حبذا لو فتحنا بصائرنا على تلك الأنوار لكنا اهتدينا إلى سـفينه النجاه الراسـيه على ضفاف ميناء الحياه، بدءاً من عوالم الأنوار فى السماء .. مروراً على رمال كربلاء..

من هنا يحسن القول أنه ليس فى العالمين مثيل للحسين عليه السلام بكل الأبعاد..

فقد حاز عليه السلام الفضائل الإنسانيه بكل جوانبها، بل خصه الله بمزايا لم يجزها أحد من المخلوقات بعد جده وابيه سواه.

وقد ألمحنا فيما سـبق أن نجاه وصـلاح انسانيه الانسان مرتبطه بأنوار الحسـين عليه السـلام ، حتى عندما يأمر الله سـبحانه بإصلاح البشريه يكون الشعار: يا لثارات الحسين.

وقفه:

للعلم تأثير على النفوس، وهو النور الساطع على كل ما فى الأكوان، من ملكٍ و ملكوت وأجسام ونفوس.

وتاره نقرأ عن الحسين عليه السلام بالحروف والكلمات، وتاره بالمناسبات، وطوراً نعرفه بأنه إمام الأرض والسماوات..

مصیبه الحسین عند السابقین

عندما نحاول رسم کلمات عن أسرار الحسین علیه السلام نجد أنفسنا فی أعماق وجود لا نعرف له ابتداء، لذا نأخذ من هنا حرفاً ومن هناک حروفاً، وقد لا نحسن التعرف علی معانی کثیر من هذه الحروف والکلمات.

فعندما نقرأ ما وصل إلینا عبر الأزمان البعیده نجد ومضات وإشعاعات ورموزٍ تشیر إلی أنوار وأسرار الحسین علیه السلام من بدء الخلیقه إلی ما بعد القیامه.

ومن خلال هذا وذاک یلوح کأنه قطب الرحی فی عوالم الأکوان.

ومن المعلوم أن حیاه الإنسان علی هذه الأرض بدأت من آدم علیه السلام ، وعندما نقرأ القرآن المجید نجد آیات عدیده تتحدث عن مسیره آدم علیه السلام علی هذه الأرض(۱)، و آیات تشیر إلی ما قبل ذلک، وآیات فیها خطاب للملائکه علیهم السلام ، وهناک آیات فیها تفصیل و آیات مجمله.

ولسنا هنا بصدد بیان ذلک، إنما نحاول التعرف حول مدی ارتباط مصیبه الحسین علیه السلام بالأنبیاء السابقین علی هذه الأرض التی بدأت مسیره حیاه الإنسان علیها.

وهنا نقرأ مطلع قوله تعالی: «وَإِذْ قَالَ رَبُّکَ لِلْمَلَائِکَهِ إِنِّی جَاعِلٌ فِی الْأَرْضِ خَلِیفَهً...»(۲).

۱- یحسن مراجعه الآیات حول ذلک ومنها قوله تعالی :«وَإِذْ قَالَ رَبُّکَ لِلْمَلَائِکَهِ إِنِّی جَاعِلٌ فِی الْأَرْضِ خَلِیفَهً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِیهَا مَنْ یُفْسِدُ فِیهَا وَیَسْفِکُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِکَ وَنُقَدِّسُ لَکَ قَالَ إِنِّی أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ»[البقره : ۳۰]

۲- البقره ۳۰.

ومن هنا بدأ التعرف والارتباط بين الملائكه المقربين وبين آدم وذريته، وبعد هذه المرحله فى السماء بدأت مسيره الإنسان على هذه الأرض، وهى منصه الامتحانات، ومعترك البليات، وفيها تفوز النفوس الصالحات .

وقفه وتنبيه:

لقد أسجد الله لآدم الملائكه بعد أن صنع بدنه من ذرات التراب ونفخ فيه وأصبح قابلاً للتعليم ثم علمه الأسماء، قال سبحانه: «وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا»(۱)، وقال تعالى: «وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَهِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا »(۲).

وقد أصبح هذا الإنسان المصنوع من التراب بالتعلم مخاطباً ومناجياً رب الأرباب، وقد سكن الجنه ابتداءً ثم أهبط إلى هذه الأرض.

الفارق الكبير بين موقفين لآدم

الموقف الأول: «قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ»(۳).

الموقف الثانى: «وَلَكُمْ فِى الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ»(۴).

ولسنا بصدد تفسير أو بيان هذه الآيات، إنها بمثابه التمهيد لوصول آدم إلى

۱- البقره: ۳۱.

۲- البقره: ۳۴.

۳- البقره : ۳۳.

۴- البقره : ۳۶.

هذه الأرض، حيث ابتداء المسيره لغايه الإنسان الكبيره(۱).

وتشير الآيات إلى أن تلقى آدم ابتداء فى المرحله الأولى أى فى السماء كان من قبيل: «وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ »(۲)، أما بعد هبوطه إلى الأرض فتشير الآيات النمط جديد: «فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ »(۳).

ابتداء مسيره الحسين مع آدم عليهما السلام

وأول بكاء لآدم و جبرائيل على الحسين عليهم السلام .

عندما نحاول التعرف على بعض أسرار الحسين عليه السلام نجد أخبار هذه الأسرار منذ ابتداء الخلقه، وعندما نتجاوز عوالم الأنوار نقف عند ابتداء آدم عليه السلام على هذه الأرض.

روى صاحب الدر الثمين فى تفسير قوله تعالى : «فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ»(۴).

وقد وردت تفاسير عده حول هذه الآيات، ومن الأحاديث حول ذلك ما ورد حول آدم عليه السلام : أنه رأى ساق العرش وأسماء النبى والأئمه عليهم السلام فلقنه جبرئيل: قل: يا حميد بحق محمد يا عالى بحق على يا فاطر بحق فاطمه يا محسن بحق الحسن والحسين ومنك الإحسا، فلما ذكر الحسين سالت دموعه وانخشع

۱- يحسن مراجعه بحثنا: الإنسان من تراب، وهو بحث مستقل (مخطوط).

۲- البقره ۳۱.

۳- البقره ۳۷.

۴- البقره ۳۷، وهذه الكلمات هى أسماء : محمد وعلى وفاطمه والحسن والحسين عليهم الصلاه والسلام، راجع بحار الأنوار ج ۲۵ ص ۵ حديث ۷.

قلبه، وقال : يا أخى جبرئيل فى ذكر الخامس ينكسر قلبى وتسيل عبرتى .

قال : جبرئيل ولدك هذا يصاب بمصيبه تصغر عندها المصائب.

فقال: يا أخى وما هى؟

قال: يقتل عطشاناً غريباً وحيداً فريداً ليس له ناصر ولا معين ولو تراه يا آدم وهو يقول وا عطشاه وا قله ناصراه حتى يحول العطش بينه وبين السماء كالدخان فلم يجبه أحد إلا بالسيوف وشرب الحتوف فيذبح ذبح الشاه من قفاه وينهب رحله أعداؤه وتشهر رءوسهم هو وأنصاره فى البلدان ومعهم النسوان كذلك سبق فى علم الواحد المان فبكى آدم جبرئيل بكاء الثكلى(۱).

وقفه:

كنت أتصور أن سيره الحسين عليه السلام تبدأ من زمن ولادته وابتداء الرساله الإسلاميه على يد جده صلى الله عليه واله، وكلما كنت أحاول أن أتقدم خطوه إلى الأمام أجد أن سيره الحسين عليه السلام قد بدأت منذ بدء الخليقه فى عوالم الحجب والأنوار، ونجد أن الله سبحانه قد عرف الرسل والأنبياء عليهم السلام بما يجرى على الحسين عليه السلام فى واقعهكربلاء.

وقد بكى هؤلاء الأنبياء عليهم السلام الحسين عليه السلام قبل وقوع الحدث، بدءً من آدم عند هبوطه على الأرض، ومروراً بجميع الأنبياء عليهم الصلاه والسلام(۲).

وهذه المحاوله حول هذه السيره هى نقطه من بحر لا حدود لإدراكه، وما هى إلا إشارات لذوى الألباب من الأجيال القادمه التى لم تزل فى عوالم الغيب

۱- بحار الأنوار ج ۴ ص ۲۴۵.

۲- يحسن مراجعه الكتب والأحاديث القديمه ومنها الرجوع إلى بحار الأنوار ومصادره.

فی أصلاب الرجال وأرحام الأمهات، بل هی فی الخلایا فی أسرار الجینات، یخرجها الله من جیل إلی جیل، وهی متدرجه فی عوالم المغیبات تحمل أسراراً من الأمانات التی أودعها الله سبحانه فی ذرات التراب عندما خلق تعالی آدم من صلصال ونفخ فیه من روحه(۱).

الداء والدواء

الحسد هو الداء، وترک التفاضل هو الدواء!

عندما نحاول البحث فی أعماق الإنسان نجده قطب الرحی، ونجد أنه یتصف داخلیاً بالمتناقضات، ویمتلک الداء والدواء فی ذاته وأعماق حیاته، وعند البحث والتدقیق نجد الإنسان أرفع من الملائکه من جانب، وأنه یهوی من جانب آخر إلی الحضیض!

ویظهر أن ذلک مرتبط بذرات التراب، فأی جانب غلب فی الإنسان تحکم فی سیره ومسیره حیاته، ومن هنا کان الصراع فی الداخل، ونسبه التفاوت بین الخیر والشر داخل الإنسان لا حدود لها.

وعندما یتحکم الحسد تماماً تخمد شعله الخیر فی داخله.

ورد فی عیون أخبار الرضا باسناده إلی عبد السلام بن صالح الهروی: قال: قلت للرضا علیه السلام : یا بن رسول الله، أخبرنی عن الشجره التی أکل منها آدم وحواء ما کانت؟ فقد اختلف الناس فیها، فمنهم من یروی انها الحنطه، ومنهم من یروی أنها العنب، ومنهم من یروی أنها شجره الحسد.

۱- راجع بحثنا حول خلق الإنسان من تراب وفیه نوع من التفصیل والأدله القرآنیه .

فقال عليه السلام : كل ذلك حق.

قلت: فما معنى هذه الوجوه على اختلافها؟

فقال: يا أبا الصلت إن شجره الجنه تحمل أنواعاً فكانت شجره الحنطه وفيها عنب وليست كشجره الدنيا وإن آدم عليه السلام لما أكرمه الله تعالى ذكره بإسجاد ملائكته، وبإدخاله الجنه، قال فى نفسه: هل خلق الله بشراً أفضل منى ؟

فعلم الله عزوجل ما وقع فى نفسه فناداه: ارفع رأسك يا آدم وانظر إلى ساق العرش.

فرفع آدم رأسه فنظر إلى ساق العرش فوجد عليه مكتوباً: لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه واله، وعلى بن أبى طالب عليه السلام أمير المؤمنين وزوجته فاطمه سيده نساء العالمين والحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنه.

فقال آدم عليه السلام : يا رب من هؤلاء؟

فقال عزوجل: هؤلاء من ذريتك وهم خير منك ومن جميع خلقى ولو لاهم ما خلقتك ولا خلقت الجنه والنار ولا السماء والأرض، فإياك أن تنظر إليهم بعين الحسد فأخرجك عن جوارى.

فنظر إليهم بعين الحسد وتمنى منزلتهم.

فتسلط عليه الشيطان حتى أكل من الشجره التى نهى عنها وتسلط على حواء لنظرها إلى فاطمه عليهما السلام بعين الحسد حتى أكلت من الشجره كما أكل آدم عليه السلام .

فأخرجهما الله عز وجل عن جنته فاهبطهما عن جواره إلى الأرض(۱).

نقول: بغض النظر عن المعانی الکثیره، یکفی أن داء الحسد و خدع الشیطان یجریان فی الخلایا وفی مجاری الدم فی العروق.

فمن لم یتنبه ویحذر یقع بالحبائل والشباک، لذلک لا بد من الیقظه فی مسیره الحیاه، وتجنب التفاضل والتحاسد، والتعلق بقوه بولایه النبی صلی الله علیه واله وأهل بیته الأطهار علیهم السلام ، والإبحار فی سفینه الحسین علیه السلام وهی الأوسع والأسرع.

فإن آدم عندما أهبط إلی الأرض توسل إلی الله تعالی بهم، وهم الکلمات التی تلقاها فتاب علیه إنه هو التواب الرحیم (۲).

ومما توسل به آدم علیه السلام بعد هبوطه إلی الأرض وعلمه إیاه جبرائیل قوله:

۱- عیون أخبار الرضا ج ۱ ص ۲۷۴، ولا بد من توجیه الحدیث بما لا یتنافی مع عصمته علیه السلام، وفی ذلک وجوه ذکر بعضها المجلسی رحمه الله ومنها قوله: المراد بالحسد الغبطه التی لم تکن تنبغی له علیه السلام ، و یؤیده قوله علیه السلام : و تمنی منزلتهم (بحار الأنوار ج ۱۱ ص۱۶۵)، وقوله: لا یتوهم أن آدم ع صار بتمنی منزلتهم من الظالمین المدعین لمنزلتهم علی الحقیقه حتی یستحق بذلک ألیم النکال فإن فی عده من الظالمین فی هذا الخبر نوعا من التجوز (بحار الأنوار ج ۱۱ ص ۱۷۵)، وقوله: لعل المراد بنظر الحسد تمنی أحوالهم و الوصول إلی منازلهم و کان ذلک منهما ترک الأولی لأنه مع العلم بأن الله تعالی فضلهم علیهما کان ینبغی لهما أن یکونا فی مقام الرضا والتسلیم وأن لا یتمنیا درجاتهم صلوات الله علیهم (بحار الأنوار ج ۲۶ ص ۲۷۳)، أو أی وجه آخر ینسجم مع القول بعصمه الأنبیاء علیهم السلام لابتنائها علی أدله قطعیه.

۲- راجع الآیه ۳۷ من سوره البقره، وبحار الأنوار ج ۲۵ ص ۵ وما بعدها حدیث ۸ حول ابتداء خلقهم علیهم السلام ، وهو بحث مهم جداً.

سبحانك اللهم وبحمدك، وتبارك اسمك، وتعالى حمدك (جدك)(١)، لا إله إلا أنت، ظلمت نفسى، فاغفرلى، انه لا يغفر الذنوب إلا أنت..

اللهم بجاه محمد وآله الطيبين، بجاه محمد وعلى وفاطمه والحسن والحسين والطيبين من آلهم، لما تفضلت على بقبول توبتى وغفران زلتى واعادتى من كراماتك إلى مرتبتى(٢).

وعندما نبحث نجد توسلاً لجميع الأنبياء والرسل بأهل البيت عليهم السلام .

وليس الأمر مقصوراً على بكاء آدم ونوح عليك عليهما السلام الحسين عليه السلام .

وفى قصه السفينه التى نجا فيها نوح ومن معه الكثير، ومن ذلك أنه عندما تم صنعها وأنزلت المسامير لنوح وسمى له مسمار باسم الحسين عليه السلام فزهر وأنار وأظهر النداوه فقال نوح عليها السلام : يا جبرئيل ما هذه النداوه؟

فقال " هذا الدم، فذكر قصه الحسين عليه السلام وما تعمل الأمه به فلعن الله قاتله و ظالمه و خاذله (٣).

فإنا نجد أن سيره الحسين عليه السلام قد ذكرت فى كل العوالم، وعند كل الخلائق،وعند جميع الأنبياء، فكأنها روح للحياه تسرى فى الوجود؟

الوجود سر وغيب

عندما نحاول التعرف على مسيره أسرار الحسين عليه السلام نجد فى أعماق

١- من قوله تعالى:«وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا»[الجن : ٣] .

٢- تفسير كنز الدقائق ج ١ ص ٣٧۴.

٣- بحار الأنوار ج ٣٣ ص ٢٣٠، باختصار.

الوجود الظاهرى ما هو أبعـد من إدراكنا، حيث نجد أن أنوار محمد صـلى الله عليه واله وآله عليهم السـلام قد وجدت قبل إبداع الكائنات، ونجد أن الإنسان قد أخرج من كتمان العدم، وأنه من أسرار هذا الوجود.

ونتلمس المحسوسـات بعـد هبوط آدم عليه السـلام إلى هـذه الأـرض، ثم نـدرك ونؤمن بإرسـال الأنبياء والرسل عليهم السـلام وإظهار نبى بعد نبى، ورسول إثر رسول.

وتمتد مسيره حياه الإنسان على هذه الأرض، ويتصارع فى هذه المسيره بنو البشـر فى إظهار مسـيرين متعاكسـين، يصح تسـميتها بمسيره خيرٍ ومسيره شر، ولكل مسيره أهل وأفراد وأمم وجماعات.

وتشـتبه الأـمور مع تعاقب الأزمان والأجيال بين ما هو حق حقيقى وما هو عكس ذلك، وإذا أردنا أن نبحث بتجرد موضوعى من أول ابتداء الإنسان أى من آدم عليه السـلام لكل حلقات وسلسـله الأنبياء عليهم السـلام، نجد أن للإنسان محطات ومنعطفات فى ثنايا مسيره الحياه، ونجد لها نماذج على أرض الواقع، ومن أظهر وأبرز النماذج وجود الأنبياء والرسل عليهم السلام .

ونجد أن للحسـين عليه السـلام خصوصـيات عند الأنبياء والرسل عليهم السلام منذ ابتداء مسيره هؤلاء، وهذا يستدعى من العقلاء البحث والتنقيب فى كل أعماق الوجود عن سر هذه الخصوصيات التى لم نجدها بكل جوانبها عند أحد غيره عليه السلام.

من هنا يمكن القول أن إظهار مثل هـذه الأسـرار للحسـين عليه السـلام قبل حـدوث ما حـدث أمر لا بـد من التوقف عنـده بتـدبر وإدراك من العقلاء .

ونجد فى سـيره آدم عليه السـلام نماذج وعهود للحسـين عليه السلام ، وما يشبه ذلك عند نوح عليه السلام ، وكذلك عند خليل الرحمان النبى إبراهيم عليه السلام ، بل نجد عند حلقه

الأنبياء جميعاً مثل ذلك، مع تباعد الأزمان والدهور، واختلاف الأمم والشعوب، ونجد أن هذا الغيب وهذه الأسرار قد ظهرت فعلاً وواقعاً على أرض كربلاء

وهنا تعجز الأفهام وعقول الأنام عن إدراك حقيقه هذا السر الذى حصل ووقع فعلاً(١).

وقفه مع آيه الذبح العظيم

وردت آيات بينات حول أبى الأنبياء إبراهيم الخليل عليه السلام، ومنها آيه ذبح الكبش عن ولده إسماعيل عليهما السلام:(٢) «وَفَدَيناَهُ بِذِبحٍ عَظِيمٍ »(٣).

عن الفضل بن شاذان قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول: لما أمر الله تبارك وتعالى إبراهيم عليه السلام أن يذبح مكان ابنه إسماعيل الكبش الذى أنزله عليه تمنى إبراهيم عليه السلام أن يكون يذبح ابنه إسماعيل عليه السلام بيده وأنه لم يؤمر بذبح الكبش مكانه ليرجع إلى قلبه ما يرجع إلى قلب الوالد الذى يذبح أعز ولده بيده فيستحق بذلك أرفع درجات أهل الثواب على المصائب.

فأوحى الله عز وجل إليه: يا إبراهيم من أحب خلقى إليك؟

قال: يا رب ما خلقت خلقاً هو أحب إلى من حبيبك محمد صلى الله عليه واله.

فأوحى الله عزوجل إليه: يا إبراهيم أفهو أحب إليك أو نفسك؟

١- ملاحظه: لا أريد أن أعقب على الذين لم يعرفوا الحسين عليه السلام حتى الآن !

٢- راجع بحار الأنوار ج ۴۴ ص ١٢٥.

٣- الصافات : ١٠٧.

قال: بل هو أحب إلى من نفسى.

قال: فولده أحب إليك أو ولدك؟

قال: بل ولده.

قال: فذبح ولده ظلماً على أعدائه أوجع لقلبك أو ذبح ولدك بيدك فى طاعتى؟

قال : يا رب بل ذبحه على أيدى أعدائه أوجع لقلبى.

قال: يا إبراهيم فإن طائفه تزعم أنها من أمه محمد صلى الله عليه واله ستقتل الحسين عليه السلام ابنه من بعده ظلماً وعدواناً كما يذبح الكبش فيستوجبون بذلك سخطى.

فجزع إبراهيم عليه السلام لذلك وتوجع قلبه وأقبل يبكى(١)، فأوحى الله عزوجل إليه: يا إبراهيم قد فديت جزعك على ابنك إسماعيل لو ذبحته بيدك بجزعك على الحسين عليه السلام وقتله وأوجبت لك أرفع درجات أهل الثواب على المصائب.

فذلك قول الله عز وجل «و فَدَيناهُ بِذِبحٍ عَظِيمٍ»ولا حول ولا قوه إلا بالله(٢).

من خصوصيات الحسين: العبره

وهذه الخصوصيه ساريه من الزمن الأول إلى يوم القيامه، وأخذ العبره

١- من بكاه الأنبياء قبل حدوث المصاب، ألا ينبغى أن نبكيه بعد كربلاء ؟! ولكن ؟!

٢- عيون أخبار الرضا ج١ ص ١٨٧.

متفاوت عند أهل الإيمان، فكل يأخذ منها ما يكون له تأثير فى مسيره حياته، وهذا حاصل لا يحتاج إلى برهان، بل يكفى ما يحسه الشعور الذاتى والوجدان.

وعندما نحاول التنقيب فى أزمنه ما قبل حدوث عبره الواقع على أرض كربلاء نجد ذلك عند جميع الأنبياء عليهم السلام ، وقد تقدمت الإشاره إلى بكاء آدم عليه السلام ، وإلى ما حصل مع نوح عليه السلام ، وإلى ما تمناه خليل الرحمان حول ذبح ولده عليهما السلام، وهنا نشير إلى عبد الله زكريا عليه السلام من تأويل بعض الحروف القرآنيه.

عن سعد بن عبد الله حينما سأل القائم عليه السلام فقال: أخبرنى عن تأويل

«كهيعص» .

قال: هذه الحروف من أنباء الغيب أطلع الله عليها عبده زكريا ثم قصصا على محمد صلى الله عليه واله وذلك أن زكريا عليه السلام سأل ربه أن يعلمه الأسماء الخمسه فأهبط عليه جبرئيل فعلمه إياها فكان زكريا إذا ذكر محمداً وعلياً وفاطمه والحسن سرى عنه همه وانجلى كربه وإذا ذكر اسم الحسين عليه السلام خنقته العبره ووقعت عليه

البهره.

فقال ذات يوم: إلهى ما بالى إذا ذكرت أربعاً منهم تسليت بأسمائهم من همومى وإذا ذكرت الحسين تدمع عينى وتثور زفرتى؟

فانباء الله تبارك وتعالى عن قصته فقال «كهيعص»فالكاف اسم كربلاء، والهاء هلاك العتره، والياء يزيد وهو ظالم الحسين، والعين عطشه والصاد صبره .

فلما سمع بذلك زكريا عليه السلام لم يفارق مسجده ثلاثه أيام ومنع فيهن الناس من الدخول عليه وأقبل على البكاء والنحيب وكان يرثيه:

إلهى أتفجع خير جميع خلقك بولده؟

إلهى أتنزل بلوى هذه الرزيه بفنانيه؟

إلهى أتلبس علياً وفاطمه ثوب هذه المصيبه؟

إلهى تحل كربه هذه المصيبه بساحتهما.

ثم كان يقول:

إلهى ارزقنى ولداً تقر به عينى على الكبر فإذا رزقتنيه قافتنى بحبه ثم افجعنى به كما تفجع محمداً حبيبك بولده .

فرزقه الله يحيى وفجعه به وكان حمل يحيى سته أشهر وحمل الحسين كذلك(۱).

وقفه عاجز عند الخصوصيات

مما لا ـ شك فيه أن كل كائن من الكائنات يتفرد بخصوصيات معينه، وخصوصيات الكائنات الحيه هى أرفع الخصوصيات عموماً، ومن أبرزها ما فى الإنسان، وعندما نحاول البحث فيما يتعلق بالإنسان نجد الكثير من التفاضل بين فرد وآخر.

وفى هذا حكمه بالغه من الخالق سبحانه، فعندما نتدبر هذه الحقيقه من الحكمه فى تكوين وتخصيص الإنسان نجد أن العجز يلف إدراكنا، فيبقى علينا التسليم لما هو واقع فعلاً، وعندئذ نحاول البحث والتنقيب لمعرفه بعض الخصائص، ولهذه المعرفه آثار على مسيره حياتنا، بل هى مفتاح لسعاده وجودنا.

وفى محاوله بحثنا حول أسرار وخصوصيات الحسين عليه السلام نجد أنفسنا أننا

۱- الاحتجاج ج ۲ ص ۴۶۳ - ۴۶۴.

أمام مسافه بعيده عن الوصول لحقائق تلك الأسرار وضياء الخصوصيات من تلك الأنوار.

نظره خاصه

لقـد ألفت أذهاننـا بـل وعقولنا الخوض فى حروف الألفاظ، مع العلم أنهاإشارات وقوالب للمعانى، ولا يقاس اللفظ بالمعنى وإن كان دالاً عليه.

وعنـدما نقرأ سـيره الإنسان من ابتـداء تكوينه وهبوطه إلى هـذه الأرض التى تعـد من الكواكب الصـغيره نسبياً، فما هى إلا مقدار ضوء صـغير لمـا هو موجود من كواكب و كائنـات، والإنسان بالنسـبه لها من حيث الحجم كنقطه صـغيره لا تراها العين المجرده، ومع ذلك نجد أن للإنسان خصوصيات ظاهره نعجز عن الإحاطه بها، فكيف بها وراء الظواهر (١)؟

وعنـدما بدأ الإنسان مسـيره حياته على هذه الأرض الممزوجه كان ذلك فى فردين بالعدد، أى زوج من حيث اللفظ وهو مؤلف من آدم وحواء، لكن تكمن فى ذرات وخلايـا وجينـات هـذه الزوجيه ما لا حصـر له من الأسراروالخصوصـيات الظاهره والباطنه، والنماذج الكونيه.

الغايه

خص الله الإنسـان الـذى عجنت طينته من كـل نمـاذج الكائنـات بصـنعه مميزه، وحمـل مـا لا تحمله السـماوات والأرضون، وأمر بتكاليف تعود بالنفع عليه، وكلما تعاقبت الأزمان يجنح هذا الإنسان إلى عكس ما خلق له، ويتنكب عما أمر به .

١- وليس على الله بمنكر* أن يجمع العالم فى واحد.

فأرسلت العنايه الإلهيه الأنبياء والرسل مبشرين ومنذرين لإصلاحه، حتى ختمت النبوات بسيد الكائنات صلى الله عليه واله وآله عليهم السلام ، ومع ذلك كله فقد بقى الإنحراف والجاهليه معشعشاً فى زوايا القلوب المظلمه، والنفوس المنحرفه، حتى انتهى المطاف إلى الطرف الأخير من أنوار الألطاف من أهل الكساء، وإذ بالجاهليه الجهلاء تحكم قبضتها لإطفاء هذا النور الممتد منذ ابتداء المخلوقات مروراً بالحجب والسماوات إلى ظهوره على هذه الأرض، التى تئن من المعاصى والانحرافات على ظهرها من الجهل والجهلاء!

وقفه عند لمعه الضياء

عندما نقرأ مسيره التاريخ بكل ما فيه وبكل بتفاصله على هذه الأرض، نجد بالدليل والوجدان أنه لم تبق رساله لتأتى من السماء لأهل الأرض، ولم يبق مجال لإرسال نبى أو رسول، فقد اكتملت الرسالات وختمت، وبقيت الجاهليه تسعى جاهده فى إطفاء النور.

من هنا يمكننا_ولو بالألفاظ _التعبير أن أنوار الرسالات التى اندكت تحت ضيائها أسرار الكائنات لم تظهر جليه لكل المخلوقات من الجانب الفعلى، وهذا ما ينبغى ويستدعى أن نطرق باب الأسرار التى تجمعت عند الحسين عليه السلام بكل معانيها وأبعادها، حيث لم يبق حامل لها سواه.

ومهما أردنا أن نفلسف الأمور والأحداث، أو نتخيل من هنا أو هناك، أو نقيس كل هذه المسيرات على مقياس إدراكنا، فلا شك أن العجز يبقى لدينا سواء فى الجانب المادى المحسوس، أو المعنوى الأبعد من الملموس.

ويبقى الحسين عليه السلام وحيد البشريه حاملاً لذلك الإرث الكبير والسر

الخفى.

ولا بـد لنا إذا أردنا التعرف على الأولين وعلى ما يجرى على الآخرين من التعلق بحبل من أنوار سـفينه الحسـين عليه السـلام التى تمخر عباب أمواج بحور الحياه ،وإلا فالغرق حاصل لكل أبناء نوح الذين يلجؤون إلى تله هنا أو جبل هناك ليعصـمهم، حيث لا عاصم بعد اليوم إلا من تعلق أو ركب فى سفينه النجاه، حيث لا سفينه غيرها ولا نجاه لأحد دونها.

وهنـاك إشـاره مهمه: أن ذلك حيث لا أرض تبلع الماء ولا وقوف لهطل الماء من السـماء، لأن البراهين واضـحه، وليس هناك آدم جديد ولا نوح يدعو:«رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا»(۱).

بل رحمه غمرت كل شىء: ربى اغفر لقومى فإنهم لا يعلمون(۲).

فربان سـفينه الرحمه هو الحسـين عليه السـلام، ولم يجـد الزمان بحسـين آخر، وإن كان كل حزب فى هـذه الأزمنه يختار حسـيناً خاصاً به !!

فحسـين الرحمه هـو أعرف بركـاب سـفينته الـتى تنتظر ربانهـا المنتظر عجـل الله فرجه، ليوم تشـيب فيه الأطفـال، ويوم النـداء من السماء:«أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ »(۳).

۱- نوح: ۲۶.

۲- إشاره إلى دعاء النبى صلى الله عليه واهل راجع إقبال الأعمال ج ۱ ص ۳۸۴.

۳- النحل: ۱.

وقفه عند الابتداء

لقـد اعتاد الكتاب أن يكتبوا شـيئاً من التاريـخ بعـد الإنتهاء، وهنا أحاول رسم بعض الكلمات من الابتداء، وهذا نمط لم تجر عليه أقلام الباحثين.

روى الصدوق رحمه الله فى كتاب المعراج عن رجاله إلى ابن عباس، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه واله وهو يخاطب عليا عليه السـلام ويقول: يا على إن الله تبارك وتعالى كان ولا شىء معه فخلقنى وخلقك روحين من نور جلاله فكنا أمام عرش رب العالمين نسبح الله ونقدسه ونحمده ونهلله وذلك قبل أن يخلق السماوات والأرضين.

فلما أراد أن يخلق آدم خلقنى وإياك من طينه واحده من طينه عليين وعجتنا بذلك النورو غمسنا فى جميع الأنوار وأنهار الجنه.

ثم خلق آدم واستودع صلبه تلك الطينه والنور فلما خلقه استخرج ذريه من ظهره فاستنطقهم وقررهم بالربوبيه.

فأول خلق إقراراً بالربوبيه أنا وأنت والنبيون على قدر منازلهم قربهم من الله عز وجل.

فقال الله تبارك وتعالى : صدقتما وأقررتما يا محمد ويا على ، وسـبقتما خلقى إلى طاعتى وكذلك كنتما فى سابق علمى فيكما، فانتما صفوتى من خلقى والأئمه من ذريتكما شيعتكما،وكذلك خلقتكم.

ثم قـال البى صـلى الله عليه واله: يا على فكانت الطينه فى صـلب آدم ونورى ونوك بن عينيه فما زال ذلك النور ينتقل بين أعين النبيين والمنتجبين حتى وصل النور والطينه إلى صلب عبد المطلب افترق نصفين فخلقنى الله من نصفه و اتخذنى نبياً

ورسولاً ـ وخلقـك من النصف الآـخر فاتخـذك خليفةً ووصـياً ووليـاً فلما كنت من عظمه ربى كقاب قوسـين أو أذنى قال لى: يا محمد من أطوع خلقى لك؟

فقلت : على بن أبى طالب عليه السلام .

فقال عزوجل: فاتخذه خليفه ووصياً فقد اتخذته صفياً ووليا.

يـا محمـد كتب اسـمك واسـمه على عرشـى من قبـل أن أخلق الخلق محبه منى لكمـا ولمن أحبكبـا وتو لاكمـا وأطاعكما فمن أحبكما وأطاعكما وتو لاكما عندى ومن المقربين، ومن جحد ولايتكما وعدل عنكما كان عندى من الكافرين الضالين.

ثم قال النبى صـلى الله عليه واله : يا على فمن ذا يلج بينى وبينك وأنا وأنت من نور واحد وطينه واحده، فأنت أحق الناس بى فى الدنيا والآخره، وؤلدك ؤلدى وشيعتكم شيعتى وأولياؤكم أوليائى وأنتم معى غداً فى الجنه (۱).

قد يتوهم أحد من البشـر فيشـكك فى مثل هذه الأحاديث السابقه لعماره الإنسان للأرض، ولكن يمكن القول كإشاره لطيفه من المسـلمات: أن الجميع يقر ويعـترف بهبـوط آدم عليـه السـلام على هـذه الأـرض، وأن الله قـد علم آدم عليه السـلام وأنزل عليه المملك جبرائيل عليه السلام، وهو الرسول إلى الأنبياء جميعاً، وهو الذى يحمل العلم لهم من الله سبحانه، ويبلغهم ما يشاء الله من الرسالات السماويه، والأخبار الغيبيه على مر العصور والدهور.

ونؤمن أن خاتم الأنبياء هو محمد بن عبد الله صلى الله عليه واله، ونقطع أنه أسرى به إلى السماء:«فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى»(۲).

۱- بحار الأنوار ج ۲۵ ص ۳.

۲- النجم: ۱۰.

نقطع بكل ذلك ونؤمن به، وأن النبى محمد صلى الله عليه واله هو أفضل وأعلم وأحب الخلق والأنبياء عند الله تعالى، ونؤمن أنه لا ينطق عن الهوى، وهو الذى أخبرنا عن السماء وما فيها، فلا غرو أن تكون النبوه مصدر أخبار عوالم الأنوار على تنوع ألفاظها، وكثير منها يسمى بالأخبار القدسيه.

ومن المعلوم أن عوالم الملكوت فوق تقدير عقولنا، وعوالم الأنوار والحجب هى ما قبل عوالم الملك والملكوت.

لذلك نؤمن بكل ما جاء وثبت بالدليل والبرهان عن أهل بيت العصمه عليهم السلام، ونشير هنا إلى حديث جامع عن أبى جعفر عليه السلام : إن الله تعالى خلق أربعه عشر نوراً من نور عظمته قبل خلق آدم بأربعه عشر ألف عام فهى أرواحنا.

فقيل له: يا ابن ولى الله عدهم بأسمائهم فمن هؤلاء الأربعه عشر نوراً؟

فقال : محمد وعلى وفاطمه والحسن والحسين وتسعه من ولد الحسين وتاسعهم قائمهم ثم عدهم بأسمائهم ثم قال:

نحن والله الأوصياء الخلفاء من بعد رسول الله صلى الله عليه واله .

ونحن المثانى التى أعطاها الله نبينا.

ونحن شجره النبوه و منبت الرحمه ومعدن الحكمه ومصابيح العلم وموضع الرساله ومختلف الملائكه وموضع سر الله ووديعه الله جل اسمه فى عباده وحرم الله الأكبر وعهده المسئول عنه، فمن وفى بعهدنا فقد وفى بعهدالله ومن

خفره فقد ذمه الله وعهده، عرفنا من عرفنا وجهلنا من جهلنا.

نحن الأسماء الحسنى التى لا يقبل الله من العباد عملاً إلا بمعرفتنا.

ونحن والله الكلمات التى تلقاها آدم من ربه فتاب عليه.

إن الله تعالى خلقنا فأحسن خلقنا وصورنا فاحسن صورنا وجعلنا عينه على عباده ولسانه الناطق فى خلقه ويده المبسوطه عليهم بالرأفه والرحمه ووجهه الذى يؤتى منه وبابه الذى يدل عليه و خزان علمه وتراجمه وحيه وأعلام دينه والعروه الوثقى والدليل الواضح لمن اهتدى.

وبنا أثمرت الأشجار وأينعت الثمار وجرت الأنهار ونزل الغيث من السماء ونبت عشب الأرض.

وبعبادتنا عبد الله ولؤلانا ما عرف الله وايم الله لو لا وصيه سبقت وعهد أخذ علينا لقت قولاً يعجب منه أول يذهل منه الأولوين والآخرون(۱).

وقفه عند باب المحسوسات

عندما نحاول التعرف فى هذه الدنيا على شىء من الأشياء المحسوسه نجد أن لكل شىء ظاهراً وباطناً، وقشراً ولباباً، ونفعاً وضراً، مهما يكن ذلك الشىء حتى الحيوان، وهذا المعنى لا يخفى على إنسان.

فلكل شىء صفوه، ولكل شىء مظهر ومضمر، سواء الأشياء المحسوسه بالحواس الظاهره أو الأمور المعنويه، وهذا من البديهيات.

وعندما نحاول التعبير عن إظهار شىء من الأمور نستخدم لفظ النور، فنقول: أوضح من نور الشمس، أو نور القمر، أو ضوء النهار، وأمثال ذلك من التعابير والألفاظ.

۱- بحار الأنوار ج ۲۵ ص ۴ عن المتحضر للحلى ص۲۲۸.

وعندما نريد المدح نتغنى - تشبيهاً- بالشمس والقمر والدر والجوهر وما شابه من الألفاظ التى تدل على المعانى الرفيعه، فما نقرأه من الأحاديث وإشارات الآيات ما هو إلا رموز للمعانى والحقائق التى أوجدها الخالق سبحانه، من هنا يمكن لإدراكنا وعقولنا فهم المعانى السابقه لهذا الكون وإيجاده.

حديث قبل الخلق

يقر جميع العقلاء أن هذا الكون لم يكن موجوداً ثم أوجده الخالق سبحانه،وهو الذى كون الأكوان، ولا ينكر أحد ذلك حتى لو كان ملحداً(١).

ويقرون بخلق آدم وحواء عليهما السلام قبل هبوطها إلى هذه الأرض.

ومن كتاب الال لابن خالويه رفعه إلى أبى محمد العسكرى عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه واله : لما خلق الله آدم وحواء عليهما السلام تبخترا فى الجنه فقال آدم لحواء: ما خلق الله خلقاً هو أحسن منا.

فأوحى الله عز وجل إلى جبرئيل أن ائتنى بعبدتى التى فى جنه الفردوس الأعلى فلما دخلا الفردوس نظرا إلى جاريه على درنوك(٢) من درانيك الجنه على

١- ولو فى قراره نفسه، وقد ورد فى الحديث حول الجحود عن معرفه قوله عليه السلام : يجحد الجاحد وهو يعلم أنه حق قد استقر عنده، وقد قال الله تر عزو جل «وجدوا بها واستقنتها أنفسهم»(الكافى ج ٢ ص ٣٨٩)، ورغم أن هناك أقساماً تقابل الجحود عن معرفه إلا أنها لا تفيد علماً عند أصحابها وقد قال عنها عليه السلام: وهو قول من يقول لا رب ولا جنه ولا نار.. وهو دين وضعوه لأنفسهم بالاستحسان على غير تثبت منهم ولا تحقيق لشىء مما يقولون، قال الله عزوجل «إن هم إلا يظون»(الكافى ج ٢ ص ٣٨٩).

٢- نوع من البسط.

رأسها تاج من نور وفى أذنيها قرطان من نور قد أشرقت الجنان من حسن وجهها.

قال آدم: حبيبى جبرئيل من هذه الجاريه التى قد أشرقت الجنان من حسن وجهها؟

فقال: هذه فاطمه بن محمد صلى الله عليه واله نبى من ولدك يكون فى آخر الزمان.

قال: فما هذا التاج الذى على رأسها؟

قال: بعلها على بن أبى طالب.

قال: فما القرطان اللذان فى أذنيها؟

قال : ولداها الحسن والحسين.

قال: حبيبى جبرئيل أخلقوا قبلى؟

قال: هم موجودون فى غامض علم الله عزوجل قبل أن تخلق بأربعه آلاف سنه(١).

وأكرر أنها وقفه عاجز.. فلو أخذنا من هذه الأحاديث الشريفه هذه العباره فقط، لأدركنا ميادين العجز عندنا وفى إدراكاتنا، وهى قوله: هم موجودون فى غامض علم الله عز وجل.

فهذا الوجود سابق لكل هذه المخلوقات، وعليه: هل لأى إنسان القدره على بيان كيفيه ومعانى وأبعاد وجودهم عليهم السلام ؟!

أليس قصور عقولنا عن تلك العوالم هو الذى جعلنا نقيس هؤلاء الأبراربغيرهم؟!

١- بحار الأنوار ج ٢٥ ص ٥، المحتضر للحلى ص ٢٣٢.

ومن هنا وقعنا بعدم التسليم لهم عليهم السلام ، وخاصه زين السماوات والأرض، الحسين عليه السلام ، الذى جاء هذا التعبير فيه على لسان الرسول الأعظم صلى الله عليه واله ، عندما دخل عليه الحسين عليه السلام وهو فى أول نشأته فى هذه الدنيا كما تقدم فى الحديث مع أبى(۱)، فقال صلى الله عليه واله : مرحباً بك يا أبا عبد الله يا زين السماوات والأرضين.

قال له أبى: وكيف يكون يا رسول الله صلى الله عليه واله زين السماوات والأرضين أحد غيرك؟

قال: يا أبى، والذى بعثنى بالحق نبياً إن الحسين بن على فى السماء أكبر منه فى الأرض، وإنه لمكتوب عن يمين عرش الله عز وجل مصباح هدى وسفينه نجاه(۲)...

وقفه تأمل

هل يصح أن نقول أنا عرفنا القرآن وما فيه إن قرأنا آيه أو آيات منه؟

وكما أنه لا يجوز أن نحكم على ما فى القرآن من آيه، كذلك عيناً لا يصح أن نتعرف على أسرار الكائنات من روايه، فلا بد من الإحاطه والتدبر بكثير مما ورد ووصل إلينا حتى لا نصبح مصداقاً للحديث المشهور: قطع ظهرى اثنان، عالم متهتك و جاهل متنسك(۳).

۱- راجعه مفصلاً فى بدايه الكتاب تحت عنوان (فى كل كائن سر من الأسرار)، وهو مروى عن عيون أخبار الرضا عليه السلام ج۱ ص ۵۹.

۲- عيون أخبار الرضا عليه السلام ج ۱ ص ۵۹.

۳- عوالى اللئالى ج۴ ص ۷۷، وعنه بحار الأنوار ج ۱ ص ۲۰۸، والحديث عن الإمام الصادق عليه السلام .

فلا بـد من التعبـد بعلم ناضـج، وإحاطه العلم من المهد إلى اللحد، لنصل إلى مصداق الآيه الشـريفه:«يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ»(۱).

والعلم الذى يرفع صاحبه مخزون عند الحسين عليه السلام ، فهو سر الهدايه ومنه وإليه النهايه، بمعنى أنه هو المجمع كما أسلفنا، وهو زين السـماوات والأرضـين كما عرفنا، ومن هنا تلمع معانى الحـديث الشـريف: وأنا من حسـين، وندرك معانى الحديث: يا سلمان، خلقنى الله من صفاء نوره.. فسمانا الله بخمسه أسماء من أسمائه .. محمد.. على.. فاطمه الحسن.. الحسين(۲)..

أنواع الخلق

بعد البحث والتدقيق نجد أن كيفيه الخلق على أكثر من نوع، فهناك خلق ظاهر محسوس، وهناك خلق باطن غير محسوس، وإن كان مدركاً بالإدراك العقلى، ولكل نوع من المخلوقات كيفيه خاصه تميزه عن غيره.

فعنـدما ننظر إلى خلق الإنسـان المحسوس نجـد أن ابتـداء خلق الله له كـان من تراب، ونجـد بعـد ذلك أن الله خلقه من نطفه فى أبوين، ونجد نوعاً آخر خلقه الله من طرف واحد كخلق النبى عيسى عليه السلام .

وعندما نحاول البحث أكثر نجد نوعاً من الخلق أبعد من المحسوس

۱- المجادله: ۱۱.

۲- الحديث مفصل فى العديد من المصادر منها المحتضر ص ۲۶۷، وبحار الأنوار ج ۲۵ ص۶، وهو حديث طويل.

والمعلوم سواء التراب أو النطفه(۱)، وهذا النوع من الخلق يسمى بعوالم الأنوار السابقه لجميع هذه المخلوقات التى نراها ونشاهدها فى هذه الدنيا، وسابق الوجود الكائنات المحسوسه، وهذا ما يصعب على الكثير إدراكه.

ولو تأملنا بنوع من الصفاء لعرفنا أن الله لا يعجزه شيء، لا قبل ولا بعد،فكل نوعيه وكيفيه تحت قدرته سبحانه.

يقول الإمام الصادق عليه السلام : إن الله خلقنا من نور عظمته صور خلقنا من طينه محزونه مكونه من تحت العرش فأسكن ذلك النور فيه.

فكنا نحن خلقا وبشراً نورانيين لم يجعل لأحد فى مثل الذى خلقنا منه تصيباً .

وخلق أرواح شيعتنا من طينتنا وأبدانهم من طينه مخزونه مكنونه أسفل من ذلك الطينه و يجعل الله لأحد فى مثل الذى خلقهم منه نصيباً إلا للأنبياء، ولذلك صرنا نحن وهم الناس، وصار سائر الناس همجا للنار وإلى النار(۲).

وقفه عند أسرار تكوين الإنسان

الإنسان مكون من تراب ونفس وروح: فمن التراب تتولد الخلايا الماديه المحسوسه، وللنفس التصرف بكل ما يتعلق بالإنسان، وتسرى الحياه من الروح بكل معانيها وأبعادها، وهذه الثلاثه مجتمعه هى المكونات لحقيقه الإنسان.

۱- راجع كتابنا حول خلق الإنسان من تراب، ففيه تفاصيل ودليل، لمن ليس عقله عليل!

۲- الكافى ج ۱ ص ۳۸۹، بصائر الدرجات ص ۴۰، وعنه بحار الأنوار ج ۲۵ ص ۱۳ وغيرها من المصادر.

ولا يزال يبحث الإنسان منذ أن أهبط على هذه الأرض عن أسرار ذاته، فبعد أن اهتدى إلى أنه مخلوق بدأ ينظر تاره لتكوين ذاته، وتاره ينظر ويتأمل فى بقيه المخلوقات، وقد انشغل واهتم بأكثر ما لديه من مواهب بظواهر كيانه، ووجد أن نفسه مفتقره لكثير من الأمور كتحقيق مشتهياته وشهواته ومظهر تكوينه.

وقد سخر معظم مواهبه للماديات والمحسوسات، ومن هنا وجد نفسه شبه حائرعن معرفه تفتح له أبواب ما هو سابق عليه وما هو سائر إليه.

وعندما يغفل الإنسان عن نفسه واقعاً يقع فى ظلام دامس قد لا يهتدى معه إلى أين يذهب وإلى أى جهه يسير، وهذا كله ناتج عن اللهو واللعب، ووقوفه عند ظواهر المحسوسات فقط، مع العلم أنه مكون من تراب محسوس، وجوهر غير ملموس.

ولا بد من إدراك ومعرفه كلا القسمين ليتمكن من معرفه الابتداء الأساسى ومعرفه اللانهائى، لأنه ليس له انتهاء(١) فى هذا الكون بعد إظهاره إلى عالم الوجود، ومن هنا ندرك معانى البقاء والخلود، وما يتبع ذلك من آثار لها تعابير عديده: كالسعاده والشقاء والسرور والبقاء.

وعندما نقرأ بعض ما أنتجه العقل البشرى عموماً نجد محاولات للتعبيرعن ذات الإنسان وعن صفاته، ونجد تفاوتاً بين عالم وآخر، وبين فيلسوف ومنكرعليه، وبين هذا أو ذاك، ولكن تبقى الحقائق غير واضحه حتى عند مثل

١- بل للإنسان مراحل و محطات عديده.

هؤلاء(١)، مع التقدير والاحترام، حيث يبقى السؤال دون جواب !!

وقفه متكرره عند باب السماء

ضمن محاولتى معرفه الأسرار حاولت أن أطرق باباً من أبواب السماء، ومثل هذا الباب بيد الأنبياء عليهم السلام ، ومن هنا أحاول أخذ الجواب إن كان لدى القدره على السمع، لأن أسماعنا بنى البشر قد لا تتحمل قرع مثل هذا الباب، لأنه لا بد للقارع بعد ولوج الباب من استماع الجواب، والحقائق تعرف بنتائجها، والشجر يعرف بثماره، وقد عرف الإنسان عموماً العلم والحقائق من الأنبياء الذين جاءتهم الأنباء من عوالم السماء.

لنقرأ أولاً هذا الحديث عن أبى عبد الله عليه السلام : إن الله خلقنا من عليين وخلق أرواحنا من فوق ذلك وخلق أرواح شيعتنا من عليين وخلق أجسادهم من دون ذلك فمن أجل ذلك القرابه بيننا وبينهم وقلوبهم نحن إلينا(٢).

إشارات حول ابتداء الخلق

لم تزل عقول البشر عاجزه عن إدراك كيفيه ابتداء خلق الإنسان، وهو نقطه الارتكاز بين جميع المخلوقات، ولا تمتلك العقول البشريه أدله ههنا إلا ما جاء على لسان الأنبياء من إخبار السماء.

وهذه النقطه بالذات وهى الابتداء لم تبحث فى ميادين الأبحاث إلاـ قليلاًـ فلم يزل ابتداء خلق الإنسان لغزاً وسراً من أسرار الوجود، مع العلم أن الإنسان

١- ولا أقصد هنا جيلاً أو زمناً بعينه، بل إشاره لإنتاج العقول دون تحديد.

٢- الكافى ج ١ ص ٣٨٩، بصائر الدرجات ص ٤٠ وعنه بحار الأنوار ج ٢٥ ص١٣.

من أرقى وأوضح واضحات المخلوقات.

لذلك نحاول ولو من باب التطفل أن نرسم بعضاً من الإشارات المأخوذه من أنباء السماوات.

وعندما نقرأ حديثاً هنا أو هناك نجد أن التعابير كانت تاره بلفظ النور وتارهبلفظ الطين أو التراب وأوصافه، وما شابه ذلك من الرموز، وهى التى نجهل الكثير من معانيها وأبعادها.

مع العلم أن تكوين الإنسان الموجود المؤلف من خلايا كثيره ومتفرعاتها أصبح اليوم تحت آله المجهر، فيكتشف الكثير من الموروثات التى كانت مخفيه حتى من نقطه الدم والجينات التى فيه.

ورغم التقدم العلمى والأبحاث الدقيقه فى المختبرات، يقول الباحثون والعلماء المتخصصون أنه لم يعرف عن أسرار وخلايا وعوارض ودوره الجسم بكل ما فيه إلا النزراليسير، وهناك ما هو أبعد من ذلك مما لم يكتشفه العلم و المختبرات.

وقد أصبح لكل عضو وخليه فى الإنسان ألوف مؤلفه من ذوى الاختصاصات فى عالم الطب وفروعه الكثيره، وفى كل حقل يتعلق بالتشريح والمداواه وأدوار كل خليه من خلايا أعضاء هذا الإنسان.

من هنا لا بد من طرق الباب، وهو: هل تؤثر خصائص الطينه وذرات التراب فى الإنسان؟ أم أنه يتأثر بالعوامل الطبيعيه فى هذه الدنيا؟ وهل هناك دور للعلم والتعلم؟ وهل الانعكاسات راجعه لحالاته النفسيه؟

لم نحصل على أجوبه ثابته لكل هذه التساؤلات، فقد يكون لكل هذه

الأمور تأثيرات معينه على سلوك و صفات و آثار الإنسان.

حديث جامع

كثيراً ما يتحدث علماء التشريع وعلماء الطب عموماً عن الوراثه، سواء فيما يتعلق بالصفات أو بالأمراض الصعبه، وهنا يمكن لنا طرح سؤال: هل تعود الوراثه إلى التكوين الابتدائى للإنسان؟

لذلك نورد هذا الحديث، وإن كان الجواب باقياً فى عوالم الغيب.

عن أبى حمزه الثمالى قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: إن الله خلقنا من أعلى عليين، وخلق قلوب شيعتنا مما خلقنا، وخلق أبدانهم من دون ذلك.

فقلوبهم تهوى إلينا لأنها خلقت مما خلقنا ثم تلا هذه الآيه«كلاإن كتاب الأبرار لفى عليين * وما أدراك ما عليون * كتاب مرقوم * يشهده المقربون ».

و خلق عدونا من سجين، وخلق قلوب شيعتهم مما خلقهم منه وأبدانهم من دون ذلك، فقلوبهم تهوى إليهم لأنها خلقت مما خلقوا منه، ثم تلا هذه الآيه «كلا إن كتاب الفجار لفى سجين * وما أدراك ما سجين* كتاب مرقوم»(۱).

إن تكوين خلق الإنسان ابتداء سر من الأسرار، ويرمز هذا السر إلى ما يحمله الإنسان، وعندما يتدبر العقل البشرى فى حقيقه هذا الإنسان من كل جوانبه يدرك الرموز الخفيه فى تكوين الإنسان ظاهراً وباطناً.

وهذه الجوانب لم تبق خافيه بعد اكتشاف العلم كثيراً من أسرار ما يحمله الإنسان فى أصل تكوينه.

۱- الكافى ج ۱ ص ۳۹۰، بحار الأنوار ج ۲۵ ص ۱۰.

إن العقل البشرى قد تقدم خطوات مهمه فى أبحاثه العلميه، وقد بحث فى كثير من المحسوسات وغيرها، وقد أفلح فى كثير مما تحت المجهر من المحسوسات، ولم يزل العقل البشرى يبتكر الوسائل العلميه أملاً فى اكتشاف الحقائق الثابته فى كيان وتكوين هذا الإنسان، حتى أنه اكتشف فى خلايا الإنسان نماذج لمعظم مناجم الأرض، ولم يزل يحلل الخريطه ومن ذلك الجينات والخلايا وقانون الوراثه وما شابه من مصطلحات، ويسعى لتحديد كل خليه ودورها فى مسيره حياه الإنسان وعافيته(١).

الأنوار الأربعه عشر

لقد تكرر هذا الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام:

ان الله تبارك وتعالى خلق أربعه عشرنوراً قبل خلق الخلق بأربعه عشر ألف عام فهى أرواحنا(٢).

فقيل له: يا ابن رسول الله ومن الأتربعه عشر ؟

فقال: محمد و على و فاطمه والحسن والحسين والأئمه من ولد الحسين آخرهم القائم الذى يقوم بعد غيبته فيقتل الدجال ويطهر الأرض من كل جور وظلم(٣).

وقد ورد هذا الحديث بألفاظ وتعابير متنوعه، ونأخذ منه خيطاً من أنوار

١- لسنا بصدد البيان حول هذه الجوانب، إنما إشارات الأسرار التكوين.

٢- لهذه الأحاديث معان دقيقه جداً تدرك ببصائر صافيه ..

٣- بحار الأنوار ج ١٥ ص٢٣.

الحسين عليه السلام ، فعندما نقرأ ما ورد حول الإمام الحسين عليه السلام نجد كل أطراف الحياه من الابتداء والانتهاء والوسط، ونتلمس من أسراره، حيث نجد عند قراءه أحاديث خلق النور أنه من أوضح الأنوار(١).

وعندما نقرأ ما قاله صلى الله عليه واله للحسين عليه السلام: يا زين السماوات والأرضين، وعندمانقرأ فى مراحل حياته فى الدنيا – وهى الوسطى – نجد ما لا يخفى من ميزاته عليه السلام فقد حوى مسيره كل الأنبياء والأوصياء عليهم السلام ، وهذه الجوانب تعجز الأفهام والأنام عن حصرها، وعندئذ ندرك ومضات ولمعات وبصيص أنوار

حول تلك الأسرار التى لا يعلم مقدارها وعظمتها إلا الخالق جل وعلا.

وقد أودع الله سبحانه كل الأسرار عند سيد الكائنات ووصى الأوصياء، فكانت مفاتيحها عند سيده النساء الزهراء عليها السلام، فكيف بنا إذا قرأنا ما هو آت حول صلاح البشريه فى آخر الزمان تحت شعار: يا لثارات الحسين.

فكيف يكون تحقيق عدل الله على الأرض ورفع الظلم تحت رايه الحسين عليه السلام ؟

من هذه الإشارات يمكننا أن نلتمس بعضاً من الأسرار، ومن يفتح بصيرته جيداً يدرك من سيره الحسين عليه السلام الظاهره أن كل حركه من حركاته مليئه بالأسرار لذوى الألباب، فكيف لمن يفتح له مصرع من الباب؟

الحسين هو الوديعه

نؤمن أن الله تعالى قد أودع فى تكوين الإنسان ما هو كائن أو يكون، وذلك

١- إشاره إلى أنه من نور الله تعالى، راجع بحار الأنوار ج ٢۵ ص١٧.

من خلال ما نتلمس فی حقیقه الإنسان من أسرار الوجود الکائن فی واقع الإنسان وما هو ظاهر فی تکوینه.

وسوف یکتشف الإنسان الکثیر من تلک الأسرار فی مسیره وجوده مع مرور الزمن، وتقدم العلوم الإنسانیه، وعندما یهذب النفس ویغذی العقل ویصون الروح.

فیمکن القول أن الحیاه لم تستکمل دورتها علی هذه الأرض بعد(۱).

لنقرأ هذا الحدیث بتأمل: قال أبو جعفر محمد بن علی الباقر علیهما السلام : یا جابرکان الله ولا شیء غیره لا معلوم ولا مجهول فأول ما ابتدأ من خلقه أن خلق محمداً صلی الله علیه واله و خلقنا أهل البیت معه من نور عظمته، فأوقفنا أظله خضراء بین یدیه حیث لا سماء ولا أرض ولا مکان ولا لیل ولا نهار ولا شمس ولا قمر یفصل نورنا من نور ربنا کشعاع الشمس من الشمس نسبح الله تعالی ونقدسه و نحمده ونعبده حق عبادته(۲).

وقفه

ماذا یکتب الباحثون؟ وأی مقدار یعرف العالمون؟

لقد کان ابتداء المخلوقات بعد خلق أهل بیت العصمه علیهم السلام ، وهدایه الخلق موکوله إلیهم، وسعاده الخلائق معهم، لذلک قصرت عقول المقصرین عن معرفتهم، وعجزت أفهام الکثیر عن مدارک شأنهم، ووقفت أذهان أسماع

۱- لهذا البحث موضوع مستقل

۲- بحار الأنوار ج ۲۵ ص۱۷ حدیث ۳۱، وهذا جزء من الحدیث وهو طویل ومهم جداً.

المضلين عن أ قوالهم، ولذلك ساد الجور فى الأرض وانتشر الظلام، وحارت الأفئده وتاه الأنام، وعجزت عن نيل السعاده الأفهام(۱).

أسرار الحياه كامنه فى خلق الإنسان

من المتسالم عليه أن لكل مخلوق بدايه، وهناك مراحل نراها واضحه فى كيفيه خلق بعض المخلوقات، لكنا نجد الخفاء فى بدايه خلق الإنسان.

لا يقال أن خلق الإنسان يعود لمراحل النطفه، فإن ابتداء خلق الإنسان يعود لما قبل ذلك.

وحيث أننا لا نشاهد ولا نتأمل إلا مراحل النطفه أصبحنا لا نفكر بغير هذه المرحله إلا قليلاً وبخواطر عابره، مع العلم أن البدايه ترجع للمراحل السابقه للنطفه.

ومعرفه ابتداء خلق الإنسان أساسيه فى كل مراحل وجوده وحياته إلى ما لا نهايه، وهنا نحاول التعرف على تلك المراحل ولو إجمالاً.

أما من الآيات: فإن الآيات التى تنص على بدايه خلق الإنسان قد أشارت إلى التراب والطين والصلصال (۲)، وفى هذه الآيات المباركه إشاره إلى تكوين وخلق البدن، ولكن خلق النور والروح غير ذلك.

وقد تقدمت الإشاره إلى ابتداء خلق النور، حيث أن النور أوضح شىء عند عقل و حواس الإنسان، وقد عرفنا أن الإنسان هو نقطه الارتكاز فى المخلوقات،

۱- يحسن مراجعه خطبه جامعه لأمير المؤمنين عليه السلام فى بحار الأنوار ج ۲۵ ص۲۶.

۲- تفاصيل هذه الآيات فى كتابنا حول خلق الإنسان من تراب، فراجع.

ومما يحكم به العقل أن لكل شیء صفوه، وصفوه المخلوقات هو الإنسان .

وقد ثبت أن هذه الصفوه والابتداء هم أهل بیت العصمه علیهم السلام ، ویظهرذلک من خلال الأبحاث الموضوعیه بغض النظر عن الاعتقادات الخاصه.

وهذا ما أثبته الواقع العملی للإنسان علی هذه الأرض من خلال کون صفوه الخلائق هم الأنبیاء علیهم السلام ، وصفوه الأنبیاء أهل بیت العصمه علیهم أفضل الصلاه.

ومن یبحث جیداً فی کل ما جاء عن السماء یدرک ذلک، ولیس ذلک بخاف عما جاء فی رسالات الأنبیاء، وخصوصاً ما ورد فی القرآن الحکیم، قال تعالی : «إِنَّا سَنُلقی عَلَیکَ قَولاً ثَقِلاً»(۱).

ولیس هذاالتفضیل من باب الجبر، بل هو - والله العالم - من باب القدره علی تحمل ما یلقیه سبحانه علیهم، ولا شک أن هذا سابق فی علم الله تعالی، وهو الخبیر العلیم.

فعندما نقرأ بعض الآیات ندرک هذه المعانی، قال سبحانه:«إِنَّا سَنُلْقِی عَلَیْکَ قَوْلًا ثَقِیلًا»(۲).

وهناک أحادیث صحیحه ومشهوره، منها ما ورد عن الرسول صلی الله علیه واله: ما أوذی نبی مثل ما أوذیت(۳).

۱- الإسراء: ۵۵.

۲- المزمل: ۵.

۳- مناقب آل أبی طالب ج۳ ص ۴۲.

وآيات الأمر بالصبر لخصوص النبى صلى الله عليه واله كثيره(۱).

والأحاديث الشريفه لا تخفى، ومنها ما دل على ابتداء الخلق والنور .

قال أبو جعفر عليه السلام : فنحن أول خلق الله، وأول خلق عبد الله وسبحه، ونحن سبب خلق الخلق وسبب تسبيحهم وعبادتهم من الملائكه والآدميين.

فبنا عرف الله وبنا وحد الله و بنا عبد الله وبنا أكرم الله من أكرم من جميع خلقه، وبنا أثاب من أثاب وبنا عاقب من عاقب، ثم تلا قوله تعالى «و إنا لنحن الصافون * وإنا لنحن المسبحون»وقوله تعالى «قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين »

فرسول الله صلى الله عليه واله ، أول من عبد الله تعالى وأول من أنكر أن يكون له ولد أو شريك، ثم نحن بعد رسول الله.

ثم أودعنا بذلك النور صلب آدم عليه السلام فما زال ذلك النور ينتقل من الأصلاب والأرحام من صلب إلى صلب ولا استقر فى صلب إلا تبين عن الذى انتقل منه انتقاله وشرف الذى استقر فيه حتى صار فى صلب عبد المطلب، فوقع بأم عبد الله فاطمه فافترق النور جزء ين جزء فى عبد الله وجز فى أبى طالب، فذلك قوله تعالى «وتقلبك فى الساجدين»يعنى فى أصلاب النبيين وأرحام نسائهم، فعلى هذا أجرانا الله تعالى فى الأصلاب والأرحام وولدنا الآباء والأمهات من لدن آدم عليه السلام(۲).

وهنا نذكر هذا الحديث عن ابن عباس أنه قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام :

۱- راجع بحثنا المفصل حول الصبر الجميل لكل آيات الصبر (مخطوط).
۲- بحار الأنوار ج ۲۵ ص ۲۰، والحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجه.

اتقوا فراسه المؤمن فإنه ينظر بنور الله.

قال: فقلت: يا أمير المؤمنين كيف ينظر بنور الله عز وجل؟

قال عليه السلام : لأنا خلقنا من نور الله وخلق شيعتنا من شعاع نورنا فهم أصفياء أبرار أطهار متوسمون نورهم يضيء على من سواهم كالبدر فى الليله الظلماء(۱).

وههنا تنبيه لذوى العقول، فقد يتوهم البعض أن أحاديث النور مختصه بالشيعه، ولكن نقول أنها مرويه عند جميع المسلمين، ومن ذلك ما رواه أحمد بن حنبل عن رسول الله صلى الله عليه واله أنه قال: كنت أنا وعلى نوراً بين يدى الرحمن قبل أن يخلق عرشه بأربعه عشر ألف عام(۲).

ومن ذلك ما رواه ابن بابويه مرفوعا إلى عبد الله بن المبارك عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عن أمير المؤمنين عليهم السلام أنه قال: إن الله خلق نور محمد صلى الله عليه واله قبل المخلوقات بأربعه عشر ألف سنه وخلق معه اثنى عشر حجاباً والمراد بالحجب الأمه عليهم السلام(۳).

وهناك أحاديث أخرى مفصله وجامعه .

وقفه متأمل حول الإنسان

عندما يحاول أحدنا أن يكتب فى موضوع معين تتزاحم فى فكره مواضيع

۱- بحار الأنوار ج ۲۵ ص ۲۱ح ۳۲.

۲- نقله عنه المجلسى فى بحار الأنوار ج ۲۵ ص۲۱ح ۳۵، ونقله عنه أيضاً ابن أبى الحديد فى شرح نهج البلاغه ج ۹ ص ۱۷۱ ، ورواه الحنفى فى نظم درر السمطين ص۷۹، وابن عساكر فى تاريخ مدينه دمشق ج ۴۲ ص ۶۷، وغيرهم .

۳- بحار الأنوار ج ۲۵ ص۲۱ ح ۳۶.

عديـده، وخاصه عنـدما يكون متوجهاً لموضوع يتعلق بها فوق المحسوسات، ومن أصـعب هذه المواضـيع الإنسان، لأنه وإن كان محسوساً وظاهراً من جانب فإنه خفى وباطن وغائب من معظم الجوانب.

وليس التعرف على حقيقه وأسرار الإنسان بالأمر الهين، فقد يكتب الباحثون والعلماء حول الإنسان، لكن يبقى هناك غموض فى البيان، إذ ليس لدينا سوى إشارات ورموز.

وكل واحـد منا يحلل هـذه الرموز بقدر ما ينتجه هذا الفكر، أو يشـطح به ذاك القلم، أو يلملم من هنا أو هناك مما قيل، وتبقى أسرار الكون فى الإنسان!

وكل ما قـدر العلم والعلماء على بيانه هو الهيكل المحسوس، وأما حقيقهالإنسان من روح ونفس وعقل فإنها لم تزل مورد الأخذ والرد، إلا ما نأخذه من مصادر الأنبياء والرسل وأهل بيت العصمه عليهم السلام(١).

ويبقى العجز حليفنا حتى ينكشف الغطاء فى يوم الجزاء.

وعندما نحاول التعرف على حقيقه الإنسان نجد أنه سـر من الأسـرار التى خفيت علينا، وهذا الخفاء ناتج عن غرور الإنسان بنفسه، فإنه إذا أراد الحصول على أمر من الأمور يباشـره قبل أن يتدبر العواقب، ولذا نجد فى أنفسـنا التراجع عن كثير مما كنا نسعى إليه ونهواه، فقد نحب ما لا يحب، والعكس صحيح، فلو تدبرنا ذلك قبل الإقدام لوضعنا كل شىء فى موضعه.

إن التدبر قبل المباشـره يوصـلنا إلى نور الحقائق، وعندما نتدبر فى أسـرار أنفسـنا ندرك الكثير من أسرار الحياه، ومن هنا تضىء للإنسان أنوار الأسرار، ولذا

١- راجع بحار الأنوار ج ٥٨ من ص ١٠، وفيه أقوال حول النفس والروح.

قيل: دواؤك فيك وما تشعر.

فالـداء والـدواء كامن فى ذات الإنسان، فإن أحسن اسـتعمال الـدواء قضـى على الـداء، وإلا كان الداء قاتلاً ولا ينفع حمل الدواء دون حسن استعماله.

فلا بد من إدراك ومعرفه أن الكون وما فيه كامن فى ذرات التراب والماء الذى جبل به الإنسان(۱).

وقفه

لقـد تكرر منى أنى أكتب لنفسـى، وليس معنى ذلك أن الآخرين لا يعنونى، بل العكس صـحيح، فإن اهتمامى بالآخرين لا يقل عن نفسى، وإنما أقصد أن نمط كتابتى ليست كما هو مألوف ومتعارف عليه عند الآخرين، أو ما تسالم عليه الباحثون أو ما شابه .

فموضوع كتابتى هنا هو خيط لنورٍ من أسـرار الحسـين عليه السلام، وقد عرفنا أن ابتداء الخلق كان أنوار أهل بيت العصمه عليهم أفضل الصلاه والسلام.

وتـداعى الأفكـار ينقلنا من موضوع لآخر، فعنـدما نقرأ هـذا الوجود بكل ما فيه من ظاهر و باطن نجـد أن أسـرار الحياه تتكشـف باستمرار من جيل لآخر، ومن شخص لشخص، وهكذا.

فليس معنى السر أن يبقى فى عوالم الكتمان، بل أن يتدرج بالظهور، فقد

۱- وليس الإنسان مجهولاً كما قيل أو كتب عنه، بل هو متجاهل! دواؤك فيك وما تشـعر ***وداؤك منك وما تنظر وتحسـب انك جرم صغير*** وفيك انطوى العالم الأكبر

أراد الله سبحانه إظهاره، فالأنوار قد خلقها قبل خلق الكائنات فى عوالم متعدده .

ونجد أنه قد اجتمعت فى الحسين عليه السلام كل هذه الأنوار، والسر أنها لم تفترق عنه، ولم تتفرع لغيره قط.

وعندما نمعن النظر فى كل مسيره الحياه نجد أن الجهل دون العلم قد غلب على الإنسان عموماً، وقد تأثر بذرات التراب أكثر مما استضاء بالنور، مع العلم أن الغايه هى ضياء النور، وليس ظلام التراب.

وحتى عندما صنعه الله سبحانه من التراب والطين والصلصال والسلاله كان الغالب عليه نور العلم، ولذا أنبأهم بأسمائهم، فالحياه قائمه ابتداء على نور العلم، وليس على قواعد الظلام والجهل.

بل يصح القول أن النور أصيل، وأن الظلام عارض، وأن العلم أساسى، وأن الجهل طارئ، وأن الحياه هى الغايه دون الموت، وأن البقاء هو المطلوب دون الفناء.

ومن هنا ندرك أبواب السعاده، من أبواب الشقاء، ومن هنا يبدأ سر الاختيار فى مسيره الحياه، وقد جمع الحسين عليه السلام سر الأسرار، ففى السماء كان فى وسط النور، وفى الأرض كان بأجلى الظهور، وأما فى الآخره فهو السيد.

ومن هذه الإشارات يتكشف لذوى البصائر سر الأنوار، فعندما نقول: سر يكون مسايره للعرف العام، وإلا ما قيل يوماً من الأيام للنور سر!

فلا يقال عن الشمس التى تغمر بضيائها الكواكب والأفلاك وما تحت

ذلك أنها سر، أو أنها خافيه، إلا عند من لا يمتلك بصراً سليماً(١).

فنفس الوجود هو نور وإن تفاوتت الأنوار، والسر ظاهر وإن خفى عن الأنظار.

وعندما نحاول التعرف على حقيقه الإنسان نجد أن الله سبحانه قد خلق الكائنات وأودع فيها ما أودع، وندرك أنه قد خص الإنسان الكامل بأسرار الحياه ونماذج الكائنات.

وعندما نبحث بكل مراحل الإنسان نجد أن أكمل المخلوقات هو سيد الكائنات محمد بن عبد الله صلى الله عليه واله ، وقد شاء الله تعالى أن يختم به الأنبياء والرسل (٢)، بدء من آدم عليه السلام ومروراً بجميع الأنبياء إلى عيسى عليه السلام .

حديث جامع

إن إكمال الدين وأسرار النبيين تمت عند سيد المرسلين صلى الله عليه واله ، ونذكر هنا حديثاً جامعاً، فعن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه واله : لما عرج بى إلى السماء السابعه ومنها إلى سدره المنتهى، ومن السدره إلى حجب النور نادانى ربى جل جلاله: يا محمد أنت عبدى وأنا ربك فلى فاخضع وإياى فاعبد وعلى فتوكل وبى فثق فإنى قد رضيت بك عبداً حبيباً ورسولاً ونبياً وبأخيك على خليفه باباً. فهوحجتى على عبادى وإمام لخلقى، به يعرف أوليائى من أعدائى وبه يميزحزب الشيطان من حزبى وبه يقام دينى و تحفظ حدودى وتنفذ أحكامى.

١- قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد * وينكر الفم طعم الماء من سقم .

٢- من المعلوم أن الله أرسل ماءه وأربعه وعشرين ألف نبى.

وبک به وبالأئمه من ولده أرحم عبادی وإمائی.

وبالقائم منکم أعمر أرضی بتسبیحی وتهلیلی وتقدیسی وتکبیری وتمجیدی، وبه أطهر الأرض من أعدائی وأورثها أولیائی وبه أجعل کلمه الذین کفروابی السفلی وکلمتی العلیا.

وبه أحیی عبادی وبلادی بعلمی وله [به] أظهرالکنوز والذخائر بمشیتی، وإیاه أظهرعلی الأسرار والضمائر بإرادتی وأمده بملائکتی لتویده علی إنفاذ أمری وإعلان دینی ذلک ولیی حقاً ومهدی عبادی صدقاً(۱).

ندرک من هذا الحدیث الشریف الکثیر من الحقائق الثابته التی لا خلاف ولا نزاع حولها، والتی یدل علیها القرآن الحکیم أیضاً:

الأولی: الإسراء بالنبی صلی الله علیه واله إلی السماء .

الثانیه : الإشاره إلی سدره المنتهی.

الثالثه: النص الواضح علی الأئمه علیهم السلام . الرابعه: إعمار الأرض بالعدل علی ید القائم المنتظر عجل الله فرجه .

الخامسه: إظهار الکنوز والأسرار والضمائر. السادسه: إمداد الأئمه علیهم السلام بالملائکه.

هذه الحقائق لا تحتاج إلی تأویلات وتحلیلات، فهی ثابته بالنصوص

۱- أمالی الصدوق ص ۷۳۱، وعنه بحار الأنوار ج۲۳ ص ۱۲۸.

القرآنیه، والقرآن هو المیزان، وهنا یلتقی الصامت والناطق (۱).

من أحادیث المعراج

إن الحدیث عن السماء وما فیها لا یقاس بأحادیث أهل الأرض، لأن الأرض وما علیها لا تساوی حبه رمل علی شواطئ بحر، ولا نقطه ماء فی محیطات، وکل ما علی الأرض من فیض السماء.

وأحادیث المعراج والإسراء فوق قدره العقلاء والعلماء، وحتی لا یحرم الناس من هذا الفیض رشح علینا من سید الأنبیاء صلی الله علیه واله، وهذا یشیر إلی نوع الارتباط بین الأرض والسماء(۲).

ففی الحدیث عن أبی ذر الغفاری قال: کنت جالساً عند النبی صلی الله علیه واله ذات یوم فی منزل أم سلمه ورسول الله صلی الله علیه واله یحدثنی وأنا أسمع إذ دخل علی بن أبی طالب صلی الله علیه واله فأشرق وجهه نوراً فرحاً بأخیه وابن عمه، ثم ضمه إلیه وقبل بین عینیه ثم التفت إلیه فقال : یا أباذر تعرف هذا الداخل علینا حق معرفته؟

قال أبوذر: فقلت یا رسول الله هذا أخوک وابن عمک وزوج فاطمه البتول وأبو الحسن والحسین سیدی شباب أهل الجنه.

فقال رسول الله صلی الله علیه واله: یا أبا ذر هذا الإمام الأزهرورمح الله الأطول وباب الله الأکبر، فمن أراد الله فلیدخل الباب.

۱- إشاره لما ورد فی الحدیث أن الإمام هو القرآن الناطق، من ذلک ما رواه القندوزی الحنفی فی ینابیع الموده ج ۱ ص ۲۱۴ عن أمیر المؤمنین علیه السلام: أنا القرآن الناطق.

۲- یحسن مراجعه أجزاء من البحار حول عوالم السیاء.

يا أبا ذر هـذا القائم بقسط الله والـذاب عن حريم الله والناصـر لـدين الله و حجه الله على خلقه، إن الله تعالى لم يزل يحتج به على خلقه فى الأمم كل أمه يبعث فيها نبياً.

يا أبا ذر إن الله تعالى جعل على كل ركن من أركان عرشه سـبعين ألف ملك ليس لهم تسبيح ولا عباده إلا الدعاء لعلى وشيعته والدعاء على أعدائه .

يا اباذر لو لا على ما بان الحق من الباطل ولا مؤمن من الكافر ولا عبد الله لأنه ضـرب رءوس المشـركين حتى أسلموا وعبدوا الله، ولولا ذلك لم يكن ثواب ولا عقاب، ولا يستره من الله ستر ولا يحجبه من الله حجاب وهو الحجاب والستر.

ثم قرأرسول الله صـلى الله عليه واله :«شـرع لكم من الـدين ما وصـى به نوحاً والـذى أوحينا إليك وما وصـينا به إبراهيم وموسـى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبرعلى المشركين ما تدعوهم إليه الله يجتبى إليه من يشاء ويهدى إليه من ينيب ».

و يابـاذر إن الله تبـارك وتعالى تفرد بملكه ووحـدانيته فعرف عباده المخلصـين لنفسه وأباح لهم الجنه فمن أراد أن يهـديه عرفه ولايته ومن أراد أن يطمس على قلبه أمسك عنه معرفته.

يـا أباذر هـذا رايه الهـدى وكلمه التقوى والعروه الوثقى وإمام أوليائى ونور من أطاعنى وهو الكلمه التى ألزمها الله المتقين، فمن أحبه كان مؤمناً ومن أبغضه كان كافر ومن ترك ولايته كان ضالاً مضلاً ومن جحد ولايته كان مشركاً.

يا أباذر يؤتى بجاحد ولايه على يوم القيامه أصم وأعمى وأبكم فيكبكب

فی ظلمات القیامه ینادی: یا حسر تی علی ما فرطت فی جنب الله، وفی عنقه طوق من النار لذلک الطوق ثلاثمائه شعبه علی کل شعبه منها شیطان یتفل فی وجهه ویکلح من جوف قبره إلی النار.

قال أبو ذر : فقلت فداک أبی وأمی یا رسول الله ملأت قلبی فرحاً وسروراً فزدنی.

فقال: نعم، إنه لما عرج بی إلی السماء الدنیا أذن ملک من الملائکه وأقام الصلاه فأخذ بیدی جبرئیل صلی الله علیه واله فقدمنی فقال لی: یا محمد صل بالملائکه فقد طال شوقهم إلیک.

فصلیت بسبعین صفاً من الملائکه الصف ما بین المشرق والمغرب لا یعلم عددهم إلا الذی خلقهم، فلما قضیت الصلاه أقبل إلی شرذمه من الملائکه یسلمون علی ویقولون: لنا إلیک حاجه.

فظننت أنهم یسألونی الشفاعه لأن الله عزوجل فضلنی بالحوض والشفاعه علی جمیع الأنبیاء فقلت: ما حاجتکم ملائکه ربی؟

قالوا: إذا رجعت إلی الأرض فأقرئ علیاً منا السلام وأعلمه بأنا قد طال شؤقنا إلیه.

فقلت: ملائکه ربی تعرفوننا حق معرفتنا؟

فقالوا: یا رسول الله لم لا نعرفکم وأنتم أول خلق خلقه الله خلقکم الله أشباح نور فی نور من نور الله وجعل لکم مقاعد فی ملکوته تسبیح وتقدیس وتکبیر له ثم خلق الملائکه مما أراد من أنوار شتی.

وکنا نمر بکم وأنتم تسبحون الله وتقدسون وتکبرون وتحمدون وتهللون

فنسبح ونقدس ونحمد ونهلل ونكبر بتسبيحكم وتقديسكم و تحميد كم وتهليلكم وتكبيركم، فما نزل من الله تعالى فإليكم وما صعد إلى الله تعالى فمن عندكم فلم لا نعرفكم (۱)؟..

هذا من ملائكه السماء الأولى وهى السماء الدنيا، وهناك أقوال من بقيه ملائكه السماوات إلى السابعه، وبعدها سدره المنتهى، وما لا يعلمه إلا الله.

من هنا ندرك ونؤمن أن أهل بيت العصمه عليهم السلام معروفون فى السماء وعند ملائكه السماوات أكثر من سكان أهل الأرض!

وعندما نحاول التعرف على أسرار الحسين عليه السلام نجد أن ذلك ممتد إلى معرفه الملائكه فى السماء ما قبل الأرض، ويدل على ذلك ما لا حصر له، وإنما نشير هنا إلى رحله من المعراج والإسراء لسيد الأنبياء، وقد تقدم حديث عن ملائكه السماء الدنيا وهى الأولى، ونشير هنا إلى بقيه المحطات فى سائر السماوات، وهذا يستدعى أبحاثاً موضوعيه ليتم البيان للأجيال القادمه، ولئلا تجهل أنوار واسرار أهل بيت العصمه عليهم السلام ، فالجهل يعمى عن الحقائق.

يقول صلى الله عليه واله: ثم عرج بى إلى السماء الثانيه فقالت الملائكه مثل مقاله أصحابهم فقلت: ملائكه ربى هل تعرفوننا حق معرفتنا؟

قالوا: ولم لا نعرفكم وأنتم صفوه الله من خلقه وخزان علمه والعروه الوثقى والحجه العظمى وأنتم الجنب والجانب وأنتم الكراسى وأصول العلم فأقرئ علياً منا السلام.

ثم عرج بى إلى السماء الثالثه فقالت لى الملائكه مثل مقاله أصحابهم فقلت:

۱- بحار الأنوار ج ۴ ص ۵۵ وما بعدها.

ملائکه ربی تعر فوننا حق معرفتنا؟

قالوا: و لم لا نعرفکم وأنتم باب المقام و حجه الخصام وعلی دابه الأرض وفاصل القضاء وصاحب العصا قسیم النار غداً وسفینه النجاه من رکبها نجا ومن تخلف عنها فی النار تردی یوم القیامه، انتم الدعائم ونجوم الأقطار فلم لا نعر فکم. فأقرئ علیاً منا السلام.

ثم عرج بی إلی السماء الرابعه فقالت لی الملائکه مثل مقاله أصحابهم فقلت: ملائکه ربی تعرفوننا حق معرفتنا؟

فقالوا و لا نعرفکم وانتم شجره النبوه وبیت الرحمه ومعدن الرساله ومختلف الملائکه وعلیکم ینزل جبرئیل بالوحی من السماء فأقرئ علیاً منا السلام.

ثم عرج بی إلی السماء الخامسه فقالت لی الملائکه مثل مقاله أصحابهم فقلت: ملائکه ربی تعرفوناحق معرفتنا؟

قالوا: ولم لا نعرفکم ونحم نمر علیکم بالغداه والعشی بالعرش وعلیه مکتوب لا إله إلا الله محمد رسول الله وأیده بعلی بن أبی طالب فعلمنا عند ذلک أن علیاً ولی من أولیاء الله تعالی فأقرئ علیاً منا السلام.

ثم عرج بی إلی السماء السادسه فقالت الملائکه مثل مقاله أصحایهم فقلت: ملائکه ربی تعرفوننا حق معرفتنا؟

قالوا: ولم لا نعرفکم وقد خلق الله جنه الفردوس وعلی بابها شجره ولیس فیها ورقه إلا وعلیها حرف مکتوب بالنور لا إله إلا الله ومحمد رسول الله وعلی بن أبی طالب عروه الله الوثقی وحبل الله المتین وعینه علی الخلائق أجمعین فأقری

علياً منا السلام.

ثم عرج بی إلی السماء السابعه فسمعت الملائکه یقولون: الحمد لله الذی صدقنا وعده فقلت بما ذا وعدکم .

قالوا: یا رسول الله لما خلقکم أشباح نور فی نور من نور الله تعالی عرضت علینا ولا یتکم فقبلناها وشکونا محبتکم إلی الله تعالی فأما أنت فوعدنا بأن یریناک معنا فی السماء وقد فعل.

وأما علی فشکونا محبته إلی الله تعالی فخلق لنا فی صورته ملکاً وأقعده یمین عرشه علی سریر من ذهب مرصع بالدر والجوهر علیه قبه من لؤلؤه بیضاء یری باطنها من ظاهرها وظایرها من باطنها بلا دعامه من تحتها ولا علاقه من فوقها.

قال لها صاحب العرش: قومی بقدرتی فقامت، فکلما اشتقنا إلی رؤیه علی نظرنا إلی ذلک الملک فی السماء فأقرئ علیاً منا السلام(۱).

ملاحظه وتنبیه: ما ورد فی الحدیث المتقدم قد ذکر فی أکثر من روایه ومصدر مع بعض الکلمات، ومن ذلک ما روی فی تفسیر فرات عن جعفر بن محمد بن سعید الأحمسی معنعنا عن أبی ذر الغفاری رحمه الله قال:

کنت عند رسول الله صلی الله علیه واله ذات یوم فی منزل أم سلمه رضی الله عنها وساق الحدیث نحواً ممامر إلی قوله لا یعلم عددهم إلا الذی خلقهم.

فلما انفتلت من صلاتی وأخذت فی التسبیح والتقدیس أقبلت إلی شرذمه

۱- تتمه الحدیث السابق، وقد رواه المجلسی عن کنز جامع الفوائد وهو مخطوط.

بعد شرذمه من الملائکه فسلموا علی وقالوا: یا محمد لنا إلیک حاجه هل تقضیها یا رسول الله ؟

فظننت أن الملائکه یسألون الشفاعه عند رب العالی لأن الله فضلنی بالحوض والشفاعه علی جمیع الأنبیاء، قلت: ما حاجتکم یا ملائکه ربی؟

قالوا: یا نبی الله إذا رجعت إلی الأرض فأقرئ علی بن أبی طالب منا السلام وأعلمه بأن قد طال شوقنا إلیه.

قلت:یا ملائکه ربی هل تعرفوننا حق معرفتنا؟

فقالوا: یا نبی الله وکیف لا نعرفکم وأنتم أول ما خلق الله خلقکم أشباح نور من نور فی نور من سناء عزه ومن سناء ملکه ومن نور وجهه الکریم وجعل لکم مقاعد فی ملکوت سلطانه وعرشه علی الماء قبل أن تکون السماء مبنیهً والأرض مدحیه، ثم خلق السماوات والأرضین فی سته أیام ثم رفع العرش إلی السماء السابعه فاستوی علی عرشه وأنتم أمام عرشه تسبحون وتقدسون وتکبرون، ثم خلق الملائکه من نور ما أراد من أنوار شتی وکنا نمر بکم وأنتم

تسبحون وتمحمدون وتهللون وتکبرون وتمجدون وتقدسون فنسبح ونقدس ونمجد ونکبر(۱).

أسرار حول خلق الإنسان

قد تقدم البحث فی بعض الجوانب حول أسرار الحسین علیه السلام، وقد ذکرنا بعض الإشارات حول ابتداء خلق الأنوار، ومعنی ذلک أن الخلق یمر بمراحل

۱- بحار الأنوار ج ۴۰ص ۵۸.

ومحطات، وعرفنا فيما تقدم أن الإنسان هو الأرقى والأسمى من جميع المخلوقات، وعندما نحاول إلقاء الضوء على هذه الحياه نجد أن الإنسان هو النموذج الأرقى من بقيه الخلائق.

وقد حمل الله تعالى الإنسان أمانات فى هذه الدنيا، وهو مسؤول عنها ومطالب بها، ومن هنا تتفاوت مراتب الأفراد والأشخاص من بنى البشر، لذلك ظهر التميز بين فرد وآخر فيما يتعلق بأداء الأمانات وحملها(١).

وبعد أن خلق الله الإنسان وعبر مراحل النشوء كان التكليف من الله تعالى، ودل هذا التكليف على مرتبه ونتائج ذات أبعاد، ولذا لا بد من البحث حول مراحل حياه الإنسان، وبعد التدقيق وجدنا أن المراحل التى يمر فيها الإنسان تحمل فى طياتها حقائق الحياه، وقد بدأت المرحله الأولى لوجود الإنسان والصنع من تراب، وأما المرحله الثانيه فهى حياته على هذه الأرض، وفى كل من المرحلتين أطوار للإنسان، تكمن فيها أسرار كثيره، ولذا نجد أن مراحل الإنسان أبعد بكثير من إدراكنا.

وكلما تقدم العقل البشرى وجد أسراراً جديده فى تكوين الإنسان وليس السر واحداً، ولذا لا بد من التدقيق فى المعرفه حول الإنسان.

وأخفى ما نراه هو امتياز هذا عن ذاك، والامتياز حاصل بالوجدان قبل الدليل والبرهان.

١- إشاره للآيه الشريفه: «إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَهَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ ۖ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا»[الأحزاب : ٧٢]

وعندما نحاول إلقاء نظره سريعه على الإنسان نجد أن هناك أسراراً كامنه فى ذاته وتكوينه، وهى تبدأ من الظهور منذ تكونه فى عوالم الأصلاب(١).

وقد بحث علماء التشريح وأهل الاختصاصات فى علم الأجنه الكثير حول تكوين الجنين، وكذلك علماء الفلسفه والأخلاق فى جميع الطبقات، وليس بحثنا حول ذلك هنا وإنما نشير للوصول إلى بحث خاص، ومعلوم أن الخاص داخل تحت العموم، ونجد ضمن الخاص خصوص الخاص.

بمعنى أن لكل شىء مميز صفوه يمتاز بها عن أترابه أو جنسه أو نوعه، فإطلاق لفظ الإنسان يصدق عموماً على كل من توفرت فيه المكونات الإنسانيه، لكن يبقى نوع من خصوصيات بين هذا وذاك، بين فرد وآخر، بين جيل وجيل، بين عوامل مرحليه وغير ذلك من الصفات وجهات التمايز، مع اشتراك الجميع فى الإنسانيه.

الشعاع يدل على مصدر النور

عندما ننظر إلى جميع المحسوسات نجد أن هناك أثراً ومؤثراً ونجد أن المسبب راجع إلى سبب، وهذ أمر وجدانى.

ووجود الإنسان من الأمور المشاهده فى هذه الدنيا.

ودون الخوض فى الفلسفه فإن لكل موجود موجد ،ووجود الإنسان أوضح دليل على قدره خالقه.

١- يحسن مراجعه بحثنا حول خلق الإنسان من تراب (مخطوط)، وفيه نوع من التفصيل.

ومهما قيل فى غابر الأزمان، أو يقال ما دام الحدثان(۱)، فإن كل إنسان هو مخلوق، سواء كان من أسمى أفراد هذا النوع، أو من أدناها.

فالإنسان نوع من أنواع المخلوقات التى لا حد لها ولا حصر، ولكنه نوع مميز، ونجد ضمن أفراده أفراداً مميزون بخصوصيات لم تتوفر فى غيرهم، وإذا أردنا التعرف على هذه الخصوصيات فلا بد لنا من التعرف على بعض الجوانب التى ميزت مثل هؤلاء.

وهنا يمكن القول أن تفاصيل هذه الجوانب أعمق بكثير مما نراه فى عوالم المحسوسات.

وقفه عند آيه

عندما نقرأ آيات القرآن الكريم نجد الكثير من الآيات التى تتحدث عن الإنسان، ومنها هذه الآيات المباركه:«فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ*خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ*يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ»(۲).

نقول: لسنا فى مجال التفسير أو بيان البلاغه أو تحليلات المختبرات حول ذلك، وإنما نحاول الإشاره إلى ابتداء إظهار الإنسان من عوالم الكتمان إلى مسيره الحياه فى هذه الدنيا.

وتشير الآيه المباركه إلى المرحله الأولى من الأصلاب، وهذه المرحله تكوينيه محسوسه، مع العلم أن هناك مراحل سابقه قبل مجمع التكوين فى مستقر

۱- إشاره إلى الليل والنهار.

۲- الطارق:۵-۷.

الأصلاب(۱).

ومن هـذه المرحله أصـبح الإنسـان تحت آلات المجهر من المحسوسات، ومن هنا بـدأ العلماء من ذوى الاختصاصات باكتشاف أسـرار هذا المخلوق كلما تقدم العلم خطوه إلى الأمام، وسـتبقى هذه الاكتشافات مستمره طالما أن العقل البشرى يبحث عن كنه ذاته.

وهنا نسجل هذه العباره: سيبقى الإنسان والقرآن متلازمان.

وليس هذا التلازم من باب الإجبار والإلزام القهرى، بل هو من باب تطور العقل البشرى، حيث لا مناص لإناره عقل الإنسان إلا ما ورد فى القرآن الحكيم، لأن الإنسان امتاز بالعقل وهدايته، وهدايه الإنسان محصوره بما جاء فى القرآن

الكريم، ومن هنا ورد الأمر فى الآيه: «فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ»(۲).

وليس النظر هنا بالعين الباصره، بل بالبصيره الباطنه.

وعنـدما نقرأ الآيـات حول خلق الإنسـان نتلمس ومضـات من أنوار الأسـرار،وهى مخبأه تحت رموز الحروف، وتحتاج إلى أشـعه كاشفه عن تلك الرموز.

فالآيـات حـول خلـق الإنسـان متنوعه الموارد، وفى آيـات الصـلب إشـعاعات ضوئيه للفكر والعقـل والوجـدان، وفيهـا الخطابـات الواضحه بظواهرها للإنسان، ومنها آيه بحثنا هنا: «يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ»(۳).

۱- إشاره إلى عوالم سابقه من تراب وغيره.

۲- الطارق: ۵.

۳- الطارق: ۷.

ومن المعلوم أن خروج شيء من شيء فرع وجوده، وهذا يدل بوضوح أن للإنسان وجود ما فى عوالم الأصلاب، ومن هذا الوجود يخرج إلى وجود آخر، وهكذا يتدرج من وجود لآخر حتى يتم إنشاؤه خلقاً آخر، محسوساً متكاملاً بكل معانى التكامل.

وهذا ما وردت الإشاره إليه فى الأحاديث والروايات: من أصلاب طاهره.. إلى أرحام مطهره.

وهنا ندرك الحمايه والصيانه من عوالم الأصلاب إلى مراحل خلق الإنسان فى الأرحام، فلصيانه هذا المخلوق بهذه الدقه والعنايه أبعاد وآثار تظهر عندما يمتلك الإنسان القدره على التصرف بنفسه ولو بمقدار.

ومن هنا ندرك ما هو أبعد من المحسوسات، حيث تحافظ عنايه الخالق على الإنسان طالما أنه لا يمتلك القدره على التصرف بكل أبعاده، وذلك من عوالم الأسرار إلى عوالم الأنوار، إلى عوالم الأصلاب، فيبقى الإنسان محفوظاً بهذه

العنايه .

ويمكن القول حول الإنسان والصلب:

أولاً: لست هنا بصدد التفسير للآيات.

ثانياً: المراد هو معرفه الإنسان عندما يصبح من المحسوسات.

ثالثاً: الإنسان جوهر مستقل، وليس مما تكون منه - كما قيل -، أى أنه ليس من الماء أو صفوه الغذاء أو ما شابه، بل هو من عالم الأمر، وإن كان لهذه الأشياء دور فى تكامل جوارحه، فإن الجواهر الثمينه لا بد وأن توضع فى أماكن تتناسب معها، والإنسان هو صفوه الأكوان.

وكثيراً ما نجد عند المفسرين والمتخصصين أقوالاً وتحليلات أن الإنسان مكون من كذا وكذا، وقوفاً عند معانى الحروف الجامده، حيث ذكر الكثير من العلماء أن الإنسان مكون من الغذاء والماء ومن خلايا الأصلاب وما شابه ذلك، لكنا نقول أن هذه الأقوال التى أخذت من تحليلات المختبرات مقصوره على ما هو محسوس وملموس، أما جوهريه الإنسان فليست خاضعه للمختبرات.

نعم نحن نقرأ آيات خلق الإنسان من تراب، وكذلك آيات الاصلاب والأرحام، لكن هذه الآيات المباركه إشارات لتكوين البدن المحسوس، لا جوهر الإنسان.

فإن الإنسان الكامل ليس البدن أو الجسم، بل هو الجوهر المكنون الذى لم تدرك عقولنا حقيقه جوهريته بعد، وإن كنا ندرك بعض آثارها.

ويكفى هنا الإشاره من هذه الآيه:«سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ »(۱).

فلا يبعد أن يكون مقر الإنسان فى الصلب هو محطه من المحطات التى يمر بها الإنسان، وليس كما قيل من أن مصدر خلق الإنسان هو الصلب والترائب(۲).

وليس الأمر كما قال أهل التفاسير أيضاً من أنه ماء النطفه(۳).

فما نراه من هذه المحسوسات - والله العالم - ما هو إلا وعاء لإظهار هذا المخلوق الذى ظهرت آثاره، وعرفت بعض عوارضه، وليس حقيقه جوهريته،

۱- فصلت: ۵۳

۲- راجع كتاب أسرار خلق الإنسان للدكتور داوود السعدى من ص ۴۲.

۳- راجع نفس المصدر من ص ۳۱.

وإن كان هذا الجوهر يتأثر بما يعرض عليه من الأوعيه ومراحل المحطات.

لمحه خاطفه عن ولاده الحسين عليه السلام

بعدما تقدم بيانه، نعود إلى ما يرتبط بالحسين عليه السلام بماله من خصوصيه.

لقد دأبت الأقلام ونهج الباحثون أثناء الكتابه على عرضها ضمن مقدمات وأبواب وفصول، لكون ذلك سهلاً على القراء.

ولم نستعمل هذا الأسلوب هنا، لذلك قد ننتقل من موضوع لآخر، وهذا الأسلوب هو أسلوب خاص، ومن هنا نشير إلى أن الكتابه حول الإمام الحسين عليه السلام ليست تحديد موضوع بعينه، لأن ما يتعلق بأهل بيت العصمه عليهم السلام لا يمكن حصره أو تحديده كبقيه المواضيع.

وقد تقدم أن الله سبحانه وتعالى قد خلق أهل بيت العصمه قبل جميع الخلائق، وذلك فى غامض علمه وفى عوالم الأنوار، ومن هنا كانوا مستودعاً الخزائن الأسرار، وما كان يقاس بهم أحد(۱).

وعندما نحاول أن نرسم بعض الكلمات أو الحروف عن الحسين عليه السلام ندرك ونؤمن أن الله تعالى قد خصه بخصائص لم تكن لغيره قط، مع العلم أنهم جميعاً من مصادر النور وخزائن الأسرار، وهم المعصومون الأربعه عشر، سيدهم النبى صلى الله عليه واله مروراً بأبى الأئمه عليه السلام وسيده نساء العالمين عليها السلام ، إلى بقيه الله فى أرضه، الإمام المنتظر عجل الله فرجه الشريف.

۱- إشاره إلى قول أمير المؤمنين عليه السلام : نحن أهل البيت لا يقاس بنا أحد، راجع مثلاً عيون أخبارالرضا ج ۲ ص ۷۱، ومعانى الأخبار ص ۱۷۹.

وقد ورد فی الحدیث عن صفیه بنت عبد المطلب قالت: لما سقط الحسین علیه السلام من بطن أمه وکنت ولیتها قال النبی صلی الله علیه واله: یا عمه هلمی إلی ابنی .

فقلت: یا رسول الله إنا لم ننطفه بعد.

فقال له : یا عمه أنت تنظفینه؟ إن الله تبارک وتعالی قد نظفه طهره(۱).

نقول: هذه الخصوصیه عامه وشامله لکل أهل بیت العصمه علیهم السلام ، ولهم خصوصیات عدیده أخری.

وعن صفیه بنت عبد المطلب أیضاً، قالت: لما سقط الحسین صلی الله علیه واله من بطن أمه فدفعته إلی النبی صلی الله علیه واله فوضع النبی لسانه فی فیه [فمه] وأقبل الحسین علی لسان رسول الله یمصه.

قالت: وما کنت أحسب رسول الله یغذوه إلا لبناً أو عسلا.

قال: قال الحسین علیه فقبل النبی بین عینیه ثم دفعه إلی وهو یبکی ویقول: لعن الله وقوماً هم قاتلوک یا بنی، یقولها ثلاثاً.

قالت: فقلت: فداک أبی وأمی ومن یقتله؟

قال: بقیه الفئه الباغیه من بنی أمیه لعنهم الله(۲).

إن الحدیث عن سیدی شباب أهل الجنه فوق إدراک أهل الأرض مهما قدرت عقولنا، لأنه لا یمکن لعقل بشری علی هذه الأرض معرفه أسرار الذین اختارهم الله قبل ابتداء الخلائق إلا بمقدار ما یترشح علینا من أنوارهم، ومن هنا

۱- أمالی الصدوق ص ۱۹۹، وعنه بحار الأنوار ج۴۳ ص ۲۴۳.

۲- المصدر السابق.

نقف عاجزين.

وينبغى أن نتعرف ولو بمقدار ما نملك على مدى ارتباط الانسان بين الأرض والسماء.

إن المسيره الحياه على هذه الأرض ما يناسب طبيعتها، وأما وجود الإنسان فى السماء فله نمط آخر، فإن إظهار الولاده على هذه الأرض مما يتناسب وطبيعه هذه الدنيا التى يمتحن فيها الإنسان، سواء فيما يتعلق بفكره أو اعتقاده أو ممارسه عمله .

من هنا ينال الإنسان ما يستحقه بعمل ضمن موازين ومناهج رسمها له خالقه سبحانه.

وقد نشأ الحسين عليه السلام فى مراحل الطفوله فى حضن جده صلى الله عليه واله ، كذلك كان فى بيت يزوره جبرائيل والملائكه عليهم السلام .

وقد نقف حيارى عندما نقرأ ما جاء حول الحسين عليه السلام ، ونشير هنا إلى بعض الأحاديث.

عن الإمام الصادق عليه السلام : إن الحسين بن على لما ولد أمر الله عزوجل جبرئيل أن يهبط فى ألف من الملائكه فيهنى رسول الله صلى الله عليه واله من الله عزوجل ومن جبرئيل(١).

وروى عن جعفر بن محمد عليهما السلام أنه قال: ولد الحسين بن على لخمس ليال

١- بحار الأنوار ج۴۳ ص ۲۴۳، والحديث طويل وفيه قصه شفاء فطرس.

خلون من شعبان سنه أربع من الهجره(۱).

وهناك الكثير من الأحاديث حول ولادته عليه السلام ، وهنا نكتفى بالإشاره .

نماذج من فضائله عليه السلام

من كانت الأنوار من فضائله، كيف تحصيها الأقلام عددا؟

ومن كانت الأسرار من معادنه، كيف تدركه أفكار محبيه؟

ولكن نحاول هنا رسم بعض الحروف، لعلها تكون لنا حاجزاً يوم الحتوف.

عن ابن عباس قال: كنت عند النبى صلى الله عليه واله وعلى فخذه الأيسر ابنه إبراهيم وعلى فخذه الأيمن الحسين بن على وهو تاره يقبل هذا وتاره يقبل هذا إذ هبط جبرئيل بوحى من رب العالمين.

فلما سرى عنه قال أتانى جبرئيل من ربى فقال: يا محمد إن ربك يقرأ عليك السلام ويقول: ست أجمعها لك فافد أحدهما بصاحبه فنظر النبى صلى الله عليه واله إلى إبراهيم فبكى ونظر إلى الحسين فبكى وقال: إن إبراهيم أمه أمه و متى مات لم يحزن عليه غيرى وأم الحسين فاطمه وأبوه على ابن عمى لحمى ودمى ومتى مات حزنت ابنتى وحزن ابن عمى وحزنت أنا عليه وأنا أوثر حزنى على حزنهما يا جبرئيل يقبض إبراهيم فديته للحسين.

قال فقبض بعد ثلاث فكان النبى صلى الله عليه واله : إذا رأى الحسين عليه السلام مقبلاً قبله

۱- المصدر ص ۲۶۰.

وضمه إلى صدره ورشف ثناياه وقال فديت من فديته بابنى إبراهيم(۱).

هذه النماذج من الأحاديث التى يجب على كل مؤمن فى هذه الدنيا أن يتبصر بها ويتفهم مضامينها الرفيعه التى تدل على مضامين الأسرار التى استؤمن على حملها الحسين عليه السلام، وهى تدل بوضوح على حمل الأمانات التى جاء بها الأنبياء عليهم السلام، فإن الواقع العملى للحسين عليه السلام فى كل المراحل والأدوار والمنعطفات التى مر بها عليه السلام هى منارات هدايه مرسومه من ابتداء الخلائق إلى يوم القيامه.

وهنا نقرأ هذا الحديث الشريف: قالت فاطمه عليها السلام : يا رسول الله هذان ابناك فانحلها.

فقال رسول الله صلى الله عليه واله : أما الحسين فنحلته هيبتى وسؤددى وأما الحسين فنحلته سخائى وشجاعتى (۲).

وعندما نبحث فى سيره الحسين عليه السلام ونقرأ الواقع العملى، نجد أن كل ما قيل فى الأحاديث الشريفه قد حصل على أرض الواقع، ونجد ضمن هذه الأحاديث عمومات و خصوصيات

منها ما عن الإمام الرضا عن آبائه عليهم السلام قال: قال النبى صلى الله عليه واله: الحسين والحسين خير أهل الأرض بعدى وبعد أبيها وأمهما أفضل نساء أهل الأرض(۳).

من هنا نجد أن كل الفضائل قد تجمعت فى الحسين عليه السلام واستمرت الى يوم

۱- بحار الأنوار ج۴۳ ص ۲۶۱ عن مناقب ابن شهر آشوب.
۲- الخصال ص ۷۷، وعنه بحار الأنوار ج۴۳ ص ۲۶۴.
۳- عيون أخبار الرضا ج ۲ص ۶۷، وعنه بحار الأنوار ج۴۳ ص ۲۶۴.

النشور.

وعن حذيفه بن اليمان، قال: رأيت النبى صلى الله عليه واله آخذاً بيد الحسين بن على عليه السلام وهو يقول: يا أيها الناس هذا الحسين بن على فاعرفوه فو الذى نفسى بيده إنه لفى الجنه ومحبيه فى الجنه ومحبى محبيه فى الجنه(١).

وعندما نتأمل ونتدبر مثل هذا الحديث الشريف عمن لا ينطق عن الهوى، وعن تلقى وهو فى سدره المنتهى، وخطابه لجميع الناس، وكان الحسين لم يتجاوز السنوات الخمس تقريباً، ويعرف بالحسين عليه السلام إلى يوم القيامه، ويوم الفصل والحشر، يوم يحشر الناس إلى الجنه زمرا، ويحشر أفواج إلى جهنم زمراً ويدخل الجنه محبى محب الحسين.

فأى أسرار يحملها الحسين عليه السلام ؟ وأى أنوار تضىء الجنه؟

نتمثل بقول أبى الحسنين: إليك عنى يا دنيا .. أين الأمم الذين فتنتهم بز خارفك.. لأقمت عليك حدود الله فى عباد غررتهم بالأمانى وأمم ألقيتهم فى المهاوى وملوك أسلمتهم إلى التلف(٢).

وقفه متيم عند باب الحسين

كلما أردت أن أسير ولو خطوه إلى الأمام أجدنفسى مشدوداً إلى الابتداء .

وإن كثيراً ممن كتب عن الحسين عليه السلام كتب عما بعد مسيرته الغراء، ولكن يشدنى الشوق الى الابتداء.

١- الأمالى للصدوق ص ٦٩٣، وعنه بحار الأنوار ج ٤٣ ص ٢٦٢.

٢- يحسن مراجعه النهج لمن يسلك النهج القويم، ج٣ ص٧٤.

ومن هنا يلفنا العجز، ونجد كل الصعوبات فى باب الابتداء.

وحاولت تكرار السؤال على نفسى: هل تكون نتائج الحياه عن الانتهاء ام عند الابتداء ؟

وقفت عاجزاً عن الجواب!

ما المراد من الابتداء

عندما نقرأ بعض الجوانب من خريطه الحياه، نجد أن الابتداء جاء من عوالم السماء وخاصه ابتداء خلق الإنسان، ونجد أن كل ما فى الأكوان مسخر - بشكل ما- للإنسان، وقد أهبط الإنسان للأرض بعد أن أصبحت مهيأه لحياته عليها.

من هنا ندرك أن ابتداء الإنسان لم يكن على هذه الأرض، إنما كانت ممارسه حياته العمليه عليها.

وابتداء الإنسان بمثابه الأساس الذى يبنى عليه، وبقدر متانه الأساس يثبت البنيان، ويهنا الإنسان.

لذا لا بد من إدراك متانه الابتداء حتى لا يفاجأ العقلاء عند الانتهاء، وليس بناء الإنسان كبناء سائر المحسوسات، بل هو بناء فريد مميز ليس له مثيل مهما قال المحللون، فلا بد من وقفه فيها شىء من التدبر حول ما هو الابتداء، وهذه العبارات يدرك معانيها العقلاء، وليست للذين أخبر الله عنهم: «ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ»(١).

فالعلم الحقيقى هو معرفه الابتداء قبل الوصول إلى حافه الانتهاء .

١- النجم: ٣٠.

ونكرر ههنا الوقوف عند باب الحسين عليه السلام، بين الابتداء ومسيره الحياه والانتهاء، ويتضح المرام عندما نرسم حروف هذا الحديث، فعن عبد الرحمان بن كثير الهاشمى قال: قلت لأبى عبد الله عليه السلام: جعلت فداك، من أين جاء لولد الحسين الفضل على ولد الحسن وهما يجريان فى شرع واحد؟

فقال: لا أراكم تأخذون به، إن جبرئيل عليه السلام نزل على محمد صلى الله عليه واله وما ولد الحسين بعد قال له: يولد لك غلام تقتله أمتك من بعدك.

فقال: يا جبرئيل لا حاجه لى فيه.

فخاطبه ثلاثاً ثم دعا علياً فقال له: إن جبرئيل عليه السلام يخبرنى عن الله عزوجل أنه يولد لك غلام تقتله أُمتك من بعدك.

فقال: لا حاجه لى فيه يا رسول الله .

فخاطب علياً عليه السلام ثلاثاً ثم قال: إنه يكون فيه وفى ولده الإمامه والوراثه والخزانه، فأرسل إلى فاطمه عليه السلام أن الله يبشرك بغلام تقتله أمتى من بعدى.

فقالت فاطمه : ليس لى حاجه فيه يا أبه.

فخاطبها ثلاثاً ثم أرسل إليها: لا بد أن يكون فيه الإمامه والوراثه و الخزانه.

فقالت له: رضيت عن الله عزوجل، فعلقت وحملت بالحسين فحملت سته أشهرثم وضعته ولم يعش مولود قط لسته أشهر الحسين بن على وعيسى ابن مريم عليه السلام فكفلته أم سلمه.

وكان رسول الله يأتيه فى كل يوم فيضع لسانه فى فم الحسين عليه السلام فيمصه حتى يروى فأنبت الله تعالى لحمه من لحم رسول الله صلى الله عليه واله ولم يرضع من

فاطمه عليهما السلام ولا من غيرها لبنا قط فلما أنزل الله تبارك وتعالى فيه:«وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا ۖ حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي»(۱)فلو قال أصلح لی ذریتی کانوا کلهم أئمه لکن خص هکذا(۲).

عندما نقرأ بعض الأحاديث وبعض الآيات فلا ينبغى أن نجعل أنفسنا ميزاناً لها، لأنا لا ندرك العلل والأسباب والنتائج البعيده.

لذلك يمكن القول أن حقائق الابتداء وما يترتب عليه من نتائج للإنسان العادى فوق تقديراتنا وأبعد من تفسيراتنا، وليس كل من عرف ظواهر شيء أو أمر من الأمور عرف بواطنه وأسراره وعلله ونتائجه، فالأكوان كلها أسرار وإن ظهر منها لمعات وإشارات، ويكمن وراء كل ما نشاهد من الظواهر أسرار وبواطن بدءً من الذره إلى المجره.

وعند التأمل جيداً نجد أن ابتداء هذا الانسان المكون من لحم وعظم وماء وغير ذلك كان من الأسرار، وكل ظواهر الوجود داله على الواحد المعبود.

وعندما نتلمس خصوصيه أو خصوصيات فى مخلوق معين نعلم أن ذلك الحكمه بالغه خص بها، وقد ندرك جانباً من الحكمه وقد لا نعرف عنها شيئاً.

فكل ميسر لما خلق له(۳)..«قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ»(۴).. وكل إناء

۱- الأحقاف: ۱۵.

۲- علل الشرائع ج۱ ص۲۰۶، وعنه بحار الأنوار ج ۴۳ ص ۲۴۵.

۳- التوحيد للصدوق ص ۳۵۶.

۴- الإسراء ۸۴.

بالذى فيه ينضح.. فسبحان الذى يخص من يشاء..« وَمَا رَبُّکَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ»(۱)...

ونعود للإبتداء..

يقول ذوو الاختصاصات أن جوده الثمره تعود إلى عذوبه وصفاء الماء، فعندما تغرس فى تربه صالحه، وعندما تصان بالعنايه المطلوبه، وعندما يتوفر المناخ الجيد الملائم، ومع توفر الشروط والتوفيق تصبح الشجره ثابته، أصلها ثابت وفرعها فى السماء، عندئذ تؤتى أكلها كل حين بإذن بارئها وغارسها.

وقد اجتمعت فى تكوين ذرات تراب هذا الإنسان وخلايا تكوينه كل ما يمكن أن يقال حول خواص التراب والماء، وما يحمل قبل التصفيه والاصطفاء، فما نراه فى عوالم المحسوسات عائد إلى غلبه تكوين ابتدائه، سواء من معادن متنوعه وأشجار شتى وحيوان وإنسان، فكلها تعود إلى ابتداء البنيان، وما بنى على صحيح فهو صحيح، والعكس أيضاً.

وقد قيل فى المثل الشعبى: الديک الفصيح، من البيضه يصيح.

وهنا يحسن القول: أن التاريخ يكتب من الابتداء وليس من الانتهاء، فالانتهاء نتيجه حاصله، فيا حبذا لو بحثنا وكتبنا عن أساس الابتداء لكل ظاهره من ظواهر الحياه.

ونورد ههنا هذا الحديث، ولكل حديث من أحاديث أهل بيت العصمه عليهم السلام أبعاد فيها إشارات ومعطيات ترسم لنا الكثير من مسيره الحياه، لأنه ليس لوجود الإنسان انتهاء، وإن كان يمر ضمن محطات من مرحله لأخرى،

۱- فصلت ۴۶.

ومن منعطف لآخر.

وقد ألمحنا أكثر من مره إلى أن بدء تكوين الإنسان كان من ذرات، وتنقل من صلب لآخر حتى استقر مده على هذه الأرض، وهو يمتلك نوعاً من قدره ويتصرف بنوع من اختيار، وليست هذه الدنيا هى محطته الأخيره، بل ثبت أنه ينتقل بعد حياته فى هذه الدنيا إلى عالم آخر يسمى عالم الآخره، وتلك هى مرحله الثواب والعطاء.

من هنا نحاول التعرف على حقائق الابتداء قبل الوصول لجوائز العطاء.

وقد ورد فى الحديث فى تأويل قوله تعالى: «وَوَصَّينَا الإنسَانَ بِوَالِدَيهِ إِحسَاناً»(1)قال: الاحسان رسول الله صلى الله عليه واله وقوله«بوالديه»إنما عنى الحسن والحسين عليهما السلام ثم عطف على الحسين عليه السلام فقال:« حملته أمه كرها ووضعته كرها»وذلك أن الله أخبر رسول الله صلى الله عليه واله وبشره بالحسين عليه السلام قبل حمله، وان الإمامه تكون فى ولده إلى يوم القيامه، ثم اخبره بما يصيبه من القتل والمصيبه فى نفسه وولده، ثم عوضه بان جعل الإمامه فى عقبه، وأعلمه انه يقتل ثم يرده إلى الدنيا وينصره حتى يقتل أعداءه ويملكه الأرض، وهو قوله «ونريد ان نمن على الذين استضعفوا فى الأرض»الآيه، قوله:«ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون ».

فبشر الله نبيه صلى الله عليه واله أن أهل بيتك يملكون الأرض ويرجعون إلى الدنيا ويقتلون أعداءهم، وأخبر رسول الله صلى الله عليه واله فاطمه عليها السلام بخبر الحسين وقتله

۱- الأحقاف:۱۵، وقد تقدم جانب من الآيه وهنا مطلعها، وتتضمن أسراراً بليغه إضافه إلى المعنى الظاهر.

فحملته كرها.

ثم قال أبو عبد الله عليه السلام : فهل رأيتم أحداً يبشر بولد ذكر فتحمله كرها أى انها اغتمت وكرهت لما أخبرها بقتله، ووضعته كرها لما علمت من ذلك وكان بين الحسن والحسين عليهما السلام طهر واحد، وكان الحسين عليه السلام فى بطن أمه سته اشهر وفصاله أربعه وعشرون شهرا وهو قول الله :«وحمله وفصاله ثلاثون شهرا»(۱).

من نماذج الأسرار الواقعيه

عندما أحاول أن أرسم بعضاً من الحروف والكلمات حول أسرار الحسين عليه السلام أجد فى سيره الحسن والحسين عليهما السلام ما لا حصر له فى بطون الكتب والأحاديث، ويجد الباحث لهذه الأسرار واقعاً عملياً عبر الأزمان، خاصةً عندما يتابع التنقيب والبحث فيما ورد عن سيد الكائنات صلى الله عليه واله فى حق الحسن والحسين عليهماالسلام، وما نذكره ليس إلا نموذج وإشارات لمن يريد النجاه، فسيرتهما غنيه عن التعاريف.

وإنما نحاول الربط بين القلوب المؤمنه وصمام الأمان، وهم أهل بيت العصمه، ومصدر هذا الارتباط ما جاء عن سيد الأنبياء صلى الله عليه واله وخاصه فى المراحل المتقدمه.

وتظهر حقائق الأسرار عندما نقرأ المراحل المتأخره التى حصلت وتحققت على أرض الواقع فعلاً، فعندما نقرأ بتدبر ما قاله صلى الله عليه واله عن الأئمه عليهم السلام نجد أن ذلك قد حصل بالفعل، وليس مجرد مدح أو حب.. وهذا يستدعى أن نتبصر

۱- تفسير القمى ج ۲ ص ۲۹۷، وعنه بحار الأنوار ج۴۳ ص ۲۴۶.

ونبحث بتدبر لئلا يتيه بنا الخيال والأهواء النفسيه أو الضلاليه .

ونقرأ هذا الحديث - وأقصد قراءه القلوب والأرواح والعقول - أما قراءه اللسان فلم يحرم منها أحد حتى الأمى.

عن جابر بن عبد الله الأنصارى قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه واله آخذا بيد الحسن والحسين عليهما السلام فقال: إن ابنى هذين ربيتهما صغيرين، ودعوت لهما كبيرين وسألت الله تعالى لهما ثلاثاً فأعطانى اثنتين ومنعنى واحدةً.

سألت الله لهما أن يجعلها طاهرين مطهرين زكيين فأجابنى إلى ذلك.

وسألت الله أن يقيهما وذريتهما وشيعتهما النار فأعطانى ذلك.

وسألت الله أن يجمع الأمه على محبتهما فقال: يا محمد إنى قضيت قضاءً وقدرت قدراًوإن طائفةً من أمتك ستفى لك بذمتك فى اليهود والنصارى والمجوس وسيخفرون ذمتك فى ولدك، وإنى أوجبت على نفسى لمن فعل ذلك ألا أحله محل كرامتى ولا أسكنه جنتى ولا أنظر إليه بعين رحمتى إلى يوم القيامه(١).

وقفه على أبواب الأسرار

يظهرها الليل والنهار .. .

فإن أسرار أهل بيت العصمه لا تلامسها الأفكار، وقد تأتى أجيال عبر الزمن تكتشف ذلك فعلاً لا قولاً.

إن أفكارنا فى هذه الأزمنه قد انغمست فى أوحال هذه الدنيا، إلا من عصمه

١- الأمالى للمفيد ص٧٩، بحار الأنوار ج٤٣ ص٢٧٦، وينبغى على ذوى العقول أن يقرؤوا الواقع بتجرد.

الله، وهنا يحسن القول: إن العصمه من الذنوب تفتح للفكر اسرار القلوب.

هنا نرسم حروف و كلمات هذا الحديث، والحديث باختصار وتصرف.

قال الإمام الحسن والحسين عليهما السلام لأمهما عندما أدركها العيد: قد زينوا صبيان المدينه إلا نحن فما لك لا تزيننا؟

فقالت:ثيابكما عند الخياط فإذاأتانى زينتكما.

فلما كانت ليله العيد أعادا القول على أمهما فبكت ورحمتهما فقالت لهما ما قالت فى الأولى فردا عليها.

فلا أخد الظلام قرع الباب قارع فقالت فاطمه من هذا؟

قال: يا بنت رسول الله أنا الخياط جئت بالثياب .

ففتحت الباب فإذا رجل ومعه من لباس العيد، قالت فاطمه : والله لم أر رجلًا أهيب شيمةً منه فناولها منديلًا مشدوداً ثم انصرف.

فدخلت فاطمه ففتحت المنديل فإذا فيه قميصان ودراعتان و سرالان ورداءان وعمتان وخفان أسودان معقبان بمحره، فأيقظتهما وألبستهما ودخل رسول الله وهما مزينان فحملهما وقبلهما.

ثم قال : رأيت الخياط؟

قالت: نعم يا رسول الله، والذى أنفذته من الثياب .

قال: يا بنيه ما هو خياط إنما هو رضوان خازن الجنه .

قالت فاطمه : فمن أخبرك يا رسول الله ؟

قال: ما عرج حتى جاءنى وأخبرنى بذلك(۱).

نقول: إن رشحات الأسرار يتلمسها الأتقياء الأبرار، وإن الأحاديث التى وصلت إلى هذه الأمه من الرسول و آله الكرام ما هى إلا رشحات من فيض لا حدود لأطرافه، ومع ذلك فهى تجل عن الحصر، وفوق أرقام الأعداد .

وعندما نشير بحديث هنا أو هناك نحاول تنبيه عقولنا، فما نراه من الآيات والروايات ما هو إلا إعطاء دروس لهذه الأمه لئلا تتلهى بزخارف هذه الدنيا، و آيات سوره الإنسان مثلاً والتى منها: «وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا*إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا»(۲)

وغيرها من الآيات فى القرآن المجيد، ما هى إلا ومضات لتضىء أمام القلوب والأفكار طريق الحياه.

فالأسرار التى تشير إليها ما هى إلا ربط للإنسان بين واقع الأرض وفيض السماء، ليقتدى الإنسان بالأبرار، لعله ينجو من عذاب النار، ولقد قيل :

تشبهوا إن لم تكونوا مثلهم * إن التشبه بالكرام فلاح

وعن الحسن البصرى وأم سلمه: أن الحسن والحسين دخلاعلى رسول الله صلى الله عليه واله وبين يديه جبرئيل فجعلا يدوران حوله يشبهانه بدحيه الكلبى فجعل جبرئيل يومى بيده كالمتناول شيئاً فإذا فى يده تفاحه وسفرجله ورمانه فناولهما وتهلل وجهاهما وسعيا إلى جدهما فأخذ منها فشمهما ثم قال: صيرا إلى أمكما بما معكما وابداءَا بأبيكما

۱- راجع مناقب ابن شهر آشوب ج۳ ص ۳۹۱، وعنه بحار الأنوار ج۴۳ ص ۲۸۹.

۲- الإنسان: ۸-۹.

فصارا كما أمرهما فلم يأكلوا حتى صار النبى إليهم فأكلوا جميعاً فلم يزل كلما أكل منه عاد إلى ما كان حتى قبض رسول الله صلى الله عليه واله.

قال الحسين عليه السلام : فلم يلحقه التغيير والنقصان ايام فاطمه بنت رسول الله حتى توفيت فلما توفيت فقدنا الرمان وبقى التفاح والسفرجل أيام أبى.

فلما اشتشهد أمير المؤمنين فقد السفرجل وبقى التفاح على هيئه عند الحسن حتى مات فى سمه.

وبقيت التفاحه إلى الوقت الذى وحوصرت عن الماء فكنت أشمها إذا عطشت فيسكن لهب عطشى.

فلما اشتد على العطش عضضتها وأيقنت بالفناء.

قال على بن الحسين عليه السلام : سمعته يقول ذلك قبل مفتله بساعه فلما قضى نحبه وجد ريحها فى مصرعه فالتمست ولم ير لها أثر فبقى ريحها بعد الحسين.

ولقد زرت قبره فوجدت ريحها تفوح من قبره.

فمن أراد ذلك من شيعتنا الزائرين للقبر فيلتمس ذلك فى أوقات السحر فإنه يجده إذا كان مخلصا(۱).

إن للحسين عليه السلام خصوصيات لم تدركها الأفكار ولا العقول بعد، ومن ذاق عرف، ومن غاص اغترف.

فإن النار ليس تمس جسماً* عليه غبار زوار الحسين

فكيف بمن يشم؟ وروحه تذوق؟ وعينه تدمع؟!

۱- راجع مناقب ابن شهر آشوب ج۳ ص ۳۹۱.

خير الخلائق

يؤخذ الحديث عن الفضائل من مصدره، وكلما توغلنا فی البحث عن أسرار بيت العصمه عليهم السلام نجد ما لا حصر لحدوده، والحديث عن أسرار الحسين عليه السلام هو حديث عن أهل بيت العصمه جميعهاً، وليس فی الوجود قط خير منهم، وذلك ثابت بنصوص لا تنتهی، منها ما قاله صلی الله عليه واله عندما وجد الحسن والحسين فی حظيره بنی النجار وهما طفلان(۱)، ثم قال صلی الله عليه واله فی حق الحسن والحسين عليهما السلام قولاً جامعاً فی الدنيا والآخره:

والله لاشرفنهما اليوم بما شرفهما الله، فخطب فقال: يا أيها الناس أ الا أخبركم بخير الناس جداً و جده؟

قالوا: بلی يا رسول الله.

قال: الحسن والحسين جدهما رسول الله وجدتهما خديجه بنت خويلد .

ألا أخبركم أيها الناس بخير الناس أباً وأما؟

قالوا: بلی يا رسول الله.

قال: الحسن والحسين أبوهما علی بن أبی طالب وأمهما فاطمه بنت محمد.

ألا أخبركم أيها الناس بخير الناس عماً عمه؟

قالوا: بلی يا رسول الله .

قال: الحسن والحسين عمهما جعفر بن أبی طالب وعمتهما أم هانی بنت أبی طالب.

۱- والقصه مشهوره عندما ناما هناك.

ألا يا أيها الناس ألا أخبرم بخير الناس خالا وخاله؟

قالوا: بلى يا رسول الله.

قال: الحسن والحسين خالهما القاسك بن رسول الله وخالتهما زينب بنت رسول الله صلى الله عليه واله.

ألا إن أباهما فى الجنه وأمهما فى الجنه وجدهما فى الجنه وجدتهما فى الجنه وخالهما فى الجنه وخالتهما فى الجنه وعمهما فى الجنه وعمتهما فى الجنه وهما فى الجنه ومن أحبهما فى الجنه ومن أحب من أحبهما فى الجنه(۱).

وهنا تكفى هذه الإشاره: قال رسول الله صلى الله عليه واله: ليله عرج بى إلى السماء رأيت إلى باب الجنه مكتوباً لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه واله على حبيب الله الحسن والحسين صفوه الله فاطمه أمه الله على باغضيهم لعنه الله(۲).

الأسباب والمسببات

من الثابت عند أصحاب الإدراك وذوى العقول أن لكل ما فى هذه الأرض من نبات و حيوان وإنسان سبب من السماء، والسماء مصدر العطاء والصفاء، ومن الثابت أيضاً أن النبى صلى الله عليه واله قد عرج إلى السماء، وقد تغذى من أثمار الجنه كما يتناول الغذاء كل إنسان على هذه الأرض، وللغذاء دور فى دوره حياه الإنسان، وبقدر جودته يكون الإنسان سليماً.

وقد أصبحت هذه المعانى من البديهيات، خاصه بعد تقدم العلوم ونتائج

۱- بحار الأنوار ج ۴۳ ص ۳۰۲.

۲- بحار الأنوار ج ۴۳ ص ۳۰۳.

المختبرات، وقد أثبت العلماء والباحثون أن النطفه تتكون فى أصلاب الرجال من الغذاء، وتحمل الكثير من خصائص الوراثه، وقد أصبح علم الوراثه من أدق وأجل العلوم، ولم يبق هذا العلم فى غياهب المجهول.

من هنا نجد أن العلوم السماويه التى جاء بها الأنبياء والرسل والأولياء عليهم الصلام والسلام قد تعرضت لتعاليم حول الغذاء ونوعياته وشروطه، صوناً وحفاظاً على النطفه، حتى يتكون بسببها بدن الإنسان، وتحمل المورثات فى مسيره الحياه.

ولذا نجد أن التعاليم الدينيه السماويه الحقه قد ركزت كثيراً على الصون والصيانه والحفظ والمحافظه، لأجل أن يأتى أفراد الإنسان إلى هذه الدنيا بأرقى أنواع السلامه من العاهات والانحرافات.

وبعد التدقيق والأبحاث المتنوعه يتبين أن سلامه الإنسان أو تشوهاته تبدأ من ابتداء تكوين النطفه، لذلك كان لا بد من العنايه الفائقه من الأبوين، وقد ورد فى ذلك ما لا حصر له حول الأصلاب الطاهره والأرحام المطهره.

حتى أن الإرضاع الجنين وتغذيته - فضلاًعن تكوينه - دوراً مهماً فى نشوء الطفل الرضيع.

إذاً لا بد من العنايه واختيار الغذاء منذ بدء تكوين النطفه ومروراً فى الأصلاب والأرحام، ليصبح الإنسان سليماً معافىً نظيفاً، ثم مروراً بالتصرفات، إكمالاً لدوره الحياه.

ولا شك أن غذاء الجنه من فواكه وأشجار لا يقاس بما فى الأرض.

وقفه عند حديث من أحاديث المعراج

إن أحاديث المعراج مميزه عن أحاديث الأرض، وهـذا التميز راجع لخصوصـيات كل كوكب بما فيه من طبيعه خاصه، وقد يأتى يوم تتعرف فيه عقول البشـر على طبيعه كل كوكب يدور فى الأكوان التى لا حدود لها، ولذلك نجد أن كثيراً من الناس يصعب عليهم إدراك المضامين فى كثير من أحاديث الإسراء والمعراج.

حكى عن عروه البارقى قال: حججت فى بعض السـنين فـدخلت مسـجد رسول الله صـلى الله عليه واله فوجدت رسول الله جالسـاً وحوله غلامان يافعان وهو يقبل هذا مره هذا أخرى.

فإذا رآه الناس يفعل ذلك أمسكواعن كلامه حتى يقضى وطره منهما وما يعرفون لأى سبب حبه إياهما.

فجئته وهو يفعل ذلك بهما فقلت: يا رسول الله هدان ابناك ؟

قال: إنهما ابنا ابنتى وابنا أخى وابن عمى وأحب الرجال إلى ومن هو سـمعى وبصـرى ومن نفسه نفسى ونفسى نفسه، ومن أحزن لحزنه ويحزن لحزنى.

فقل له: قد عجبت يا رسول الله من فعلك بهما وحبك لهما.

فقال لى: أحـدثك أيها الرجل: إنى لما عرج بى إلى السـماء ودخلت الجنه انتهيت إلى شـجره فى رياض الجنه فعجبت من طيب رائحتها فقال لى جبرئيل: يا محمد لا تعجب من هذه الشجره فثمرها أطيب من ريحها، فجعل جبرئيل يتحفنى من ثمرها ويطعمنى من فاكهتهـا وأنـا لا أمل منها، ثم مررنا بشـجره أخرى فقال لى جبرئيل، يا محمـد كل من هـذه الشـجره فإنها تشـبه الشـجره التى أكلت منها الثمر

فهی أطیب طعماً واذکی رائحهً.

قال، فجعل جبرئیل یتحفنی بثمرها ویشمنی من رائحتها وأنا لا أمل منها، فقلت: یا أخی جبرئیل ما رأیت فی الأشجار أطیب ولا أحسن من هاتین الشجرتین، فقال لی: یا محمد تدری ما اسم هاتین الشجرتین؟

فقلت: لا أدری.

فقال: إحداهما الحسن والأخری الحسین فإذا هبطت یا محمد إلی الأرض من فؤرک فأت زوجتک خدیجه وواقعها من وقتک وساعتک فإنه یخرج منک طیب رائحه الثمر الذی أکلته من هاتین الشجرتین فتلد لک فاطمه الزهراء.

ثم زوجها أخاک علیاً فتلد له ابنین فسم أحدهما الحسن والآخر الحسین.

قال رسول الله صلی الله علیه واله: فعلت ما أمرنی أخی جبرئیل فکان الأمر ما کان فنزل إلی جبرئیل بعد ما ولد الحسن والحسین فقلت له: یا جبرئیل ما أشوقنی إلی تینک الشجرتین، فقال لی: یا محمد إذا اشتقت إلی الأکل من ثمر تینک الشجرتین فشم الحسن والحسین.

قال: فجعل النبی صلی الله علیه واله کلما اشتاق إلی الشجرتین یشم الحسن والحسین ویلثمهما وهو یقول: صدق أخی جبرئیل علیه السلام، ثم یقبل الحسن والحسین ویقول:

یا أصحابی إنی أو دأنی أقاسمها حیاتی لحبی لهما فهما ریحانتای من الدنیا.

فتعجب الرجل من وصف التی صلی الله علیه واله للحسن والحسین فکیف لو شاهد النبی صلی الله علیه واله من سفک دماء هم وقتل رجالهم ذبح أطفالهم ونهب أموالهم وسبی حریمهم؟

أولئک علیهم لعنه الله والملائکه والناس أجمعین «وَ سَیَعلَمُ الّذِینَ ظَلَمُوا

أيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُون »(۱).

وقفه عند باب حب الحسنين

كلما قرأت هنا أو هناك أقف متأملاً ـ فيما لا ـ حصر له مما ورد عن النبى صلى الله عليه واله حول حبه للحسن والحسين عليهماالسلام، وعندما يجد العاقل هذا الكم الهائل من الأحاديث والمواقف حول حبهما فلا بد له أن يقف ليتدبر سر ذلك.

ويظهر أننا لا ندرك هذا السر بكل أبعاده إلا عندما ينكشف عن بصائرنا الغطاء، وهنا نرسم حروفاً لهذا الحديث الشريف - بحذف الأسانيد - :

عن الإمام الكاظم عليه السلام قال: أخذ رسول الله صلى الله عليه واله بيد الحسن والحسين فقال من أحب هذين الغلامين وأباهما وأمهما فهو معى فى درجتى يوم القيامه(۲).

وفى حديث آخر: عن سلمان رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه واله يقول فى الحسن والحسين عليه السلام : اللهم إنى أحبهما فأحبها وأحب من أحبهما.

وقال عليه وآله السلام: من أحب الحسن والحسين عليه السلام أحببته ومن أحببته أحبه الله، ومن أحبه الله عزوجل أدخله الجنه، ومن أبغضهما أبغضته ومن أبغضته أبغضه الله، ومن أبغضه الله خلده فى النار(۳).

۱- بحار الأنوار ج۴۳ ص۳۱۴.

۲- كامل الزيارات ص ۱۱۷ وعنه بحار الأنوار ج۴۳، ص۲۷۱، أمالى الصدوق ص ۲۹۹.

۳- الإرشاد للمفيد ج۲ ص۲۸، وعنه بحار الأنوار ج ۴۳ ص ۲۷۵، ووردت بعض فقراته فى مصادر العامه، من ذلك ما رواه النووى وحسنه فى المجموع ج ۱۵ ص۳۵۳، والشوكانى فى نيل الأوطار ج ۶ ص ۱۳۹بل نقل البخارى عن النبى صلى الله عليه واله: انه كان يأخذه (الحسين) والحسن ويقول: اللهم إنى أحبها فأحبها، راجع صحيح البخارى ج ۴ ص ۲۱۶، بل تواتر هذا المعنى وما هو أعظم منه عند جميع المسلمين بمختلف مذاهبهم.

من هنا نتلمس – ولو قليلاً – أن أسرار السعاده عند أبواب الحسين عليه السلام .

ولما كانت الخلائق قد عرفت الحقائق من الأنبياء، أمكن لنا أن نتلمس الأسرار من النبى المختار صلى الله عليه واله ، وقد ظهرت هذه الأسرار واقعاً فيما بعد، فعندما نقرأ بعضاً من الأحاديث ندرك شيئاً من تلك الأسرار.

عن سليم بن قيس الهلالى عن سلمان الفارسى رضى الله عنه، قال: دخلت على النبى صلى الله عليه واله، فإذا الحسين بن على على فخذه وتفرس فى وجهه وقبل بين عينيه وقال: أنت سيد ابن سيد، أنت إمام ابن إمام أخو إمام، أبو أئمه، أنت حجه الله ابن حجه الله، وأبو حجج تسعه من صلبك تاسعهم قائمهم(١).

يدلنا هذا الحديث مع عدد غفير من الأحاديث بمعانيه على كثير من أنوار الأسرار التى استقر مجمعها عند باب الحسين عليه السلام، وهو الباب الأوسع، ومنه تدخل الإنسانيه لحفظها فى الدارين، فهو السيد واقعاً، وهو أبو الساده فعلاً، وأبو الأئمه نصاً، وأبو الحجج نجاةً، وباسمه يكون صلاح الأرض، وعدالته على يدى القائم المنتظر عجل الله فرجه.

من هنا نتلمس جوانب الأسرار، من أحاديث النبى المختار، وسلام الله عليهم فى كل ليل ونهار، وإظهار وأستار.

للحسين عليه السلام سير فى القلوب

ولهذا السر آثار على أهل السماء قبل أهل الأرض، وقد نطق بهذا المعنى

١- كتاب سليم بن قيس ص ۴۶۰، الخصال للصدوق ص ۴۷۵، بحار الأنوارج۴۳ ص ۲۹۵.

المخالف والمؤالف، وهنا نذكر حادثه تتضمن الكثير من واقعه أهل الأرض.

عن الرضا عن آبائه عليهم السلام : قال رسول الله صلى الله عليه واله: من أحب أن ينظر إلى أحب أهل الأرض إلى أهل السماء فلينظر إلى الحسين.

رواه الطبريان فى الولايه والمناقب والسمعانى فى الفضائل بأسانيدهم عن إسماعيل بن رجاءٍ وعمرو بن شعيب أنه مرالحسين على عبد الله بن عمرو بن العاص فقال عبد الله: من أحب أن ينظر إلى أحب أهل الأرض إلى أهل السماء فلينظر إلى هذا المجتاز، وما كلمته منذ ليالى صفين فأتى به أبو سعيد الخدرى إلى الحسين عليه السلام فقال الحسين: أتعلم أنى أحب أهل الأرض إلى أهل السماء وتقاتلنى وأبى يوم صفين؟ والله إن أبى لخير منى.

فاستعذر وقال إن النبى صلى الله عليه واله قال لى: أطع أباك.

فقال له الحسين عليه السلام: أما سمعت قول الله تعالى «و إن جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما»وقول رسول الله صلى الله عليه واله : إنما الطاعه فى المعروف، وقوله: لا طاعه لمخلوق فى معصيه الخالق(۱).

ماذا ندرك من هذا الحديث؟

نقول وبه نستعين: لقد تضمن الحديث جوانب مهمه جداً ولسنا بصدد شرحها ههنا، وإنما نقف عند جانب يتعلق بمسيره حياتنا، وهو أنه ليس كل من عرف شيئاً التزم بتطبيقه، وهذا ما نجده على مر العصور والدهور.

إن عمرو بن العاص يعرف أن الحسين عليه السلام هو الإمام المفترض الطاعه،

۱- مناقب آل أبى طالب ج۳ ص ۲۲۸، وعنه بحار الأنوار ج۴۳ ص۲۹۷.

وهو حبيب الله فى السماء والأرض، ومع ذلك لم نجده وقف يوماً مع أهل الحق، وقصه عبد الله بن عمر مشهوره عندما بايع الحجاج.

والجانب الآخر أنه لا بد من أخذ العبره مما قاله الحسين عليه السلام : إنما الطاعه فى المعروف، وقوله: لا طاعه لمخلوق فى معصيه الخالق.

من هنا ندرك بالوجدان أن الله تعالى قد اختار أهل البيت عليهم السلام لهدايه البشريه على وجه الأرض، وندرك أيضاً أن النبى صلى الله عليه واله عندما يأخذ الحسنين عليهما السلام بيديه ويخاطب الناس بفضلهما وعلو شأنها وإظهار حبه لهما، كل ذلك لتوجيه الناس إلى التمسك بهما فى حياه الأمه. وقد شهد بذلك الأعداء، والفضل ما شهدت به الأعداء(١).

علم وأسرار

إن للبحث والتنقيب حول أسرار الحسين عليه السلام ارتباط بالابتداء والانتهاء، والمقصود ابتداء خلق الأنوار، وانتهاء هدايه الإنسان، ولا تعرف هذه المعانى ولا تكتشف بغير العلم، ونقصد بالعلم ما يحرز من علام الغيوب، حيث ثبت بالوجدان فضلاً عن البرهان أن عوالم السماء هى مصدر كل شىء بما فى ذلك المخلوقات، لذلك نجد أن أسرار الحسين عليه السلام قد بدأت من تلك العوالم واستمرت الى ما شاء الله محصوره بالحسين عليه السلام.

وهنا نشير إلى بعض هذه الأحاديث حول ذلك، فقد روى مرفوعا إلى ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه واله : ليله عرج بى إلى السماء رأيت على باب الجنه

١- كل العداوه قد ترجى أمانتها * إلا عداوه من عاداك عن حسد

مكتوبا لا إله إلا الله، محمد رسول الله صلى الله عليه واله، على حبيب الله، الحسن والحسين صفوه الله، فاطمه أمه الله، على باغضيهم لعنه الله.

وعن عمر: سمعت رسول الله صلى الله عليه واله يقول: إن فاطمه وعلياً والحسن والحسين فى حظيره القدس، فى بقه بيضاء سقفها عرش الرحمن عز وجل(۱).

وعن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه واله : إن الجنه تشتاق إلى أربعه من أهلى قد أحبهم الله وأمرنى بحبهم على بن أبى طالب والحسن والحسين والمهدى صلوات الله عليهم الذى يصلى خلفه عيسى بن مريم عليه السلام (۲).

ندرك من هذا الحديث استمرار أسرار الحسين عليه عليه السلام، حيث يكون اصلاح البشريه فى آخر الزمان على يد المهدى المنتظر عجل الله فرجه، الذى يكون شعاره يا لثارات الحسين.

فإن إدراك العلم فى ابتداء أنوار الحسين عليه السلام وأنه وأخوه الإمام الحسن عليه السلام صفوه الله على باب الجنه، وفى ذلك إشاره إلى أن أسرار الحسين عليه السلام مستمره من الناحيه العمليه إلى آخر الحياه.

من هنا وجب علينا معرفه العلم وتلمس الأسرار، لأنه لا يمكن معرفه أنوار الأسرار دون علم، ولا نقصد هنا العلم المصطلح عليه بحسب العرف، وإنما نقصد ما أراده الله للإنسان من العلم الموصل إليه من باب مدينه العلم، وغيره ليس بعلم.

۱- بحار الأنوار ج ۴۳ ص ۳۰۳.

۲- بحار الأنوار ج۴۳ ص ۳۰۴.

علم الأئمه من علم الله تعالى

كثيراً ما تمر فى أذهاننا أحاديث حول العلم، وقد نتعجب من بعضها وقد نتوقف فى البعض الآخر، ولكن عندما نمعن النظر بتدبر قد يزول مثل هذا التعجب، وذلك عندما ندرك أن الله سبحانه وتعالى قد أودع علوم الأولين والآخرين عند نبيه صلى الله عليه واله ، فإن ذلك يسهل على أذهاننا.

فإن الله سبحانه وتعالى لا يباشر التعاطى مع العباد، وإنما أوكل ذلك للأنبياء والرسل والأولياء عليهم السلام، وهذا أمر حاصل وواقع، وقد أودع النبى محمد صلى الله عليه واله أبواب هذه العلوم عند الحجج عليهم السلام ، وبهذا أصبح الأئمه حججاً .

وبمعنى - بسيط - فإنهم حجه على الخلائق بين يدى الله سبحانه(١)، ولولا ذلك لم يكن لهم حجه، والله سبحانه - بحكم العقل - لا يعبد بالجهل والخطأ، ولولا العلم الحقيقى لم يكن حجه على هذا أو ذاك، بل لم يصح الثواب والعقاب، فلا بد أن يكون الحجه عالماً، وعلمه من الله تعالى وشامل لكل ما يحتاجه العباد، وكل ما يجرى فى الليل والنهار، بل بكل ما هو كائن أو يكون(٢).

وقد روى عن عبد الغفار الجازى، عن أبى عبد الله عليه السلام قال: إن الحسن بن

١- وفى القرآن الكريم الكثير من الآيات التى تشير إلى هذه المعانى، منها مثلاً خطابه تعالى للنبى عيسى عليه السلام: «وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِى أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَا أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ»[المائده : ١١۶].
٢- يحسن الرجوع للحديث الذى ذكر فى بدايه الكتاب وفيه من جواب النبى صلى الله عليه واله لحذيفه: نعلم بالكائن قبل كينونته، عن دلائل الإمامه ص ١٨٣.

على عليه السلام كان عنده رجلان فقال لأحدهما: إنك حدثت البارحه فلاناً بحديث كذا وكذا، فقال الرجل الآخر: إنه ليعلم ما كان، وعجب من ذلك.

فقال عليه السلام: انا لنعلم ما يجرى بالليل والنهار.

ثم قال: إن الله تبارك وتعالى علم رسوله صلى الله عليه واله الحلال والحرام والتنزيل والتأويل فعلم رسول الله صلى الله عليه واله علياً علمه كله(۱).

إن علوم الأسرار من العلم اللدنى، وعلم خصه الله للأبرار، وسيد هذا العلم النبى المختار، وقد نهل الأئمه عليهم السلام ذلك من جدهم صلى الله عليه واله ، وهذا ما ثبت عنهم عليهم السلام، ويكفى للإشاره ما تقدم من أن النبى صلى الله عليه واله كان يتولى الحسن والحسين من لحظه ولادتهما، وقد تغذيا من علوم الوحى فضلاًعن العلم اللدنى ،وقد ورد الكثير حول ذلك منذ طفولتهما، وهما اللذان نشئا ضمن مدينه العلم وأبوابها(۲).

وقد روى أن الحسن بن على عليهما السلام كان يحضر مجلس رسول الله صلى الله عليه واله وهو ابن سبع سنين فيسمع الوحى فيحفظه فيأتى أمه فيلقى إليها ما حفظه فلما دخل على ع وجد عندهما علماً فيسألها عن ذلك فقالت من ولدك الحسن.

فتخفى يوماً فى الدار وقد دخل الحسن وقد سمع الوحى فأراد أن يلقيه إليهافأرتج عليه فعجبت أمه من ذلك فقال لا تعجبين يا أماه فإن كبيراً يسمعنى

۱- الخرائج والجرائح ج ۲ ص ۵۷۴، وعنه بحار الأنوار ج۴۳ ص ۳۳۰، وهذا تأويل الآيه: «ومن عنده علم الكتاب »«ما فرطنا فى الكتاب من شىء ».

۲- من الجد للأب والأم، مع عنايه الخالق بها.

واستماعه قد أوقفنى فخرج على فقبله، وفى روايه : يا أماه قل بيانى وكل لسانى لعل سيداً يرعانى(١).

نقول: إن علوم الحسن والحسين عليهما السلام فوق الحصر والبيان، وإنما نحاول رسم نماذج لكل منهما من باب إضاءه خيط نور أمام طريق حياتنا، وعندماذكر أسرار الحسين عليه السلام غالباً لا يعنى ذلك أنها مختصه به فقط، فكلاهما نور واحد، فلا يتوهم متوهم غير ذلك، فهما سيدا شباب أهل الجنه(٢).

الله أعلم حيث يجعل رسالته

إن معرفه الله تعالى من أعظم الأمانات، وليس كل مخلوق مؤهلاً لحفظها وصيانتها، ولا يملك كل أحد القدره على تبليغها، ومن هنا نتلمس عظمه حمله هذه الأسرار، وتتضمن هذه الأمانات حقائق كل شىء فى هذا الوجود، ولمعرفه الحقائق موازين تدرك بها، وهى ليست مجرد أمور نظريه، بل لا بد أن يكون لها مصاديق واقعيه عمليه على أرض الواقع يظهرها حملتها بما هو مطلوب رضاءً للمحبوب.

ولا بد لنا عندما نحاول التعرف على حمله الأمانات من التعرف على شىء من فيضهم، فالنور لا يعرف عند مكفوف النظر، والشهد لا يعرف عند فقدان المذاق، والحق لا يعرف عند الجهل، فما أحوج أن ينصف الإنسان نفسه، وأحوج من ذلك أن لا يلج أبواب الغرور، فلا بد أن يسعى جاهداً لمعرفه من يقتدى به،

١- مناقب آل أبى طالب ج٣ ص١٧٥، وعنه بحار الأنوار ج ٤٣ ص ٣٣٨.

٢- وكل من دخل الجنه يصبح شاباً، أى فى غضاره الشباب .

لأن الاقتداء بمن اختارهم الله هو باب الهدايه(۱).

وقفه ملتمس على باب الحسين

عنوان بحثنا هنا هو أسرار الحسين عليه السلام ، وقد أودع الله سبحانه هذه الأسرار عند النبى المختارصلى الله عليه واله وآله الأطهار عليهم السلام، فلا يتوهم متوهم أننا عندما نذكر فضيله أو منقبه للحسين عليه السلام لا تكون ثابته للحسن عليه السلام ، بل هما بمنزله العينين للوجه، وبمنزله الروح للبدن، والقلب للجسم، فقد خصهما الله بخصائص لم تكن لغيرهما من الناس، ومن هذا التخصيص ندرك المهمه الكبرى لحمله أمانات الله على هذه الأرض، وندرك أيضاً بعض معانى الآيه: «اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ»(۲).

ومن باب التنبيه نذكر هنا هذا الحديث الشريف: عن جعفر بن محمد عليهما السلام قال : قال على بن أبى طالب عليه السلام للحسن: يا بنى قم فاخطب حتى أسمع كلامك.

قال: يا أبتاه كيف أخطب وأنا أنظر إلى وجهك أستحيى منك؟

قال: فجمع على بن أبى طالب عليه السلام أمهات أولاده ثم توارى عنه حيث يسمع كلامه.

فقام الحسين عليه السلام فقال: الحمد لله الواحد بغير تشبيه، الدائم بغير تكوين، القائم بغيرکلفه،الخالق بغير منصبه، المؤصوف بغير غايه، المعروف بغير محدوديه، العزيز لم يز قديماً فى القدم، ردعت القلوب لهيبته، وذهلت العقول

۱- قال تعالى: «مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِى»[الأعراف : ۱۷۸].

۲- الأنعام: ۱۲۴.

لعزته، وخضعت الرقاب لقدرته.

فليس يخطر على قلب بشر مبلغ جبروته، ولا يبلغ الناس كنه جلاله، ولا يفصح الواصفون منهم لكنه عظمته، ولا تبلغه العلماء بألبابها، ولا أهل التفكر تدبير أمورها.

أعلم خلقه به الذى بالحد لا يصفه، يدرك الأبصار ولا يدركه الأبصار وهواللطيف الخبير .

أما بعد فإن علياً باب من دخله كان مؤمناً ومن خرج منه كان كافراً، أوقول قولى هذا وأستغفر الله العظيم لى ولكم.

فقام على بن أبى طالب عليه السلام وقبل بين عينيه ثم قال:«ذريته بعضها من بعض والله سميع عليم»(۱).

بهذه الكلمات تستضىء العقول الناضجه، والقلوب الطاهره، والنفوس العاليه، والأرواح المطهره .

أدوار ومحطات الإمام الحسن مع الأمه

للجهل والجهلاء مداخلات سيئه فى كل عصر وزمان، ويظهر ذلك عندما يكون للعقلاء والأولياء دور على وجه الخصوص، من هنا أخذ الله سبحانه العهد والميثاق على العلماء، لئلا تنطمس الحقائق ويتحكم الجور والظلم، فكان الصراع دائماً بين نهجين متعاكسين على هذه الأرض.

وعندما نقرأ سيره الأنبياء والأولياء والصلحاء من العلماء نجد هذا الصراع

۱- بحار الأنوار ج۴۳ ص ۳۵۱، عن تفسير فرات الكوفى ص ۷۹.

مستمراً، ويستدل من هذا الصراع على قسمين من الناس:

قسم يسعى جاهداً لإقامه العدل والحق، وقسم آخر يناهض ذلك لتغرق الأمه بالظلم والجور.

وعندما نحاول التعرف على بعض جوانب الإمام الحسن عليه السلام نجد أنه قد عانى من هذه الأمه منذ بدء نشأته، ونذكر هنا هذه الحادثه التى تدلنا على كثير من الأسرار:

قيل: طعن أقوام من أهل الكوفه فى الحسن بن على عليه السلام فقالوا: إنه عى لا يقوم بحجه.

فبلغ ذلك أميرالمؤمنين عليه السلام فدعا الحسن فقال : يا ابن رسول الله إن أهل الكوفه قد قالوا فيك مقاله أكرهها.

قال: وما يقولون يا أمير المؤمنين؟

قال : يقولون إن الحسن بن على عى اللسان لا يقوم بحجه وان هذه الأعواد فأخبر الناس.

فقال: يا أمير المؤمنين لا أستطيع الكلام وأنا أنظر إليك.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام : إنى متخلف عنك فناد ان الصلاه جامعه فاجتمع المسلمون فصعد عليه السلام المنبر فخطب خطبه بليغه وجيزه فضج المسلمون بالبكاء ثم قال: أيها الناس اعقلوا عن ربكم، إن الله عزوجل اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ذريه بعضها من بعض والله سميع عليم، فنحن الذريه من آدم والأسره من نوح والصفوه من إبراهيم والسلاله من إسماعيل وال من محمد صلى الله عليه واله.

ص: ١٨١

انحن فيكم كالسماء المرفوعه والأرض المدحوه والشمس الضاحيه، وكالشجره الزيتونه لا شريقه ولا غربيه التى بورك زيتها، النبى أصلها وعلى فرعها ونحن والله ثمره تلك الشجره، فمن تعلق بغضن من أغصانها نجا ومن تخلف عنها فإلى النار هوى.

فقام أمير المؤمنين من أقصى الناس يسحب رداءه من خلفه؛ حتى علا المنبر مع الحسن عليه السلام فقبل بين عينيه ثم قال: يا ابن رسول الله أثبت على القوم حجتك، أوجبت عليهم طاعتك فويل لمن خالفك(١).

يعرف الحق من أهله

لا بد لنا عندما نريد التعرف على قوم أو جماعه أو أفراد من الرجوع للمصدر ليكون ذلك مأخوذاً من منبعه، وقد اعتاد الناس أن يتعرفوا على من يريدون معرفته عبر غيره، وهكذا لا تكون الصوره صحيحه، لذلك نحاول التعرف على أهل بيت العصمه من النبع الصافى.

لقد كتب بعضهم تحليلات وظواهر عن الإمام الحسن عليه السلام ، لكن لا بد من الإشاره إلى أن التعرف على الإمام يكون مما عرفه هو بنفسه عليه السلام .

عن حبيب بن عمرو قال: لما توفى أمير المؤمنين عليه السلام وكان من الغد قام الحسن عليه السلام خطيباً على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس فى هذه الليله نزل القرآن، وفى هذه الليله رفع عيسى بن مريم، وفى هذه الليله نزل القران، وفى هذه الليله رفع عيسى بن مريم ،وفى هذه الليله قتل يوشع بن نون ،وفى هذه الليله مات ابى امير المومنين.

١- بحار الأنوار ج ٤٣ ص ٣٥٨ عن العدد القويه للمطهر الحلى ص ٣١.

والله لا يسبق أبى أحد كان قبله من الأوصياء إلى الجنه ولا من يكون بعده، وإن كان رسول الله صلى الله عليه واله ليبعثه فى السريه فيقاتل جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن يساره، وما ترك صفراء ولا بيضاء إلا سبعمائه درهم فضلت من عطائه كان يجمعهاليشترى بها خادماً لأهله(۱).

وللإمام الحسن عليه السلام كلام آخر حول الحق وأهله، فعن هشام بن حسان قال : سمعت أبا محمد الحسن بن عليهما السلام يخطب الناس بعد البيعه له بالأمر، فقال:

نحن حزب الله الغالبون وعتره رسوله الأقربون وأهل بيته الطيبون الطاهرون و أحد الثقلين اللذين خلفهما رسول الله صلى الله عليه واله فى أمته، والتالى كتاب الله فيه تفصيل كل شىء«لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه» .

فالمعول علينا فى تفسيره لا نتظنى(۲)تأويله بل نتيقن حقائقه فأطيعونا فإن طاعتنا مفروضه إذ كانت بطاعه الله عزوجل ورسوله مقرونه.

قال الله عز وجل «يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسوك وأولى الأمر منكم فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول»«و لو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم»(۳).

ملاحظه وتنبيه: لست هنا بصدد بيان ما يتعلق بالإمام الحسن عليه السلام، وإنما ذكرت هذه الإشارات من باب التنبيه، ولعلنا نتوق لبيان شىء من أنوار الإمام

۱- بحار الأنوار ج۴۳ ص ۳۵۹، عن أمالى الصدوق ص ۳۹۷.

۲- أى نقول بالظن فى تأويله، فما عندهم علم ويقين عن الله عز وجل .

۳- أمالى المفيد ص۳۴۹، وعنه بحار الأنوار ج۴۳ ص ۳۵۹.

الحسن عليه السلام خاصه، وهنا نشير إلى بعض المحطات لأجل الرجوع إليها عند الكتابه حول ذلك، وتذكيراً..

ومضات: روى أنه: لما قتل أمير المؤمنين عليه السلام رقى الحسن بن على عليه السلام المنبر فأراد الكلام فخنقته العبر فقعد ساعه ثم قام فقال: الحمد لله الذى كان فى أوليته وحدانياً فى أزليته، متعظماً بإلهيته متكبراً بكبر يائه وجبروته، ابتدا ما ابتدع وأنشأ ما خلق على غير مثال كان سبق مما خلق، ربنا اللطيف بلطف ربوبيته وبعلم خبره

فتق، وبأحكام قدرته خلق جميع ما خلق، فلا مبدل لخلقه ولا مغير لصعه ولا معقب لحكمه، ولا راد لأمره ولا مستراح عن دعوته .

خلق جميع ما خلق لا زوال لملكه ولا انقطاع لمدته فوق كل شىء علا ومن كل شىء دنا فتجلى لخلقه من غير أن يكون يرى وهو بالمنظر الأعلى.

احتجب بنورو وسما فى علوه فاستترعن خلقه وبعث إليهم شهيداً عليهم، وبعث فيهم النبيين مبشرين ومنذرين ليهلك من هلك عن بينه ويحيى من حى عن بينه، وليعقل العباد عن ربهم ما جهلوه فيعرفوه بربوبيته بعد ما أنكروه.

والحمد لله الذى أحسن الخلافه علينا أهل البيت، وعنده نحتسب عزانا فى خير الآباء رسول الله صلى الله عليه واله، وعند الله نحتسب عزانا فى أمير المؤمنين، ولقد أصيب به الشرق والغرب، والله ماخلف درهما ولا ديناراً إلا أربعمائه درهم أراد أن يتباع لأهله خادماً.

ولقد حدثنى حبيبى جدى رسول الله صلى الله عليه واله أن الأمر يملكه اثنا عشر إماماً من أهل بيته وصفويه، ما منا إلا مقتول أو مسموم .

ثم نزل عن منبره فدعا بابن ملجم لعنه الله فأتى به قال: يا ابن رسول الله

استبقنى أكن لك و أكفيك أمر عدوك بالشام.

فعلا الحسين عليه السلام بسيفه فاستقبل السيف بيده فقطع خنصره ثم ضربه ضربةً على يافوخه فقتله لعنه الله عليه(۱).

الحكمه الواقعيه عند الأئمه

لا بد أن يكون لكل ما فى الحياه حكمه، وهذه الحكمه تاره تكون واضحه لدينا، وتاره تكون خافيه علينا، من هنا يجب على العقلاء البحث، وينبغى أن يكون لكل بحث مهما كان هدف وأن تكون فيه حكمه.

وعندما نحاول التعرف على بعض جوانب الأسرار التى ترتبط بالأئمه الأطهار عليهم السلام تكون الغايه إدراك قسط من الحكمه، لأنها تبدد أمامنا الظلام الحالك فى مسيره الحياه.

فقد نقرأ بعض الوقائع ولا نعرف فيها وجه الحكمه، وقد نتنكر لبعضها عندما نجهل وجه الحكمه فيه، بينما نؤمن بها عندما تظهر لدينا ملامح الحكمه ولا تبقى خافيه علينا.

وأعظم ميزان للإنسان هو القرآن الكريم، فنقول من باب الإشاره إن قصه الخضر ونبى الله موسى أوضح إشاره لهذه المعانى، ومنها ندخل لكل أبواب المعرفه.

حديث يتضمن قواعد الحكمه

عن أبى سعيد عقيصا قال: قلت للحسين بن على بن أبى طالب: يا ابن رسول

۱- بحار الأنوار ج۴۳ ص ۳۶۳.

الله لم داهنت معاويه وصالحته وقد علمت أن الحق لك دونه؟ وأن معاويه ضال باغ؟

فقال: يا أبا سعيد الست حجه الله تعالى ذكره على خلقه وإماماً عليهم بعد ابى عليه السلام؟

قلت: بلى.

قال: ألست الذى قال رسول الله صلى الله عليه واله لى ولأخى: الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا؟

قلت: بلى.

قال : فأنا إذن إمام لوقمت وأنا إمام إذ لو قعدت.

يا أبا سعيد عله مصالحتى لمعاويه عله مصالحه رسول الله صلى الله عليه واله لبنى ضمره وبنى أشجع ولاهل مكه حين انصرف من الحديبيه أولئك كفار بالتنزيل ومعاويه وأصحابه كفار بالتأويل.

يا أبا سعيد إذا كنت إماماً من قبل الله تعالى ذكره لم يجب أن يسفه رأيى فيماأتيته من مهادنه أو محاربه وإن كان وجه الحكمه فيما أتيته ملتبساً.

ألا ترى الخضر عليه السلام لما خرق السفينه وقتل الغلام وأقام الجدار سخط موسى عليه السلام فعله لإشباه وجه الحكمه عليه حتى أخبره فرضى؟

هكذا أنا سخطتم على بجهلكم بوجه الحكمه فيه ولولا ما أتيت لما ترك من شيعتنا على وجه الأرض أحد إلا قتل(۱).

۱- علل الشرائع ج ۱ ص ۲۱۱، وعنه بحار الأنوار ج ۴۴ ص ۱.

عود على بدء

عرضنا فيما مضى لأبحاث تحت عنوان: من أسرار الحسين عليه السلام، والسر خلاف العلانيه، ومصاديق الأسرار عديده، ولذا قيل: سر كل شيء خالصه، فلان فى سر قومه أى فى صميمهم وشرفهم(۱).

وعندما نحاول الحديث عن جوانب من أسرار الحسين عليه السلام يجذبنا الحديث إلى جوانب كثيره لها ارتباط بذلك، لأن الحسين عليه السلام لم يكن يمثل شخصاً بعينه ، بل هو مجمع للأولين والآخرين كما تقدم ضمن متفرقات عديده، خاصه أنه من أهل الكساء.

وعندما نتمشى مع الظواهر فضلاً عن الأسرار نجد أن الحسين عليه السلام قد انتهت اليه نقطه الارتكاز بكل معانيها وأبعادها وظواهرها وأسرارها، ويعرف ذلك مما هو واقع على أرض مسيره الحياه.

فقد عرفنا أولا ـ أنه عليه السلام قطب فى عوالم الأنوار، وثانياً أن جميع الأنبياء قد أخبروا عنه منذ آدم عليه السلام إلى خاتم الأنبياء صلى الله عليه واله، وثالثاً أنه امتاز بخصوصيات(۲).

فعندما ننظر فى هذه الحياه نجد أن لكل شيء خصائص وخصوصيات، ولخصائص الإنسان وخصوصياته أبعاد ولها معانى و آثار ونتائج، ولذلك ترتب على فعل الإنسان مبدأ الثواب والعقاب، وهذا المبدأ -الثواب والعقاب - يكون على موازين الأعمال فى هذه الدنيا، التى يمتحن فيها الإنسان.

۱- التحقيق فى كلمات القرآن، ج ۵ ص ۱۰۳: السر.

۲- راجع كتاب خصائص الحسين عليعليه السلام للشيخ جعفر التسترى.

فيمر الإنسان فى مواطن ثلاثه أساسيه، وهى موطن ما قبل الدنيا، وموطن الدنيا، وموطن ما بعدها.

وليس هنا تفصيل هذه المواطن الثلاثه، ولكن من باب الإشاره: ليس فى الأولى أى تكليف، وفى الثانيه الامتحانات والاختبارات، وفى الثالثه الجزاء والعطاء.

وقد تقدم فى بحثنا هذا الإشاره إلى عوالم الأنوار والأصلاب، وهنا نشير ولو باختصار إلى جانب من عوالم ومراحل الدنيا حيث تتم فيها التكاليف.

تجلى حكمه الله

ان ظهور جوانب الحكمه فى هذه الدنيا تبرز فى الإنسان أكثر من أى مخلوق، ونجد عند النظر فى هذه الحياه أن التكاليف والتشريعات مختصه به أكثر من كل مخلوق غيره، وعندما نمعن النظر أكثر ندرك مدى الاهتمام المميز بالإنسان من خالقه، فكأن الحكمه من وجود الكون بكل ما فيه ترجع للإنسان بشكل من الأشكال.

ويمكن القول كأنه قطب الرحى ونقطه الارتكاز(١).

ومما لا شك فيه أن فى نوع الإنسان صفوه وأصفياء، فعندما نتدبر الكثير من الآيات والروايات نجد أن الله سبحانه قد اختارمن بنى البشر أصفياء فضلهم لعلمه بهم، ومن هؤلاء - كما هو معلوم و معروف - الأنبياء والرسل والأولياء.

فكان سيد الكائنات الرسول المسدد محمد بن عبد الله صلى الله عليه واله ومعه ذريه ابنته

١- وتفاصيل ذلك فى أبحاثنا حول خلق الإنسان من تراب، وقد قيل : وفيك انطوى العالم الأكبر.

سیده نساء العالمین وهم الأئمه الاثنی عشر علیهم السلام .

وننقل ههنا حدیثاً من أحادیث السلسله الذهبیه، وفیها نصوص خاصه تمتاز عن بقیه أحادیث التشریعات حول الحلال والحرام.

عن محمد بن سنان، عن سیدنا أبی عبد الله جعفر بن محمد علیهما السلام، قال: قال أبی لجابر بن عبد الله: لی إلیک حاجه أرید أخلو بک فیها، فلما خلا به فی بعض الأیام، قال له: أخبرنی عن اللوح الذی رأیته فی ید أمی فاطمه علیها السلام .

قال جابر: أشهد بالله لقد دخلت علی فاطمه بنت رسول الله صلی الله علیه واله لأهنئها بولدها الحسین علیه السلام ، فإذا بیدها لوح أخضر من زبر جده خضراء، فیه کتاب أنور من الشمس وأطیب من رائحه المسک الأذفر.

فقلت: ما هذا، یا بنت رسول الله؟

فقالت: هذا لوح أهداه الله (عز وجل) إلی أبی، فیه اسم أبی واسم بعلی واسم الأوصیاء بعده من ولدی، فسألتها أن تدفعه إلی لأنسخه ففعلت، فقال له: فهل لک أن تعارضنی به؟

قال: نعم.

فمضی جابر إلی منزله وأتی بصحیفه من کاغد فقال له: انظر فی صحیفتک حتی أقرأها علیک، وکان فی صحیفته مکتوب: بسم الله الرحمن الرحیم هذا کتاب من الله العزیز العلیم، أنزله الروح الأمین علی محمد خاتم النبیین.

یا محمد، عظم أسمائی، واشکر نعمائی، ولا تجحد آلائی، ولا ترج سوای، ولا تخش غیری، فإنه من یرجو سوای ویخشی غیری أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمین.

يا محمد، إنى اصطفيتك على الأنبياء، وفضلت وصيك على الأوصياء، وجعلت الحسن عيبه علمى من بعد انقضاء مده أبيه، والحسين خير أولاد الأولين والآخرين، فيه تثبت الإمامه، ومنه تعقب على زين العابدين، و محمد الباقر لعلمى والداعى إلى سبيلى على منهاج الحق، وجعفر الصادق فى العقل والعمل تنشب من بعده فتنه صماء.

فالويل كل الويل للمكذب بعبدى وخيرتى من خلقى موسى، وعلى الرضا يقتله عفريت كافر يدفن بالمدينه التى بناها العبد الصالح إلى جنب شر خلق الله ، ومحمد الهادى إلى سبيلى الذاب عن حريمى والقيم فى رعيته حسن أغر، يخرج منه ذو الاسمين على (والحسن)، والخلف محمد يخرج فى آخر الزمان على رأسه غمامه بيضاء تظله من الشمس، ينادى بلسان فصيح يسمعه الثقلين والخافقين، وهو المهدى من آل محمد، يملأ الأرض عدلا كما ملئت جوراً(١).

من خصائص الحسين أن مصيبته من أعظم المصائب

عندما نحاول البحث حول أسرار الحسين عليه السلام نجد أنفسنا أمام بحور من المعرفه وأسرار الوجود، وحيث العجر يلفنا قد لا نحسن الخوض فى هذه الأسرار، ولذا نحاول رسم بعض الأحاديث لعل أجيالاً تأتى يكون لها القدره أكثر مما نحن عليه.

وقد ورد عن الأئمه عليهم السلام أن أعظم مصيبه من جميع سائر الأيام هى مصيبه الحسين عليه السلام .

١- هذا الحديث الشريف ورد فى مصادر عديده متنوعه، تاره بإيجاز وتاره بتفصيل، وهنا عن أمالى الطوسى ص٢٩١، وعنه بحار الأنوار ج ٣٦ص ٢٠٢.

عن عبد الله بن الفضل الهاشمی قال: قلت لأبی عبد الله جعفر بن محمد الصادق علیهما السلام : یا بن رسول الله، کیف صار یوم عاشوراء یوم مصیبه وغم وجزع وبکاء دون الیوم الذی قبض منه رسول الله صلی الله علیه واله ؟ والیوم الذی ماتت فیه فاطمه علیهما السلام؟ والیوم الذی قتل فیه أمیر المؤمنین علیه السلام ؟ والیوم الذی قتل فیه الحسن علیه السلام بالسم؟

فقال: إن یوم الحسین علیه السلام أعظم مصیبه بین جمیع سائر الأیام وذلک أن أصحاب الکساء الذی کانوا أکرم الخلق علی الله تعالی کانوا خمسهً، فلما مضی عنهم النبی صلی الله علیه واله بقی أمیر المؤمنین وفاطمه والحسن والحسین علیهم السلام فکان فیهم للناس عزاء وسلوه.

فلما مضت فاطمه علیها السلام کان فی أمیر المؤمنین والحسن والحسین للناس عزاء وسلوه.

فلما مضی منهم أمیر المؤمنین علیه السلام کان للناس فی الحسن والحسین عزاء وسلوه.

فلما مضی الحسن علیه السلام کان للناس فی الحسین علیه السلام عزاء وسلوه.

فلما قتل الحسین علیه السلام لم یکن بقی من أهل الکساء أحد للناس فیه بعده عزاء وسلوه، فکان ذهابه کذهاب جمیعهم کما کان بقاؤه کبقاء جمیعهم، فلذلک صار یومه أعظم مصیبه.

قال عبد الله بن الفضل الهاشمی: فقلت له: یا ابن رسول الله لم یکن للناس فی علی بن الحسین عزاء وسلوه مثل ما کان لهم فی آبائه علیهم السلام؟

فقال: بلی إن علی بن الحسین کان سید العابدین وإماماً و حجه علی الخلق

بعد آبائه الماضين، ولكنه لم يلق رسول الله صلى الله عليه واله ولم يسمع منه، وكان علمه وراثهعن أبيه عن جده عن النبى صلى الله عليه واله ، وكان أمير المؤمنيين وفاطمه والحسن والحسين عليهم السلام قد شاهدهم الناس مع رسول الله صلى الله عليه واله فى أحوال فى آن يتوالى، فكانوا متى نظروا إلى أحد منهم تذكروا حاله مع رسول الله صلى الله عليه واله وقول رسول الله له وفيه .

فلما مضوا فقد الناس مشاهده الأكرمين على الله عز وجل ولم يكن فى أحد منهم فقد جميعهم إلا فى فقد الحسين عليه السلام لأنه مضى آخرهم فلذلك صار يومه أعظم الأيام مصيبه(١).

إشاره وتنبيه: هذه الأحاديث ترسم لنا كل منهاج الحياه، وليست مجرد سرد قصه، بل تتضمن كيفيه ولوج الأسرار عند ذوى الألباب.

وإننا فى هذه الأزمان نتلمس بعضاً من أسرار الحسين عليه السلام، لأنه لولا وجود مصيبه الحسين عليه السلام العظمى لما عرف الناس حقائق الإيمان ولم يكن طريق حق التحرير الأوطان، بل لم تكن صيانه لإنسانيه الإنسان.

وقد بدأت شعوب الأرض تسعى للتعرف على مواقف الحسين عليه السلام وما جرى له فى كربلاء، وما هو معنى عاشوراء، حيث أصبحت رمزاً لتحرير شعوب الأرض، فهى تمثل كل ما يمكن أن تصل إليه البشريه، خصوصاً فى هذه الأزمنه حيث أن البث الفضائى وتفاعل المعرفه والحضارات وتقارب ما هو بعيد قد أسهم فى الأبحاث عن الحقائق، بينما كان التدليس هو السائد فى العصور الغابره.

ومما نراه ونشاهده فى هذه السنوات الأخيره أنه على امتداد الكره الأرضيه تقام عاشوراء، وقد أصبح إحياؤها- فضلاً عن الأماكن العامه - فى معظم الأحياء

١- علل الشرائع ج١ ص٢٢٥، وعنه بحار الأنوار ج ۴۴ ص ٢۶٩.

والبيوت، مع العلم أن مصيبه الحسين عليه السلام داخله فى القلوب كالروح فى الحياه.

تتمه وشاهد: قال عبد الله بن الفضل الهاشمى فقلت له (للإمام الصادق عليه السلام): يا ابن رسول الله فكيف تسمعت العامه يوم عاشوراء يوم بركه؟

فبكى عليه السلام ثم قال: لما قتل الحسين عليه السلام تقرب الناس بالشام إلى يزيد فوضعوا له الأخبار وأخدوا عليه الجوائز من الأموال، فكان مما وضعوا له أمر هذا اليوم وانه يوم بركه ليعدل الناس فيه من الجزع والبكاء والمصيبه والحزن إلى الفرح والسرور والتبرك والإستعداد، فيو حكم الله ما بيننا وبينهم.

قال: ثم قال عليه السلام : يا ابن عم وإن ذلك لأقل ضررا على الإسلام وأهله وضعه قوم انتحلوا مودتنا وزعموا أنهم يدينون بموالاتنا ويقولون بإمامتنا(١).

أسرار ووقائع

ليس لأسرار هذه الحياه حدود.. والإنسان فى الحياه هو قطب الرحى، أى أنه نقطه الارتكاز لمعانى الحياه، وعندما ننظر إلى أطراف الوجود ندرك نقطه ابتداء، ولكن لو طرحنا على أنفسنا سؤالا: هل هناك نقطه انتهاء؟

ههنا يصعب على العقل البشرى الجواب، لأنه لا بد لكل جواب من دليل واضح، وكل ما أدركه العقل البشرى هو المحسوسات، والمحسوساتليست كل ما فى الوجود، بل هناك أسرار وراء المحسوسات فى كل جوانب الحياه.

وعند التأمل ولو قليلاً نجد هذه المعانى فى كل ما نلامسه و نتصرف به، ومن هنا نقول عما هو غائب عنا أنه سر، ولكنه فى واقع الأمر ليس بسر، فكون الإنسان

١- علل الشرائع ج ١ ص ٢٢٦، وعنه بحار الأنوار ج ۴۴ ص ٢٧٠.

جاهلًا بهذا الشيء أو ذاك لا يعنى أن الشيء الذى نجهله هو سر بذاته، بل هو سر بالنسبه لنا(۱).

وعندما نقرأ ما جاء به الأنبياء والرسل عليهم السلام نجد أن أنفسنا تأخذ ما تدركه، وكثيراً ما نترك ما لا ندركه، ولكن ادراكنا لهذا أو ذاك لا يغير حقيقه الشيء بذاته .

من هنا عندما نقرأ عن أحاديث الطينه، وأحاديث الأصلاب، وأحاديث الأنوار، لا نتعامل معها مثل أحاديث الصلاه والصوم وما شابه من أحاديث الحلال والحرام، فإنا لا نجد فى هذه الأحاديث والتكاليف أسراراً نعجز عن إدراكها، بل نراها كما نتناول طعاماً أو شراباً من ماء وغذا، بينما قد نقف أو حتى نعرض عن أبسط المعانى فى أحاديث الأنوار والاصلاب والطينه!

إن معانى الأنوار والأصلاب والطينه ليست أسراراً بذاتها، ولكن لجهلنا بإدراكها نراها أسراراً ..

لقد رسمنا فى مطلع هذه الأبحاث حروف حديث مهم يتعلق بالأصلاب، وهو أن الله عز وجل ركب فى صلب الحسين عليه السلام نطفه طيبه مباركه زكيه(۲).

وفى هذا الحديث أسرار عديده، وقد ظهرت و تحققت فى الوجود الخارجى، والحديث واضح بنصوصه عن الأئمه الذين هم من صلب الحسين عليه السلام، وقد ذكرنا حديث جابر الأنصارى وهو من أحاديث السلسله الذهبيه، عن اللوح

۱- ولقد قيل: صفو الحياه كسرها مجهول * وبحبلها حبل الشقا موصول.

۲- الحديث طويل والمتن منه: أن الحسين بن على فى السماء أكبر منه فى الأرض... وان الله عز وجل ركب فى صلبه نطفه طيبه مباركه زكيه؛ راجع عيون أخبار الرضا ج۱ص۶۲، وعنه بحار الأنوار ج ۳۶ ص۲۰۵.

الذى شاهده مع سيده نساء العالمين عليها السلام ، وفيه أسماء الأئمه عليهم السلام واحداً بعد آخر، وبيان لكل إمام بخطوط عمله من قبل الله سبحانه(١).

كل هذا وشبهه يدلنا بوضوح أن الله تعالى قد اختار الحسين عليه السلام ليكون مجمع أسرار الحياه بكل معانيها وأبعادها، بدء من أسرار ولادته، مروراً بنشأته، إلى محطه استشهاده، وبدأت الأسرار تظهر بعد شهادته .

أسرار الحسين مستقبلاً

لا شك أن ما هو آت من ظهور أسرار الحسين عليه السلام أعظم مما تقدم وحصل، ومن هنا ندرك بعض الجوانب من القول المعروف: إن سفينه الحسين أوسع، وهذه السفينه التى بدأت تمخر وتجوب بحار الحياه لتنجى الغرقى من بنى البشر قد تحركت بعد حادثه كربلاء.

فإذا كانت الحياه بكل ما فيها وبكل خصوصياتها ما هى إلا بحور متلاطمه، فلا نجاه لأحد دون السفينه، والمفروض أن هناك سفينه واحده أيا كان ربانها، وربانها ممن تقدم من الإمام زين العابدين إلى القائم المنتظر عجل الله فرجه كلهم ينادى: يا لثارات الحسين.

حتى عندما تمتلأ هذه الأرض قسطاً وعدلاً، وحتى ما هو أبعد من ذلك: «يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا»(٢)، يكون الحسين عليه السلام هو سيد شباب أهل الجنه.

١- تقدم ذكره، راجع أمالى الطوسى ص ٢٩١، وعنه بحار الأنوار ج ٣۶ ص ٢٠٢.

٢- مريم: ٨٥.

فإن الأسرار التى تجمعت وانضوت داخل السفينه تظهر بالتدرج ضمن خريطه كامله عندما يصبح لكل عصر مقدار من الإدراك(١).

ماذا نجد لو بحثنا بتجرد من آخر ساعه مما حصل فى كربلاء إلى يومنا هذا؟ من هنا ينبغى أن ندرك قول الإمام الصادق عليه السلام : أن يوم الحسن عليه السلام أعظم مصيبه من جميع سائر الأيام(٢).

وهنا ينبغى فهم هذه التعابير، فللفظ (مصيبه) أكثر من مدلول، وهو أوسع من كل دليل، لأن المصيبه الكبرى للإنسان هى خسرانه حقيقه الدين الذى فيه نجاته وسعادته، وإن كنا تسالمنا على أن المصيبه هى الخساره هنا أو هناك، ونقول عندما نفقد عزيزاً أنها مصيبه، فهذا نوع من مصائب بسيطه أمام المصيبه الكبرى التى تقع عندما نمتنع عن الصعود إلى سفينه النجاه، وهل لكل فرد منا خساره أعظم من فقدان نجاته وسعادته؟!

ألم يجعل الله تعالى أسرار الحسين فى ذرات التراب ؟!

ألم يجعل زيارته باباً للنجاه؟

ومهما أردنا أن نعدد يبقى الحسين عليه السلام معدن الأسرار .

وقفه عند ضوء الأسرار

حديث مبارك قد أوقفنى كثيراً، عن أبان بن تغلب، عن أبى عبد الله جعفر

١- إن البشريه تسير باستمرار نحو الأفضل، حتى نهايه المطاف، ولنا نوع من بيان لهذه النقطه فى محلها.
٢- تقدم ذكره، راجع علل الشرائع ج١ ص٢٢٥، وعنه بحار الأنوار ج ٤٤ ص ٢٦٩.

بن محمد علیهما السلام قال: نفس المهموم لظلمنا تسبیح، وهمه لنا عباده، وکتمان سرنا جهاد فی سبیل الله(۱).

نقول وبه نستعین: عندما نحاول البحث فی أقوال ومسیره أهل بیت العصمه علیهم السلام نجد أن النهج الواضح یلمع من أسرارهم إلی ما هو أبعد من المحسوسات، وأوضح من الشمس والبینات، حیث أن أسرار کلماتهم مأخوذه عن أستار المغیبات..

لنتدبر النقطه الأولی من الحدیث، وهی: (نفس المهموم لظلمنا تسبیح).

مما هو معلوم أن التسبیح لله وحده، وقد جعل الله سبحانه ثواباً لا حدود له لمن قبل تسبیحه، من هنا ندرک أبعاد الظلم الذی وقع علی أهل بیت العصمه علیهم السلام ، وإذا أردنا التعبیر عنه فلا شک مثل هذا الظلم لم یتحمله الأولون ولا الآخرون(۲).

والنقطه الثانیه فی الحدیث: وهمه لنا عباده.

ولا یمکن إدراک هذه النقطه بالحروف والکلمات، ولا یمکن حصرها بالتعابیر، لأن العباده الحقیقیه هی غایه ما یصل إلیه الإنسان، بل هی منتهی المطاف فی مسیره الدارین.

وأما النقطه الثالثه، فلفظها دال علی معانیها، ولکن یبقی فی مخبمات الحروف ما نعجز عن ادراکه، وهو کتمان السر.

۱- أمالی المفید ص ۳۳۸، وعنه بحار الأنوار ج ۴۴ ص ۲۷۸.

۲- وله ربط بأعظم مصیبه وهی التی وقعت علی الحسین علیه السلام .

فكأن هذه العباره تحمل كل أسرار الوجود.

ومما أدركته العقول النيره أن أسرار الوجود لا تنتهى مهما طال الزمن، ومهما تقدم العلم والعلماء، وقد ورد كثيراً أن الله أسراراً قد خص بها خاتم الأنبياء الذى ختمت برسالته رسالات السماء، وسيد الأوصياء؛ اختصه بخصوصيات الأسرار، وأطلعه الله على كل ما حوته الأرض والسماء:«فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى»(۱).

وأما لفظ الجهاد فى هذا الحديث، ففيه أكثر من إشاره ومعنى، لأن الجهاد ليس هو الجهاد المتعارف عليه فقط، بل هناك جهاد أكبر وأكبر، ولا تخفى الآيه على ذوى الدرايه حيث قال تعالى:«وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ»(۲).

فالجهاد هنا يعم الظاهر والباطن، ومنتهى الهدايه الوصول إلى أهل البيت عليهم السلام، ولا شك أن للهدايه مراحل حتى الوصول إلى منتهاها، وقد ورد فى الحديث: من عمل بها علم، ورثه الله علم ما لم يعلم (۳).

إن معانى الأحاديث داله على أسرار العلوم، والعلم هو الذى يكشف الأسرار، فبمقدار ما يعلم الإنسان يستطيع إظهار الأسرار، فإن كل ما فى الدارين يتضمن أسراراً لا حدود لها، وهنا نذكر الحديث السابق من مصدر آخر عن أبى

۱- النجم: ۱۰، ويحسن مراجعه بحثنا المفصل حول ابتداء الوحى.

۲- العنكبوت: ۶۹، ويحسن مراجعه وسائل الشيعه ج ۱۱ ص ۱۲۲، حول أبواب جهاد النفس.

۳- هذا النص ورد فى كنز الدقائق ج ۷ ص ۵۵۳، وورد الحديث بصيغ متعدده فى الكثير من المصادر الأخرى.

عبد الله عليه السلام: نفس المهموم لظلمنا تسبيح، وهمه لنا عباده، وكتمان سرنا جهادفى سبيل الله (۱). وهذا الحديث يكتب بماء الذهب.

لم نفقه أبعاد كثير من الأحاديث

مهما حاولت أن أبحث حول الستر والأسرار، يبقى الستر سراً وإن رسمته الأفكار، وكثيراً ما ترسم الأفكار عن المعانى ولكن يبقى ما هو أشمل بعيداً عن أفكارنا، وليس ذلك لكون معانى الأسرار لم تعرف، بل لأن أفكارنا قد داخلها محب الدنيا من رغبات وشهوات.

ولا شك أن رغبات الدنيا تصرفنا عن إدراك الحقائق، وخصوصاً ما جاء به الأنبياء والأولياء عليهم الصلاه والسلام.

وهنا أرسم حروف هذا الحديث: قال أبو عبد الله عليه السلام : أمرالناس بخصلتين فضيعو هما فصاروا منهما على غير شيء: الصبر (۲)والكتمان (۳).

عندما نقرأ مثل هذه الأحاديث الشريفه قد لا نحسن تطبيق المصاديق حيث أن معانيها عديده ومتنوعه، ومعرفتنا قليله ومحدوده، ومجرد معرفتنا بآيه أو روايه لا يعنى إدراكنا الحقائق أو تعرفنا على الدقائق، فللآيه والأحاديث معانى عده وإليكم أحبتى حروف هذا الحديث: عن عبد الأعلى قال: سمعت أبا عبد الله صلى الله عليه واله يقول: إنه ليس من احتمال أمرنا التصديق له والقبول فقط، من احتمال أمرنا ستره وصيانته من غير أهله، فأقرئهم السلام وقل لهم: رحم الله عبداً اجتر

۱- الكافى ج ۲ ص ۲۲۶، وعنه بحار الأنوار ج ۷۲ ص ۸۳.

۲- يحسن مراجعه بحثنا المطول حول آيات الصبر وعنوانه: الصبر الجميل.

۳- الكافى ج ۲ ص ۲۲۲، وعنه بحار الأنوار ج ۷۲ ص ۷۲.

موده الناس إلى نفسه.

حدثوهم بما يعرفون واستروا عنهم ما ينكرون.

ثم قال: والله ما الناصب لنا حرباً بأشد علينا مئونه من الناطق علينا بما نكره، فإذا عرفتم ين عبد إذاعه فامشوا إليه وردوه؛ عنها فإن قبل منكم وإلا فتحموا عليه بمن يثقل عليه ويسمع منه، فإن الرجل منكم يطلب الحاجه فيلطف فيها حتى تقضى له فالطوا فى حاجتى كما تلطفون فى حوائجكم فإن هو قبل منكم وإلا فادفنوا كلامه تحت أقدامكم ولا تقولوا إنه يقول ويقول فإن ذلك يحمل على وعليكم.

أما والله لو كنتم تقولون ما أقول لأقررت أنكم أصحابى، هذا أبو حنيفه له أصحاب وهذا الحسن البصرى له أصحاب، وأنا امرؤ من قريش قد ولدنى رسو الله صلى الله عليه واله وعلمت كتاب الله وفيه تبيان كل شىء بدء الخلق وأمر السماء وأمر الأرض وأمر الأولين وأمر الآخرين وأمر ما كان وأمر ما يكون كأنى أنظر إلى ذلك نصب عينى(۱).

إن هذا الحديث يتضمن نوعاً من الأسرار لعتره النبى المختار، وفى أواخره عبارات تدل على أن الله تعالى قد أودع أسراره عند النبى صلى الله عليه واله وآل بيته عليهم السلام ، وفيه إشاره واضحه لنفس المعنى المتقدم فى أوائل البحث - فى حديث حذيفه - عن الحسين عليه السلام حيث قال: علمى علمه وعلمه علمى لأنا نعلم بالكائن قبل كينونته(۲).

۱- الكافى ج ۲ ص ۲۲۳، وعنه بحار الأنوار ج ۷۲ ص ۷۴.

۲- تقدم فى أول الكتاب، راجع بحار الأنوار ج ۴۴ ص ۱۸۶.

وفی الحدیث السابق تفاصیل أکثر، منذ بدء الخلق إلی ما یکون، ونجد فی هذه الأحادیث علوماً عن الأسرار.

الأسرار تعرف بعد الإظهار

عندما نتأمل فی الأکوان وفی الإنسان نجد أن الله تعالی قد أظهرها من عوالم الأسرار، فالابتداء لکل مخلوق کان سراً، وبعد تکوینه بما یتناسبه أصبح ظاهراً، حیث لم تکن الأکوان فکانت، ولم یکن الإنسان فظهر، وقد اجتمع فی الإنسان السر والکتمان، والظهور والإعلان، فکأنه النموذج لکل ما خلق الله تعالی.

وعندما نتدبر جیداً فی تکوین الإنسان نجد أن مکامن الأسرار أکثر من مکامن الإظهار، ومن المعلوم أن للإنسان جانباً ملموساً محسوساً، ولکنه من جانب آخر سر، وقد لا یعرف کل شیء عن أسرار ذاته، ومن هنا تعثر کثیراً فی مسیره حیاته، ولذلک لا بد من البحث حول أسرار الإنسان، وإلا قد یستمر فی مجهول مصیره، والجهل ظلام والعلم نور.

خلق الإنسان للنور

ما هو سر الإنسان؟

عندما نلفظ کلمه سر قد یتبادر أن المراد منها ما لا یعرف، ولکن معرفه الأسرار لیست مستحیله، بل هی قابله للظهور عند أربابها، فقد بدئ الإنسان سراً، ثم عرف ظاهراً، ولکن وقف الإنسان عموماً عند الظواهر، ولم یسع جاهداً لمعرفه الأسرار والبواطن، ومن هنا تتجلی بعض جوانب الحکمهلاختیار نماذج الأنبیاء والأوصیاء والأولیاء سلام الله علیهم.

ص: ۲۰۱

وهؤلاء على مراتب، وبينهم تفاضل، ومن هنا يمكن القول أن الله عز وجل قد خص الحسين عليه السلام بالم يخص به غيره، وقد ندرک بعض هذه الخصوصيات وما يغيب عن إدراکنا أکثر.

فنحن نـدرک بقـدر مـا لـدينا من قوه بصـر وإبصـار، ويبقى مـا خفى عنـا فى عوالم الأسـرار، لأنـا نعجز عن بيـان مـا تلمسـناه من خصائص الحسين عليه السلام .

وهنا نشـير إلى بعض الآيات التى تحتاج إلى نور البصـيره، قال تعالى: «أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِـى بِهِ فِى النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِى الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا»(۱).

وقال عز من قائل:«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ »(۲).

مما لا شک فيه أن العلم هو الذى يدل على أسرار الحياه بل على أسرار الوجود، ولذا كان مثل العلم مثل النور، وحقيقه النور هنا تـدرک بالبصـيره، وإن كان الحرف يقرئ بالبصـر، وفى الآيتان إشاره واضـحه إلى نورالبصـيره وهو الذى يمشـى به فى مجاهيل الحياه، وتوضح لنا هذه المعانى الأحاديث الشريفه التى هى فوق الحصر، ومنها أحاديث العلم والتعلم.

عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام لبعضهم: ليس العلم بالتعلم، إنما هو نور يقع فى قلب من يريد الله تبارک وتعالى أن يهديه، فإن أردت العلم فاطلب أولاً فى

۱- الأنعام: ۱۲۲.

۲- الحديد: ۲۸.

نفسک حقیقه العبودیه، واطلب العلم باستعماله، واستفهم الله یفهمک(۱).

والحدیث طویل جامع أخذنا منه مقدار الحاجه، وهنا نشیر إلی ما ورد فی أواخر الحدیث عنه علیه السلام : أوصیک بتسعه أشیاء فإنها وصیتی لمریدی الطریق إلی الله تعالی، والله أسأل أن یوفقک لإستعماله: ثلاثه منها فی ریاضه النفس وثلاثه منها فی الحلم وثلاثه منها فی العلم فاحفظها وإیاک والتهاون بها.

قال عنوان: ففرغت قلبی له فقال:

أما اللواتی فی الریاضه (۲): فإیاک أن تأکل ما لا تشتهیه فإنه یورث الحماقه والبله، ولا تأکل إلا عند الجوع، وإذا أکلت فکل حلالاً ـ وسم الله واذکر حدیث الرسول صلی الله علیه واله: ما ملأ آدمی وعاءً شراً من بطنه، فإن کان و لا بد فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه.

وأما اللواتی فی الحلم: فمن قال لک: إن قلت واحده سمعت عشراً، فقل:إن قلت عشراً لم تسمع واحده.

ومن شتمک فقل له: إن کنت صادقاً فیما تقول فاسأل الله أن یغفر لی وإن کنت کاذبا فیما تقول فالله أسأل أن یغفر لک.

ومن عدک بالخنا فعده بالنصیحه والرعاء.

وأمااللواتی فی العلم فاسأل العلماء ما جهلت وإیاک أن تسألهم تعنتاً وتجربهً، وإیاک أن تعمل برأیک شیئاً، وخذ بالاحتیاط فی جمیع ما تجد إلیه سبیلاً،

۱- بحار الأنوار ج ۱ ص۲۲۵.

۲- والمراد ریاضه النفس فی تصرفاتها فلا بد من تهذیبها بکل معانی التهذیب.

واهرب من الفتيا هربک من الأسد، ولا تجعل رقبتک للناس جسراً.

قم عنی یا أبا عبد الله فقد نصحت لک ولا تفسد علی وردی فإنی امرؤ ضنین بنفسی والسلام علی من اتبع الهدی(۱).

السرائر

إن الحدیث عن السر والسرائر هو أبعد من رسم الحروف والکلمات، والبحث عن أسرار الحسین علیه السلام فوق التقدیرات، لکن المعانی الغائبه عن الظهور والإظهار تعرف - إلی حد ما - برسم الحروف والتعابیر ولو بالإشاره لأهل الفطنه، من هنا نطرق هذا الباب لذوی الألباب حول الإنسان وصلاح سرائره.

من الواقع المتسالم علیه أن الإنسان ذو جهتین: ظاهریه وباطنیه، فظاهره أصبح بمعظم ما فیه تحت مجهر المحسوسات، وأما باطنه وهو المعبر عنه بلفظ السر، فهو لم یزل ضمن عوالم الغیب والسرائر، ومع ذلک فقد وردت آیات مبارکه کثیره حول السرائر وکان فیها تصریح تاره وتلمیح تاره أخری، ولکل أمر فیه تلمیح أبواب ترشد إلی إدراکه ومعرفته.

لذلک نحاول الدخول لمثل هذا الباب وإن کان یصعب علینا ولوجه لنقرأ بعض الآیات البینات، قال عز من قائل:«وَهُوَ اللَّهُ فِی السَّمَاوَاتِ وَفِی الْأَرْضِ ۖ یَعْلَمُ سِرَّکُمْ وَجَهْرَکُمْ وَیَعْلَمُ مَا تَکْسِبُونَ»(۲).

والآیه بحسب الظواهر واضحه فی أمور ثلاثه : سر الإنسان، وجهره،

۱- یحسن مراجعه الحدیث بتمامه، ففیه الدروس البلیغه لمن شاء، راجع بحار الأنوار ج ۱ ص ۲۲۵.

۲- الأنعام: ۳.

وعمله، ولسنا بصدد بيان الثاني والثالث، إنما المراد هو الأول، لأن كل ما يتعلق بالإنسان هو سره وأسراره، فالإنسان تكون في مواطن الأسرار، ولكنه تلهى في حياته بالظواهر، وكأنه قد تجمد عندها، ولذا أصبح - بالعموم - لا يألف ولا يقبل إلا ما هو ظاهر محسوس، ومن هنا جاء التنديد بذلك في أكثر من آيه وروايه، وتكفي الإشاره في قوله تعالى: «ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ..»(١).

وأوضح من ذلك إنكارهم ما جاء به الأنبياء والرسل والأولياء عليهم السلام .

سعاده الإنسان في إصلاح سريرته

بعد البحث والتدقيق يتبين أن ليس للإنسان نجاه إلا في إصلاح وصلاح سريرته، وقد قال إمام المتقين عليه السلام : صلاح السرائر برهان صحه البصائر(٢).

ويقول عليه السلام : طوبى لمن صلحت سريرته، وحسنت علانيته، وعزل عن الناس شره(٣).

تنبيه و اشارات: لست هنا في مجالات التحليل وتوضيح البينات، إنما تنبيهوإيقاظ للغافلين والغافلات لعلنا نصل إلى النجاه، لذلك لا بد لنا من قرع الأفكار، والبحث عن سر ذواتنا وإصلاح الأسرار.

لأن ذلك يحتاج إلى الجد والاجتهاد ليل نهار، حيث أننا في الزمن الذي أخبرنا عنه، وهو ما قاله الرسول المختار صلى الله عليه واله : سيأتي على الناس زمان تخبث فيه

١- النجم: ٣٠.

٢- عيون الحكم والمواعظ ص ٣٠١.

٣- الأمالي للشيخ الطوسي ص ٥٣٩، بحار الأنوار ج ٧۴ ص ٩١.

سرائرهم تحسن فيه علانيتهم طمعاً فى الدنيا، لا يريدون به ما عند ربهم، يكون دينهم رياءً ، لا يخالطهم خوف، يعمهم الله بعقاب فيدعونه دعاء الغريق فلا يستجيب لهم(۱).

ألا نرى إذا قرأنا بتجرد واقع الناس فى هذه الأزمنه أن معانى هذه الأحاديث منطبقه على واقع حياتنا؟! وان كان لهذه المعانى نماذج فى كل زمن وعصر،ولكنها فى هذا الزمن أوضح وأشمل، لذلك لا بد من نداء قوى ينبه الضمائر التى أسكرها حب الدنيا دون مسكر، حتى أصبح الناس وكأنهم قد خلقوا لها، مع أنها دار ممر وليست دار مقر.

لنقرأ أيضاً هذا الحديث: عن على بن الحكم، عن عمر بن يزيد قال: إنى لأتعشى مع أبى عبد الله عليه السلام إذا تلا هذه الآيه «بل الإنسان على نفسه بصيره ولو ألقى معاذيره»يا أبا حفص ما يصنع الإنسان أن يعتذر إلى الناس بخلاف ما يعلم الله منه؟ إن رسول الله صلى الله عليه واله كان يقول: من أسر سريره ألبسه الله رداءها إن خيراً فخير وإن شراً فشر(۲).

وقفه عند باب من أبواب السريره

قد ركبت فى الإنسان أسرارقد لا تنالها الأفكار، من هنا نحاول دق الباب لعلنا نقف على بصيص نور يضىء الطريق.

فعندما يؤتى بالإنسان إلى هذا الكون المحدود يتلمس الظواهر ابتداءً،

۱- الكافى ج ۲ ص ۲۹۶، وعنه بحار الأنوار ج ۶۹ ص ۲۹۰، ولهذه الأحاديث مصادرعديده، ونذكر البحار لسهوله تداوله وإلا فالمصادر أقرب بكثير للقرون الأولى.
۲- الكافى ج ۲ ص ۲۹۶، وعنه بحار الأنوارج۶۹، ص۲۹۱.

ویتدرج نحو المعرفه، وقد یلمع له ضوء، وقد یتکرر الأمر عنده، وقد لا یلتفت إلی شهاب أو ضیاء.

وعندما تنقضی الأیام ینتقل إلی عالم آخر غیر الکون الذی قضی به الأیام والشهور والسنوات، فیری نفسه بکون آخر، وفی عالم لیس فیه ظاهر و باطن، وهو الذی کانت تشیر إلیه الآیات البینات، کقوله سبحانه:«یَوْمَ تُبْلَی السَّرَائِرُ»(۱).

وقد سبق هذه الآیه آیات مرتبطه بمعانیها، وتتبعها آیات فیها إشارات لمخبات السرائر، وهی الآیات التی فیها الأمر الإلهی: «فَلْیَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ»(۲).

وهذه السرائر التی فی داخل الإنسان تکشفها الآیه:«إِنَّهُمْ یَکِیدُونَ کَیْدًا»(۳)، ولست هنا فی مجال التفسیر..

وقد ابتکرالإنسان فی هذا الزمن الکثیر الکثیر مما لم یکن سابقا، وابتکر آله صغیره جداً یضعها تحت یده أو حتی تحت جلده فتسجل علیه کل حرکاته وسکناته، حتی لا یشذ عنها همسات کلماته، ومع ذلک یبقی فی داخل الإنسان أسرار لا تکشفها الآلات المحسوسه، ولا الابتکارات الملموسه، ومن هنا ندرک بعض الجوانب من الآیه:«یَوْمَ تُبْلَی السَّرَائِرُ»(۴).

۱- الطارق: ۹.

۲- الطارق: ۵.

۳- الطارق: ۱۵.

۴- الطارق: ۹.

ويوضح هذا الحديث عن أبى عبد الله عليه السلام شيئاً آخر وهو: ما من عبد أسر خيراً فذهبت الأيام أبداً حتى يظهر الله له خيراً، وما من عبدٍ يسر شراً فذهبت الأيام أبداً حتى يظهر الله له شراً(١).

تتضمن هذه الأحاديث الشريفه معانى الإخلاص فى كل عمل يكون خالصاً لوجه الله تعالى، وليس لمآرب دنيويه، من هنا أرشدت الآيات والأحاديث الإنسان إلى حقائق الأمور.

وكان لا بد من إخلاص السرائر حتى فى إضمار الأفكار والضمائر .

إن الأبواب السرائر مفاتيح غير مفاتيح أبواب الظواهر، لذلك لا بد من ميزان حق، قال رسول الله صلى الله عليه واله: من أسر ما يرضى الله (عز وجل) أظهر الله له ما يسره، ومن أسر ما يسخط الله (تعالى) أظهر الله له ما يحزنه(٢).

فميزان الظواهر والسرائر هو رضا الله سبحانه، ومصدر الرضا صفاء السريره، من هنا كان لا بد لكل إنسان أن يسعى لنقاء سريرته بكل جهد مع التوسل لخالقه.

إن لصفاء السريره موازين، ونشير هنا إلى ميزان يدرك أبعاده العقلاء، وهو قول أمير المؤمنين عليه السلام : كانت الفقهاء والحكماء إذا كاتبوا بعضهم بعضاً كتبوا بثلاث ليس معهن رابعه :

من كانت الآخره همه كفاه الله همه من الدنيا .

١- الكافى ج ٢ ص ٢٩۴.

٢- الأمالى للطوسى ص ١٨٢، بحار الأنوار ج ۶٨ص ٣۶٥.

ومن أصلح سريرته أصلح الله علانيته.

ومن أصلح فيما بينه وبين الله عزوجل أصلح الله له فيما بينه وبين الناس (۱).

وقفه لا بد منها لكل عاقل

قد تقدم أن لكل شيء ظاهر و باطن، والإنسان كذلك، وهو فى الباطن أخفى من غيره، حيث يمكن معرفه باطن سائر المخلوقات بسهوله، أما كشف باطن وسرالإنسان فليس سهلاً، من هنا ينبغى الوقوف حول ذلك، لئلا يقع الإنسان فى محاذير لا حدود له.

وبإمكان كل فرد منا معرفه وإدراك سره، لذلك لا بد له من إصلاح باطنه وداخله، فصلاح السريره متوقف على الشخص بذاته، لأن الإنسان بعد انقضاء عمره فى الدنيا لا تبق له قدره على التصرف، ولذا يتمتى الرجوع إلى الدنيا، ولكن هيهات!

والآيات فى ذلك واضحه، منها قوله تعالى:«لَعَلِّى أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّا ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا ۚ وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ»(۲).

فباطن الإنسان يدل على ظاهره، وان تخيل أن فساد باطنه قد يخفى، فكثيراً ما ينعكس الباطن على الظاهر.

عن الإمام الصادق عليه السلام : فساد الظاهر من فساد الباطن، ومن أصلح سريرته أصلح الله علانيته، ومن خاف الله فى السر لم يهتك ستره فى العلانيه،

۱- الأمالى للصدوق ص ۸۷، وعنه بحار الأنوار ج ۶۸ ص ۱۸۱.

۲- المؤمنون: ۱۰۰.

وأعظم الفساد أن يرضى العبد بالغفله عن الله، وهذا الفساد يتولد من طول الأمل والحرص والكبر كما أخبر الله عز وجل فى قصه قارون فى قوله«ولا تبغ الفساد فى الأرض إن الله لا يحب المفسدين»(۱).

وأول ما تنعكس آثار الفساد على نفس الإنسان وذاته، وقد أمر بالطاعه والصلاح، يقول أمير المؤمنين عليه السلام : طوبى لمن صلحت سريرته، وحسنت علانيته، وعزل عن الناس شره(۲)۹۱.

فصلاح السريره من أوجب الواجبات، بل من أعظم المعاملات للإنسان مع ذاته ونفسه، وعن الإمام الصادق عليه السلام : إن السريره إذا صحت (۳) قويت العلانيه(۴).

عله الامتحان والابتلاء

عندما نتأمل فى هذه الحياه وأبعادها وآثارها نجد أن الإنسان هو قطب الرحى فيها، وقد تجمعت فى تكوين هذا المخلوق البديع نماذج لكل شىء، حتى ما ترمز إليه الصفات، فضلاً عن حقائق الذوات، ومن لصفات: الخير ومعانيه، والشر وآثاره وما يحويه، لذلك كان لا بد من الامتحان، من هنا عجزت أقوام عديده عن ادراك حكمه الامتحانات الربانيه، ومما لا شك فيه أن لكل نوع من الابتلاءات حكمه.

۱- بحار الأنوار ج ۷۰ ص ۳۹۵، عن مصباح الشريعه.

۲- الأمالى للشيخ الطوسى ص ۵۳۹، بحار الأنوار ج ۷ ص

۳- وفى بعض النسخ: صلحت.

۴- الكافى ج ۲ ص ۲۹۵، وعنه بحار الأنوار ج ۶۹ ص ۲۸۹.

وقفه لإلقاء نظره: يميل الإنسان فى هـذه الـدنيا إلى الراحه، وقليلًا ما يرغب فى الجد والاجتهاد، وأقل من ذلك من يتحمل التعب والعنـاء، حيث أنه يميـل إلى الكسـل والارتخاء، ومن هـذه الظاهره يتفاوت الناس بين مجـد وهامل، بين باحث عن الحقائق وبين غافل فى أحضان الشهوات، ولذا قيل: بقدر الجد تكتسب المعالى(١).

فعندما نحاول البحث فى أعماق تاريخ البشـريه نجد أن نوعيه إدراك الإنسان على امتداد مسـيرته على هذه الأرض على قسمين: قسم اسـتكان للـدنيا وشـهواتها، وقسم نظر إليها واعتبر مما مر ولم تخدعه زينتها، ولم يرتضـيها غايه، بل يراها طريقاً ينتهى وممراً فيه صعوبه، فيختار قطع المسافه ولو بشق الأنفس، بل لا يعبأ بالمصاعب أو المتاعب مهما بلغت(٢)، فوطن نفسه على كل مشقه.

وإذا أردنا أن نبحث بدقه أكثر نجد أن الذين اختاروا تحمل المسؤوليات فى هذه الحياه هم الصفوه من بنى البشر، وأسمى هؤلاء وأعلاهم منزله هم الأنبياء والأوصـياء ومن اقتـدى بهم على مر العصور وتعاقب الدهور، وبهؤلاء اسـتنارت أفواج البشـريه فى كل زمن من الأـزمنه، وفى كـل عصـر من العصور، وهؤلاء هم الـذين حفظوا إنسانيه الإنسان على هـذه الأرض التى جبل الإنسان من ذرات ترابها، وتغذى على نباتها.

من هنا نقف لنقرأ حقائق الوقائع قراءه متـدبر لا قراءه عابر، لأن التـدبر للإنسان يفتـح لفكره نافـذه لما بعـد الدنيا، فيكون هذا بدء الطريق وليس نهايتها،

١- شطر من قصيده طويله.

٢- وقد قيل: لأستسهلن الصعب أو أدرك المنى * فما انقادت الآمال إلا لصابر.

ومهما قيل أو يقال نجد أن الصراع فى هذه الدنيا بين قسمين من بنى البشر: قسم عشق الدنيا ودافع عنها، وقسم اختار المبادئ والقيم ودافع عنها، وبعباره أبسط : قسم اختار الدنيا، وقسم اختار الآخره، ولا يمكن أن يجتمع هذان القسمان والمسلكان، وإن كان معيشهما على وجه هذه الأرض، وهنا نورد هذه الحادثه والتعابير من أعماق التاريخ هذه الأمه، وهى أفكار تجول عند الكثير .

عن محمد بن إبراهيم بن إسحاق الطالقانى رضى الله عنه قال كنت عند الشيخ أبى القاسم الحسين بن روح قدس الله روحه مع جماعه فيهم على بن عيسى القصرى فقام إليه رجل فقال له: أريد أسالك عن شيء .

فقال له: سل عما بدا لك.

فقال الرجل: أخبرنى عن الحسين بن على عليه السلام هو ولى الله ؟

قال: نعم.

قال: أخبرنى عن قاتله لعنه الله هو عدو الله ؟

قال: نعم.

قال الرجل: فهل يجوز أن يسلط الله وعدوه على وليه؟

فقال له أبو القاسم قدس الله روحه: افهم عنى ما أقول لك، اعلم أن الله تعالى لا يخاطب الناس بشهاده العيان و لاشافههم بالكلام ولكنه عزوجل بعث إليهم رسولاً من أجناسهم وأصنافهم بشراً مثلهم فلو بعث إليهم رسلاً من غير صنفهم وصورهم لنفروا عنهم ولم يقبلوا منهم.

فلما جاء وهم وكانوا من جنسهم يأكلون الطعام ويمشون فى الأسواق قالوا

لهم أنتم مثلنا فلا نقبل منكم حتى تأتون [تأتونا]بشیء نعجز أن نأتی بمثله فنعلم انكم مخصوصون دوننا بما لا نقدر علیه.

فجعل الله تعالی لهم المعجزات التی یعجز الخلق عنها فمنهم من جاء بالطوفان بعد الإنذار والإعذار فغرق جمیع من طغی وتمرد، ومنهم من ألقی فی النار فكانت علیه برداً وسلاماً، ومنهم من أخرج من الحجر الصلد ناقه وأجری فی ضرعها لبناً، ومنهم من فلق له البحر وفجر له من الحجر العیون وجعل له العصا الیابسه ثعباناً ف«تلقف ما یأفكون»، ومنهم من أبرأ الأكمه والأبرص وأحیا المؤتی بإذن الله تعالی وانباهم بما یأكلون وما یدخرون فی بیوتهم، ومنهم من انشق له القمر وكلمته البهائم مثل البعیر والذئب وغیرذلك.

فلما أتوا بمثل ذلك وعجز الخلق من أممهم عن أن یأتوا بمثله كان من تقدیر الله تعالی ولطفه بعباده وحكمته أن جعل أنبیاءه مع هذه المعجزات فی حال غالبین وفی أخری مغلوبین، وفی حال قاهرین وفی حال مقهورین.

ولو جعلهم عزوجل فی جمیع أحوالهم غالبین وقاهرین ولم یبتلهم ول یمتحنهم لاتخذهم الناس الهه من دون الله تعالی ولما عرف فضل صبرهم علی البلاء والمحن والإختبار.

ولكنه عز وجل جعل أحوالهم فی ذلك كأحوال غیرهم لیكونوا فی حال المحنه والبلوی صابرین فی حال العافیه والظهور علی الأعداء شاكرین یكونوا فی جمیع أحوالهم متواضعین غیر شامخین ولا متجبرین.

ولیعلم العباد أن لهم علیهم السلام إلها هو خالقهم ومدبرهم فیعبدوه ویطیعوا رسله وتكون حجه الله تعالی ثابته علی من تجاوز الحد فیهم وادعی لهم التربوبیه أو عاند

وخالف وعصى وجحد بما أتت به الأنبياء والرسل وليهلك من هلك عن بينه ويحيى من حى عن بينه.

قال محمد بن إبراهيم بن إسحاق رضى الله عنه فعدت إلى الشيخ أبى القاسم الحسين بن روح قدس الله روحه من الغد وأنا أقول فى نفسى: أتراه ذكر ما ذكر لنا يوم أمس من عند نفسه؟

فابتدأنى فقال لى يا محمد بن إبراهيم لأن أخر من السماء فتخطفنى الطير أو تهوى بى الريح فى مكان سحيق أحب إلى من أن أقول فى دين الله تعالى ذكره برأيى ومن عند نفسى، بل ذلك عن الأصل مسموع عن الحجه عجل الله تعالى فرجه الشريف(١).

حفظ الأسرار من صفات الأخيار

إن الحديث عن الأسرار أشمل وأبعد مما يدور عليه الليل والنهار، وإنما نحاول رسم بعض الكلمات لنهج الأخيار، فالأسرار فى الحياه هى نقطه ارتكاز الكون، والإنسان مؤهل لإدراك وحمل ما تنتجه الأفكار، لذلك ننتقل فى أبحاثنا من موضوع لآخر، ومن باب إلى أبواب، ومنها حفظ السر وكتمانه.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام : من تود سرك من لا أمانه له(٢).

وعنه عليه السلام: لا تودعن سرك من لا أمانه له(٣) .

إن كتم الأسرار من خصال المؤمن الحميده، وهذا المعنى قد ورد بكثير من

١- علل الشرائع ج ١ ص ٢٤١، وعنه بحار الأنوار ج ٤٤ ص ٢٧٣.
٢- الأمالى للصدوق ص ٣٨٠، وعنه بحار الأنوار ج ٧١ ص ١٨٧.
٣- عيون الحكم والمواعظ ص٥١٧.

الأحاديث الشريفه، منها ما ورد عن الإمام الرضا عليه السلام : لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يكون فيه ثلاث خصال: سنه من ربه، وسنه من نبيه، وسنه من وليه.

فأما السنه من ربه فكتمان سره، قال الله عز وجل :«عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا*إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ»(۱).

وأما السنه من نبيه فمداراه الناس فإن الله عز وجل أمر نبيه صلى الله عليه واله بمداراه الناس فقال:«خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ»(۲).

وأما السنه من وليه فالصبر فى البأساء والضراء، يقول الله عز وجل :«وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ۗ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ۖ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ»(۳).

إن خير الدنيا والآخره يجتمع فى التدبر فى هذه السنن الثلاث، وخصوصاً الثالثه، التى هى بمثابه الثمره لما تقدم، فالأولى: كتمان سره تعالى، وفى الآيه أكثر من هدايه :

الأول: أن الغيب والسر المطلق لله وحده .

الثانى: أن هذا الغيب يمكن الإطلاع عليه لمن يختاره الله .

الثالث: أن الذى ارتضاه الله لهذا الاطلاع هو الرسول صلى الله عليه واله، ومن هذا الفيض والعطاء قد ترشح للأولياء عليهم السلام ، ومن هنا كان علم الكتاب كله عند

۱- الجن:۲۶-۲۷.

۲- الأعراف: ۱۹۹.

۳- البقره: ۱۷۷، والحديث فى أمالى الصدوق ص۴۰۸، وعنه بحار الأنوار ج ۲ ص ۳۹.

الأئمه علیهم السلام ، « وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ»(۱).

وقد أودع الله أسرار الكون عند من أعطاهم علم الكتاب، وعندهم أسرار السماء وأنوار الحجاب، فإن إظهار غيبه(۲) قد تحقق على يدى رسوله المرتضى، ومن هنا بدأ إظهار الغيب، ومن حكمته تعالى أنه قد أظهره لخلقه بالتدرج، وهذا التدرج من باب اللطف فى بقيه المخلوقات التى لا تستطيع التحمل دفعه واحده، وذلك لقصور وعجز المخلوقات.

وهنا نشير إلى نقطه مهمه وهى أن الله تعالى قد تلطف - وهو اللطيف - بخلقه حيث أرسل لهم الرسل بالتدريج بدء من آدم، إلى نوح، إلى غيرهم، حتى أصبح لدى البشريه قدره على التحمل، فكان خاتم الأنبياء صلى الله عليه واله.

وقد استمر هذا التدرج من سيد الرسل إلى الأئمه عليهم السلام كما تقدم، ولكل إمام مهمه تتناسب وكل وقت من أوقات الزمن، ومنها تظهر الحكمه فى الحجه المنتظر عجل الله فرجه، وهو الذى يتمم مسيره الأسرار.

وأما السنه الأولى : من نبيه صلى الله عليه واله، فإنها تتعلق بمعامله الناس، ورأس هذه المعامله مداراتهم، ومنها ندرك أن: الدين المعامله(۳).

وما أحوجنا دائماً لمضمون الآيه الوارده حول سنه نبيه، وهى قوله سبحانه :«خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ»(۴)

۱- الرعد: ۴۳.

۲- يحسن مراجعه بحثنا حول موضوع آيات الغيب، وهو بحث مستقل.

۳- لا يظهر ان الحديث وارد بهذا النص وان ورد بمضمون قريب منه .

۴- الأعراف: ۱۹۹.

فی هـذه الآـیه المبارکه أمور ثلاثه: الأمر بالعفو، والأمر بالمعروف، والإعراض عن الجاهلین، وهـذه الأمور الثلاثه هی من مکارم الأخلاق، وقد قال أمیر المؤمنین علیه السلام : العفو تاج المکارم(۱)

وفی حدیث آخر: شیئان لا یوزن ثوابهما: العفو والعدل(۲).

عنـدما نتأمل جیـداً بثمرات العفو نجـد أن له آثاراً لا تقـدر، وهـذا یدل علی مدی انسانیه الإنسان، من هنا تظهر المعادن الصافیه، وبذلک یمتثل أمر الله وأمر رسوله صـلی الله علیه واله حیث یقول صلی الله علیه واله: علیکم بالعفو فإن العفو لا یزید العبد إلا عزا فتعاقوا یعزکم الله (۳).

الأمر الأول: العفو عند المقدره

العفو من الصـفات الرفیعه، ویکفی أنهـا تـاج المکـارم، وهی صـفه أحبهـا الله لعبـاده وأمرهم بالتحلی بها، وهی صـفه من صـفاته تعالی، وفی الآیه أمر بأخذ العفو، ومن هذا الأمر ندرک أنها عظیمه الأثر

وقـد قـال الإمـام جعفر بن محمـد الصادق علیه السـلام : ألا وإن مکارم الـدنیا والآخره فی ثلاثه أحرف من کتاب الله (عزوجل): «خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِینَ»(۴).

وعندما نبحث فی هذه الصفات نجد أنها صفات من سنن المرسلین علیهم السلام

۱- عیون الحکم والمواعظ ص۱۹.

۲- عیون الحکم والمواعظ ص۲۹۷.

۳- الکافی ج ۲ ص ۱۰۸، وعنه بحار الأنوار ج ۶۸ ص ۴۰۱.

۴- الأعراف: ۱۹۹، والحدیث فی أمالی الطوسی ص ۶۴۴، بحار الأنوار ج ۶۸ ص۴۲۶.

والمتقين، وهى الصفات التى يسعد بها الإنسان، وعليها يدور محور الإنسانيه، وهى المعذبه فى هذه الأزمان، وقد يأتى زمن تتحقق فيه هذه الصفات عملياً،حيث أننا نتكلم بها نظرياً فى هذا الزمن، وقد يكون لها أهل لم نعرفهم فى هذا

العصر.

يقول الإمام الصادق عليه السلام : العفو عند القدره من سنن المرسلين والمتقين، وتفسير العفو أن لا تلزم صاحبك فيما أجرم ظاهراً، وتنسى من الأصل ما أصبت منه با طناً، وتزيد على الإختيارات إحساناً، ولن يجد إلى ذلك سبيلاًإلا من قد عفا الله عنه وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وزينه بكر امته وألبسه من نور بهائه، لأن العفو والغفران صفتان من صفات الله عز وجل أودعهما فى أسرار أصفيائه ليتخلقوا مع الخلق بأخلاق خالقهم وجعلهم كذلك.

قال الله عز وجل «وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ»(۱)ومن لا يعفو عن بشر مثله كيف يرجو عفو ملك جبار(۲).

وفى حديث عنه صلى الله عليه واله : من كثر عفوه مد فى عمره (۳).

العفو سر من الأسرار

يمتاز الإنسان بصفاته، وتظهر حقائقه بأعماله، والعفو سر من أسرار القلوب، وعندما نقرأ ما جاء به الأنبياء والأولياء نجد أنهم كانوا ممثلين لأوامر الله سبحانه و آمرين بالعفو، ويعرف ذلك من سيرتهم ومقدارعفوهم عن الناس،

۱- النور: ۲۲.

۲- بحار الأنوار ج۶۸ص ۴۲۳.

۳- كنز الفوائد ص۵۶.

ومن يتصفح التاريخ يجد مقداراً لا حصر له من ذلك.

لنقرأ هـذا المقطع من كتاب أمير المؤمنين عليه السـلام لمالك الأشتر لا ولاه على مصـر، ففيه الـدرر التى تضـىء للعقول على مر الدهور .

قال عليه السلام: ولا تكونن عليهم سبعاً ضارياً تغتنم أكلهم، فانهم صنفان: إما أخ لك فى الدين وإما نظير لك فى الخلق.

يفرط منهم الزلـل وتغرض لهم العلـل، ويؤتى على أيـديهم فى العمـد والخطإ، فأعطهم من عفوك وصـفحك مثل الـذى تحب وترضى أن يعطيك الله من عفوه وصفحه ... ولا تند من على عفو ولا تبجحن بعقوبه(١).

الأمر الثانى: الأمر بالمعروف

إن الأمر بالعرف هو صـفه عاليه اختص بها الأنبياء والرسل والأولياء والصـلحاء، وأول ذلك أن يكون الأمر مؤتمراً بما يأمر به من المتابعه، ومن ذلك أن يكون نفسه أمره بنحو معروف غير منكر(٢).

ولهـذا الموضوع ربـط فى المجتمعـات والأـفراد، وقـد بحث مطولاً فى الفقه، كـذلك له أبحاث عنـد علماء الأخلاق وغيرهم من علماء الاجتماع، ولسنا بصدد بيانه هنا وإن كان ضمن الآيه .

١- نهـج البلاغه، من الكتاب رقم٥٣، كتبه للأـشتر النخعى لمـا ولاـه مصـر وأعمالها: أمره بتقوى الله وإيثار طاعته .. وهو من أهم القوانين فى حسن التعامل.

٢- ذكر هذا المعنى بعض المفسرين، راجع تفسير الميزان ج٨ ص ٣٩٧.

الأمر الثالث: وأعرض عن الجاهلين

إن موضوع الجهل والجهلاء من أصعب المواضيع بحثاً وبياناً، وإن كان ظاهراً، وفى الإعراض عن الجاهلين أسرار خفيه تشبه أسرار الموت، وقد يدرك العقل البشرى هذه الأسرار فى الدنيا، لأن حقيقه الموت لم تدرك إلا بعد مرحله الحياه فى الدنيا، كذلك الجهل المعبر عنه بالموت والظلام وما شابه.

فالجهل وإن كان بديهياً إلا أنه داء لا يحس به صاحبه، من هنا كانت الصعوبه فى المعالجه، وقد عرف بتعاريف عديده، منها ما قاله إمام العارفين عليه السلام:

الجهل مميت الأحياء ومخلد الشقاء .

الجهل داء وعياء .

الجهل فى الإنسان أضر من الآكله فى البدن .

الجهل معدن الشر.

الجهل فساد كل أمر.

ما أعز الله بجهل قط.

لا يردع الجهوك إلا حد الحسام(١).

وقفه لطرد الجهل

عندما ننظر إلى الجهل وآثاره على أرض الواقع نجد أنه الظلام الحالك المخيم على كثير من عقول البشر، ويكفى دلالةً أنه جعل فى مقابله العلم، فكما أن

١- راجع ميزان الحكمه، باب الجهل والكفر.

العلم نور مضىء كاشف للحقائق، فالجهل هو الظلام الدامس والمخيم والخافى للحقائق عن عقول البشر ونفوسها، وهذا الداء الذى عجزت عنه الأطباء، ولا يمكن للإنسان أن يشفى منه إلا بدواء من العلماء والحكماء.

الجهلاء والدواء

لقد وصف الإنسان بالجهل، ولهذا الوصف دلالات وأبعاد فى حياه الإنسان، فعندما نقرأ أكثر من آيه فى القرآن نجد أن هذا الوصف خاص بالإنسان، وقد جاء فى موارد الذم دون المدح، كما ورد أن الجهل نقيض العلم، وكثيراً ما تظهر الأشياء بأضدادها، من هنا يمكننا توضيح بعض المعانى الآثار الجهل، فالآيه المتقدمه تتضمن المعانى الخفيه حول الجهل، وهى:«وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ»(۱).

وهناك آيه جامعه، قال تعالى:«إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَهَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا»(۲).

لست فى مقام بيان معانى التفسير، إنما ندرك من هذه الآيه بعض الجوانب، وأهمها أن الإنسان - دون غيره من المخلوقات - يحمل النقيضين، وهما: الجهل والعلم، ويسمو الإنسان بالعلم إلى أعلى المراتب، ويتسافل بالجهل إلى أخس الدرجات، وهنا تكمن الأسرار .

۱- الأعراف: ۱۹۹.

۲- الأحزاب: ۷۲

وقفه عاجز عن البيان

إن أسرار الحياه ومعانى الوجود مبثوثه فى خلايا الإنسان، وقد وجد الإنسان على مفترق الطرق فى هذه الحياه، فهو قد حمل الأمانه من جانب، ووقع فى الهاويه من جانب.

وعندما نقرأ مسيره حياه الإنسان نجد أنه سار باتجاهين متعاكسين متضادين هما: اتجاه طريق العلم، واتجاه مسلك الجهل.

مما لا شك فيه أن حمل الأمانه لدى الإنسان دليل على أهميه الحامل والمحمول، فالأمانه من الله سبحانه هى أمانه العلم، والذى حملها هو الإنسان، فكلاهما ذات أبعاد فى هذا الوجود.

وعندما يتخلى الإنسان عن العلم يقع فى خضم الجهل، وعندئذ يكون ظلوماً، «وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون».. وكان من نتائج ذلك الجهل والكفر والجحود.

يقول الإمام أبو عبد الله عليه السلام : لو أن العباد إذا جهلوا وقفوا لم يجدوا ولم يكفروا(١).

من هنا ندرك أن آثار الجهل ونتائجه هى الكفر، فالكفر ناتج عن الجهل، وقد ورد عن الرسول صلى الله عليه واله أنه قال: إ ن العاقل من أطاع الله وإن كان ذميم المنظر

١- الكافى ج ٢ ص ٢٨٨، وفى المحاسن ج١ ص٢١٦ رواه عن أبى جعفرعليه السلام ،وعنه بحار الأنوار ج٢ ص ١٢٠.

حقير الخطر وإن الجاهل من عصى الله وإن كان جميل المنظر عظيم الخطر(۱).

فقد جاء الوصف هنا لقسمين من الناس، وهما عاقل و جاهل، فالعاقل من أطاع الله، والجاهل من عصى الله، ويترتب على المعاصى الكفر، ولذا قيل: الجاهل ميت وإن كان حياً(۲).

وقد ورد الكثير فى ذم الجهل والجهلاء، من ذلك ما روى عن أمير المؤمنين عليه السلام : الجاهل صخره لا ينفجر ماؤها وشجره لا يخضرعودها وأرض لا يظهر عشبها(۳).

ويقول عليه السلام : عمل الجاهل بال وعلمه ضلال(۴).

من هذه الدرر من الأحاديث والآيات ندرك مخاطر الجهل وعاقبه الجهلاء، ومما قاله الإمام الحسن عندما سئل: ما الجهل؟

قال: سرعه الوثوب على الفرصه قبل الاستمكان منها والإمتناع عن الجواب (۵).

عوده حول الأمر الثالث: وأعرض عن الجاهلين

لنقف عند جانب من معانى الإعراض، يقول الإمام عليه السلام: الجاهل

۱- كنز الفوائد ص ۱۳، وعنه بحار الأنوار ج ۱ ص ۱۶۰.

۲- عيون الحكم والمواعظ ص ۴۵.

۳- عيون الحكم والمواعظ ص ۶۳.

۴- عيون الحكم والمواعظ ص ۳۴۲.

۵- معانى الأخبار ص ۴۰۱، وعنه بحار الأنوار ج ۷۵ ص ۱۰۱.

يستوحش مما يأنس به الحكيم.

ويقول عليه السلام: الجاهل لا يرتدع وبالمواعظ [بالموعظه] لا ينتفع .

ويقول عليه السلام : للجاهل فى كل حاله خسران(۱).

إن للإعراض عن الجاهلين دلالات على أهميه واقع الحياه، ذلك لأن الحياه لا تستقر عند الجهل، والإنسان الجاهل بمنزله الداء فى نعيم الحياه، لأن الحياه سعاده للإنسان. والجهل شقاء بكل معانيه وأبعاده، فالإعراض عن الجاهل بحسب المعنى والواقع هو إعراض عن الداء الذى فيه خسران لسعاده الإنسان، وهذا يعرف من واقع الممارسه العمليه.

من صفات الجاهل: لقد امتاز الانسان بحسن تعامله، وبما ينتفع وينفع فى مسيره حياته، بينما نجد الجاهل عكس ذلك تماماً، فلا ينتفع ولا ينفع، بل يصبح بمثابه الداء العضال، وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه واله : وصفه الجاهل: أن يظلم من خالطه ويتعدى على من هو دونه، ويتطاول على من هو فوقه، كلامه بغير تدبر(۲).

إن كثيراً من الأسماء و المسميات تعرف بالصفات، وبها يتميز هذا عن ذاك، وقد تتحد الصفات بالذات، فتصرفات الإنسان هى التى تدل عليه، فعندما نقول: جاهل، معناه أنه متلبس بالجهل، كذلك عندما نقول: هذا عاقل أو عالم، فمعنى ذلك أنه متلبس بالعلم ومتصف بالتعقل، والتعقل والتعلم من أرفع صفات الإنسان، وقد لا يطلق إلا فى مورد الصفات المميزه.

۱- راجع ميزان الحكمه، باب الجاهل.
۲- تحف العقول ص ۲۹، وعنه بحار الأنوار ج ۱ ص ۱۲۹.

وقد يتعلم الإنسان الجاهل فتنتفى عنه صفه الجهل، ولكن الأجهل هو الذى لا يسعى لطلب العلم، وأعظم من ذلك جهلاً جهل الإنسان أمر نفسه.

يقول الله : رأس الجهل الجو ر(١)، ومن هنا ندرك ما قيل: الناس أعداء ما جهلوا(٢).

يقول الإمام عليه السلام : لا تعادوا ما تجهلون، فإن أكثر العلم فيما لا تعرفون(٣).

وقفه عند الحديث: عندما نقف مع أنفسنا بتأمل وإنصاف نجد أننا غير منصفين لها، فإن ما نجهله أكثر بكثير مما ندعى معرفته، ومن هنا لا بد من إعاده النظر فى كل ما نعرفه، لأن الإنسان غالباً ما يجعل نفسه ميزاناً، وهذا نوع من الجهل، وإن كان الإنسان عالماً فى الظاهر.

فلا بد للعالم أن يعرف نفسه أولاً، وإلا كان جاهلاً وإن قرأ الحروف.

من جهل شيئاً عابه: يعيش الإنسان فى هذه الحياه بين نهجين متعاكسين : وهما الجهل والعلم، ولكل أهل ونتائج، فنتاج الجهل الشر، ونتاج العلم الخير، ومن هنا كان الافتراق فى مسيره حياه الإنسان بين الخير والشر، ويختص الإنسان بهذين الوصفين، ومنه يصدر الخير بأسبابه، والشر بوسائله، وعندما يسير تحت مظله الجهل يصدر الشر منه حتماً، وعندما يسير تحت جناح العلم يفيض منه الخير، ولذا لا بد للإنسان أن يحقق الميزان لنفسه، لأن السير عائد له مهما قيل أو

١- عيون الحكم والمواعظ ص ٢٦٣، ميزان الحكمه، باب تفسير الجهل.
٢- نهج البلاغه ج۴ ص ۴۲، وعنه بحار الأنوار ج ١ ص ٢١٩.
٣- عيون الحكم والمواعظ ص۵۲۱، ميزان الحكمه، باب الإنسان عدو لما يجهل.

يقال.

ولذا نقرأ ما جاء عن الرسول صلى الله عليه واله : العلم رأس الخير كله، والجهل رأس الشركله(۱).

ويقول أمير المؤمنين عليه السلام: الجهل موت(۲)، وعنه عليه السلام : الجهل أصل كل شر(۳).

وعندما يبقى الإنسان جاهلاً فى هذه الحياه يغرق بنار الشر.

ومن أروع ما قيل حول ذلك هو قول أمير المؤمنين عليه السلام : ابن آدم أشبه شيء بالمعيار : إما ناقص بجهل، أو راجع بعلم(۴).

فكلما ازداد الإنسان جهلاً ـ تسافل نحو النقص، وكلما اتقن العلم رجحت كفه ميزانه، من هنا ندرك عظمه العلم ورفعه شؤون العلم، والفضائل حول العلم لا ـ تحصيها أقلام العلماء، ولا تنالها أيدى الجهلاء، وكيف ينال الإنسان علماً يعاديه، وقد ورد عن الإمام عليه السلام : الجهل بالفضائل من أقبح الرذائل (۵).

ونحاول إلقاء نظره حول الجهل والجهاله، لعلنا نتدارك شيئاً فى بقيه حياتنا، ولا نقف عند الجهل الذى هو موت قبل الموت، بل هو داء وليس له دواء غير طرده بالعلم، وهو عدو لدود يسرى فى خلايا وطينه الإنسان، بمثابه الدم فى

۱- بحار الأنوار ج ۷۴ ص ۱۷۵.

۲- مستدرك الوسائل ج۱۲ ص۶۷.

۳- ميزان الحكمه، باب الجهل والكفر.

۴- تحف العقول ص ۱۵۰، بحار الانوار ج ۷۵ ص ۵۰.

۵- عيون الحكم والمواعظ ص ۲۰.

الجسم الحى.

وقفه باحث عن مصدر الجهل

أقول إنها محاوله لمعرفه الجهل، وهل أنه ذاتى أم أنه عرض أم ماذا؟ إلى هنا لا أدرى، وإنما أحاول البحث.

لنظر أولاً- إلى المخلوقات الحيه، فهى أرضيه وسماويه، من ملائكه وجن وإنسان و حيوان، وللملائكه شأن خاص، وليس الجن من موارد بحثنا، و الحيوان لا يوصف بالعلم والجهل والعقل، فيبقى المقصود هو الإنسان، وهو الذى يوصف بأنه جاهل أو عالم.

والعلم والجهل نقيضان كما هو معروف، والإنسان واحد مركب من ماديات و معنويات.

والإنسان ثانياً هو آخر هذه المخلوقات على هذه الأرض، وعندما أهبط إليها ابتداءً كان متسلحاً بالعلم بنص الآيه المباركه:«وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ »(۱).

ولكن هذا التعليم للأسماء كلها كان فى السماء، ومن ذلك ندرك أن العلم المطلوب عند الإنسان كسب وليس ذاتياً (۲).

ونلاحظ ثالثاً أن الإنسان لا يرضى أن يوصف بالجهل وإن كان جاهلاً ، ويفرح إذا وصف بالعلم وإن لم يكن عالماً، ويدل هذا بالوجدان على إدراك الفطره

۱- البقره: ۳۱.

۲- وفى هذا الموضوع أبحاث كثيره حول العلم اللدنى والكسبى، والقابليه والفطره، وما شابه ذلك، وليس هذا محلها.

عنـد الإنسان لما هو منبوذ أو محبوب بـذاته، فالعلم محبوب و الجهل مبغوض، ومع ذلك نجد أن الكثير من بنى البشـر ينغمسون فى بحور الجهاله مع بغضهم للجهل، ويحبون العلم وإن لم يذوقوه.

رابعـاً: يوصف الإنسـان أيضـاً بالعقل كما يوصف فى المقابل بالجهل، وهنا نقول أن العلم والعقل متلازمان و متحـدان، لا ينفك أحـدهما عن الآـخر فى حقيقه الإنسـان، وإنمـا يفرق بينهمـا فى التفاصـيل العلميه أثنـاء التوضـيحات والمـوارد، فـالعلم حقيقه هو للإنسـان، سواء كـان على هـذه الأـرض أو على كوكب آخر، فالإنسان بـدون علم هو أقل من الحيوان، وليس هو إنساناً بالمعنى الحقيقى، لأنه خلق للعلم، ولا نجاه له دون العلم.

وقفه عند حديث

قال الإمام الصادق عليه السـلام : الجهل صوره ركبت فى بنى آدم، إقبالها ظلمه وادباها نور، والعبـد متقلب معها كتقلب الظل مع الشمس.

ألا ترى إلى الإنسان تارةً تجـده جاهلاً بخصال نفسه حامـداً لها عارفاً بعيبها فى غير ساخطاً، وتارةً تجـده عالماً بطباعه ساخطاً لها حامداً فى غيره، فهو متقلب بين العصمه والخذلان.

فإن قابلته العصمه أصاب إن قابله الخذلان أخطا.

ومفتاح الجهل الرضا والإعتقاد به، ومفتاح العلم الإستبدال (١)مع إصابه موافقه التوفيق.

١- كأن المراد أن مفتاح العلم طلبه، وهو استبدال الجهل بالعلم.

وادنى صفه الجاهل دعوا العلم بلا استحقاق، وأوسطه جهله بالجهل، وأقصاه جحوده العلم.

وليس شى إثباته حقيقه نفيه إلا الجهل والدنيا والحرص فالكل منهم كواحد و الواحد منهم كالكل(۱).

وهذا الحديث يحتاج إلى تفسير وتوضيح .

حديث جامع

لقـد أوقفنى كثيراً حديث جامع منسوب للإمام الصادق عليه السـلام: اجتهد فى تعلم علم السـر، فإن بركته كثيره.. ومن تعلم علم العلانيه وترك علم السر ، يهلك ولا يسعد(۲).

من هذا الحديث الشريف ندخل إلى أبواب واسعه تتعلق بكل ما يدور حول الإنسان:

الأول: تكوين الإنسان.

الثانى: صفاته ومميزاته .

الثالث: غايته ودوره.

الأول: لقد أصبح واضحاً أن الإنسان مكون من جانب مادى محسوس،

۱- بحار الأنوار ج ۱ ص ۹۳، عن مصباح الشريعه.

۲- كتـاب الحياه لمحمـد رضا حكيمى ج ۱ ص ۱۵۳، فصل ۱۶، وبحر المعارف لعبد الصـمد الهمدانى ج۲ ص ۳۲۹، ولم نعثر عليه فى أمهـات المصادر، فيما نسـبه أحمـد بن على الرفاعى الكبيرالمتوفى فى القرن السادس إلى محمـد بن الفضل السـمرقندى (حاله أهل الحقيقه مع الله تعالى ص ۴۶).

ومن جانب روحی معنوی، ولکلا الجانبین تفاصیل لا حصر لها، ولسنا هنا بصددها، وإنما نحاول الإشاره للصفات والغایات، فنقول وبه نستعین:

الإنسان بما هو إنسان نقطه ارتکاز فی هذا الکون، وهو مرتبط به ارتباطاً وثیقاً لا ینفک عنه، ولیس بإمکانه الخروج من الکون وما فیه، وقد أوجده خالقه بترکیبات ممیزه جداً.

إشاره حول خلق الإنسان

لقد جنحنا کثیراً فی هذه الأزمان عن واقع الإنسان، وحصل هذا الجنوح والانحراف عندما لم نتخذ المنهج القویم لسیرنا، فالإنسان یرجع من جهه تکوینه إلی أصل واحد ولا فوقیه لأحد علی غیره، ولیس أحدهم أفضل أو أشرف بل هم من جهه أصل الخلقه سواء، کلهم من آدم وآدم من تراب، لا فضل لأبیض علی أسود، وهذا أصل أساسی وبدیهی.

یقول القرآن الکریم: «یَا أَیُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاکُمْ مِنْ ذَکَرٍ وَأُنْثَی وَجَعَلْنَاکُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَکْرَمَکُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاکُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِیمٌ خَبِیرٌ»(۱).

تشیر الآیه إلی أن الأصل واحد، والغایه التعارف والتآلف ولیس التفاخر والاستکبار، قال صلی الله علیه واله یوم فتح مکه: أیها الناس لیبلغ الشاهد الغائب: إن الله تبارک وتعالی قد أذهب عنکم بالإسلام نخوه الجاهلیه والتفاخر بآبائها وعشائرها.

أیها الناس أنکم من آدم وآدم من طین، ألا وان خیرکم عند الله وأکرمکم

۱- الحجرات: ۱۳.

عليه اليوم اتقاكم وأطوعكم له(۱).

فليس للإنسان دخل فی التكوين، وإنما له دخاله فيما يتعلق بالاكتساب، ومن ذلك التقوى التی يمتاز بها الإنسان عن غيره، وهی ترجع للأمر الثانی المعبر عنه بالصفات، من هنا يمكن القول أن أرقی صفه تجب علی الإنسان هی صفه العلم، والحث علی العلم فی شريعه الله لا حصر له، بدءً من حكم العقل ومن القرآن الكريم والأحاديث الشريفه، وهی صفه رفيعه، وهذه الصفه هی المنطلق الصحيح لكل معرفه، وبعباره مختصره أن الإنسان قد وجد للعلم، وعندما لا يسعی له يكون قد استجاب للجهل، والجاهل دائم كأنه لم يكن!

يقول الإمام الصادق عليه السلام: من تعلم الله (عز وجل) و عمل لله وعلم لله ، دعی فی ملكوت السماوات عظيماً، وقيل: تعلم الله وعمل لله علم لله(۲).

والتعلم الله يشمل علم الظاهر والباطن، وهنا يكمن علم الأسرار، ومن هنا ندرك القول المتقدم: اجتهد فی تعلم علم السر، فإن بركته كثيره(۳).

فالعلم طريق للسعاده بكل معانی الكلمه، والجهل طريق الشقاء بكل أبعاده ومعانيه، وعن النبی صلی الله عليه واله: العلم علمان علم علی اللسان فذلك حجه علی ابن آدم، وعلم فی القلب فذلك العلم النافع(۴).

والأحاديث حول العلم لا حصر لها، ومن أقوال الإمام الصادق عليه السلام :

۱- كتاب الزهد ص ۵۶، وعنه بحار الأنوار ج ۲۱ ص ۱۳۸.

۲- الأمالی للطوسی ص ۴۷، وعنه بحار الأنوار ج ۲ ص ۲۹، وقريب منه فی الكافی ج۱ ص۳۵.

۳- تقدم ذكره قريباً قبل صفحتين.

۴- عوالی اللئالی ج ۱ ص ۲۷۴، وعنه بحار الأنوار ج ۲ ص ۳۳.

العلم أصل كل حال سنى، ومنتهى كل منزله رفيعه، ولذلك قال النبى صلى الله عليه واله: طلب العلم فريضه على كل مسلم ومسلمه، أى علم التقوى واليقين.

وقال على عليه السلام : اطلبوا العلم ولو بالصين وهو علم معرفه النفس وفيه معرفه الرب عز وجل(١).

الثالث: دور الإنسان وغايته

تقدم فى الحديث: اجتهد فى تعلم علم السر، فإن بركته كثيره..

وقد ألمحنا إلى أمرين هما: تكوين الإنسان وبعض صفاته، ونقول: أن الأهم فيما يتعلق بالإنسان هو الغايه التى يصل وينتهى إليها، والغايه بالنسبه للإنسان بمثابه الثمره للشجره.

فالثمره تمر بأدوار ومراحل حتى تصل لكمال نضوجها، فغايه وجود الإنسان هو الكمال، وهنا نحاول الإشاره إلى ما يوصل إلى الكمال المنشود.

وللإنسان كمال محسوس وكمال أبعد من ذلك، ومن هنا يفترق عن بقيه المخلوقات، فجميع المخلوقات تقف عندما تصل إلى منتهى كمالها، أما الإنسان فهو ذو كمالين: كمال يتعلق ببدنه المادى بكل جوانبه، وكمال يسير إلى ما هو أسمى من بدنه وماديا ته، وهو كمال نفسه الإنسانيه، وهى التى لا تقف عند حد محدود بذاتها.

علم السر والنفس

عندما نقول: علم السر فلا نعنى أن السر أمر لا يعرف، بل هو كام بذات

١- مصباح الشريعه ص١٣، وعنه بحار الأنوار ج ٢ ص ٣١.

الإنسان، وليس شيئاً غائباً يبحث عنه، بل هو معه لا يفارقه بدءً من تكوينه مروراً بكل مراحل وجوده وسيره، وعندما يبحث الباحثون حول الإنسان عموماً، من وجوده إلى مسيره حياته إلى بقائه يجدون ترابطاً بخطوط عريضه، لذلك تشابهت الأمور.

وقفه متأمل: عندما نقرأ حول الإنسان وجوانب حياته فى هذا الكون نجد مسالك ومناهج عديده للباحثين، ونجد أقوالاً وتحاليل من جميع الطبقات، من حكماء وفلاسفه وعلماء، قدماء ومتأخرين.. كل هؤلاء حاولوا البحث عن جانب أو أكثر، لكن لم نجد إلا قليلاً من تعرض لجوانب علم الأسرار.

ولعلنا لن نعثر على مثل هؤلاء القله القليله، لذا فإنا نحاول أن ندلى بدلو صغير، لعلنا نضع فيه قطره ماء من ماء الحياه.

ما هو علم الأسرار

بسم الله نبدأ، ومنه المبدأ..

إن أسرار الأبرار مبثوثه فى آيات القرآن الحكيم، وأمثالنا لا يعرف منها سوى الإسم وبعض المعانى التى يرسمها لنا الفكر المحدود، أو بعض الأفكار.

من هنا أحاول أن أقف على جوانب هذا البحر لعلى أحسن شيئاً من الخوض.. ويبقى الأمل باباً للطموح، مع يقينى أنه بحر غير البحور!

أولاً: إن موقع الإنسان فى هذه الدنيا بين وصفين متضادين: وصف الفضائل، ووصف الرذائل.

ثانياً: تكمن الصعوبه فى تحديد هذين الوصفين، فعندما نقرأ أقوالاً لعلماء

الأخلاق يقولون أن الفضيله واقعه بين رذيلتين، فالكرم مثلاً واقع بين رذيله البخل ورذيله الإسراف، وهكذا هناك تعاريف كثيره للحكماء والعلماء والفقهاءوغيرهم من الفلاسفه وأهل النظر.

كل هذه العناوين والتعاريف تبقى فى عوالم الألفاظ والمعانى المحسوسه، مع العلم أن بحثنا هنا يتعلق بلفظ الأسرار، والاسرار هى أول المخلوقات، وهى التى بدأت تتكون الحياه بعدها، فللمخلوقات من حيث الوجود مراحل و مراتب، ولها أصل، وقد قال علماء الحكمه أن الوجود أصيل، ولست هنا فى مقام الأبحاث الفلسفيه، بل نحاول التعرف، ومرادنا من التعرف أن يكون لدينا بصيص خيطٍ من نورٍ نسير على هدى ضيائه، حتى لا نبقى مع النظريات والعموميات التى تحمل الكثير من المعانى والتحليلات، فكل آيه أو روايه تتضمن جوانب من الأسرار.

وقد بدأنا هذا البحث من الأسرار إلى عوالم الأنوار، فعوالم الأنوار منها تتدرج نحو الأسرار، وأسرار الأكوان قد بدأت بعد وجود النبى وآله الأطهارعليهم السلام.

حديث شريف: وهو من الباب الأول: باب العقل والجهل، عن أبى جعفرعليه السلام قال : لما خلق الله العقل استنطقه ثم قال له: أقبل، فأقبل.

ثم قال له: أدبر، فأدبر.

ثم قال : وعزتى وجلالى ما خلقت خلقاً هو أحب إلى منك، ولا أكملتك إلا فيمن أحب، أما إنى إياك آمر وإياك أنهى وإياك أعاقب وإياك أثيب (۱).

۱- الكافى ج۱ ص۱۰.

يتضـمن هذا الحديث الشـريف الكثير من الأسـرار والإعلان، منها ما هو ظاهر ومنها ما هو باطن، وفيه معانى لا حصر لعدها، وفيه من الألفاظ : الخلق، والعقل، الإقبال والإدبار، القسم، الحب، الإكمال، الأمر والنهى، العقاب والثواب.

من يدرك أبعاد معانى هذه التعابير؟ ومن ينال مراميها؟ بل من يقدر على إظهار أسرارها؟

ممـا لاـ شك فيه أنه لا يعرف أسـرار هـذه المعانى سوى أهل بيت العصـمه عليهم السـلام ، وأما بقيه البشـر فكل يأخـذ من هـذه البحور بمقدر وعاء قلبه، ويبصر من هذه الأنوار بقدر صفاء بصيرته، مع شروط عديده أهمها التوفيق من خالقه.

ومن غـاص فى بحور الأحـاديث الشـريفه أمكن له إدراك بعض المعانى، لأن الأحاديث يعضـد بعضـها بعضاً، كما تظهر الآيات معـانى بعضـها من بعض، فقـد ورد عن النبى صـلى الله عليه واله: أول ما خلق الله نورى، وفى روايه: أول ما خلق الله روحى، وفى حديث: أول ما خلق الله القلم(۱).

وهـذه النماذج كثيره فى الأحاديث الشـريفه حول أول ما خلق، والحـديث هنا أشار إلى العقل، وقـد تنوعت التعاريف اللفظيه فى ماهيه العقل، ومما عرف به: أنه جوهر لا تعلق له بالأجسام بوجه لا وجوداً كالأعراض ولا فعلاً وتصرفاً

۱- شرح أصول الكافى ج ۱ ص۲۱۶.

كالنفوس ولا بالجزئيه والامتزاج كالماده والصوره(۱).

الألفاظ إشارات للمعانى: ورد فى الحديث هنا: ما خلقت خلقاً هو أحب إلى منك، ولا أكملتك إلا فيمن أحب.

ولفظ (حب) موجه هنا للعقل، وعندما ننظر للمخلوقات نجد أن من يتصف منها بالعقل: الملائكه والإنسان، والمراد هنا - والله العالم - الإنسان لا سواه، وعندما نتدرج فى المعرفه وما دل عليه البرهان والوجدان نجد أن أول مخلوق هو محمد صلى الله عليه واله ، وعندما نبحث فيما جاء عن الله سبحانه ندرك أن أحب المخلوقات إلى الله عز وجل هو محمد وآله الأطهار عليهم السلام ، فمن الدليل والبرهان والإدراك والوجدان أن أهل بيت العصمه عليهم السلام هم أول ما خلق الله، وهم الأحب عند الله تعالى، وهذا لا خلاف عليه عند جميع الأنبياء والرسل وعند جميع العقلاء الأتقياء ممن آمن برسالات السماء، فمحمد صلى الله عليه واله أول مخلوق فى عوالم الأنوار(۲).

ومحمد صلى الله عليه واله هو آخر مبعوث من الأنبياء والرسل، وفى هذا الابتداء والانتهاءدلالات كثيره، وفيه معانى رفيعه، بل فيه حصر لنبع العطاء والفضائل، ومصدر بث الخيرات، بل أكثر من ذلك فهو مستودع الأسرار ومظهر الأنوار للخالق الجبار.

وهنا يمكن القول أن إظهار الحقائق من كتمان أسرار الوجود يحتاج لحامل

۱- من تعاريف الفيلسوف الفذ صدر المتألهين، الملا صدرا، راجع شرح أصول الكافى ج۱ ص۲۱۶.
۲- راجع بدايه البحث تجد أن أحاديث الأنوار داله على ذلك.

لها، ومهما كانت التعابير بحروف الألفاظ تبقى قاصره عن الإحاطه بالمعانى، ولكن لا بد من الإشاره لذوى الأفهام...

فإن الحقائق تتجلى بالظهور عند أربابها، وقد قيل: الوجود خير محض.

فلا بد أن يكون أول المخلوقات من الموجودات هو الأكمل فى كل معانيه، وليس فى المخلوقات شىء أكمل من سيد الكائنات صلوات الله عليه وعلى آله، فهو الخير المحض، والأشرف فى المخلوقات.

حبيب الله : حب الخالق ليس كحب المخلوق، وهو صلى الله عليه واله أحب الخلق إلى الله تعالى، من هنا تبدأ مظاهر الأسرار بمصابيح الأنوار، فمنور السماوات والأرض وما بينهما هو المظهر للكنز المخفى، وهنا إشاره إلى الحديث القدسى: كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لكى أعرف (۱)..

وحتى لا نسبح كثيراً فى لجج الأنوار يحسن القول أن أحب الخلق له تعالى هو الأقرب، ولذا سمى صلى الله عليه واله: حبيب الله.

وبهذا الحبيب والحب كان ترابط الكون، وما فيه من المخلوقات منجذب الحبيب محبوب الله، الأول من المخلوقات من السرادقات (۲).

وأوضح ما يمكن أن يكون شاهداً:«فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى*فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى»(۳).

۱- بحار الأنوار ج ۸۴ ص ۳۴۴.

۲- السرادقات هى الحجب.

۳- النجم:۹-۱۰.

لذلك كان صلى الله عليه واله هو الأحب والأكمل، فكمال المخلوق مستمد من كمال خالقه، حيث لا يصدر الكامل إلا مما هو أكمل: ولا أكملتك إلا فيمن أحب(۱).

وقفه عند باب العقل

عندما نحاول التعرف على بعض جوانب أسرار الإنسان، نقف عاجزين عن الخوض فى ذلك، لأننا لا نملك المفتاح الحقيقى إلا ممن اختارهم الله سبحانه لهدايه الخلق، وقد انحصرت الهدايه بخاتم الأنبياء وآله الأوصياء عليهم السلام، من هنا ندرك أن ابتداء المعرفه لكل موضوع يتعلق بالإنسان لا بد أن يكون المصدر من كنوز علمهم(۲).

قال رسول الله صلى الله عليه و اله : إن الله عز وجل خلق العقل من نور مخزون مكنون فى سابق علمه التى لم يطلع عليه نبى مرسل ولا ملك مقرب، فجعل العلم نفسه والفهم روحه والزهد رأسه والحياء عينيه والحكمه لسانه والرأفه همه والرحمه قلبه، ثم حشاه وقواه بعشره أشياء: باليقيين والإيمان والصدق والسكينه والإخلاص والرفق والعطيه والقنوع والتسليم والشكر(۳).

العقل والإنسان

من أكبر النعم التى اختص بها الإنسان هى نعمه العقل، وبهذه النعمه تحققت سعاده الإنسان فى هذه الدنيا، فالوجود وان كان هو أعظم نعمه إلا أنه لا

۱- تقدم ذكر الحديث.

۲- إشاره إلى أن مصدر كل علم من النبى وآله الأطهار عليهم السلام ، فعن أبى جعفرعليه السلام : شرقا وغربا لن تجدا علماً صحيحاً إلا شيئاً يخرج من عندنا أهل البيت (بصائر الدرجات ج ۱ ص ۱۰).

۳- الخصال ص ۴۲۷، وعنه بحار الأنوار ج ۱ ص۱۰۷، والحديث طويل فيه تفاصيل، فراجع.

قيمه لوجود الإنسان دون العقل، وهذا العقل هو الحجه الباطنه، وتقابلها الحجه الظاهره، فالباطنه العقل والظاهره الرسل والأنبياء عليهم السلام ..

وعندما يستجيب الإنسان للحجتين ينال الفوز، ومن هنا ندرك العنايه الإلهيه بالإنسان، التى خصته بما يحقق له السعاده فى الدارين، وهما الرسول الباطنى وهو العقل، والرسول الظاهرى وهو الرسول المبلغ.

من هنا ندرك مدى الترابط بين الرسول الباطنى والرسول المبلغ الظاهرى، وهذا الترابط لا ينفك بينهما، فبالعقل يدرك الإنسان الحقائق التى يأتى بها المبلغ، وبدون تطبيق هذه الحقائق لا يتحقق المطلوب.

الإنسان والدنيا

عندما نحاول معرفه الحقائق فى هذه الحياه، نجد أن واقعنافى هذه الدنيا لا يحتاج إلى كثير من الأدله عليه، فوجود الإنسان واقع ملموس، وما يبقى الإنسان خائفاً منه هو مصيره بعد هذه الدنيا، فإنه يشاهد القوافل من البشر تنتقل من هذه الحياه فوجاً بعد فوج، وجيلاً بعد جيل، كما تأتى الأفواج إلى هذه الدنيا.

وهذا الواقع لا يحتاج إلى نظريات وتحليلات، حيث يدركه أبسط إنسان ويراه الصغير والكبير، وحتى الجاهل، فضلاً عن العاقل والعقلاء.

وقد أوضح الرسل والأنبياء والأئمه والأولياء للقاصى والدانى أن هناك حياه بعد هذه الدنيا، وقد أحسنوا البلاغ والبيان، وحذروا العواقب للإنسان، فاستجاب قسم من العقلاء وآمن والتزم، كل بقدر همته وعقله.

وعندما نبحث فى الأمم السابقه والحاضره نجد قسمين من الناس: قسم آمن وتجاوب، وقسم أنكر وتمرد، من هنا ندرك عواقب ونتائج الفعلين .

لنقرأ هذه الكلمات عن إمامنا الكاظم عليه السلام : يا هشام إن لقان قال لابنه:

تواضع للحق تكن أعقل الناس ... يا بنى إن الدنيا بحر عميق قد غرق فيهاعالم كثير، فلتكن سفينتك فيها تقوى الله، وحشؤها الإيمان، وشراعها التوكل، وقيمها العقل،ودليلها العلم، وسكانها الصبر(۱).

نوع من توضيح:

أولاً، وتواضعاً للحق، فإن كل ما نجده فى هذه الدنيا هو من الحجه الظاهره وهم الأنبياء والأوصياء عليهم السلام، فالتواضع للحق هو الالتزام العملى به، وليس فقط الإقرار باللسان، فالأعمال ثمره للأقوال، والغايه من كل شجره هى الثمر.

ثانياً: حول قوله: تكن أعقل الناس، فهذا التعقل حصل بالامتثال للحق والعمل به.

ثالثاً: جاء البيان واضحاً: الدنيا بحر عميق قد غرق فيه عالم كثير.

وقد كان هذا الغرق باختيارهم بعدم الالتزام بالحق، لأنهم لم يتجاوبوا مع الحجه الظاهره، فالعقل هنا قد استعمل هذه الدنيا فقط، وأما الذين أخضعوا عقولهم للحجه الظاهره فقد ربحوا الدنيا والآخره، من هنا ندرک مدى الترابط الوثيق بين الحجه الباطنيه وهى العقل، وبين الحجه الظاهريه وهم الأنبياء والأوصياء عليهم أفضل الصلاه والسلام.

ولنقرأ العباره التاليه لعلنا ندرک شيئاً من معانيها، وهى قوله عليه السلام: يا

۱- الكافى ج۱ ص۱۶، تحف العقول ص ۳۸۶، وعنه بحار الأنوار ج ۱ ص ۱۳۶، من حديث جامع حول العقل من وصيه الإمام الكاظم عليه السلام لهشام بن الحكم.

شام: إن لكل شيء دليلاً ودليل العقل التفكر، ودليل التفكر الصمت، ولكل شيء مطيةً مطيه العقل التواضع، وكفى بك جهلاً أن تركب ما نهيت عنه(۱).

إن أهل بيت العصمه عليهم السلام قد وضعوا للإنسانيه مناهج سعاده وهناء عندما يتحقق التطبيق من العقلاء.

الحجه

عندما نحاول الحديث عن العقل والعقلاء هنا لا نقصد ما هو نظرى فقط، بل نحاول الإشاره إلى الجوانب العمليه، ولذا نجد فى هذه الوصيه: يا هشام إن الله على الناس حجتين: حجةً ظاهرةً حجةً باطنةً، فأما الظاهره فالرسل والأنبياء والأمه عليهم السلام ، وأما الباطنه فالعقول(۲).

إن فى هذا الحديث أكثر من قاعده يرتكزعليها الإنسان، وأهم ما فيه معرفه الإنسان الأنبياء والرسل، والعقل.

من هنا ندرك أهميه وغايه الأنبياء، ونتائج استعمال العقل، لما لها من ارتباط ثمره الحياه، وللتلازم بين الحجتين دلالات، حيث لا ينتفع الإنسان إلا بمعرفه وتطبيق أوامر الحجتين معاً، من هنا كان التلازم بينهما ضرورياً، لذلك نحاول الإشاره لكل منهما معاً، أى الباطن والظاهر .

حديث جامع: إن أسرار الوجود كامنه وراء العلم، بل هى ممزوجه بجوهرالعلم، ولذا كان حياه القلوب، وقد أشار إلى ذلك أمير المؤمنين عليه السلام فى أقواله

۱- من الوصيه البليغه التى تقدم ذكرها، فراجعها بتمامها.

۲- من الوصيه التى تقدم ذكرها، راجع الكافى ج۱ ص۱۶، وراجع شرح الكافى جص ص ۲۵۲ للملا صدرا، وفيه شروح رفيعه حول الحديث بتامه و آياته و مشاهد معانيه .

البليغه حيث قال: تعلموا العلم فإن تعلمه حسنه ومدارسته تسبيح والبحث عنه جهاد و تعليمه لمن لا يعلمه صدقه، وهو عند الله لأهله قربه لأنه معالم الحلال والحرام، وسالك بطالبه سبيل الجنه .

وهو أنيس فى الوحشه واجب فى الوحده وسلاح على الأعداء وزين الأخلاء، يرفع الله به أقواماً يجعلهم فى الخير أئمه يقتدى بهم، ترمق أعمالهم وتقتبس آثارهم وترغب الملائكه فى خلتهم يمسحونهم بأجنحتهم فى صلاتهم.

لأن العلم حياه القلوب ونور الأبصار من العمى، وقوه الأبدان من الضعف، ينزل الله حامله منازل الأبرار ويمنحه مجالسه الأخيار فى الدنيا والآخره.

بالعلم يطاع الله ويعبد، وبالعلم يعرف الله ويوحد.

بالعلم و توصل الأرحام وبه يعرف الحلال والحرام، والعلم إمام العقل والعقل تابعه، يلهمه الله السعداء ويحرمه الأشقياء(١).

الإنسان والطاعه

لقد أصبح معلوماً بل من البديهيات أن الإنسان ينظر إليه بحسب علمه، وغايه العلم الطاعه لله سبحانه وتعالى، والعقل لا يحيط بكلشىء، وقد خاطب الأنبياء عليهم السلام العقلاء، لذا يوجد لدى الإنسان ترابط بين هذه العناوين، من الحصول على العلم، واستعمال العقل، وطاعه الأنبياء عليهم السلام .

١- الأمالى للصدوق ص ٧١٣، وعنه بحار الأنوار ج ١ ص ١۶۶، وهذا الحديث الشريف يحتاج إلى شروح مفصله، وهنيئاً للعاملين به .

وقفه عند حاجات الإنسان الأساسيه: وهی عقل، وعلم، وطاعه .

والإنسان ینال العلم بالعقل، وینال الرضا بالطاعه، والعقل منحه وعطاء، والعلم یحصل بالجد والعناء، والطاعه تعرف من الأنبیاء.

ولهذه الأمور تعاریف کثیره، وإنما ندرک أبعادها مما جاء حول معانیها، یقول أمیر المؤمنین علیه السلام : یا کمیل العلم دین بدان به. به یکسب الإنسان الطاعه فی حیاته، و جمیل الأحدوثه بعد وفاته(۱).

الإنسان هو قطب الرحی فی هذا الکون، وعندما نحاول البحث عن الأسراروعن الأکوان وعن واقع الإنسان نجد کأنه نقطه الارتکاز، وقد امتاز الانسان بالعقل الذی یعد بحد ذاته سراً من الأسرار، وقد حمل الإنسان العلم الذی هو کل شیء، وقد أمر الإنسان بالطاعه التی فیها النجاه والسعاده علی هذه الأرض، وقد اختص الإنسان بالرسالات السماویه، وقد بعث الأنبیاء والرسل علیهم السلام من قبل الله تعالی للإنسان، و خلق الله الجنه والنار للإنسان.

من هذه الأسس وغیرها یظهر أن الإنسان هو قطب رحی الکونین، وهذه المعانی لا تختصر بکلمات و ألفاظ محدوده جامده، فلا تدرک إلا بالعقول، ولذا کان أعلی الأوصاف فی القرآن الحکیم هو ذوی الألباب، وهم المخاطبون بآیات رفیعه من رب الأرباب.

ما قسم الله للعباد شیئاً أفضل من العقل: یتعرف علی آثار العقل من واهب العقول، وممن هم أعقل المخلوقات، وهم الأنبیاء والأوصیاء علیهم السلام.

۱- هذه الدره من کلام له علیه السلام لکمیل حول تقسیم الناس إلی ثلاثه: عالم ربانی و متعلم علی سبیل نجاه ، وهمج رعاع، وهی خطبه بلیغه طویله، راجع نهج البلاغه ج۴ الحکمه ۱۴۷.

وعندما نقرأ الآيات البينات والأحاديث الواضحات نجد خصائص للعقل تدللنا على كثير من الحقائق التى تجب معرفتها، ويجب على الإنسان إحرازها، من أهمها إحراز العلم، ومنه تتفرع مكارم الأخلاق، ومنه أيضاً معرفه أبواب الطاعات، وقد خص الله الإنسان بهذا التفضيل منذ بدء تكوينه، وقد جعله الله بهذه الخصوصيه خليفه(۱).

لنقرأ هذا الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام : خلق الله تعالى العقل من أربعه أشياء: من العلم والقدرهوالنور و المشيئه بالأمر، فجعله قائماً بالعلم دائماً فى الملكوت(۲).

وكأن هذه الأمور من لوازم العقل، وهى تتضمن أبعاداً تتعلق بحياه الإنسان (۳).

العقل والدين

يظهر لنا الخالق المعبود أسرار الوجود، وبعد أن أهبط أبانا آدم عليه السلام إلى الأرض، وقد علم فى السماء علم الأسماء، وأسجد له الملائكه، ولم يكن على الأرض مسلك حياه للإنسان بعد، وليس على وجه الأرض سوى آدم وزوجه، فكانت أول خطوه للإنسان على هذه الأرض، ومعلوم أن الحياه على هذه الأرض هى غير الحياه فى السماء، وهذا الابتداء للإنسان يحتاج إلى أن نتدبره جيداً، والتدبر يكون دائماً من ثمرات العقل، لأن الإنسان دون عقل وتدبر لا ينال فى هذه الحياه

۱- إشاره للآيه المباركه: «وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَهِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى الْأَرْضِ خَلِيفَهً»[البقره : ۳۰]

۲- الاختصاص ص ۲۴۴، وعنه بحار الأنوار ج ۱ ص ۹۸.

۳- راجع الحاشيه فى بحار الأنوار، المصدر السابق.

إلا الخساره والشقاء .

لنقرأ هذا الحديث، قال أمير المؤمنين عليه السلام : هبط جبرئيل على آدم عليه السلام

فقال: يا آدم إلى أمرث أن أخيرك واحدةً من ثلاث فاخترها ودع اثنتين.

فقال له آدم: يا جبرئيل وما الثلاث؟

قال: العقل والحياء والدين.

فقال آدم: إنى قد اخترت العقل.

فقال جبرئيل للحياء والدين: انصرفا دعاه.

فقالا: يا جبرئيل أنا أمرنا أن نكون مع العقل حيث كان.

قال: فشانكما، وعرج(۱).

نترك التحليلات والتفسيرات لمن يقرأ من الأجيال القادمه حول عوالم الأسرار، وإنما نشير هنا إلى جانب يحتاج إلى كثير من الأبحاث وهو: أن الدين الحق ملازم للعقل السليم الذى يسلم من أسر الهوى(۲).

فعلامه العقل بقدر التزامه وتطبيقه للدين، ولذا ورد فى كثير من الأحاديث الشريفه هذا المعنى، منها ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام عندما سئل: ماالعقل؟

قال: ما عبد به الرحمن واكتسب به الجنان .

۱- أصول الكافى ج ۱ ص ۱۰.

۲- فى نهج البلاغه ج ۳ ص ۵عن أمير المؤمنين عليه السلام : شهد على ذلك العقل إذا خرج من أسر الهوى وسلم من علائق الدنيا .

قال(الراوى): قلت: فالذى كان فى معاويه؟

فقال : تلك النكراء، تلك الشيطه، وهى شبيهه بالعقل وليست بالعقل(۱).

وعن أبى عبد الله عليه السلام : من كان عاقلاً كان له دين ومن كان له دين دخل الجنه(۲).

حديث جامع شامل

وهو وصيه من وصايا الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام، وهذا الحديث يتضمن أسراراً من العلوم والمعارف التى تدل على جانب مهم من العلوم الإلهيه، وترشد الإنسان العارف إلى بعض جوانب تهذيب النفس الإنسانيه، وفى هذه المضامين إشارات قرآنيه، تتفتح منها أبواب إلى حقائق واقعيه، وينتفع بها ذوو الأفهام العقليه، والنفحات العلويه.

وندرك من هذا الحديث الكثير من التعاريف للعقل، فعن هشام بن الحكم قال: قال لى أبو الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام : يا هشام إن الله تبارك وتعالى بشر أهل العقل والفهم فى كتابه فقال:«فَبَشِّر عِبادِ*الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ»(۳).

لقد جاءت البشاره من خالق الإنسان، وهى ذات أبعاد تتعلق بمصير الإنسان، وهى بشرى مخصصه لذوى العقل والفهم، من هنا ندرك أن العقل

۱- أصول الكافى ج ۱ ص ۱۱.

۲- المصدر السابق.

۳- الزمر: ۱۸، والحديث فى الكافى ج ۱ ص ۱۳، وهو حديث كبير جامع نتدرج فى بيانه .

الممنوح للإنسان هو نقطه الارتكاز فی مصیر وجوده وحیاته، وندرک أیضاً أن الهدایه تتوقف علی أمور لا بد من تحقیقها، ومن هنا یستدل علی أهمیه الجوارح الظاهره والباطنه فی الإنسان(۱)، ومنها السمع والاستماع.

وقفه عند الإستماع : فالسمع نعمه کبیره مما أعطی الإنسان، وقد أرشدنا أمیر المؤمنین علیه السلام إلی الانتفاع بالسمع والاستماع، حیث یقول علیه السلام : رحم الله امرأً سمع حکما فوعی، ودعی إلی رشاد فدنا، وأخذ بحجزه هادٍ فنجا.

راقب ربه وخاف دنبه، قدم خالصاً عمل صالحاً، اکتسب مذحوراً واجتنب محذوراً، ورمی غرضاً وأحرز عوضاً، کابر هواه و کذب مناه ، جعل الصبر مطیه نجاه والتقوی عده وفاته، رکب الطریقه الغراء ولزم المحجه البیضاء، اغتنم المهل وبادر الأجل وتزود من العمل(۲).

هذه المواعظ الشافیه التی یتزود بها الإنسان العاقل بالسمع والاستماع هی نعمه جلیله، لأن السمع آله مهمه للوعی والإدراک، وقد أشار الإمام علیه السلام فی موقع آخر له ارتباط بالسمع الواعی والقلب الزاکی: فیا لها أمثالاً صائبه ومواعظ شافیهً، لو صادفت قلوباً زاکیهً وأسماعاً واعیهً وآراءً عازمهً والباباً حازمهً، فاتقوا الله تقیه من سمع فخشع، واقترف اعترف ووجل فعمل وحاذر فبادر فاحسن عبر فاعتبر(۳).

ثم أشار علیه السلام إلی التذکیر بالنعم فقال: جعل لکم أسماعاً لتعی ما عناها

۱- من الجوارح الحواس الخمس، وأولها السمع.

۲- نهج البلاغه ج ۱ ص۱۲۵، الخطبه ۷۶.

۳- نهج البلاغه ج ۱ ص ۱۳۷، الخطبه ۸۳،وهی الخطبه التی تسمی الغراء.

وأبصاراً لتجلو عن عشاها، وأشلاءً جامعةً لأعضائها، ملائمةً لأحنائها فی ترکیب صورها ومدد عمرها بأبدان قائمه بأرفاقها، وقلوب رائده لأرزاقها فی مجللات نعمه وموجبات مننه وحواجزعافیته، وقدر لکم أعماراً سترها عنکم، وخلف لکم عبراً من آثار الماضین قبلکم.

ونجد فی هذه الخطبه الغراء المواعظ الشافیه والدرر المضیئه الوافیه فی بیان النعم وحقائق الکلم، ما لا تناله الأفهام أو یضارعه کلام.

منها فی صفه خلق الإنسان، یقول علیه السلام: أم هذا الذی أنشأه فی ظلمات الأرحام وشغف الأستار نطفهً دهاقاً، وعلقهً محاقاً، وجنیناً وراضعاً ووولیداً ویافعاً.

تم منحه قلباً حافظاً ولسانا لافظاً بصراً لاحظاً، لیفهم معتبراً ویقصر مزدجراً، حتی إذا قام اعتداله واستوی مثاله نفر مستکبراً(۱).

قد أخذنا من هذه الخطبه الغراء دراً تضیء لنا طریق الحیاه لعلنا نؤدی جانباً من الشکر علی هذه النعم التی وهبنا إیاها ربنا، ومنها السمع والاستماع،فالسمع عطاء، والاستماع یتوقف منا علی مقدار عقولنا.

لذلک تبدأ الآیه المبارکه بالبشری للذین یستمعون القول، وهنا یظهر المعنی الثانی وهو استماع الأحسن فی القول، والأحسن هو کلام الله الواجب اتباعه ، فالاستماع والأتباع لما هو أحسن یوصل للهدایه، ولا شک أن هدی الله هو الهدی، لذلک وصفهم سبحانه بأسمی الأوصاف «وَأُولَئِکَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ»(۲)،أی

۱- المصدر السابق

۲- الزمر: ۱۸.

العقول.

أسرار الإستماع: إن مضامين الآيات أعمق من ظواهرها، فقد جمعت الظواهر والبواطن فی آن واحد، والاستماع إلی القول الأحسن راجع إلی جوهر النفس التی ینعکس علیها من نور العقل، وهی قابله لاستماع النقیضین، الحسن والقبیح، ویترتب علی اختیار الأحسن الهدایه الکبری، ولذا جاء الوصف بأنهم ذوو الألباب، واللباب هو الصفوه، والاستماع لما هوأحسن دلیل علی حسن البصیره، حیث یقول أمیر المؤمنین علیه السلام : ألا إن أبصر الأبصار ما نفذ فی الخیر طرفه، ألا إن أسمع الأسماع ما وعی التذکیر وقبله(۱).

ویقول الإمام الحسن الزکی علیه السلام : إن أبصر الأبصار ما نفذ فی الخیر مذهبه، وأسمع الأسماع ما وعی التذکیر وانتفع به، أسلم القلوب ما طهر من الشبهات(۲).

فالسمع مدخل من مداخل القلوب، وقد قال الله سبحانه: «لِنَجْعَلَهَا لَکُمْ تَذْکِرَهً وَتَعِیَهَا أُذُنٌ وَاعِیَهٌ»(۳).

إن حقائق الوعی والإدراک لا ینالها إلا قسم من الناس، إما من یکون عالماً أو مستمعاً، ولذا قال أمیر المؤمنین علیه السلام : إذا لم تکن عالماً ناطقاً فکن مستمعاً واعیاً(۴).

۱- نهج البلاغه ج ۱ ص ۲۰۱، خطبه ۱۰۵.

۲- تحف العقول ص ۲۳۵، بحار الأنوار ج ۷۵ ص ۱۰۹.

۳- الحاقه: ۱۲.

۴- عیون الحکم والمواعظ ص۱۳۶.

ومعروف أن العلم يبدأ بحسن الاستماع، قسم من أفراد الإنسان يستمع وقسم يسمع .

وقسم له أسماع ولكن بسوء اختياره لا يسمع، قال سبحانه مخبرا عن هؤلاء بقوله الحكيم: «لَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا»

هذه الايه المباركه ترسم لنا أبعاداً واقعيه فی مسيره حياه الانسان ومصيره.

لنقرأها بتمامها لذوی الأفهام قال تعالی:«وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ»(۱).

من هذه الايه المباركه ندرک الغايه لهذه الجوارح، ولكل جارحه فی الانسان أكثر من غايه.

وقد ورد فی الآيه إشارات وافيه لذوی الدرايه، وهی: «لَهُمْ قُلُوبٌ»«لَهُمْ أَعْيُنٌ »«لَهُمْ آذَانٌ»وهذه الجوارح لم تخلق عبثاً، بل خلقها الله لكمال سعاده الانسان، فعندما يستعملها الانسان لغير ما خلقت له تصبح النتائج علی الانسان عكس المطلوب.

والآيه تفسر بعضها، ويكفی ختامها بياناً:«أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ»وهذا الضلال ناتج عن الغفله للإنسان بنص الآيه:«أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ»

وهنا نشير إلی ما أوضحه أمير المؤمنين عليه السلام : وما كل ذی قلب بلبيب، ولا

۱- الأعراف ۱۷۹.

كل ذى سمع بسميع و لا كل [ذى] ناظر ببصير.

فيا عجباً ما لى لا أعجب من خطا هـذه الفرق على اختلاف حججها فى دينها، لا يقتصون أثر نبى، ولا يقتـدون بعمل وصـى، ولا يؤمون بغيب ولا يعفون عن عيب.

يعملون فى الشبهات ويسيرون فى الشهوات، المعروف فيهم ما عرفوا والمنكر عندهم ما أنكروا.

مفزعهم فى المعضـلات إلى أنفسـهم، وتعويلهم فى المهمات على آرائهم، كان كل امرئ منهم إمام نفسه قد أخذ منها فيما يرى يرى بعرى ثقات و أسباب محكمات(۱).

هذه الكلمات تشع منها أنوار الهدايه لأهل الدرايه .

الفات نظر لذوى البصر:

لست بصـدد التفاسـير للآيـات أو الأحاديث الواضـحات، وانما نستشـهد بفقرات فيها تنبيهات لاسـتعمال الجوارح، التى هى جنود للعقـل، ومـداخل للقلب مثل: السـمع والبصـر وما شابه .. لأن هـذه الجوارح خلقت وجعلت لأهـداف وغايات تصون الانسان عن الانزلاق فى متاهات الحياه..

ووصيه الامام عليه السلام لهشام بدأت بالبشاره:«الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ»(۲).

۱- النهج من خطبه ۸۴ ص ۱۸۸ ج ۱

۲- الزمر ۱۸.

اضرب بطرفک حیث شئت

ان حدیث الاستماع لما هو أحسن أوسع من الکلمات والحروف، ولکن الانسان بما وهبه الله یمتلک أن یستوعب مما هو أبعد من هذه الدنیا.

وأعمق مما هو محسوس، ولکن نجد أنه قد وقف عند حدود المحسوسات ولم یتجاوز هذه الحدود الا قلیلا.

لنقف ولو هنیئه عند کلمات تدلنا علی الکثیر من الواقع الممارس عند کثیرمن الناس، وهی کلمات تضئ الطریق للسالکین.

یقول أمیر المؤمنین علیه السلام: اضرب بطرفک حیث شئت من الناس فهل تبصر إلا فقیراً یکابد فقراً أو غنیاً بدل نعمه الله کفراً أو بخیلاً اتخذ البخل بحق الله وفراً(۱).

ان الاستماعات لنداء الحق والعمل بها یوصل الانسان الی مراتب الجنان.. وهذه الخطبه لها تتمه مهمه.

الانسان انسان بعقله

أن وصایا الامام علیه السلام لهشام فیها الکثیر من الأسرار التی لو عقلناها وتعقلناها لسعدنا فی الدارین، فانها جامعه لکل ما یمکن أن یناله الانسان العاقل .

فقد أوضح الامام علیه السلام بعد البشاره حقائق تدلنا علی الوقائع التی یدرکها العقلاء، یقول علیه السلام :

۱- نهج البلاغه ج ۲ ص ۷۸ من خطبه ۱۲۵.

يـا هشـام إن الله تبـارك وتعالى أكمل للناس الحجج بالعقول ونصـر النبين بالبيان ودلهم على ربو بيته بالأدله، فقال« وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ»(۱)،«إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ»(۲).

العقول والأدله

تعرف الانسـان على الحقـائق بمـا دل عليه العقـل، وبواسـطه العقول توسع بالمعـارف التى لاـ حـدود لهـا، فعنـدما ننظر إلى ما هو محسوس تسـهل علينا المعرفه وبقـدر ما نبحث بها نـدرك ما هو أبعـد من المحسوسات، حتى أبسط الأشـياء نجـد وراءها حقائق كامنه، منذ بدأت عقول البشر تتوسع وتشرق فى اكتشاف ما هو وراء المحسوسات، ولذلك تقدمت الاكتشافات.

لأن العقل البشرى له مجال واسع جدا، وفى خوض المجالات تفاضلت العقول: فى مجال الادراكات لحقائق الأشياء.

من هنـا يصـح القول أن العقول تتـدرج نحو الكمـال، والكمـال طبعاً نسبى عنـد أفراد البشـر، لأن الكمال المطلق لله وحـده، وهو الواهب المعطى، وكل موهوب يحمل بحسب قدرته، لشروط ليس مجالها هنا، أى:«قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى

۱- البقره من آيه ۱۶۳ - ۱۶۴.

۲- الحديث من أصول الكافى ج ۱ ص ۱۳، وشرحه فى شرح الكافى لصدر المتألهين، ج۱ ص۲۵۴.

شَاكِلَتِهِ»(۱)

ابتداء الحديث

لنكرر قراءه الحديث، قال عليه السلام : يا هشام إن الله تبارك وتعالى أكمل للناس الحجج بالعقول(۲).

مطلع الحديث تضمن أمور ثلاثه :

۱.كمال العقول.

۲. انتصار الأنبياء عليه السلام.

۳. الأدلهوالبراهين.

فعندما نلقى نظره على واقع الانسان نجد قطب الرحى لكل فرد هو: جوهر إنسانيته، وانسانيته بمقدار كمال عقله، ونجد إقرار العقول عند بيان الحق من الأنبياء وعند قيام الأدله.

الانسان وكماله

الانسان تميز من بين المخلوقات أنه يتكامل باستمرار، وقد رافقه ذلك من نشوئه، وهذا التكامل مستمر على أكثر من صعيد، وأرقى ما فى هذا التكامل هو: تكامله العقلى.

فكلما ازداد هذا التكامل تعرف الانسان على أسرار الحقائق فى هذه الحياه

۱- الإسراء ۸۴.

۲- أصول الكافى ج ۱، ص۱۳، من حديث كبير جامع .

وما بعدها.

من هنا أقر الناس بكمال عقول الأنبياء والمرسلين عليهم السلام .

انتصار الأنبياء

تحقق انتصار الأنبياء عليهم السلام عند تحقيق رسالاتهم على أرض الواقع، فكان ختام الرسالات على يد خاتم الأنبياء محمد بن عبد الله صلى الله عليه واله فكانت هذه الرساله متضمنه كل ما يمكن أن يصل ويتكامل اليه العقل البشرى.

لذلك نجد الآيات القرآنيه تمجد العقل والعقلاء فوق كل اعتبار، وحتى فضل وأهميه العلم ترجعه الآيات إلى العقلاء، فالحقائق المحسوسه وغير المحسوسه يرجع ادراكها إلى العقل.

وقد جاء فى الحديث: إن العقل عقال من الجهل(١).

فعندما يتفاعل العلم مع العقل تكون الثمره معرفه الحقائق، وعندما ينسلخ العلم عن العقل والعقلاء تحصل الكوارث والبلاء .

وكان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: أصل الإنسان لبه، وعقله دينه، ومروته حيث يجعل نفسه، والأيام دول، والناس إلى آدم شرع سواء(٢).

سر البقاء

إن سر بقاء الأنبياء راجع الى ادراك الحقائق عند العقلاء، لذلك نجد فى

١- البحار، ج ١، ص ١١٧.

٢- البحار ج ١، ص ٨٢، راجع المصدر بيان معانى الحديث.

مضامين الحديث نوعاً من الأسرار عندما قال عليه السلام: ونصر النبين بالبيان ودلهم على ربوبيته بالأدله(۱).

ثم نبه العقول بالآيه «وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ»، فالبيان والأدله يدركها العقلاء، ولا يجدى البيان والأدله مع الجهلاء، ولذا كان ختام الآيه «لَآياتٍ لِقَومٍ يَعقِلُن»(۲).

ان التعقل لما جاء به القرآن يوصل الى التدبر بمضامينه وأول ما يدعو اليه القرآن هو: توحيد الخالق، وذلك بنص الكثير من الآيات البينات.

ومن ركيزه التوحيد ينطلق الانسان الى تفاصيل الحياه والوجود والأدله والبراهين.

وبدون معرفه التوحيد الحقيقى لا قيمه لكل المعارف والعلوم، لأن التوحيد هو الأساس الذى يقوم عليه بناء الحياه والوجود.

أعقل الناس

أن الحديث عن العقل والعقلاء هو أبعد من رسم الحروف والكلمات وانما نحاول الاقتراب من الضياء، لأن العقل سر من الأسرار، يعرف بلمعات عند الانسان فى ميادين التصرفات، فيقال هذا عاقل وذاك جاهل.

قال رسول الله صلى الله عليه واله فى خطبه بليغه ذرفت منها العيون ووجلت منها

القلوب:

۱- الكافى، ج ۱، ص ۱۳.

۲- من آيه ۱۶۳، سوره البقره.

ألا وان أعقل الناس عبد عرف ربه فأطاعه، وعرف عدوه فعصاه، وعرف دار إقامته فاصلحها، وعرف سرعه رحيله فتزود لها.

ألا وإن خير الزاد ما صحبه التقوى، وخير العمل ما تقدمته النيه، وأعلى الناس منزلةً عند الله أخوفهم منه(۱).

ان أعقل الناس من عرف ربه وأطاعه فيما أمر، واجتنب عما نهاه(۲).

المقطع الثالث من الوصيه

۱. المقطع الأول: حول البشاره لأهل العقل.

۲. المقطع الثانى: إشاره لاكمال العقول.

۳. المقطع الثالث: فيها الإشاره إلى الأدله والمعرفه .

وهنا نقف عند الآيات التى أشار اليها الامام عليه السلام حول الدليل على معرفته وهى آيات ثلاثه:

الأولى: «وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ ۗ إِنَّ فِى ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ»(۳).

الآيه الثانيه:«حم*وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ*إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ*وَإِنَّهُ فِى أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ»(۴).

۱- راجع البحار ج۷۴ص ۱۷۹.

۲- من يتأمل فى الآيات والأحاديث يدرک آثار العقل، راجع ميزان الحكمه ج ۶ ص ۴۲۳.

۳- النحل الآيه ۱۲ ج۱۴.

۴- الزخرف الآيات ۱-۴ ، ج ۲۵.

الآيه الثالثه:«وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ»(۱)

هذه الآيات المباركه فيها الإشارات لما هو محسوس وملموس عند أبسط الناس، وفى ختامها تنبيه للعقلاء وتتضمن الكثير من أسرار الكون.

أسرار الكون تكشف بالعقل

منذ أن وجد الانسان على هذه الأرض بدأ ينظر ويشاهد ما هو ملموس ومحسوس، وفى بعض الفترات من مسيره فى الحياه عبد الشمس والقمر والنجوم..

بينما هذه الكواكب خلقها الله سبحانه وسخرها لفوائد الانسان وما هى الا أجرام كونيه لها دلالات على أن هناك خالقاً وصانعاً لها، وقد سخرها لأكرم مخلوقاته وهو الانسان، والانسان جزء من أجزاء هذا الكون.

وعندما نبحث فى كل أجزاء هذا الكون نجد كل ما فيه بشكل أو آخر هو لأجل فائده ومنفعه الانسان، من هنا ندرك مدى شأنيه العقل فى مسيره الانسان.

قال النبى صلى الله عليه واله : لكل شى وآله عده و آله المؤمن وعدته العقل، ولكل شىء مطيه ومطيه المرء العقل، ولكل شىء غايه غايه العباده العقل، ولكل قوم راع وراعى العابدين العقل، ولكل تاجر بضاعه وبضاعه المجتهدين العقل، ولكل خراب عماره وعماره الآخره العقل، ولكل سفرٍ فسطاط يلجئون إليه وفسطاط

۱- الروم الآيه ۲۴ ج۲۱، راجع البحار الجزء الأول ص ۱۳۳.

المسلمين العقل (۱).

وقال صلى الله عليه واله : سيد الأعمال فى الدارين العقل ولكل شىء دعامه ودعامه المؤمن عقله فبقدر عقله تكون عبادته لربه(۲).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام : العقول ذخائر، والأعمال كنوز(۳).

أن الأحاديث الشريفه تتضمن المعانى الرفيعه بأسلوب سهل لأجل إدراك المعانى، والغايه من الحديث النظر فى مطلعه: لكل شىء آله وعده وآله المؤمن وعدته العقل.

من هنا ندرك أن العقل آله لأعظم غايه، وهذه الغايه نعرفها من الآيه الثانيه:«إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ»(۴)«وَإِنَّهُ فِى أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ»(۵)

هذا القرآن الكريم فيه ميادين العقول وبه إشاره لعالم البقاء.

القرآن وبقاؤه

لست فى مجال التفسير لأننى أعجز من الخوض فى هذا البحر الذى لا حدود له، وإنما أحاول أن أتلمس من الآيه مقداراً من أنوارها، لعل عقلنا المحدود يتغذى بمقدار طاقته، ويأخذ خيطا من هذه الأنوار الى دار القرار .

۱- البحار ج ۱ ص ۹۵.

۲- البحار ج ۱ ص ۹۶.

۳- البحار ج ۱ ص ۹۶.

۴- الزخرف آيه ۳.

۵- الزخرف آيه ۴.

نكرر قراءه الآيه: «إنا جعلناه قرآناً عربيًا لعلكم تعقلون».

من ظواهر الآيه ندرك أن الغايه التعقل، ولا شك أن التعقل فى كل شىء يحتاج إلى أسبابه، ومن أعظم الأسباب العلم، لأن انتاج العقل بدون علم واف يبقى ضئيلاً جدا، لذلك ورد مدح العلم كثيرا، كما ورد مدح العقل.

قال رسول الله صلى الله عليه واله :العلم رأس الخير كله والجهل رأس الشر كله(١).

ويقول أمير المؤمنين عليه السلام: العلم أصل كل خير .. الجهل أصل كل شر(٢).

فالعلم قام عليه كل شىء فى هذا الوجود وبالعلم قامت السماوات والأرض.

القرآن مصدر العلم

عندما نقول: (علم) فمعناه إدراك حقائق معينه، والحقائق تدرك وتعرف بالعقل.

من هنا نجد الآيات القرآنيه قد ركزت على العقل والتعقل بما يدل أنه هو الميزان فى كل شأن رفيع، وحتى العلم الذى هو نور الوجود والحياه قائم بالعقل والتعقل.

والقرآن الحكيم بكل مضامينه وآياته واشاراته يدلنا على العلم، والتعقل، وبهما تقوم الحياه، لذلك لا بد من التعرف ولو بمقدارٍ على ما جاء حول العلم فى

١- ميزان الحكمه ج ۶ ص ۴۵١.

٢- غرر الحكم ص۴٨.

القرآن وما جاء حول العقل.

ومن هنا ندرک أن القرآن قد جمع فی آیاته کل ما فی الوجود ولقد أحسن من قال: أن القرآن له وجود علمی ووجود عینی(۱).

وقد أوضح بیان کلا القسمین: العلمی والعینی، ضمن تفاصیل جیده، ونحن هنا نحاول التعرف لما أشارت الیه الآیه الثانیه: «إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا»(۲).

لعلکم تعقلون

التعقل والتعلم من أسمی صفات الإنسان.

إن الإنسان یترقی بها إلی أعلی مراتب النجاه والکمال، ودونهما یتنزل إلی أسفل السافلین، ومن یتدبر فی آیات القرآن یدرک ذلک بوضوح.

وللقرآن الکریم وجود علمی، ووجود عینی، ومن هذین الوجودین یمکن للإنسان أن یترقی ویبصر الحقائق بأنوار القرآن، لأن القرآن المجید صادر عن خالق الإنسان، ومن هنا یتبین للإنسان حقیقه وجوده فی هذا الکون، لأن لهذا الوجود غایه کبیره منها: إقامه القسط والعدل.

وقد ورد فی القرآن آیات بینات حول ذلک، قال سبحانه:«لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ»(۳).

۱- راجع کتاب علی بن موسی الرضا والقرآن الحکیم، الفصل الأول من ص ۷ بحث رائع جداً .

۲- الزخرف ج ۲۵ آیه ۳.

۳- الحدید: ۲۵.

إن إقامه القسط وتطبيق العدل غايه كبيره جداً، وهدف رفيع.

وهناك غايه أعظم تتعلق بمنتهى الغايات من وجود الإنسان، وهى خروج الإنسان من الظلمات إلى النور، ومن هنا تظهر العنايه الكبيره من الله سبحانه بالإنسان، حيث أن الوجود العلمى لهذا القرآن لأجل الإنسان، والإنسان هو المطالب بتحصيل العلم من القرآن. فإنزاله ليس لأجل أن يقرأ على الأموات، بل لأجل إحياء القلوب الساكنه فى ظلام الجهل.

وقد أخبرنا سبحانه بكثير من الآيات حول ذلك، قال تعالى :«الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ»(۱)

وفى آيه:«وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّ»(۲).

ونظير هذه الآيات كثيره جداً، ويكفى قوله تعالى فى سوره إقرأ:«اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ..عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ»(۳).

القرآن حبل الله

هذا القرآن الحكيم هو كلام الله سبحانه، وكتابه الذى تجلى لعباده من غير أن يكونوا رأوه(۴)، والقرآن هو حبل الله المتصل به تعالى، وقد أمر الناس أن

۱- إبراهيم: ۱.

۲- إبراهيم: ۵.

۳- العلق: ۱- ۵، ويحسن مراجعه هذه السوره، وهى أول سوره نزلت .

۴- مفردات ألفاظ القرآن، ص:۱۳۱.

يتمسكوا به ويعتصموا، لأنه بهذا التمسك بشرطه وشروطه يتحقق للناس الخير والسعاده فى الدارين، ومن هنا تبرز حقيقه التمسك.

وهذه الحقيقه يدلنا عليها القرآن الحكيم، بنصوص و آيات بينات، والتى فيها ضياء النور للعقول.

قال تعالى : «وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ*يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ*وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ»(۱).

للقرآن طرفان

إن التدبر بخصوص الآيات المتقدمه يفتح للعقول أبواباً من الأنوار للدخول فى الهدايه، فآيه (واعتصموا) وآيه (ومن يعتصم) وآيه (اتقوا الله) تدلنا على أن حبل الإعتصام ذو طرفين، طرف بيد الله سبحانه وهو الأعلى، وطرف ممدود للناس وهو الأدنى.

ونزوله للخلائق له دلالات، ونتائج، لسعاده الناس.

وتتضح هذه المعانى عندما يتعلق الإنسان بهذه الآيات ويتمسك بالحبل الممدود من أعلى نزولاً إلى هذه الأرض التى أهبط عليها هذا الإنسان.

وقد يتخيل إنسان هذه الأرض خيوطاً من هنا أو خيوطاً من هناك، ولكن

۱- آل عمران: ۱۰۱-۱۰۳، وتراجع هذه الآيات فى أبحاثنا المفصله حول آيات التقوى.

عنايه الله ورحمته الشاسعه جعلت للإنسان حبلاً متيناً بيد أمناء مبشرين ومنذرين.. وتكليف ملائكه مقربين أوصلوا طرف الحبل للعالمين.

قال تعالى:«يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا*فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَهٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا»(۱).

هذا النور الذى اعتصم به ذووا الألباب، الذين تعقلوا التمسك بطرف الحبل المتين الذى لا ينقطع ولا يبلى ولا نجاه لأحد دونه.

«إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ*وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ»(۲)

يقول الإمام الرضا عليه السلام: كلام الله لا تتجاوزوه ولا تطلبوا الهدى فى غيرفتضلوا(۳).

وقال عليه السلام : هو حبل الله المتين وعروته الوثقى وطريقه المثلى المؤدى إلى الجنه والمنجى من النار لا يخلق على الأزمنه ولا يغث على الألسنه لأنه لم يجعل لزمان دون زمان بل جعل دليل البرهان والحجه على كل إنسان لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد(۴)

۱- النساء: ۱۷۴-۱۷۵.

۲- الزخرف: ۳-۴.

۳- أمالى الصدوق ص ۵۴۶

۴- عيون أخبار الرضا ج ۲ ص ۱۳۰.

المقطع الرابع: وعظ

إن التدبر والتعقل فی الوصیه لهشام یدل علی معظم مفاصل الحیاه للإنسان، فبعد الإشاره إلی الأدله والبرهان أشار علیه السلام إلی مسیره الحیاه فی الدارین، فقال علیه السلام: یا هشام، ثم وعظ أهل العقل ورغبهم فی الآخره، فقال: «وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ»(۱).

هذه الآیه المبارکه لها ارتباط بآیات سابقه تتحدث عن مصیر الإنسان المتعلق بالدنیا، والمنکر للآخره.

وقال: «وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ»(۲).

عندما نتدبر فی مثل هذه الآیات ندرک أن نجاه الإنسان تتحقق عندما یحسن التعقل علماً وعملاً، ولا ینخدع باللعب واللهو، ویقطع هذا العمر فیما یعود علیه بالخسران، ولذلک جاءهم التحذیر والإنذار: یا هشام، ثم خوف الذین لا یعقلون عذابه فقال :«ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ*وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ*وَبِاللَّيْلِ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ»(۳)

العقل مع العلم

یستکشف العقل بواسطه العلم، وبالعلم تنال المراتب، ولذا یقول الإمام

۱- الأنعام: ۳۲.

۲- القصص: ۶۰.

۳- الصافات: ۱۳۸.

الصادق عليه السلام : أفضل طبائع العقل العباده وأوثق الحديث له العلم وأجزل حظوظه الحكمه وأفضل ذخائره الحسنات(۱).

ويقول أمير المؤمنين عليه السلام : العلم مصباح العقل(۲).

وقد جاء فى الوصيه : يا هشام، ثم بين أن العقل مع العلم، فقال تعالى :«وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ»(۳).

الخير كله لذوى العقول

يرجع السبب فى كل موقع فضل فيه الإنسان للعقل، حتى عندما نمجد العلم ونقدرحامله ونمدح المطيع والعابد، كل ذلك راجع للعقل والتعقل عند الإنسان.

وقد جاء المدح والتفضيل بكثير من الآيات البينات وبما لا حصر له من الأحاديث التى وردت حول العقل والعقلاء.

يقول الإمام موسى بن جعفر عليه السلام فى الوصيه الجامعه لنماذج رفيعه حول أولى الألباب: يا هشام ثم ذكر أولى الألباب بأحسن الذكر وحلاهم بأحسن الحليه فقال«يُؤْتِى الْحِكْمَهَ مَنْ يَشَاءُ ۖ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَهَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ»(۴)

۱- الاختصاص ص ۲۴۴.

۲- عيون الحكم والمواعظ ص ۵۰.

۳- العنكبوت: ۴۳.

۴- البقره: ۲۶۹، والحديث فى الكافى ج ۱ ص ۱۵.

هذا المدح الرفيع له دلالات على شأنيه ذوى العقول، وإعطاء الحكمه لهم يجمع خير الدنيا وسعاده الآخره.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: الحكمه روضه العقلاء ونزهه النبلاء(١).

وعنه عليه السلام: من خزائن الغيب تظهر الحكمه(٢) .

ما هى الحكمه؟

لقد قيل الكثير الكثير حول الحكمه، ومما قيل: الحكمه تحقيق العلم وإتقان العمل.

وقيل : ما يمنع من الجهل.

وقيل : هى الإصابه فى القول.

وقيل: هى طاعه الله .

وقيل : هى الفقه فى الدين .

وقال ابن دريد: كل ما يؤدى إلى مكرمه أو يمنع من قبيح.

وقيل: ما يتضمن صلاح النشأتين.

ومعظم تفاسير الحكمه متقاربه وهى: ضياء المعرفه(٣).

وهنا ننقل حديثاً جامعاً عن منابع و مصادرأهل العصمه والحكمه .

قال الإمام الصادق عليه السلام : الحكمه ضياء المعرفه وميراث التقوى وثمره

١- عيون الحكم ص٥٢.

٢- عيون الحكم ص ٤٦٧.

٣- بحار الأنوار ج ١ ص٢١٥.

الصدق وما أنعم الله على عبد من عباده نعمه أنعم وأعظم وأرفع وأجزل وأبهى من الحكمه.

قال الله عز وجل «يؤتى الحكمه من يشاء ومن يؤت الحكمه فقد أوتى خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولوا الألباب»أى لا يعلم ما أودعت وهيات فى الحكمه إلا من استخلصته لنفسى و خصصته بها والحكمه هى الثباث وصفه الحكيم الثباث عند أوائل الأمور والوقوف عند عواقبها وهو هادى خلق الله إلى الله تعالى.

قال رسول الله ص لعلى ع : لأن يهدى الله على يديك عبداً من عباد الله خير لك مما طلعت عليه الشمس من مشارقها إلى مغاربها(۱).

وعن أبى بصير قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «و من يؤت الحكمه فقد أوتى خيراًكثيراً»قال : معرفه الإمام واجتناب الكبائر التى أوجب الله عليها النار(۲).

العقل والأدب

إن موضوع العقل موضوع شامل لكل جوانب الحياه، بل هو الروح التى تسرى فى كل الكائنات، وكل شىء قائم وراجع للعقل، وقد ورد حول العقل ما لا تحصيه الأفهام، ولا تقف إلى منتهاه الأقلام، ولا يحد أبعاده الأنام، وإنما نحاول الإشاره فى كل باب يتعلق بصلاح الإنسان .

۱- بحار الأنوار ج ۱ ص۲۱۶.

۲- بحار الأنوار ج ۱ ص۲۱۵.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام : نعم قرين العقل الأدب(١).

ويقول عليه السلام : الأدب والدين نتيجه العقل (٢).

ويقول عليه السلام : كل شيء يحتاج إلى العقل، والعقل يحتاج إلى الأدب(٣).

وعن الحسن بن علي ع قال: لا ـ أدب لمن لا عقل له ولا مروه لمن لا همه له ولا حياء لمن لا دين له ورأس العقل معاشره الناس بالجميل وبالعقل تدرك الداران جميعاً ومن حرم من العقل حرمهما جميعاً(٤).

لا غنى أكبر من العقل

يتصف الإنسان فى هذا الوجود بصفات كثيره، ويمتلك صفات عديده، وجميع الصفات تتفاوت، وهذا التفاوت يميز الإنسان.

وهنا نرسم حروف حديث ينبغى أن يرسم فى القلوب قبل أن يرسم على الورق.

عن الإمام الحسن الزكى عليه السلام : دخلت على أمير المؤمنين وهو يجود بنفسه لما ضربه ابن ملجم فجزعت لذلك فقال لى: أتجزع؟

فقلت: وكيف لا أجزع وأنا أراك على حالك هذه .

فقال: ألا أعلمك خصالًا أربع إن أنت حفظتهن نلت به النجاه وإن أنت

١- غرر الحكم ص٧١٦.

٢- غرر الحكم ص ٨٧.

٣- عيون الحكم ص ٣٧٧.

٤- بحار الأنوار ج ٧٥ ص ١١١.

ضيعتهن فاتك الداران؟

يا بنى لا غنى أكبر من العقل ولا فقر مثل الجهل ولا وحشه أشد من العجب ولا عيش أل من حسن الخلق(۱).

إن هذه الأحاديث تضىء الطريق للسالكين وتنبه الغافلين وتغذى قلوب العارفين، فهى بمثابه رصيد لا ينفد.

من أروع ما قيل

عن عامر الشعبى قال: تكلم أمير المؤمنين عليه السلام بتسع كلمات از تجلهن ارتجالا فقأن عيون البلاغه وأيتمن جواهر الحكمه وقطعن جميع الأنام عن اللحاق بواحده منهن: ثلاث منها فى المناجاه وثلاث منها فى الحكمه وثلاث منها فى الأدب.

فأما اللاتى فى المناجاه فقال: إلهى كفى لى عزا أن أكون لك عبداً وكفى بى فخراً أن تكون لى رباً أنت كما أحب فاجعلنى كما تحب.

وأما اللاتى فى الحكمه فقال: قيمه كل امرئ ما يحسنه وما هلك امرو عرف قدره والمرء مخبوء تحت لسانه.

وأما اللاتى فى الأدب فقال : امنن على من شئت تكن أميره واحتج إلى من شئت تكن أسيره واستغن عمن شئت تكن نظيره(۲).

۱- كشف الغمه ج ۱ ص ۵۷۲.

۲- الخصال ج ۲ ص ۴۲۰.

العاقل والمعقول

عندما ننظر إلى كل موجود فى هذا الكون ندرك أشياءً محسوسه وأشياء فوق المحسوسات.

أما المحسوسات فتتلسمها بالحواس الخمسه(١).

وأما ما فوق المحسوسات فندركه بالعقل، وهنا لا ندخل فى التعاريف الفلسفيه إلا بحسب ما يستدعى البيان.

والمعقول يعرف بالعقل، والمحسوس بالحواس.

ولذا سمى ما هو معقول لأن الوصول إليه يكون عن طريق العقل، وهو على أصناف(٢).

ومن أصناف المعقولات: العلم.

والعلم هو حقيقه واقعيه محققه، ووجود العلم أشبه شىء بالبديهيات، وهو من المسلمات، وقد عبر عن العلم أنه نحو من الموجود و نوع من الكائن، وقد ذكر لذلك براهين على وجوده .

فالعلم صفه يتلبس بها الموصوف، وبهذه الصفه يمتاز حاملها، ولتوضيح ذلك ذكر أهل المعرفه أموراً:

الأول: أن التمايز البين بين العالم والجاهل بـديهى ملموس لكل واحد، وذلك يكشف عن وجود صـفه للعالم وحصول معنى فيه يفقده الجاهل، وليست

١- وهى السمع والبصر واللمس والذوق والشم.

٢- راجع الفلسفه العليا للمقدس السيد رضا الصدر ص٢٢٩ .

تلك الصفه إلا العلم، فالعلم كائن محقق مسلوب عن الجاهل.

من هنا ندرک أن وجود العلم بوجود العالم، وسرالعلم ينکشف بظهوره لدى العالم.

يقول الرسول صلى الله عليه واله: العلم رأس الخير کله والجهل رأس الشر کله(۱).

فالعلم سر من الأسرار، فکما أن الإنسان أودع الله سبحانه فيه اسرار الحياه فقد أودع فى العلم أسرار الکائنات، ولذا کان رأس الخير.

وإذا أردنا الإشاره لما هو أبعد نذکر ما قاله الشهيد الثانى فى کتابه منيه المريد، قال : إعلم أن الله سبحانه جعل العلم هو السبب الکلى لخلق هذا العالم العلوى والسفلى طرا، وکفى بذلک جلاله وفخرا، قال الله تعالى فى محکم الکتاب تذکره وتبصره لأولى الألباب: «الله الذى خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على کل شىء قدير وأن الله قد أحاط بکل شىء علما».

وکفى بهذا الآيه دليل على شرف العلم، لا سيما علم التوحيد الذى هو أساس کل علم، ومدار کل معرفه(۲).

وينبغى التدبر فى هذه الآيه (لتعلموا).

من هنا يمکن القول أن أسرار الکائنات تعرف بالعلم الذى هو ستر من الأسرار بين الإنسان ومعرفه الأکوان.

ولذا يقول قدس سر: وجعل سبحانه العلم أعلى شرف، وأول منه امتن

۱- بحار الأنوار ج ۷۴ ص ۱۷۵.

۲- منيه المريد ص۹۳.

بها على ابن آدم بعد خلقه وإبرازه من ظلمه العدم إلى ضياء الوجود فقال سبحانه فى أول سوره أنزلها على نبيه محمد صلى الله عليه وآله:«اقرأ باسم ربك الذى خلق * خلق الانسان من علق * اقرأ وربك الأكرم * الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم »(۱).

فليتأمل ذووا الألباب فى عظمه وفضل ومراتب العلم.

وبعد التحقيقات والأبحاث لم نجد نعمه أعظم بعد الإيجاد من العلم.

ولذا قيل: من حظر عليه العلم وصف بالرذاله.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام: إذا أرذل الله عبداً حظر عليه العلم(۲).

وفى حديث: اغد عالماً أو ممتعلماً ولا تكن الثالث فتعطب(۳).

يقول الإمام أبو الحسن عليه السلام : الغوغا قتله الأنبياء، والعامه اسم مشتق من العمى، ما رضى الله لهم أن شبههم بالأنعام حتى قال: «بل هم أضل »(۴).

البرهان الثانى على وجود العلم

عندما ننظر إلى الأشياء الموجوده وننظر إلى معرفتنا بها نجد فارقاً ملموساً واضحاً بين جهلنا بالشىء وبين علمنا به، وهذا يكشف عن حصول معنى فينا بعد أن كنا فاقدين له، وليس ذلك إلا العلم.

۱- منيه المريد ص ۹۴.

۲- نهج البلاغه ص ۵۲۶.

۳- كنز الفوائد ج ۲ ص ۱۰۹.

۴- أمالى الطوسى ص۶۱۳.

فالعلم وجوده قائم فی العالم .

البرهان الثالث

إن المعرفه هی الغایه المرموقه للإنسان بحسب طباعه وبحسب عقله، فالغایه أمر وجودی، والوجود مطلوب و مرغوب فیه.

وهنا نلفت النظر إلی أن العدم لا یکون غایه للإنسان، بل علی العکس، نجد أن الإنسان ینفر من العدم، وذلک مما یدرکه کل عاقل بل تدرکه حتی الحیوانات.

لذلک یستحیل صیروره العدم غایه مرموقه للإنسان.

البرهان الرابع

من البراهین علی وجود العلم هو الصله بین الکون والإنسان.

یقول المقدس الصدر فی الفلسفه العلیا: لا ریب فی تحقق الصله بین کل إنسان وبین عالم الکون، وذلک أمر محقق، وتلک الصله لیست إلا العلم دون غیره، فالعلم کائن موجود(۱).

العلم سر من الأسرار

تکشف عن جوانبه الآثار.

والوجود محسوس وغیر محسوس، وعرفنا أن المحسوس یدرک بالحواس، وأما غیر المحسوس فلا یدرک إلا بالعلم، والعلم موجود غیر محسوس وإنما

۱- یحسن مراجعه الفلسفه العلیا للسید رضا الصدر قدس سره ص ۱۳۰.

تعرف حقيقته بالإنكشاف.

وقيل حول العلم الكثير، ولكن كل ذلك كان من جوانب الوصف والمدح. وكثير من العلماء والحكماء بحث حول حقيقه أمور عديده ومنها العلم.

وممن بحث بتفاصيل أدق هم الفلاسفه.

العلم وحقيقته

وهنا نقف نتلمس ما قاله العلماء الأبرار، والفلاسفه الأخبار .

قال صاحب الفلسفه العليا قدس سره: العلم هو الانشكاف الذى يزيل الستار عن وجوه عرائس الحقائق(١)..

ويشير قدس سره إلى أن تعاريف العلم تعاريف لفظيه، لأن التفسير الحقيقى للعلم غير ممكن(٢).

فالعلم لا يفسر بالجهل، لأن العلم يقابله بالضد والجهل نقيض العلم، فالنور لا يعرف بالظلمه.. .

الفيض للعلم

العلم حقيقه من الحقائق الكونيه، وهذه الحقيقه من أسمى الحقائق التى ينبغى البحث فى كل جوانبها، ولو بمقدار الادراك البشرى، لأن الإنسان بدون معرفه العلم أشبه شيء بالمعدوم، والمعدوم لا وجود له.

١- الفلسفه العليا ص ٢٣١، وينبغى مراجعه الأسفار ج٣ من ص ٢٨۴ حول تفسير العلم.

٢- وهنا تفاصيل وأقوال وردود..

وحيث أن العلم كائن موجود فلا بد له من موجد، من هنا فإن العلم بحاجه إلى العله ليكون موجوداً(۱).

وقد تسالم العقلاء أن خروج الشيء من العدم إلى الوجود مستحيل دون عله.

وهنا سؤال دقيق : ما هى عله الوجود لهذا الكائن اللطيف الشريف وهو العلم؟

لا شك أن العلم من أشرف الكائنات، وقد استفاضت الآيات والأحاديث حوله، ويكفى ما قاله القرآن الحكيم:«يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ»(۲).

ويكفى توضيحاً لشأن العلم ما قاله أمير المؤمنين عليه السلام: رأس الفضائل العلم(۳).

غايه الفضائل العلم.. العلم أفضل هدايه..

وقفه عند باب العلم

إن الحديث عن العلم يحتاج إلى علم ! والنفس الإنسانيه أو البشريه خاليه عن العلم ابتداء، فهى تكتسب العلم بالتدرج، فليست النفس موجده للعلم، لأن فاقد الشيء لا يعطيه، وليس المعدوم واجداً للمعلوم، والمفروض أن العلم

۱- راجع الفلسفه العليا ص ۲۲۳ حول تفاصيل ذلك.

۲- المجادله: ۱۱.

۳- ميزان الحكمه ج۶ ص ۴۴۷.

موجود، فمن الذى أوجد العلم؟

لأن كل موجود يحتاج إلى عله توجده فى هذه الحياه وفى هذا الكون.

إذا فلا الجهل يعطى العلم، ولا الفاقد للشىء يعطيه.

لذلك لا بد لمعطى للعلم أن يكون غير محسوس، لأن العلم من الجواهر غير المحسوسه، بل هو فوق المحسوسات، وحول ذلك يقول صاحب الفلسفهالعليا: إن العله المفيضه للعلم تعطيه فى جميع الأوضاع والأحوال على سبيل الدوام، ويجب أن تكون تلك العله عالماً فى نفسه، إذ الفاقد لا يعطى، ويجب أن يكون دائم الإفاضه لا يمل ولا يكل، لأجل إمكان الوصول إلى العلم فى كل زمان و مكان(١).

الإنسان وقابليته

الفيض يستقر عند المفاض عليه بشروط عديده، ولسنا فى مجال بيانها هنا، وإنما نشير إلى أن الإنسان الأول عندما أصبح مهيئاً للفيض وتكاملت قابليته أفاضت عليه العله الدائمه من العلم ما يجعله مستعداً للارتقاء، وهنا نشير إلى ما قاله صاحب الفلسفه العليا قدس سره: فأينما تحقق الطلب ومتى يجد الطالب بتفكير أو بحث أو تأمل أو قابليه أو فهم، يفاض عليه – إليه – من جانب المفيضه للعلم(٢).

من هنا يحسن القول بما جاء فى القرآن المجيد: وعلم آدم الأسماء...

١- راجع الفلسفه العليا من ص ٢٣٤، مع الأسفار الأربعه.

٢- المصدر السابق.

فالعلم الذى أفيض من الأعلى ينبغى على الإنسان أن يصونه صيانه تتناسب وشأنيته، ولا يصح أن يكون العلم وسيله لأمور أدنى، بل لا بد أن يكون لأمورارفيعه ليتناسب ومرتبه العلم الرفيعه، حيث يقول قدس سر: وطلب العلم لنفسه أداءً لحقه، فإن طلبه لغيره حط لمقامه الشامخ(١).

العلم الحضورى والحصولى

عندما ننظر إلى واقع العلم نجد أن له أقساماً عديده، ولكن تصالحوا على تسميته ابتداءً أنه حضورى أو حصولى.

ولهذا الابتداء أبعاد حيث يطلق تاره ويقيد أخرى.

ومن هنا بدأ الإنسان يدرك حقائق الأشياء، وذلك عندما أصبح متكاملاً بالقابليه، وهذا هو ابتداء التمييز عن بقيه المخلوقات، ومن هنا امتاز بالتقسيم بين المحسوسات وغيرها، ومن هنا بدأت معرفه أسرار الموجودات.

فالأسرار يكشف عنها العلم للإنسان، والإنسان يعلم نفسه وذاته ويعلم ما هو خارج عن نفسه وذاته، وهذه النقطه سر من أسرار القابليه عند الإنسان.

وفى بحثنا هنا لا نقف عند حدود الاعتبار لدى المناطقه أو لدى الفلاسفه ،لأنا نحاول التعرف على بعض جوانب الأسرار، والعلم هو الأساس لكشف ذلك، مهما حاولنا التفتن بالتعابير(٢)..

١- المصدر السابق.

٢- لا شك أن العلم بالمنطق والعلم بالفلسفه وغيرهما يفتح لنا أبواباً وجوانب عديده، ومنها تبدأ معرفهالأسرار.

العلم حياه

إن الإنسان بعد وجوده وتشخصه فى هذا الكون له قابليه البقاء والاستمراريه، بمعنى أوضح أنه بعد وجوده فإنه لا يعدم، بل هو باق ببقاء علته وموجده، لذلك ندرك عظمه العلم والحث عليه، بل جاءت الأوامر بالوجوب كما لا يخفى: اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد(١).

وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام: اكتسبوا العلم يكسبكم الحياه.

وفى أحاديث أخرى: ما مات من أحيا علماً.. بالعلم تكون الحياه.. العلم محيى النفس، ومنير العقل، ومميت الجهل (٢).

ما هو العلم الكامن فى طياته سر الحياه؟

كل أصناف البشر تمدح العلم، وتحترم العلماء، بل حتى الحيوانات، ولكن السؤال: ما هو علم الحياه؟

نقول: صحيح أن للعلم قيمه رفيعه، بل هو نور الوجود.

ولكن فى هذه الأزمان لم يبق بين الناس ميزان لمعرفه العلم النافع من العلم الضار للبشريه.

ومعلوم أن الابتكارات حتى للأسلحه المدمره تسمى بالعلم، كذلك وسائل الفساد والتضليل تسمى بالعلم.

ولكن يبقى للعلم النافع مصدر آخر، وهذا ما نقصده هنا من العلم، وليس

١- نهج الفصاحه ص٢١٨.

٢- ميزان الحكمه ج٦ ص ٤٥٢ عن غرر الحكم.

مطلق العلم.

عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه واله: يقول طلب العلم فريضه على كل مسلم، فاطلبوا العلم من مظانه، واقتسوه من أهله، فإن تعليمه لله حسنه وطلبه عباده والمذاكره به تسبيح، والعمل به جهاد، وتعليمه من لا يعلمه صدقه، وبذله لأهله قربه إلى الله تعالى، لأنه معالم الحلال والحرام ومنار سبل الجنه والمونس فى الو حشه والصا حب فى الغربه والوحده والمحدث فى الخلوه والدليل على السراء والضراء والسلاح على الأعداء والزين عند الأخلاء.

يرفع الله به أقواما فيجعلهم فى الخير قادةً، تقتبس آثارهم ويهتدى بفعالهم وينتهى إلى رأيهم وترغب الملائكه فى خلتهم وبأجنحتها تمسهم وفى صلاتها تبارك عليهم، يستغفر لهم كل رطب ويابس حتى حيتان البحر وهوامه وسباع البر وأنعامه.

إن العلم حياه القلوب من الجهل وضياء الأبصار من الظلمه و قوه الأبدان من الضعف، يبلغ بالعبد منازل الأخيار و مجالس الأبرار والدرجات العلى فى الدنيا والآخره.

الذكر فيه يعدل بالصيام ومدارسته بالقيام، به يطاع الرب ويعبد و به توصل الأرحام وبه يعرف الحلال والحرام.

العلم إمام العمل والعمل تابعه يلهمه السعداء ويحرمه الأشقياء فطوبى لمن

لم يحرمه الله منه حظه (۱).

علم الأسرار سعاده للأبرار

إن العلم الممدوح من جميع الخلائق هو الذى يوصل حامله إلى النجاه والسعاده، فأبواب العلوم كثيرةً جداً، والإنسان واقف على تلك الأبواب، وحقيقه العلم هى للإنسان.

من هنا ندرك أن مسيره حياه الإنسان فى الدنيا بين حياتين، وسيره الحقيقى لواحده من الطريقين، فمن تعلم لخصوص الدنيا خسر الحياتين، لأنه ليس باقٍ فى الدنيا فهو ضاعن عنها.

ومن تعلم علم الآخره ربح الدارين، وذلك هو المعبر عنه بعلم الحياه، لأن معنى الحياه البقاء، وبقاء الإنسان فى الآخره، وهذا البقاء لا يسعد به الإنسان إلا بالعلم، ومراحل حصول العلم وكسبه هى الدنيا، لأن الآخره تكون نتيجه وليس فيها عمل وكسب، بل هى ثواب أو عقاب، أى سعاده أو شقاء، لذلك جاء التحديث والإنذار، وقد أعذر من أنذر.

وهذا حديث شريف يختصر كل المعانى:

قال أمير المؤمنين عليهالسلام: يا مؤمن إن هذا العلم والأدب ثمن نفسك فاجتهد فى تعلمهما فما يزيد من علمك وأدبك يزيد فى ثمنك وقدرك فان بالعم تهتدى إلى ربك وبالأدب تحسن خدمه ربك وبأدب الخدمه يستوجب العبد ولايته وقربه

۱- بحار الأنوار ج ۱ ص ۱۷۱ عن أمالى الطوسى ص ۴۸۸، وفى هذا الحديث من الأسرار ما ينكشف للأبرار، ويحسن مراجعته والبحث فى تفاصيل معانيه.

فاقبل النصيحه كى تنجو من العذاب(۱).

من هذه الحديث وشبهه فلينظر العقلاء لأنفسهم، وليحدد كل مؤمن مطلبه، وليتدبر لنفسه قبل رمسه(۲).

وقفه عند باب من أبواب العلم

كثيراً ما ننخدع أو نخدع أنفسنا، وذلك عندما ينفتح لدينا باب من أبواب علم الدنيا، ونطلق على هذا أو ذلك أنه عالم.

وقد نتبجح عندما نستعمل ما وهبنا الله إياه من عقل وطاقه فى إنجاح أمور دنيويه، ونغفل أو نتناسى أموراً أخرويه، ونسلى أنفسنا بما هو سائد لدى العوام بالقول: ليوم الله يهون الله !

العلم ميزان بين الحق والباطل

لم يكن فى هذا الوجود شىء مطلوب إلا لغايه،فعندما نجد الحث على طلب شىء من الأشياء لا بد أن يكون ذلك لما يترتب عليه غايه من الغايات، وهذا ما تقره العقول ويأمر به العقلاء، فالعلم هو أسمى ما يطلب ولكن ينبغى أن نعرف أسمى الغايات منه:

أولاً: يطلب العلم لذاته، لأنه نور لذاته وضياء لغيره. ومن أهم ميزات العلم أنه يكشف لنا عن الحقائق(۳).

۱- بحار الأنوار ج ۱ ص ۱۸۰ عن روضه الواعظين.

۲- واللبيب تكفيه الإشاره.

۳- راجع الفلسفه العليا ص ۲۳۱.

لنقرأ هـذا الحـديث و نتدبر مضامينه: عن رسول الله صـلى الله عليه واله قال: من خرج يطلب باباً من علم ليرد به باطلًا إلى حق أو ضلالةً إلى هدًى كان عمله ذلك كعباده متعبدٍ أربعين عاماً(۱).

فعنـدما ننظر لواقع الحيـاه فى هـذه الـدنيا نجـد مزجـاً مسـتحكماً بين الحق فيهـا وبين الباطل، وهـذا المزج لا يفصل بينه غير العلم الحقيقى .

ما هى حقيقه العلم؟

إن حقيقه العلم لم تكن خافيه على أحـد من العلماء، وإنمايطلب من الـذى يعلم تطبيق العلم، لأجل الوصول إلى ثمرته، وعنـدئذ يكـون التفاضـل فى مراتب التطـبيق، وليس التفاضـل بمقـدار الحصول والوصول فقـط، ولـذا فـإن الثبـات على الحق أصـعب من الوصول إليه.

فحقيقه العلم ارجاع الحق لنصابه، وابطال الباطل عند استفحاله، لأنه لولا انكشاف حقيقه العلم لساد الظلم(۲).

وسـيبقى العلم هو الحكم فى الفصل بين حقائق الأشـياء، مهما رأينا مخالفاً هناأومتجاوزاً هناك، وقد جاء مدح العلم بما لا حصر له.

قال أمير المؤمنين عليه السـلام : كفى بالعلم شـرفاً أن يدعيه من لا يحسـنه ويفرح إذانسب إليه وكفى بالجهل ذما يبرأ منه من هو فيه(۳).

۱- بحار الأنوار ج ۱ ص ۱۸۲.

۲- فالإنسان يظلم نفسه ويظلم غيره .

۳- بحار الأنوار ج ۱ ص ۱۸۵.

وعن الإمام زين العابدين عليه السلام : لو يعلم الناس ما فى طلب العلم لطلبوه ولو بسفك المهج وخوض اللجج.

إن الله تعالى أوحى إلى دانيال أن أمقت عبيدى إلى الجاهل المستخف بحق أهل العلم التارك للاقتداء بهم، وأن أحب عبادى عندى التقنى الطالب للثواب الجزيل اللازم للعلماء التابع للحكماء [للحلماء] القابل عن الحكماء(١).

من هذه العبائر والأنوار المضيئه للعقول ندرك أن تحصيل العلم وتطبيق مضامينه يرفع الإنسان إلى أعلى مراتب الجنان، وندرك أيضاً أن ليس من مرتبه فوق مرتبه العلم، وهذا ما تشير إليه الآيات والروايات:

قال صلى الله عليه اوله : من جاءه المؤت وهو يطلب العلم ليحيى به الإسلام كان بينه وبين الأنبياء درجه واحده فى الجنه(٢).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام : العلم أفضل من المال بسبعه :

الأول: أنه ميراث الأنبياء والمال ميراث الفراعنه .

الثانى: العلم لا ينقص بالنفقه والمال ينقص بها.

الثالث: يحتاج المال إلى الحافظ والعلم يحفظ صاحبه.

الرابع : العلم يدخل فى الكفن ويبقى المال.

الخامس: المال يحصل للمؤمن والكافر والعلم لا يحصل إلا للمومن خاصه.

١- بحار الأنوار ج ١ ص ١٨٥.

٢- بحار الأنوار ج ١ ص ١٨۴.

السادس: جميع الناس يحتاجون إلى صاحب العلم فى أمر دينهم ولا يحتاجون إلى صاحب المال.

السابع : العلم يقوى الرجل على المرور على الصراط والمال يمنعه(۱).

العلم الحضورى والحصولى

عندما نحاول الحديث عن أقسام العلم نجد فى المصطلحات أقساماً عديده ضمن اعتبارات متنوعه، وهنا نشير إلى قسمين مهمين: الحضورى والحصولى، والمقسم بينهما الانكشاف، وهذا الانكشاف راجع بحسب المعلوم لدى العالم.

يقول صاحب الفلسفه العليا قدس سر: فإن كان المعلوم بنفسه منكشفاً لدى العالم فالعلم به حضورى، وإن كان بصورته منكشفاً لديه، فالعلم به حصولى، وهو المقصود من العلم عند الإطلاق، وإذا قصد منه العلم الحضورى يقيد به(۲).

وقد عرف العلم الحصولى بأنه: العلم بالشىء بواسطه، وهى الصوره الحاضره فى الذهن.

ولكن المعلوم بالذات فى العلم الحضورى هو نفس الشىء لا صورته، فالمعلوم بالذات فى العلم الحضورى موجود خارجى، وفى العلم الحصولى موجود ذهنى(۳).

۱- بحار الأنوار ج ۱ ص ۱۸۵.

۲- الفلسفه العليا ص۲۳۵.

۳- المصدر السابق.

ولذا قال: الوجود خارجی وذهنی، ویوجد تفاصیل أخری فی محلها .

سر العلوم من عالم القدس

المخلوقات تستقبل العلوم بحسب قابلیاتها، ولذا قالوا: استعدادات النفوس متفاوته(۱).

إن أرقی المخلوقات لتقبل العلوم والمعلومات هو الإنسان، وضمن أفراد الإنسان یوجد تفاوت کبیر جداً، من هنا یرتفع هذا وینخفض ذاک، وهذا التفاوت لا یتوقف علی جانب فقط، لأن الإنسان یحتاج لتکامل جوانب عدیده .

أولاً: الإنسان مفطور علی تلقی العلوم.

ثانیاً: أنواع العلوم لا حصر لها.

ثالثاً: للعلوم أسرار، وکشف هذه الأسرار لیس بالأمر الهین، وذلک لأن الکشف والانکشاف له أسس یبتنی علیها. ولیس ذلک بالتمنی أو التصورالابتدائی، بل لا بد من توفیر مناخ یتعلق بالنفس.

وهذا من أهم الأسس التی لا بد من الاعتناء بها کی یتمکن الإنسان من قبول الفیض.

أسرار الأکوان مبثوثه فی الإنسان والقرآن

فی بحثنا حول أسرار الحسین علیه السلام نجد معادن الأسرار کامنهً فی تکوین الإنسان، وفی عموم آیات القرآن.

۱- راجع الأسفار ج۳ ص ۳۸۴ فصل ۱۹.

وهـذه الأسـرار تتجلى بكثير من الحقـائق، وهـذا التجلى يتمظهر بالمحسوسـات والمعقولاـت، وقطب الرحى لاـدراكه ومعرفته هو الإنسان، ومن هنا ندرک عظمه نزول القرآن، و آيات بيان نزوله جامعه بين الظاهر المحسوس وبين الباطن فى الغيب المحبوس.

لنقرأ هـذه الآـيه، قـال تعالى :«لَوْ أَنْزَلْنا هَـذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِـعًا مُتَصَـدِّعًا مِنْ خَشْـيَهِ اللَّهِ وَتِلْکَ الْأَمْثَالُ نَضْـرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَکَّرُونَ»(۱).

تنبيه: لست هنا فى مجال التفسير، وإنما نشير إلى أن فى القرآن المجيد أسرار الكونين: الدنيا والآخره، وعندما ننظر فى هذه الدنيا ندرک أنها مدرسه خصصت للإنسان، فيها كل مناهج الدارين بكل معانيها المتكامله.

أولاً: أن القرآن نزل للإنسان.

ثانياً: أن آياته قد تضمنت أسراراً وأسرار.

ثالثاً: أن فى القرآن شفاء لكل عليل، من داءالجهل.

رابعاً: أن القرآن هو الحبل الممتد من السماء إلى أهل الأرض.

خامساً: أن حروف القرآن وكلماته ميسره لكل من يحسن القراءه .

من هنا ندرک أن نزوله على هذه الأرض للامتحان، لأن الامتحان يكون للإنسان:«(۲).

وقفه عند باب من أبواب القرآن :

۱- الحشر ۲۱.

۲- الأنفال ۴۲.

مما لا شک فیه أن أسرار القرآن عند أهل بیت العصمه علیهم الصلاه والسلام، ومن دونهم من ذوی العقول والأفهام یأخذ کل واحد منهم بقدر التوفیق ومقدار نظافه وسعه وعائه، والقرآن هو الدواء.

وکل واحد من الخلائق یحتاج إلی نوع من الدواء، واستعمال الدواء یرتکز علی قوانین وشروط، وعلی حسن التطبیق، ولیس کل من عرف الدواء نال الشفاء.

القرآن نزل لهدایه الإنسان

قد أوضحنا فی أبحاثنا ضمن آیات التقوی والمتقین أن القرآن لجمیع الخلائق، ولکن الذی ینتفع منه هم المتقون(۱)، فالقرآن کما هو نور فهو هدی وشفاء، وهو الحبل الممتد من الأرض إلی السماء، حیث أن فیه النجاه من الغرق فی أوحال الدنیا، ویکفی من أسرار الآیات:«وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِیَعْبُدُونِ»(۲).

هذه الآیه یعضد معانیها ما فی الأحادیث من أنی خلقت العالم لکم وخلقتکم لأجلی، والأحادیث بهذه المعانی کثیره، ویکفی منها حدیث: لولاک لما خلقت الأفلاک..

یقول صاحب مفاتیح الغیب قدس سره: فخلق الله الأفلاک والأرکان لأجل الإنسان(۳).

۱- یحسن مراجعه الأبحاث من آیه: هدی للمتقین، بحث خاص حول المتقین (مخطوط).

۲- الذاریات ۵۶.

۳- راجع مفاتیح الغیب ص ۱۴.

القرآن مدرسه الإنسان

لقد شاء حكمه الخالق أن يعمر الأرض بمراحل من حياه الإنسان، وهى المرحله الدقيقه التى يمر بها الإنسان فى وجوده، لأن هذه المرحله عليها تترتب سعاده الإنسان، ولا بد لنيل مثل هذه السعاده أن يمر الإنسان فى أدق امتحان، حيث لا مجال بعد الحياه الدنيا لأى فرصه للعمل، ولا عوده إلى قاعه الامتحانات، فكان القرآن هو المنهاج الجامع لكل ما ينبغى أن يقوم به الإنسان.

هذه المدرسه الكبرى يقوم على تعليمها حقاً الذين اختارهم الله ونزههم عن كل تقصير، وهم آل بيت العصمه عليهم السلام، وقد قال صلى الله عليه واله: أدبنى ربى فأحسن تأديبى.. وأنا أؤدب أمتى(۱).

من هنا بدأ التعليم وهو سبحانه القائل لعباده: «اقرا وربك الاكرام*الذى علم بالقلم*علم الا نسان ما لم يعلم»(۲).

من هنا بدأ سر العلم، فكان خلق الإنسان من عوالم الغيب، وكذلك تعليمه(۳).

الإنسان والأسرار

إن الله سبحانه قد خلق الإنسان من أسرار الغيب، وقد أودع فيه أيضاً أسراراً، ومن أهم الأسرار فى مكنون الإنسان هى قابليته للارتقاء والكمال

۱- المصدر السابق.

۲- سوره العلق.

۳- راجع أبحاثنا حول خلق الإنسان من تراب .. بحث مفصل.

الإنسانى.

هذه القابليه التى إذا توفرت لها الشروط ترتقى بالإنسان إلى أسمى المراتب، ومن أعلاها علم القرآن، لذلك يقال للإنسان يوم القيامه : إقرأ وارق. وهذه أيضاً فى الدنيا، فالدنيا هى المدرسه : من جد فى مناهج دروسه نال الجوائز، ومن تلهى فى ملعبها فقط وقع بالخسران.

فسر نجاح الإنسان كامن بذاته، ومرافق لنفسه .

فأسرار الكونين أظهرها الله سبحانه للإنسان فى حروف القرآن، ولذا أجمع المفسرون على أن الحروف المقطعه فى أوائل سور القرآن هى من الأسرار التى خص الله بها أنبياءه ورسله، وقيل: القرآن فى البسلمه.

والمطلوب من الإنسان أن يكتشف بعض أسرار الوجود لما له من قابليه، ولما أودع فى ذاته وكيانه من أسرار الكون، وخصه الله بشيء من الملكوت.

فأول ما هو مطلوب من الإنسان معرفه نفسه، وإن وصل إلى هذه المعرفه ينتقل منها إلى الكثير من الأسرار، فكأنها مفتاح السر، وهذا معنى أحاديث كثيره: من عرف نفسه عرف ربه.. معرفه النفس أنفع المعارف(١).

ويوجد هنا أسرار لم نلتفت إليها، مع العلم أنا نمارسها ولا نـدرك أبعادها، منها مثلاً الأذان فى أذنى الطفل، وهو مما أمربه الأبوان عندما يولد لهما طفل أن يؤذن ويقام بأذنيه.

ومنها أن يعلم آيات من القرآن الحكيم

١- ميزان الحكمه ج٦ ص ١۴٠.

ومن الأذان وتعليم الآيات ندرک الکثیر من الأسرار التی یمکن إدراکها ومعرفتها هنا نشیر ببساطه لذلک:

فعندما یولد الطفل ویأتی إلی هذا الوجود، یکون قد مر بمراحل من الأسرار، وقطع عوالم خفیه من عوالم الأستار، وظهر إلی هذه الدنیا بعد عناء وأخطار، فأول ما یدخل إلی عوالم فکره وخلایا رأسه هو کلمه: الله أکبر.

فترتسم فی تلافیف ذهنه و صفحات نفسه النقیه، ویسمع نداءً قد مر علیه وهو فی عالم الذر(۱).. وعهد السماء..

فهذه الحروف فیها إشارات وأسرار لیهتدی إلیها الانسان، وهذا هو ابتداء المعرفه المعادن الأسرار، التی بمعرفتها ینال کل فرد مراتب الأبرار.

فالطفل یختزن بفکره کل ما یسمع وکل ما یری وإن لم یعبر عن ذلک، فعندما ینمو ویتجاوز الطفوله یبدأ بإظهار لما لدیه، فإذا تغذی علی حسن المعرفه ینتقل من الظواهر إلی البواطن، ومن الحروف والکلمات إلی معانیها وأسرارها(۲).إن لکل شیء سراً، وسر الحروف کامن فی معانیها، فمن أحسن القراءه بصفاء توجه نحو المراد، ولم یقف عند اللفظ فقط، بل یسعی لفهم معانیه، وهذا ما تشیر إلیه الآیات، قال تعالی :« وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ یَتَذَکَّرُونَ»(۳).

إن نزول القرآن وإظهاره من اللوح المحفوظ إلی هذه الدنیا لیس لمعرفه حروفه الجامده، بل لأجل إظهار الأسرار الکامنه وراء عوالم الغیب إلی عقول

۱- إشاره إلی آیه العهد فی عالم الذر قبل خروج الإنسان إلی الدنیا .

۲- فإن الأسرار کامنه وراء الحروف.

۳- القصص ۵۱.

الأبرار.

من هنا لا بد من البحث حول أسرار الوجود، وهی کامنه فی معرفه آیات القرآن.

قال تعالی:«فَاقْرَءُوا مَا تَیَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ »(۱).

الأمر بالقراءه موجه للإنسان، لأن القراءه مدخل أساسی للمعرفه، ودلاله الأمر بها لغایه کبری، لأن الإنسان ما لم یصل إلی شیء من أسرار الکون والحیاه یبقی فی الجهل والظلمات، والمفروض أن القرآن نور.

الدنیا مظهر من مظاهر الأسرار

نشیر هنا إلی أن الإنسان نشأ فی غوامض الأستار، وبدأت مسیرته علی هذه الأرض وهی الدنیا، وقد جهزت بکثیر من الزینه ووسائل الرغبه فیها، وهی لم تکن فکانت، ومسیره الإنسان فیها لغایه کبیره، فإذا لم یتمکن من إدراک أسرارها یبقی محبوساً فی ظلماتها.

من هنا نقول: لم یخلق الإنسان لها، وإنما جیء به إلیها لیدرک کامل أسرار وجودها، فمن ینخدع فی مظهرها ویعشق مفاتنها لا شک أنه یبقی مقیداً بحبائلها، ومن أدرک أنه ضاعن غداً عنها لم ینخدع بظاهرها ولا بمظهرها.

وقد قال أمیر المؤمنین علیه السلام عن الدنیا: فالبصیر منها شاخص والأعمی إلیها شاخص(۲).

۱- المزمل ۲۰.

۲- نهج البلاغه ص ۱۹۲.

فلكل من الدنيا والإنسان والقرآن أبعاد.. للدنيا ظاهر و باطن، وكذلك الأمر فى الإنسان أوضح، أما القرآن فباطنه عميق(۱).

لـذلك نجد أن الكثير من بنى البشـر قد قصـرت هممهم عن تجاوز الظاهر فأخلدوا إلى الأرض، وقد جاءهم التنديد: اتخذوا هذا القرآن مهجوراً.

وفى آيه: «فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا»(۲).

إن هجر القرآن فيه دلاله على ترك أبعاده وأسـراره، وعدم فقهه دال على التمسك بظاهر هذه الدنيا. لأن لفظ (فقه الرجل) معناه أدرك معانيه، وتذوق حلاوه سره، ونظر إلى ما هو أبعد من الظاهر، ولذلك نجد على مر التاريخ أن الذين فقهوا القرآن وفهموا أبعاد معانيه لم تخدعهم الدنيا بزخارفها ولم تقيدهم بحبائلها، بل: صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقه بالمحل الأعلى(۳).

إن من أهم أسرار القرآن أن يصل به الإنسان إلى اليقين، ومن مركز اليقين يشرف على أسرار الكلام المبين، ومن هنا تبدأ مسيره الإنسان لفهم القرآن.

العقل والإنسان

عندما ننظر للمخلوقات نجد لكل مخلوق خصوصـيات، ومعلوم أن الإنسان هو أرقى المخلوقات، وهذا الترقى نجده بخصوصيات العقل، لذلك نحاول إلقاء نظره مقتضبه حول هذا السر.

۱- إشاره إلى ما ورد حول القرآن أن ظاهره أنيق وباطنه عميق.

۲- النساء ۷۸.

۳- إشاره إلى فقره من خطبه فى النهج الشريف.

والعقل سر من الأسرار الدقيقه.

لقد قال العلماء والفلاسفه الكثير حول العقل، وهذه الأقوال عند الباحثين والعلماء قد تفرع منها الكثير من العلوم والأبحاث.

وأبحاث الباحثين حول العقل وأسراره لم تكن وقفاً على جنس أو نوع أو دين أو أقوام معينين، بل هى أبحاث من كل عاقل، على تنوع مستويات بنى البشر.

لقد قيل الكثير حول تعاريف العقل، وحول آثاره وأحكامه وما يتبع، ولا شك أنه سر من أسرار المخلوقات، وقد اختص به بعضهم، ومن أوفرهم حظاً هو الإنسان..

قسم من تعاريف العقل:

أولاً: لست من ذوى الاختصاص فى هذا الباب الواسع، وإنما أنقل بعض العبائر لذوى البصائر .

ثانياً: نشير إلى كلمات ذوى الاختصاصات، يقول صاحب الفلسفه العليا قدس سره(١): ومن أصناف المعقول: العقل، وهو كائن لا ـ محسوس، ووجوده من البديهى، فلا ـ حاجه إلى إقامه برهان لوجوده، وهو يغاير العلم، لأن العلم موجود ذهنى والعقل موجود خارجى.

ويقول قدس سره: ونزيدك البرهان فنقول: إن امتياز العاقل عن المجنون يكشف حصول معنى للعاقل يفقده المجنون، كما أن الامتياز البينى للإنسان عن

١- وهو السيد رضا الصدر، الأخ الأكبر للسيد موسى الصدر، من ص ٢٤٧ فى الفلسفه العليا.

الحيوان يدل على وجوده، فالعقل مشرف إنسانى على أفعال البشر، تلك التى تصدر عن غرائزهم الحيوانيه .

ثم للعقل مراتب ودرجات، كما أن له قوه وضعفاً، والشرف لمن له كمال العقل(۱).

وأن المعرفه البشريه لم تصل حتى الآن إلى حقيقه العقل، وان غايه ما عرف منه أنه كائن موجود، وأنه المشرف والمرشد والموجه والرادع، والداعى فى البشر، وهو غير الفهم، لأنه يتولى فى بلده منصب القضاء والأمر، فهو الموجه إلى ما يفيد والناهى عما يضر.

وأما عن استخدام العقل للعلم والفهم، فيقول قدس سر: وتحصيل معرفه النفع والضرر إنما هو بالعلم والفهم، وإن العقل يستخدمها ولكن الحكم له بعدما رأى التقرير الصادر من كل منهما، فهو الحاكم المطلق فى بلد الإنسانيه، فاستخدامه للوصول إلى مطالب الغرائز إهانه له وحط لمنزلته(۲).

وينبغى مراجعه هذا المطلب، حيث توجد تفاصيل لكثير مما يمتلكه الإنسان، وهى موجوده غير محسوسه، ويحكم بها العقل، تحت عنوان: اتحاد العاقل والمعقول(۳)..

إن التعاريف ما هى إلا إشارات لحقائق معينه، وقد تعددت وتنوعت

۱- المصدر السابق ص۲۴۸.

۲- المصدر السابق.

۳- المصدر السابق ص۲۴۲.

بالألفاظ، فقد دأب العلماء على تعاريف الحقائق الثابته، ومنها: جوهر العقل، الذى هو سر من الأسرار، ومما قالوا حوله: العقل هو الجوهر المحيط بجميع الأشياء المبروزه فيه، والحاكم والقاضى بينها(١).

وفى تعريف آخر: إنما هو شيئيه الأشياء كلها، وشيئيه الأشياء كلها هوالعقل(٢).

وقيل: العقل الذى هو مناط التكليف هو العلم بوجوب الواجبات واستحاله المستحيلات(٣).

وقد عرف العقل عند الفلاسفه بأنه: جوهر بسيط .

ومن التعاريف: هو الجوهر المفارق للأجسام، المدرك للكليات بذاته، والجزئيات بالآله.

وقال آخر: هو جوهر مجرد قائم بذاته، مجرد عن الماده .

وفى تعريف آخر: جسم لطيف نورانى، هو آله العلم(٤).

العقل سر من أسرار الوجود

لقد بحث العقلاء من فلاسفه وحكماء وباحثين وعلماء حول العقل وحقائقه الكثير، وقد سطرت أقلامهم أدق التعابير، ولم تقف العقول عند حد

١- كتاب شرح المصطلحات الكلاميه ص٢١٩، الطبعه الأولى ١۴١۵ ه فى إيران، مشهد، الرضويه المقدسه.

٢- المصدر السابق.

٣- المصدر السابق.

۴- هذه التعاريف من كتب عديده ومن علماء الكلام والفلسفه.

محدود. وكل جيل يحوم حول هذا النور المشع، وشعاعه منه وإليه، ومعلوم أن النور مضيء لذاته ومضيء لغيره، وليس فى المخلوقات نور وضياء مثل نور العقل وضيائه، لذلك لم يكن البحث حول موضوع العقل كغيره من المواضيع، مهما قيل أو يقال، ومهما تعاقبت الأزمان والأجيال.

وإنما نحاول التنبيه على الأخذ مما أنتجته العقول النيره حول الإشاره إلى نور العقل.

يقول صاحب الفلسفه العليا قدس سره فى أبحاثه النيره تحت عنوان: عالم العقول، ما يلى:

ومن أصناف اللامحسوس: العقل المجرد، وهو موجود مجرد عن الماده والهيولى، وكائن منزه عن الزمان والمقدار، ومفارق عن جميع لوازم الماده وحاجياتها، فهو غنى عنها أشرف الغنى، وأفضل الممكنات وجوداً، وأشرفها حقيقه.

ثم إن العقول متعدده، وإن عالم العقول أشرف العوالم بلا كلام، ويسمى بالجبروت(١).

ويقول قدس سره عن أدله ماهيه العقل:

وكل ماهيه عقليه نوعها محصور فى فرد واحد، ولا تكثر لها من حيث الأفراد، لأن الكثره العارضه لكل ماهيه إما ذاتيه أو عرضيه، ولا سبيل إلى الأول إذ يلزم منه استحاله وجود مثل هذه الماهيه، فإن الكثره من وحدات، ويستحيل تحقق الكثره من غير وحده، والمفترض أن الكثره ذاتيه لماهيه العقل، وتفكيك

١- الفلسفه العليا ص٢٧٢.

الذاتی عن الذاتی مستحیل.

إذن یستحیل تحقق ماهیه واحده للعقل من أجل ذاک الانفکاک، فإذا استحالت الوحده استحالت الکثره، وإن شئت قلت: یستحیل صیروره الکثره ذاتیه لکل ماهیه بنفس البرهان، ولا سبیل إلی الثانی، لأن کل عرضی معلل، بمعنی افتقار المعروض فی ما یعرضه إلی علّه، إذ المفترض أن نفس ماهیه المعروض لم تکن بعله مقتضیه لها(۱)..

إلی هنا یطرح قدس سره سؤالاً لعروض الکثره لماهیه العقل؟

یقول: فما هی تلک العله الموجبه لعروض الکثره لماهیه العقل؟

والجواب: أن العله الموجبه لعروض الکثره فی کل ماهیه هی الماده دون غیرها، فکل ماهیه متکثره الأفراد فهی ماديه بلا کلام، وأنها متکثره بالجسم.

وتنعکس هذه الکلیه بعکس النقیض، أن الماهیه الخالیه عن الماده لیست بمتکثره الأفراد، إذاً کل ما هو مجرد عن الماده والجسم فنوعه محصور فی فرد واحد(۲).

وعندما یرید الباحث أن یقرب المعانی إلی الأذهان یشیر بالأمثله لما هو محسوس بالفطره، وقد تقدم أن کل ما هو مجرد عن الماده والجسم محصور فی فرد واحد.

ولتوضیح ذلک ذکر قدس سره مثالاً واضحاً، قال: مثلاً، إذا کانت ماهیه الإنسان غنیه عن البدن بحیث کانت موجوده من دون جسد لم یکن الإنسان

۱- الفلسفه العلیا ص۲۷۳.

۲- المصدر السابق.

الموجود إلا فرداً واحداً، فتعدد أفراد الإنسان إنما حدث من جانب احتياج ماهيه الإنسان إلى البدن، لما عرفت أن النفس حقيقه متعلقه، ويستحيل وجود مثل هذه الحقيقه من دون ما تتعلق به، وقس عليها جميع الأحياء الكونيه فى العالم(۱).

أسرار الحياه كامنه فى ثناياها

مما هو معلوم أن لحياه الانسان ابتداء وانتهاء، ومسيره حياه الإنسان بينهما، أى بين الابتداء والانتهاء، ويترتب على هذه المرحله كل معانى الحياه، بكل أبعادها ومعطياتها و جوانب متعلقاتها، فعندما نحاول التعرف على بعض الأسرار نجد بعض الجوانب التى يمكن اكتشافها ومعرفه مضامينها، وكلما توغل الإنسان بالمعرفه من أبوابها وحقائقها ينكشف له من الأسرار ما يمكن إدراكه، ومن أسرار الحياه خصوصيات الأنبياء والأوصياء عليهم السلام ، ومن هنا نحاول التعرف على بعض الجوانب من هذه الأسرار.

أولاً: آثار زياره الحسين

ومن أدق الأسرار التى ظهرت فى الحياه خصوصيات الحسين عليه السلام ، ومن خصوصياته عليه السلام آثار الزياره، وهذه الآثار ليست خافيه على عقول الأبرار، وليست مجرد نظريه بل أصبحت واقعاً موجوداً فى كل عصر من العصور وكل جيل من الأجيال، وخصوصاً أن زيارته عليه السلام لم تتوقف على الإطلاق، وهى باقيه ليوم القيامه.

۱- الفلسفه العليا، من ص۲۷۳، وتراجع مطالب هذا الكتاب ففيه تفاصيل واضحه لمن يريد.

وقد ورد حول زياره الحسين عليه السلام ما تعجز العقول عن إدراكه(۱)، وعندما نبحث فيما جاء حول زياره الحسين عليه السلام نجد شروطاً ذات أبعاد فی حياتنا، والأمر الأول فيها هو الإخلاص والشوق.

وكلمه الإخلاص أبعد من اللفظ والتقديرات، فالإخلاص سر من الأسرار.

وقال صلى الله عليه واله مخبراً عن جبرئيل عليه السلام عن الله عزوجل أنه قال: الإخلاص سر من أسرارى استودعه قلب من أحببت من عبادى(۲).

وعن النبى صلى الله عليه واله قال: من أخلص لله أربعين يوماً فجر الله ينابيع الحكمه من قلبه على لسانه .

وعن أبى جعفر الجواد عليه السلام قال: أفضل العباده الإخلاص.

وعن سيده النساء صلوات الله عليها قالت: من أصعد إلى الله خالص عبادته أهبط الله عزوجل إليه أفضل مصلحته (۳)

وقفه:

عندما نقرأ صحيفه حياه الكون وما فيه نجد أن أسرار الحياه قد انتهت إلى سيد الكائنات محمد بن عبد الله صلى الله عليه واله ، وهذه الأسرار بكل معانيها وأبعادها وأنوار حقائقها قد استقرت عند الحسين بن على عليهما أفضل الصلاه والسلام، من هنا كانت خصوصيه الحسين عليه السلام متضمنه واقعاً الأسرار الحياه.

۱- راجع بحار الأنوار ج ۹۸: المزار .

۲- بحار الأنوار ج ۶۷ ص۲۴۹.

۳- المصدر السابق .

لنقرأ هذا الحديث عن زياره الحسين عليه السلام: عن أبى عبد الله عليه السلام قال: من زار الحسين محتسباً لا أشراً ولا بطراً ولا سمعه محصت عنه ذنوبه كما يمضض الثوب فى الماء، فلا يبقى عليه دنس، ويكتب له بكل خطوه حجه وكلما رفع قدماً عمره(١) .

وهذا السر نتلمس شعاع نوره من هذا الحديث، عندما سألوه عن زياره الحسين عليه السلام، قال أبو عبد الله عليه السلام : حدثنى أبى عن جدى أنه كان يقول: من زاره يريد به وجه الله أخرجه الله من ذنوبه كمولود ولدته أمه، وشيعته الملائكه فى مسيره فرفرفت على رأسه قد صفوا بأجنحتهم عليه حتى يرجع إلى أهله.

وسألت الملائكه المغفره له من ربه وغشيته الرحمه من أعنان السماء، ونادته الملائكه طبت وطاب من زرت وحفظ فى أهله(٢).

ثانياً: الشوق والمحبه لآل الحسين

إن الشوق والمحبه ينبعان من المعرفه، وبمقدار المعرفه يشتد الشوق، وقد جاء بكثير من الأحاديث معانى المعرفه: من أتى قبر الحسين عليه السلام زائراً له عارفاً بحقه، يريد به وجه الله والدار الآخره غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر(٣).

المعرفه: أنه إمام مفترض الطاعه، ولا شك أن حقه حق لرسول الله صلى الله عليه واله. إنشوق الزائر للحسين عليه السلام فيه سر من الأسرار، وهذا الشوق يحمل

١- بحار الأنوار ج ٩٨ ص١٩، عن كامل الزيارات ص ١۴۴.

٢- المصدر السابق.

٣- المصدر السابق.

الموالى من كل أقطار الأرض، بل التاريخ حدثنا عن تسابق الزائرين لكى يفدى أحدهم الآخرين بنفسه لأجل الزياره(١).

فهو شوق فوق التقديرات، وأبعد من حروف الكلمات، فإننا نجد الزائرين يسعون من أقطار الدنيا مهما كانت التكاليف والمخاطر، ولم نجد فى أى زمن انقطاعاً للزائرين.

بالإخلاص تتفاضل مراتب المؤمنين

إن الإخلاص القائم على المعرفه الحقه لا يمكن تقديره عند المخلوقين، بل هو رصيد عند الخالق، وهذا ما يشير إليه أمير المؤمنين عليه السلام حيث قال: إن الله عباداً عاملوه بخالص من سره فشكرلهم بخالص من شكره، فأولئك تمر صحفهم يوم القيامه فرغاً فإذا وقفوا بين يديه ملأها لهم من سرما أسروا إليه(٢).

ونرسم هنا بعض الأحاديث حول ميزان المخلص والإخلاص، لعلنا نأخذ منها بقدر.

ورد فى الحديث: المخلص الذى لا يسأل الناس شيئاً حتى يجد وإذا وجد رضى وإذا بقى عنده شىء أعطاه فى الله فإن من لم يسال المخلوق فقد أقر الله عزوجل بالعبوديه، وإذا وجد فرضى فهو عن الله راض والله تبارك وتعالى عنه راض، وإذا أعطى الله عز وجل فهو على حد الثقه بربه عز وجل (٣).

١- فى زمن المتوكل العباسى فرض على كل عشره من زوار الحسين عليه السلام قتل واحد منهم.

٢- بحار الأنوار ج ٧٥ ص ۶۴.

٣- بحار الأنوار ج ٧ ص ٢١.

من هنا ندرک معانی الحدیث المشهور: العلماء کلهم هلکی إلا العاملون والعاملون کلهم هلکی إلا المخلصون، والمخلصون علی خطر(۱).

وکل معانی الإخلاص یراد بها مضمون هذا الحدیث عن أمیر المؤمنین علیه السلام: أین الذین أخلصوا أعمالهم الله وطهروا قلوبهم لمواضع نظر الله(۲).

حدیث فی قضیه موسی وشعیب

إن أسرار الحیاه مبثوثه من الأزل فی جمیع الکائنات، وفی کل عصر من العصور یوجد أهل للإخلاص، وهذا منهج سار علیه من سار من الأبرار، وتخلف عنه من غرته الدنیا وظن أنها الدار..

فلما دخل (موسی علیه السلام) علی شعیب إذا هو بالعشاء مهیأ، فقال له شعیب: اجلس یا شاب فتعش.

فقال له موسی: أعوذ بالله.

قال شعیب: ولم ذاک؟ ألست بجائع؟

قال: بلی ولکن أخاف أن یکون هذا عوضا لما سقیت لهما وأنا من أهل بیت لانبیع شیئاً من عمل الآخره بملء الأرض ذهباً.

فقال له شعیب: لا والله یا شاب ولکنها عادتی وعاده آبائی نقری الضیف ونطعم الطعام.

۱- میزان الحکمه ج۳ ص ۶۰.

۲- المصدر السابق.

قال فجلس موسى يأكل(١).

انما يتقبل الله من المخلصين

تقدم فيما سبق أن الإنسان مفطور على العمل، وسر الأعمال كامن فى الإخلاص، لأن الإخلاص ضمان للأعمال، بل هو روح الأعمال، وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام : فى الإخلاص يكون الخلاص.

ويقول عليه السلام: غايه اليقين الإخلاص(٢).

والإخلاص ضمان من الله تعالى عن الإغواء.

لقد أخبرنا سبحانه بكتابه المجيد عن ذلك، قال عز من قائل: عندما جعل إبليس من المنظرين:«(٣).

ويقول صلى الله عليه واله: طوبى للمخلصين أولئك مصابيح الهدى تنجلى بهم كل فتنه ظلماء(٤).

من هذه الآيات المباركه والأحاديث الشريفه ندرك بعضاً من معانى الإخلاص وأبعاده .

١- بحار الأنوار ج١٣ ص٢١، فالعمل الخالص يكون الله خالصاً مصفى .

٢- ميزان الحكمه ج٣ ص ٥٧.

٣- سوره ص الآيه ٨٣.

٤- كنز العمال خبر ٥٢٦٨.

حقيقه الإخلاص

عنـدما نحاول التعرف على صـفات المتقين وعلاماتهم نجد بحراً زاخراً حول صـفاتهم، وخصوصاً ما ذكر فى نهج البلاغه وخطبه المتقين، وهى التى تضـمنت الأبعـاد الحقيقيه لحقيقه الإنسـان، ومنهـا تأخـذ موازين الأسـرار، وهو البـاب الموصـد أمـام الأحرف والكلمات.

وإنـا نجـد أبواب أسـرار الأـكوان فى الإنسـان والقرآن.. وفى أبحاثنـا نقطف ثمره من هنا، وبرعما من هناك .. وزهره نتنسم منها أريجاً من أسـرار الأبرار.. فالكنوز موجوده وهى سـر من الأسـرار، والإنسان واضح وهو سر الأكوان، والقرآن المجيد مرتلًا ترتيلًا هو مفاتيح لهذه الأسرار.

وليس معنى السرأنه لا يعرف، بل إن إنسان الأرض لم يحسن فتح أبواب الأسرار.

إن حقيقه الإخلاص لدى الإنسان هى مفتاح من مفاتيح الأكوان، فبلوغ حقيقه الإخلاص ليس بالتمنى، وليست أمراً يؤخذ من هنا او هناك، بل هى بذات الإنسان، وقد قال صـلى الله عليه واله: إن لكل حق حقيقه وما بلغ عبد حقيقه الإخلاص حتى لا يجب أن يحمد على شىء من عمل لله(١).

والتأمل فى هذا الحديث الشريف يعطى الجواب لكل من يسأل.

وقد قال الحواريون لعيسى عليه السلام: يا روح الله، من المخلص لله؟

قال عليه السلام : الذى يعمل لله لا يحب أن يحمده أحد على شىء من عمل الله عز

١- بحار الأنوار ج ٦٩ ص٣٠٤.

وجل(۱).

وفی حدیث عن الرسول صلی الله علیه واله : وأما علامه المخلص فاربعه: یسلم قلبه ویسلم جوار حه وبذل خیره وکف شره(۲)...

سلامه القلب

نحاول هنا الإشاره إلی سلامه القلب عند الإنسان، لأن سلامه القلب یرتکز علیها الکثیر من قبول الأعمال، ومنها یستدل علی الإخلاص، والقلب هو مخزن من مخازن الاسرار، وقد جاء فی القرآن أن فیه نجاه للإنسان، قال تعالی :

«(۳)(۴).

فسلامه القلب قد أوضحها لنا أهل بیت العصمه علیهم السلام، وعند سؤال الصادق علیه السلام قال: القلب السلیم الذی یلقی الله ولیس فیه أحد سواه(۵).

وقد جاء فی التفاسیر أنه سلیم من الشرک والشک، وسلیم من الفساد والمعاصی، وإنما خص القلب بالسلامه لأنه إذا سلم القلب سلمت سائر الجوارح(۶).

۱- میزان الحکمه ج۳ ص ۶۳.

۲- تحف العقول ص ۲۱.

۳- الشعراء۸۹-۹۱.

۴- راجع أبحاثنا حول صفات المتقین: حب الدنیا رأس کل خطیئه .

۵- بحار الأنوار ج ۱۷ ص ۵۴.

۶- بحار الأنوار ج ۶۷ص ۲۳۹.

زیاره الحسین سر من الأسرار

عندما نحاول التعرف على جوانب من الأسـرار نجد ملتقاها بكل أبعاد الحياه مخزونه عند سيد الشهداء الحسين عليه السلام ، ولم نجد تكامل حصرها عند سواه، ويعرف ذلك من الأبحاث التى لا حدود لها فيما يتعلق بمضامين الأسرار، فالباحث مهما بلغ يجد نفسه محاطاً بالعجز.

ونتلمس ذلك حتى بالامور الظاهره، فكيف ما هو فى بواطن الوجود وأسرار الحياه.

لنقرأ هذا الدعاء المختصر جداً عندما يتوفق أحدنا للزياره وهو من المقدمات وأوائل المستحبات: الغسل.

عن أبى عبد الله عليه السلام أنه كان يقول بعد غسل الزياره إذا فرغ: اللهم اجعله لى نوراً وطهوراً وحرزاً وكافياً من كل داء وسقم ومن كـل آفه وعـاهه وطهر به قلبى وجوارحى ولحمى ودمى وشـعرى وبشـرى ومخى وعظـامى وعصبى ومـا أقلت الا رض منى واجعله لى شاهداً يوم القيامه ويوم حاجتى وفقرى وفاقتى(۱).

وفى حـديث آخر عن أبى عبـد الله عليه السـلام قـال: إن لله ملائكه موكلين بقبر الحسـين عليه السـلام، فـإذا هم الرجـل بزيـارته فاغتسل ناداه محمد صلى الله عليه واله: يا وفد الله أبشروا بمرافقتى فى الجنه.

وناداه أمير المؤمنين عليه السلام : أنا ضامن لقضاء حوائجكم ودفع البلاء عنكم فى الدنيا والآخره.

۱- بحار الأنوار ج ۹۸ ص ۱۴۶.

ثم اكتنفهم النبى صلى الله عليه واله وعلى عليه السلام عن أيمانهم وعن شمائلهم حتى ينصرفوا إلى أهاليهم(۱).

إن أحاديث أهل البيت عليهم السلام تحمل أسرار الحياه كما تتضمنها معانى الآيات، فمن يتدبر هذه المعانى يتلمس أسرار المبانى وأسرار الحسين عليه السلام هى السفينه التى ينجوا بها ركابها.

وعندما نكتب حول هذه الأسرار نحاول أن نتعلق بحبال العروه الوثقى التى اهتدى إليها الأبرار الأخيار، ومن هذه الأحاديث نأخذ موازين لمسيره حياتنا القصيره لعلنا نصل إلى شاطئ الأمان، ومن هذه الموازين ما وصل إلينا عن أهل بيت العصمه عليهم السلام.

عن أبى بصير عن أبى عبد الله عليه السلام قال: إذا أتيت الحسين عليه السلام فما تقول؟ قلت: أشياء أسمعها من رواه الحديث ممن سمع من أبيك.

قال: أفلا أخبرك عن أبى عن جدى على بن الحسين عليه السلام كيف كان يصنع فى ذلك؟

قال: قلت بلى جعلت فيداك .

قال: إذا أردت الخروج إلى أبى عبد الله عليه السلام فصم قبل أن تخرج ثلاثه أيام يوم الأربعاء ويوم الخميس ويوم الجمعه، فإذا أمسيت ليله الجمعه فصل صلاه الليل ثم قم فانظر فى نواحى السماء واغتسل تلك الليله قبل المغرب ثم تنام على طهرفإذا أردت المشى إليه فا غستل ولا تطيب ولا تدهن ولا تكتحل حتى تأتى

۱- بحار الأنوار ج ۹۸ ص ۱۴۷.

القبر(۱).

وقفه:

عندما أحاول أن أكتب ما أتمكن حول أسرار الحسين عليه السلام ، معنى ذلك أن الحسين عليه السلام قد اجتمع فيه أسرار الأولين والآخرين، من جده النبى صلى الله عليه واله إلى أبيه وأخيه عليهم السلام ، صعوداً إلى آدم عليه السلم ونزولاً لذريه الحسين من أبنائه المعصومين عليهم السلام ، وهذه المعانى قد تقدمت عند ابتداء البحث، وهنا نذكرأنه عليه السلام هو نقطه الارتكاز من السابقين واللاحقين، وهذه المعانى يعضدها هذا الحديث الشريف وهو:

قال الحسين عليه السلام لرسول الله : يا أبتاه ما لمن زارك؟

فقال رسول الله صلى الله عليه واله: يا بنى من زارنى حياً أو ميتاً او زار أباك او زار أخاك أو زارك كان حقاً على أن أزوره يوم القيامه وأخلصه من ذنوبه(۲).

وفى حديث آخر قال صلى الله عليه واله: من أتانى زائراً كنت شفيعه يوم القيامه(۳).

نجد كل ما جاء حول الحسين عليه السلام سار إلى أهل بيت العصمه عليهم السلام، ونجد شمول الأحاديث للحسين عليه السلام وفيها ما قاله صلى الله عليه واله: حسين منى وأنا من حسين(۴).

بغض النظر عن أحاديث النور والطينه والبنوه، وما شابه من الأحاديث

۱- تهذيب الأحكام الشيخ الطائفه الطوسى ج۶ ص۷۶.

۲- الكافى ج ۴ ص ۵۴۸.

۳- تهذيب الأحكام ج ۶ ص ۴ حديث ۷.

۴- كامل الزيارات ص ۵۲.

الشريفه حول الحسين عليه السلام، فحب الحسين عليه السلام هو حب للنبى صلى الله عليه واله، وزيارته كذلك فهم جميعاً من نور واحد، ولكل خصوصيه.

وقفه عند مصدر الأنوار

قد نقرأ كثيراً من الآيات والأحاديث ولا ندرك أبعاد معانيها الحقيقيه، فقد نحملها على مقدار فهمنا وحدود تعقلنا، وخصوصاً عندما نكون غارقين بأوحال هذه الدنيا، فالدنيا لا شك أنها تأخذ القسط الأولى من حياتنا ومعظم أفكارنا، مع العلم أنا لم نخلق للبقاء فيها، بل نمر بها كما يمر التلميذ بمراحل المدرسه.

وعندما تمر علينا أحاديث النور لاندرك من أبعادها إلا النزر القليل، ولكن يأتى جيل من الأجيال يمتلك عقولاً أسمى وبصائر أصفى، فيدرك أكثر وأكثر .

إن أحاديث الأسرار والأنوار ترسم إشارات لذوى الأفكار، من هنا نقف لعلنا نتدبر بمقدار ما يتيسر لأن الإنسان قد أمر بالتدبر(١) .

لقد ورد فى الأحاديث الشريفه الكثير عن الرسول صلى الله عليه واله : على أخى.

وهنا نرسم طرفاً من حديث طويل يتضمن ذلك :

قال أنس : فقلت يا رسول الله على أخوك؟

قال نعم على أخى.

قلت: يا رسول الله صف لى كيف على أخوك .

قال: إن الله عز وجل خلق ماء تحت العرش قبل أن يخلق آدم بثلاثه آلاف عام وأسكنه فى لؤلؤه خضراء فى غامض علمه إلى أن يخلق آدم، فلما أن خلق آدم

١- قال تعالى: أفلا يتدبرون..

نقـل ذلـك الماء من اللؤلؤه فأجراه فی صـلب آدم إلی أن قبضه الله، ثم نقله فی صـلب شـیت فلم یزل ذلك الماء ینتقل من ظهر إلی ظهر حتی صار فی عبد المطلب.

ثم شـقه الله عز وجل نضـفین فصار نصـفه فی أبی عبـد الله بن عبد المطلب ونصـفه فی أبی طالب، فأنا من نصف الماء وعلی من النصف الآخر فعلی أخی فی الدنیا والآخره.

ثم قرأ رسول الله صلی الله علیه واله: «وهو الذی خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً وکان ربك قدیراً»(۱).

نقول: الأحادیث حول هذه المعانی کثیره جداً، وإنما نکرر بعضها لما فیه من تعابیر ونکات واضحه أکثر لذوی الألباب (۲).

وهنا نـذکر حـدیثاً جامعاً یتضـمن الکثیر من أسـرار الحیاه، بل فیه إشارات منـذ البدایه إلی إتمام النهایه والبقاء والسـعاده والهناء، وفیه من الأسرار والأنوار ما یغمر الأفکار.

عن معـاذ بن جبـل أن رسول الله صـلی الله علیه واله قـال: إن الله عز وجـل خلقنی و علیاً وفاطمه والحسن والحسـین قبل أن یخلق الدنیا بسبعه آلاف عام.

قلت: فاین کنتم یا رسول الله؟

قال: قدام العرش نسبح الله عز وجل ونحمده و نقدسه ونمجده .

۱- بحار الأنوار ج ۳۵ ص ۳۲ الباب الأول من تاریخ ولاده أمیر المؤمنین ح۲۹، عن أمالی الطوسی

۲- تنبیه: بحثنا حول أنوار وأسرار الحسین علیه السلام، وعنده اجتمع عامود النور.

ثلت: على أى مثال؟

قال: أشباح نور حتى إذا أراد الله عزوجل أن يخلق صورنا صيرنا عمود نورثم قذفنا فى صلب آدم ثم أخرجنا إلى أصلاب الآباء وأرحام الأمهات، ولا يصيبنا نجس الشرك ولا سفاح الكفر يسعد بنا قوم ويشقى بنا آخرون.

فلما صيرنا إلى صلب عبد المطلب أخرج ذلك النور فشقه نصفين فجعل نصفه فى عبد الله ونصفه فى أبى طالب.

ثم أخرج النصف الذى لى إلى آمنه والنصف الذى لعلى إلى فاطمه بنت أسد فاخرجتنى آمنه وأخرجت فاطمه علياً.

ثم أعاد عزوجل العمود إلى فخرجت منى فاطمه ثم أعاد عزوجل العمود إلى على فخرج منه الحسن والحسين يعنى من النصفين جميعاً فما كان من نور على فصار فى ولد الحسين وما كان من نورى فصار فى ولد الحسين فهو ينتقل فى الأئمه من ولده إلى يوم القيامه(۱)

هذا الحديث وشبهه يوضح لنا الكثير من الأحاديث التى قد تحمل معانيها على غير أبعادها، مع ثبوت مصادرها، ونصوص ألفاظها، وقد نحتار كيف نوجهها، مثل الحديث المشهور: حسين منى وأنا من حسين.

فهذا الحديث يدلنا أن مصدر النور واحد، فتاره يكون عموداً واحدا

۱- بحار الأنوار ج ۳۵ ص ۳۴ ح ۳۲ عن علل الشرائع ج۱ ص۲۰۹.

الأسرار يعرفها الأخيار

عنـدما نتأمل بتدبر الأحاديث الشـريفه نجد أنفسـنا بعوالم غيرعوالم الأرض! وندرك ارتباط أهل الأرض بالسـماء، فالإنسان على هذه الأرض كان امتداده من السماء وهدايته منها.

وقـد وجـد الإنسـان نفسه على هـذه الأرض ممهـده له، وقـد نزل وهبط عليها وهو متكامل بكل ما يحتاج إليه، وقـد شاءت عنايه الخالق سبحانه أن تكون مرحله الأرض للإنسان مرحله اختبار، لحكمه بالغه لم ندرك بعد منتهى غايتها .

ويمكن القول أن اسـرار الوجود فى مراحلها الأولى للإنسان على هـذه الأرض، وليس كما يتبادر لأذهاننا أن حياتنا فى الدنيا هى منتهى المطاف، بل هى نقطه ابتداء وليس الموت مرحله انتهائها.

فعندما نقرأ أحاديثاً فيها الإشاره إلى ابتداء المخلوقات نقف عاجزين عن إدراك معانيها، وتشـتاق نفوسنا إلى معرفه مراميها، ومن هنا هلك خلق كثير، ونجا قليل قليل..

لنقرأطرف الحديث المتقدم عن حذيفه عن الرسول صلى الله عليه واله : فما كان من نورعلى فصار فى ؤلد الحسين، وما كان من نورى فصار فى ولد الحسين فهو ينتقل فى الأئمه من ولده إلى يوم القيامه.

من هذه الإشارات نتلمس أن خصوصيات الحسين عليه السلام أبعد بكثير مما نتداولهأو ندركه، فمن ظاهر العباره أن نور صاحب الرساله صـلى الله عليه واله قد استقر عند الحسين عليه السلام ، وهذا الاستقرار جامع لكل الإشارات ومعانى الأخبار، وهو نوع من التوضيح لكل ما قيل أو يقال حول نور وأسرار الحسين عليه السلام .

وخصوصاً عندما نقرأ هذا الحديث من أحاديث اللوح:

عن أبی عبد الله علیه السلام قال: قال أبی لجابر بن عبد الله الأنصاری: إن لی إلیک حاجه فمتی یخف علیک أن أخلو بک فأسألک عنها؟

قال له جابر: فی أی الأوقات شئت.

فخلا به أبی علیه السلام فقال له: یا جابر أخبرنی عن اللوح الذی رأیته فی یدی أمی فاطمه بنت رسول الله صلی الله علیه واله وما أخبرتک به أمی أن فی ذلک اللوح مکتوباً؟

قال جابر: أشهد بالله أنی دخلت علی أمک فاطمه فی حیاه ولی الله صلی الله علیه واله أهنئها بولاده الحسین علیه السلام فرأیت فی یدها لوحاً أخضر ظننت أنه زمرد، ورأیت فیه کتاباً أبیض شبه نور الشمس، فقلت: لها بأبی أنت وأمی یا بنت رسول الله ما هذا اللوح؟

فقال: هذا اللوح أهداه الله عزوجل إلی رسوله فیه اسم أبی واسم بعلی واسم ابنی وأسماء الأوصیاء من ولدی فأعطانیه أبی لیسرنی بذلک.

قال جابر: فأعطتنیه أمک فاطمه فقرأته وانتسخته.

فقال أبی علیه السلام: فهل لک یا جابر أن تعرضه علی؟

قال: نعم، فمشی معه أبی علیه السلام حتی انتهی إلی منزل جابر، فأخرج إلی أبی صحیفهً من رق.

قال جابر: فأشهد بالله أنی هذا رأیته فی اللوح مکتوبً:

بسم الله الرحمن الرحیم هذا کتاب من الله العزیز العلیم لمحمد نوره وسفیره وحجابه و دلیله، نزل به الروح الأمین من عند رب العالمین .

عظم یا محمد أسمائی واشکر نعمائی ولا تجحد آلائی إنی أنا الله لا إله إلا أنا قاصم الجبارین ومذل الظالمین ودیان الدین .

إنی أنا الله لا إله إلا أنا فمن رجا غیر فضلی أو خاف غیرعدلی عذبته عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمین فإیای فاعبد وعلی فتوکل.

إنی لم أبعث نبیاً فأکملت أیامه وانقضت مدته إلا جعلت له وصیا وإنی فضلتک علی الأنبیاء وفضلت و صیک علی الأوصیاء وأکرمتک بشبلیک بعده وبسطیک حسن و حسین.

فجعلت حسناً معدن علمی بعد انقضاء مده أبیه وجعلت حسینا خازن وحیی وأکرمته بالشهاده وختمت له بالسعاده فهو أفضل من استشهد وأرفع الشهداء درجه.

جعلت کلمتی التامه معه والحجه البالغه عنده، بعترته أثیب وأعاقب أولهم علی سید العابدین وزین أولیاء الماضین وابنه شبیه جده المحمود محمد الباقرلعلمی والمعدن لحکمی.

سهل المرتابون فی جعفر، الراد علیه کالراد علی، حق القول منی لأکرمن مثوی جعفر ولأسرنه فی أشیاعه وأنصاره وأولیائه.

انتجب بعده موسی وانتجب بعده فتنه عمیاء حندس لان خیط فرضی لا ینقطع، و حجتی لا تخفی وأن أولیائی لا یشقون.

ألا ومن جحد واحداً منهم فقد جحد نعمتی ومن غیر آیه من کتابی فقد افتری علی، وویل للمفترین الجادین عند انقضاء مده عبدی موسی وحبیبی وخیرتی.

إن المكـذب بالثامن مكذب بكل أوليائى وعلى وليى وناصـرى ومن أضع عليه أعباء النبوه وأمنحه بالاضـطلاع بها، يقتله عفريت مستكبريدفن بالمدينه التى بناها العبد الصالح (۱)إلى جنب شر خلقى(۲).

حق القول منى لأقـرن عينه بمحمـد: ابنه وخليفته من بعـد؛ فهو وارث علمى ومعـدن حكمى وموضع سـرى و حجـتى على خلقى جعلت الجنه مثواه وشفعته فى سبعين ألفاً من أهل بيته كلهم قد استوجبوا النار.

وأختم بالسـعاده لإبنه على وليى وناصـرى والشاهـد فى خلقى و أمينى على وخيى. أخرج منه الـداعى إلى سبيلى والخازن لعلمى الحسن.

ثم أكمـل ذلك بابنه رحمه للعالمين، عليه كمال موسـى وبهاء عيسـى وصبر أيوب، سـيذل أوليائى فى زمانه ويتهادون رءوسـهم كما تتهادى رءوس الترك والديلم فيقتلون ويحرقون ويكونون خائفين مر عوبين وجلين.

تصـبغ الأرض بـدمائهم ويفشو الويـل والرنين فى نسـائهم أوليـك أوليـائى حقاً، بهم أدفع كل فتنه عمياء حنـدس وبهم أكشـف الزلازل وأدفع الآصار والأغلال «أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمه وأولئك هم المهتدون ».

قال عبد الرحمن بن سالم : قال أبو بصير: لو لم تسمع فى دهرك إلا هذا الحديث لكفاك فصنه إلا عن أهله(۳) ..

۱- هو ذو القرنين لأنه من بنى طوس.

۲- هارون الرشيد.

۳- بحار الأنوار ج ۳ ص ۱۹۶، والحـديث وارد بمصادر عده وألفاظ متنوعه ومتفاوته، بين مفصل و مختصـر.. منها ما فى الكافى ج ۱ ص ۵۲۷ وغير ذلك.

وقفه:

هـذه الأسـرار التى هى من مكنونـات علام الغيوب، قـد أظهرهـا الله لخاصه أوليائه، ومعانيها وأبعاد حكمتها نراها تظهر بالتـدرج لحكمه ربانيه فيما يتعلق بصـلاح النفوس البشـريه، فالحسين عليه السلام قد ظهر طرف من أسراره، ولم يزل هذا النور من الأسرار يمتد عبر الزمن، ونراه ينتقل من جيل لآخر، ويمتد فى كل بقاع الأرض، ونجد أن هذا النور يزداد كل يوم شعاعاً.

فلو نظرنا بما هو ملموس و ظاهر فيما يتعلق بمسيره الحسين عليه السـلام لوجدنا أنه كلما تقدمت وسائل العلوم لدى البشـر كلما شع خيط هذا النور أكثر.

والآن لا نجـد عاقلاً منصـفاً على امتداد تواجد العقلاء إلا ونراه يمجد مسيره الحسـين عليه السـلام، وهذا ما نشاهده ونسـمعه كل يوم، رغم أن الكثير من هؤلاءليسوا بمسلمين ولا مجبرين على ذلك.

ولست هنا بصـدد البيان لهذا الموضوع، وإنما من باب الإشاره والتأمل لما يتحقق فى مسيره الحسـين عليه السـلام ، حيث ندرك الآن بعضاً من معانى الحـديث المتقـدم فى أول هـذه الأبحاث، وهو فى جواب لحذيفه قاله صـلى الله عليه واله عن الحسـين عليه السلام: علمى علمه، وعلمه علمى، لأنا نعلم بالكائن قبل كينونته(۱).

فمـا تحقق من أسـرار إلى هـذا التاريـخ هو نزر قليـل، وأسـرار ذلك تنكشف عنـد ظهورالحجه صاحب العصـر والزمان عجل الله فرجه.

وإنما نحن أدركنا الجزء اليسير جداً، وانا نتظر ما هو أكبر وأكبر فى إصلاح

۱- بحار الأنوار ج ۴۴ ص ۱۸۶، دلائل الإمامه ص۱۸۳.

مسيره البشر، وهذا الإصلاح لا يتحقق إتمامه إلا على منهاج أسرار سيره الحسين عليه السلام ، وبوادر ذلك بدأت تلوح فى الأفق(۱).

وقد تظافرت الأدله والبراهين عند العقلاء أن الأرض ما خليت من حجه، بمعنى أن أول إنسان على هذه الأرض قد تزود بالعلوم الحقيقيه، حيث شاء الله سبحانه أن يعبد على هذه الأرض بالحق، ومعلوم أن العباده الحقه ترتكز على العلم بها، ومعلوم أيضاً أن ابتداء العلم من الخالق، كما أن ابتداء الخلق منه سبحانه.

وعندما نبحث حول ذلك نجد أن سلسله الأنبياء والأوصياء عليهم السلام بدأت من آدم عليه السلام ولم تنقطع عن هذه الأرض قط، بل استمرت متصله بدون انقطاع، من نبى إلى وصى حتى وصلت إلى خاتم الأأنبياء صلوات الله عليه وعلى آله.

من هنا نحاول الإشاره الواضحه للنصوص التى وصلت إلينا بأمانه وصيانه، لذلك نرسم بعضاً منها:

عن على بن الحسين عن أبيه الحسين بن على عليه السلام قال: دخلت على رسول الله صلى الله عليه واله وهو متفكر مغموم فقلت: يا رسول الله مالى أراك متفكراً؟

فقال: يا بنى إن الروح الأمين قد أتانى فقال يا رسول الله العلى الأعلى يقرئك السلام ويقول لك إنك قد قضيت نبؤتك واستكملت أيامك فاجعل الإسم الأكبر وميراث العلم وآثار علم النبوه عند على بن أبى طالب فإنى لا أترك الأرض إلا وفيها عالم تعرف به طاعتى وتعرف به ولايتى، فإنى لم أقطع علم النبوه من الغيب من ذريتك كما لم أقطعها من ذريات الأنبياء الذين كانوا بينك وبين

۱- وآمل ممن يبقى لذلك الوقت أن يخصنى بالترحم والتسليم.

أبيك آدم.

قلت: يا رسول الله فمن يملك هذا الأمر بعدك؟

قال: أبوك على بن أبى طالب أخى وخليفتى ويملك بعد على الحسن ثم تملكه أنت وتسعه من صلبك يملكه اثنا عشر إماماً ثم يقوم قائمنا يملا الدنيا قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً و ظلماً يشفى صدور قوم مؤمنين ممن شيعته(۱).

وهذا الحديث يتضمن أسراراً وأسرار، ويمكن تفصيل مضامينه بأبواب مستقله.

حديث عن أنوارهم عليهم السلام

عندما نبحث فى سيره الأنبياء عليهم السلام نجد أن الإسراء إلى طبقات السماء مما اختص به سيد الأنبياء صلى الله عليه واله، وقد ثبت أنه صلى الله عليه واله أسرى به إلى السماء مرات عديده، وقد ذكر الإسراء ضمن آيات بينات و منها سوره الإسراء: سبحان الذى أسرى بعبده.(۲).

والإسراء ثابت بلا خلاف وإن تنوعت تفاصيل الكيفيه، وهنا نذكر هذا الحديث عن أمير المؤمنين عليه السلام ، قال : قال رسو الله صلى الله عليه واله: لما أسرى بى إلى السماء أوحى إلى ربى جل جلاله فقال : يا محمد إنى اطلعت إلى الأرض اطلاعه فاخترتك منها فجعلتك نبياً و شققت لك اسماً من أسمائى فأنا المحمود وأنت محمد.

ثم اطلع الثانيه فاخترت منها علياً وجعلته وصيك وخليفتك وزوج

۱- بحار الأنوار ج ۳۶ ص ۳۴۵ عن كفايه الأثر.

۲- راجع تفصايل الإسراء فى بحثنا: ابتداء المبعث الشريف (مخطوط).

ابنیک و ابا ذریتک وشققت له اسماً من أسمائی فأنا العلی الأعلی و هو علی .

وجعلت فاطمه والحسن والحسین ع من نورکما ثم عرضت ولایتهم علی الملائکه من قبلها کان عندی من المقربین.

یا محمد لو أن عبداً عبدنی حتی ینقطع ویصیر کالشن البالی ثم أتانی جاحداً لولایتهم ما أسکنته جنتی ولا أظللته تحت عرشی.

یا محمد أتحب أن تراهم؟

قلت: نعم یا رب.

فقال عز وجل: ارفع رأسک.

فرفعت رأسی، فإذا أنا بأنوار علی وفاطمه والحسن والحسین وعلی بن الحسین و محمد بن علی وجعفر بن محمد و موسی بن جعفر وعلی بن موسی ومحمد بن علی وعلی بن محمد والحسن بن علی والحجه بن الحسن القائم فی وسطهم کأنه کوکب دری.

قلت: یا رب من هؤلاء؟

قال : هؤلاء الأئمه، وهذا القائم الذی یحل حلالی ویحرم حرامی و به انتقم من أعدائی، وهو راحه لأولیائی وهو الذی یشفی قلوب شیعتک من الظالمین والجاحدین والکافرین، فیخرج اللات والعزی طریین فیحرقهما، فلفتنه الناس بهما یومئذٍ أشد من فتنه العجل و السامری(۱)..

۱- بحار الأنوار ج ۳ ص ۲۴۵ عن کمال الدین ص ۱۵۰.

وعنه صلى الله عليه واله: يا على لا يحبك إلا من طابت ولادته(١).

وقفه:

إن الحديث عن الأسرار والأنوار ذات أبعاد فى حياه الإنسانيه، حيث يوجد ترابط بين السماء والأرض، ومعلوم أن أنوار السماء ليست مثل أنوار الأرض، والتعابير عن الأنوار وكلمه الأسرار لتقريب المعانى إلى أذهاننا، ولأجل توجه أفكارنا نحو عوالم رفيعه، لئلا نخلد إلى هذه الأرض وغرورها، فالنور للعقول، والأسرار للقلوب(٢).

كيف نتعرف على ميزان الإيمان؟

عندما ننظر فى هذه الحياه ندرك أن لكل شىء ميزاناً مما هو أدنى إلى ما هو أعلى، والموازيين كما تكون فى المحسوسات كذلك تكون فى الدلالات على المعنويات، وأقصد هنا إيمان القلوب، وأسرار الأفكار.

فالحياه بكل معانيها تتضمن الكثير من أسرار الوجود، وما هو موجود فى عوالم الأسرار قد يكون الكثير منه غائباً عن إدراك الأفكار.

فالعقول على فطرتها أدركت وجود خالقها ولكنها عاجزه عن معرفه رضا مبدعها، فمعرفه الرضا تحتاج إلى بيان من الخالق، لذلك كانت بعثه الأنبياء والرسل حكمةً بالغه، لوصول الغايه المنشوده وهى طاعه ورضا الخالق.

فعندما نبحث فى آيات القرآن وفى أحاديث النبى وآله الأطهار نجد أننا

١- المصدر السابق ص٢٤٦.

٢- يحسن مراجعه أبحاثنا المفصله حول آيات الغيب.

بحاجه ماسه إلى الكشف عن أسرار موازين الاعتقاد والأفكار، لأن معرفه الرضا قطعاً مبثوثه فى الآيات القرآنيه والأحاديث النبويه .

والآيات القرآنيه تشير بوضوح إلى ذلك، منها: «منه آيات محكمات »، ومنها:«من يطع الرسول فقد أطاع الله» ومنها: ما آتاه الرسول فخذوه»، إلى كثير من هذه المحكات الواضحات.

ومن هنا يأتى دور الأبحاث والأدله وما شابه من الإشارات.

ويمكن القول أن أسرار الوجود ومعرفه الحقائق والحدود هى عند الخالق المعبود، وقد أطلع عليها سيد الأنبياء صلى الله عليه واله، حول كل ما يتعلق بالإنسان على هذه الأرض، بل وكل ما هو فى عوالم السماء، من ابتداء الخليقه إلى أدوار الانتهاء.

حديث جامع

نقول: مثل هذا الحديث لا يفقهه إلا من طهرت ولادته، وصفت نفسه، وسلم قلبه، ونضج عقله، وطابت سريرته، وزان أفكاره، وخلصت نيته .

هذه التعابير من السهل علينا كتابتها وقراءتها، ولكنا نجاهد أنفسنا للحصول على معانيها.

هيهات هيهات.. وكل آت آت.

فالحذر الحذر من يوم الآزفه.. والخطر .. رحماك يا رب البشر.

روى عن النبى صلى الله عليه واله أنه قال لعلى بن أبى طالب عليه السلام: يا على لا يحبك إلا من طابت ولادته ولا يبغضك إلا من خبثت ولادته، ولا يواليك إلا مؤمن ولا يعاديك إلا كافر .

فقام إليه عبد الله بن مسعود فقال: يا رسول الله، قد عرفنا خبيث الولاده والكافر فى حياتك ببغض على وعداوته، فما علامه خبيث الولاده والكافر بعدك إذا أظهر الإسلام بلسانه وأخفى مكنون سريرته؟

فقال صلى الله عليه واله: يا ابن مسعود، إن على بن أبى طالب إمامكم بعدى وخليفتى عليكم فإذا مضى فالحسن ثم الحسين ابناى إمامكم بعده وخليفتى عليكم ثم تسعه من ولد الحسين واحد بعد واحد أئمتكم وخلفائى عليكم تاسعهم قائمهم قائم أئمتى يملؤها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً و جوراً.

لا يحبهم إلا من طابت ولادته ولا يبغضهم إلا من خبث ولادته ولا يواليهم إلا مؤمن ولا يعاديهم إلا كافر.

من أنكر واحداً منهم فقد أنكرنى ومن أنكرنى فقد أنكر الله عزوجل، ومن جحد واحداً منهم فقد جحدنى ومن جحد فقد جحد الله عزوجل.

لأن طاعتهم طاعتى وطاعتى طاعه الله ومعصيتهم معصيتى ومعصيتى معصيه الله عزوجل.

يا ابن مسعود إياك أن تجد فى نفسك حرجاً مما أقضى فتكفر، فبعزه ربى ما أنا متكلف ولا ناطق عن الهوى فى على والأمه من ولده..

ثم قال صلى الله عليه واله وهو رافع يديه إلى السماء: اللهم وال من والى خلفائى وأئمه أمتى من بعدى وعاد من عاداهم وانصر من نصرهم واخذ ل من خذلهم ولاتخل الأرض من قائم منهم بحجتك ظاهر مشهور أو خاف مغمور لئلا يبطلوا دينك وحجتك وبيناتك.

ثم قال صلى الله عليه واله: يا ابن مسعود قد جمعت لكم فى مقاومى هذا ما إن فارقتموه

هلكتم وإن تمسكتم به نجوتم والسلام على من اتبع الهدى(۱).

من عوالم الأنوار

إن الحديث عن عوالم الأسرار والأنوار هو فوق إدراك العقول والأفكار، لأن تلك العوالم هى غير عوالم أفلاك الطبيعه التى نعيش فيها على هذه الأرض.

فى هذه الأنوار ما وصل إلينا من الأخبار:

روى عن على عليه السلام قال سمعت رسول الله صلى الله عليه واله يقول: إن الله تبارك وتعالى خلقنى وعلياً وفاطمه والحسن والحسين من نورواحد(۲).

وروى ميرفوعاً إلى جابر بن عبد الله الأنصارى قال:سمعت رسول الله صلى الله عليه واله يقول: إن الله عزوجل خلقنى وعلياً وفاطمه والحسن والحسين من نورفعصر ذلك النور عصرةً فرج منها شيعتنا فسبحنا فسبحوا وقدسنا فقد سوا وهللنا فهللوا ومجدنا فمجدوا ووحدنا فوحدوا.

ثم خلق السماوات والأرضين وخلق الملائكه فمكثت الملائكه مائه عام لا تعرف تسبيحاً ولا تقديساً فسبحنا فسبحت شيعتنا فسبحت الملائكه وكذلك فى البواقى.

فنحن الموحدون حيث لا موحدغيرنا، وحقيق على الله عز وجل كما اختصنا واختص شيعتنا أن ينزلنا وشيعتنا فى أعلى عليين.

ان الله اصطفانا واصطفى شيعتنا من قبل أن تكون أجساماً فدعانا فأجبنا

۱- بحار الأنوار ج ۳۶ ص ۲۴۶ عن الاحتجاج .
۲- بحار الأنوار ج ۳۷ ص ۸۱.

فغفر لنا ولشيعتنا من قبل أن نستغفر الله تعالى(۱).

عندما نتابع أحاديث النور نجد ألفاظاً متنوعه، تدل بمعانيها ومضامينها أن نور أهل البيت واحد، وخصوصاً أهل الكساء.

أهل الكساء

أهل الكساء هم معدن الأنوار، وعندهم مخازن الأسرار، وهم الذين خلق الله الخلائق إكراماً لهم، ومنهم صدرت الحقائق للخلائق، فكان صدور المخلوقات بعدهم، ولذا هم الأول من المخلوقات، وبهم تختم الحياه، واليهم تهفوا القلوب، ومن فيض أنوارهم تهتدى العقول، وهم السبيل إلى النجاه.

فكان الحسين عليه السلام نقطه الدائره فى الكونين: الآخره والدنيا، فعند الحسين عليه السلام تجمعت الأنوار، فهو عليه السلام كان نقطه الارتكاز بعد أهل الكساء، ومنه استمر امتداد أهل بيت العصمه.

ولذا جاء فى الحديث: فالجنه والحور العين من نور ولدى الحسين ونور ولدى الحسين من نور الله فولد ى الحسين أفضل من الجنه والحور العين(۲).

وقال على عليه السلام : أنا من أحمد كالضوء من الضوء(۳).

إن البحث حول أسرار وأنوار الحسين عليه السلام يأخذ بنا إلى مصادر الأنوار والأسرار، ومصدر ذلك المخبر لعباده فى قرآنه : «الله نور السماوات والأرض ».

۱- بحار الأنوار ج ۳۷ ص ۸۰.

۲- بحار الأنوار ج ۳۷ ص ۸۳ من حديث طويل تحسن مراجعته، فهو حديث جامع لكثير من الأنوار، فراجع.

۳- بحار الأنوار ج ۳۸ ص ۸۰، من حديث طويل فيه أسرار الحيدر الكرار عليه السلام .

وهو سبحانه منور الأنوار، وهادى العقول المخازن الأسرار، فالأبحاث حول ذلك مأخوذه ممن اختارهم الله لحمل هذه الأسرار التى تلمع لعقول الأبرار.

فالحديث عنها ليس كما هو متعارف من الأبحاث، بل هو تنقيب من هنا وأخذ من هناك، ولذا نحاول رسم بعض الحروف لعلنا نبصر طريق النور قبل الحتوف.

فمن يقرأ بعدنا يكون طرف خيط الأنوار بين يديه، وقد ألمحت أكثر من مره أننى أكتب لأجيال لاحقه لعلها تبصر الطريق وتأخذ زاداً ليوم الضيق.

عن عبد الجبار بن كثير التميمى اليمانى قال: سمعت محمد بن حرب الهلالى أميرالمدينه يقول: سألت جعفر بن محمد عليه السلام فقلت له: يا ابن رسول الله فى نفسى مسأله أريد أن أسألك عنها.

فقال: إن شئت أخبرتك بمسالتك قبل أن تسألنى وإن شئت فاسال .

قال قلت له: يا ابن رسول الله، وبأى شىء تعرف ما فى نفسى قبل سؤالى ؟ فقال: بالتوسم والتفرس.

أما سمعت قول الله عزوجل «إن فى ذلك لآيات للمتوسمين»؟

وقول رسول الله صلى الله عليه واله: اتقوا فراسه المؤمن فإنه ينظر بنور الله؟

قال: فقلت له: يا ابن رسول الله فأخبرنى بمسالتى.

قال: أردت أن تسألنى عن رسول الله لم لم يطق حمله على عليه السلام عند حط الأصنام من سطح الكعبه مع قوته و شدته ومع ما ظهر منه فى قلع باب القوم

بخيبر والرمى به إلى ورائه اربعين ذراعاً، وكان لا يطيق حمله أربعون رجلاً، وقد كان رسول الله صلى الله عليه واله يركب الناقه والفرس والحمار، وركب البراق لليله المعراج، وكل ذلك دون على فى القوه والشده.

قال: فقلت له: عن هذا و الله أردت أن أسألك يا ابن رسول الله فاخبرنى.

فقال: ان علياً برسول الله تشرف وبه ارتفع وبه وصل إلى أن أطفأ نار الشرك وأبطل كل معبود من دون الله عزوجل.

ولو علاه النبى صلى الله عليه واله لحط الأصنام لكان بعلى مرتفعاً وشريفاً واصلاً إلى حط الأصنام ولو كان ذلك كذلك لكان أفضل منه.

ألا ترى أن علياً قال: لما علوت ظهر رسول الله شرفت وارتفعت حتى لو شئت أن أنال السماء لنلتها؟

أما علمت أن المصباح هو الذى يهتدى به فى الظلمه وانبعاث فرعه من أصله؟

وقد قال على عليه السلام: أنا من أحمد كالضوء من الضوء.

أما علمت أن محمداً وعلياً صلوات الله عليهما كانا نوراً بين يدى الله عزوجل قبل خلق الخلق بألفى عام؟

وأن الملائكه لما رأت ذلك النور رأت له أصلاً قد تشعب منه شعاع لامع فقالت: إلا وسيدنا ما هذا النور أوحى الله تبارك الله و تعالى إليهم هذا نور من نورى أصله نبوه وفرعه امامه:

اما النبوه فلمحمد عبدى ورسولى .

وأما الإمام فلعلى حجتى ووليى، ولولاهما ما خلقت خلقى.

أما علمت أن رسول الله صلى الله عليه واله رفع يد على عليه السلام بغدير خم حتى نظر الناس إلى بياض إبطيهما فجعله ولى المسلمين وإمامهم، وقد احتمل الحسن والحسين عليه السلام يوم حظيره بنى النجار؟

فلما قال له بعض أصحابه ناولنى أحدهما يا رسول الله قال: نعم الراكبان وأبوهما خير منهما.

وأنه كان يصلى بأصحابه فأطال سجده من سجداته فلما سلم قيل له: يا رسول الله لقد أطلت هذه السجده.

فقال صلى الله عليه واله: إن ابنى ارتحلنى فكرهت أن أعاجله حتى ينزل، وإنما أراد بذلك رفعهم وتشريفهم،فالنبى صل الله عليه واله إمام نبى، وعلى إمام ليس بنبى ولا رسول فهو غير مطيق لأثقال النبوه(١)...

أى لحمل أثقال النبوه.

أسرار.. وأسرار

للأسرار درجات، وليس لكل مخلوق القدره على حملها أو إدراكها، ومن هنا ندرك معنى ما ورد: الله أعلم حيث يجعل رسالته.

فأسرار النبوه فوق إدراك البشر، ومن هنا يكمن سر التابع والمتبوع، فكيف بختام النبوات؟

ولذا كان صلى الله عليه واله سيد الكائنات بكل أبعادها ومعانيها، وليس لعقل بشرى

١- بحار الأنوار ج ٣٨ ص ٧٩، والحديث طويل تحسن مراجعته .

القدره على حملها بالتمام والكمال سوى خاتم الأنبياء وسيد أهل الأرض والسماء .وحمل الشيء تاره يكون مادياً محسوساً وتاره يكون روحياً ومعنوياً، وهذا يحتاج لأبحاث مستقله.

فنور الرساله وحمل الأسرار ليس لكل مخلوق، وليس بالأمر السهل، فخصوصيات النبوه فوق التقديرات، وهنا تكمن الأسرار وموازين الأنوار.

من إرث أسرار النبوه

مما لا شک فی أن للنبوه أسراراً، وکل نبی من الأنبیاء علیهم السلام قد ورث ذلک الأوصیائه، ومنتهی و تمام و کمال الأسرار استقرت عند النبی المختارصلی الله علیه واله، وهذه الأسرار قد توارثها الأئمه الأطهار علیهم السلام، وأول الأئمه حیدرالکرار علیه السلام .

وهذه المعانی من الإشارات لا تحتاج إلی أدله وبراهین، فهی من الأمور المعروفه عند هذه الأمه، وهنا نشیر إلی حادثه بسیطه من إظهار بعض الأسرار، وهی باختصار أن عمر بن الخطاب قد حمل إلیه مال من ناحیه المشرق عندما تولی أمر المسلمین، ولم یعلم بذلک المال أحداً، وقد عزم أن یحتبسه، فبعث علی علیه السلام سلمان له فقال له:

یقول لک علی: أخرج إلیک مال من ناحیه المشرق ففرقه علی من جعل لهم ولا تحبسه فأفضحک.

قال سلمان: فأدیت إلیه الرساله .

فقال : حیرنی أمر صاحبک، من أین علم به؟

فقلت: وهل یخفی علیه مثل هذا؟

فقال لسلمان: اقبل منى ما أقول لك، ما على إلا ساحر، وإنى لمشفق عليك منه والصواب أن تفارقه وتصيرفى جملتنا.

قلت: بئس ما قلت، لكن علياً ورث من أسرار النبوه ما قد رأيت منه وما هو أكبر منه.

قال: ارجع إليه فقل له: السمع والطاعه لأمرك.

فرجعت إلى على عليه السلام فقال: أحدثك بما جرى بينكما؟

فقلت: أنت أعلم به منى.

فتكلم بكل ما جرى به بيننا ثم قال: إن رعب الثعبان فى قلبه إلى أن يموت(١).

ولا يسع المقام إلا ما قالوا: يا أبا الحسن.. جلت منا قبك عن التحديد وكثرت آثار نعتك عن التعديد(٢).

سبحان الواهب والمقدر..

فى أبحاثنا حول الأسرار والأنوار توقفت أطالع بعض الجوانب حول ولاده الحسين عليه السلام، وأثناء المطالعه تأملت بحديث ذات أبعاد وهو: عن صفيه بنت عبد المطلب قالت لما سقط الحسين من بطن أمه وكنت وليتها عليها السلام قال النبى صلى الله عليه واله: يا عمه هلمى إلى ابنى.

فقلت: يا رسول الله إنا لم ننظفه بعد.

١- بحار الأنوراج ۴١ ص ٢٥۶، وحديث الثعبان لم نذكره هنا.

٢- المصدر السابق ص٢٥٨.

فقال: يا عمه أن تظفينه؟! إ الله تبارك وتعالى قد نظفه وطهره.

وفى حدى آخر قالت صفيه بنت عبد المطلب: لما سقط الحسين عليه السلام من بطن أمه فدفعته إلى النبى صلى الله عليه واله فوضع النبى صلى الله عليه واله لسانه فى فيه وأقبل الحسين على لسان رسول الله صلى الله عليه واله يمصه.

قالت: فما كنت أحسب رسول الله يغذوه إلا لبنا أو علسلا(١).

وقفه :

من هذا الحديث الشريف نتلمس بعضاً من أسرار الحسين عليه السلام، وهى من الأسرار الظاهريه التى بدأ الحسين عليه السلام يتلقاها من أول لحظه على هذه الأرض:

الأول: لامسته يد النبى صلى الله عليه واله عندما سطع نوره فى أوائل شهر الخيرات المتشعب منه كل خير وبركه(٢)، وحضنته الأيدى الطاهره وخصه من نور فمه الطاهر ..

إن معانى هذه الخصوصيه فوق إدراكنا، وأرفع من التحليلات مهما قيل من أوصاف أو يقال من نعوت، لأن مضغ اللسان من أول لحظه فى هذا الوجود هو من الأسرار فوق إدراكنا وعقولنا وتفاسيرنا، وإن قيل: عسل ولبن، فهو غذاء سماوى ربانى.

الثانى: كان الجواب: إن الله تبارك وتعالى قد نظفه و طهره.

فالتطهير ومضغ اللسان فوق إدراك الإنسان، مع العلم أن وفود الملائكه

١- بحار الأنوار ج ٤٣ ص ٢٤٣.

٢- إشاره لحديث شريف عن شهر شعبان.

نزلت إلى الأرض لتهنئه بمولد الحسين عليه السلام.

جاء فى الحديث: إن الحسين بن على لما ولد أمر الله عزوجل جبرئيل أن يهبط فى ألف من الملائكه فيهنى رسول الله صلى الله عليه واله من الله عزوجل ومن جبرئيل(١).

إن مولوداً ينزل جبرائيل مع الملائكه للتهنئه بولادته هو فوق رسم الحروف، وأبعد من معانى الكلمات، وإنما نحاول الإشاره لذوى الألباب، لعل الأبواب تفتح لأحد.

وقفه ثانيه عند الخصوصيات

عندما نبحث فى ثنايا الأحاديث والكلمات نجد للحسين عليه السلام ميزات وخصوصيات تعجز أذهاننا عن إدراك معانيها، وإن كانت هناك إشارات لأهل الصفاء الذين سلكوا طريق الوفاء، ولعل أجيالاً قادمه من ودائع الأصلاب(٢) وأرحام الأمهات آتيه تدرك جوانباً من خصوصيات وأسرار الحسين عليه السلام.

لذلك، ولغيره، نرسم هنا بعض الأحاديث..

عن عبد الرحمن بن كثير الهاشمى قال: قلت لأبى عبد الله عليه السلام : جعلت فداك من أين جاء لولد الحسين الفضل على ولد الحسين وهما يجريان فى شرع واحد؟

فقال: لا أراكم تأخذون به، إن جبرئيل عليه السلام نزل على محمد صلى الله عليه واله وما ولد

١- بحار الأنوار ج ٤٣ ص ٢٤٣، وللحديث تتمه اختصرناها منه .

٢- راجع كتابنا حول خلق الإنسان من تراب ومعانى الأصلاب.

الحسين بعد فقال له: يولد لك غلام تقتله أمتك من بعدك.

فقال: يا جبرئيل، لا حاجه لى فيه .

فخاطبه ثلاثاً ثم دعا علياً عليه السلام فقال له: إن جبرئيل يخبرنى عن الله عزوجل أنه يولد لك غلام تقتله أمتك من بعدك .

فقال: لا حاجه لى فيه يا رسول الله .

فخاطب علياً عليه السلام ثلاثاً، ثم قال: إنه يكو ن فيه وفى ولده الإمامه والوراثه والخرانه، فأرسل إلى فاطمه عليها السلام : أن الله يبشرك بغلام تقتله أمتى من بعدى.

فقالت فاطمه: ليس لى حاجه فيه يا أبت، فخاطبها ثلاثاً ثم أرسل إليها: لابد أن يكون فيه الإمامه والوراثه والخزانه.

فقالت له: رضيت عن الله عزوجل، فعلقت وحملت بالحسين عليه السلام فحملت سته أشهر ثم وضعته، ولم يعش مولود قط لسته أشهر غير الحسين بن على وعيسى بن مريم عليه السلام.

فكفلته أم سلمه وكان رسول الله صلى الله عليه واله يأتيه فى كل يوم فيضع لسانه فى فم الحسين فيمصه حتى يروى فأنت الله عزوجل لحمه من لحم رسول الله صلى الله عليه واله ولم يرضع من فاطمه عليها السلام ولا من غيرها لبنا قط(۱)..

عجز وتنبيه

مهما كانت الكلمات والحروف تبقى أذهاننا وأفكارنا وعقولنا عاجزه عن إدراك المعانى و كليلةً عن إظهار المبانى، فكيف بنا إن كانت الكلمات عن الأسرار؟

۱- بحار الأنوار ج۴۳ ص ۲۴۵.

وعن الحسين من سلاله الأطهار، حيث عند ولادته نزلت الأملاک، وتزينت الجنان، وتزاورت حور العين، وفرح أهل السماء قبل أهل الأرض.

من هنا لا بد من التدبر فی حقائق المخلوقات، ولا بد من التعرف ولو بمقدارعلی خصوصیات الحسين عليه السلام ، هذه الخصوصيات الظاهره جعلت ذوی الألباب حائره، فعندما نتابع سيره الحسين عليه السلام من عوالم الأنوار إلی عوالم الأسرار مروراً بعوالم الأصلاب، إلی عوالم الأرحام، إلی ظواهر الدنيا، نقف شبه حائرين.

وقفه وتأملات

من يتابع سيره الحسين عليه السلام فی ظواهر حياته يقف عاجزاً، فكيف يمكن لنا الغور فی أسرار نشأته؟!

فالحسين عليه السلام قد تغذی من فم الرسول صلی الله عليه اله من اللحظه الأولی، وهذه تكفی أن يكون سر الحسين عليه السلام فوق إدراک عقولنا.

وأما أسرار الودائع والعلوم التی تشير إليها الأحاديث الشريفه ففيهارموز(۱)تبقی لأجيال قادمه.

ويكفی ما ورد من الأخبار: أن الله أخبر رسول الله صلی الله عليه واله وبشره بالحسين قبل حمله، وأن الإمامه تكون فی ولده إلی يوم القيامه ثم أخبره بما يصيبه من القتل والمصيبه فی نفسه وولده ثم عوضه بأن جعل الإمامه فی عقبه وأعلمه أنه يقتل ثم

۱- منها: حسين منی وأنا من حسين..

يرده إلى الدنيا وينصره حتى يقتل أعداءه ويملكه الأرض (۱)وهو قوله«وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِى الْأَرْضِ»(۲)

من أسرار الخصوصيات الظاهره

ليس لخصوصيات الحسين عليه السلام حدود، وإن كنا نقول: هذه ظاهره وتلك باطنه، فتبقى أسرار الحسين عليه السلام فوق الحصر وأبعد من التعداد.

لنقرأ هذا الحديث لعلنا نتلمس خيطاً من نور.

عن أم سلمه أنها قالت رأيت رسول الله صلى الله عليه واله يلبس ولده الحسين عليه السلام حله ليست من ثياب الدنيا فقلت له: يا رسول الله ما هذه الحله؟

فقال: هذه هديه أهداها إلى ربى للحسين عليه السلام ، وإن لحمتها من زغب جناح جبرئيل، وها أنا ألبسه إياها وأزينه بها، فإن اليوم يوم الزينه وإنى أحبه (۳).

لنقف مع ظواهر هذا الحديث: إن ثوب الحسين هديه، ونسجه وخيوطه من زغب جبرائيل، وهو حبيب الرسول.

مثل هذه الخصوصيات التى تأتى للحسين عليه السلام هى:

۱. من الله تعالى.

۲. ويحملها جبرائيل عليه السلام .

۳. ويوصلها سيد الكائنات صلى الله عليه واله.

۱- إشاره إلى الرجعه.

۲- الآيه ۴ من سوره القصص، والحديث فى بحار الأنوار ج ۴۳ ص ۲۴۶.

۳- بحار الأنوار ج۴۳ ص ۲۷۱.

ونجد فى معظم الأحيان الشريفه من أقوال الرسول نجد تركيز الحب للحسين عليه السلام ، هذا التركيز وهذه الخصوصيات المميزه لم تكن لأحد قط سوى الحسين عليه السلام .

بدءاً من البشاره قبل ولادته مروراً بخصوصيات الغذاء(١).

وتركيزاً على جوانب الحب.. مع مرور الزمن.. وتبشيراً بالكره، وإلهاماً بحبه للقلوب..

كل ذلك يرسم أمامنا خريطه فيها رموز وأسرار وإشعاعات أنوار تدل بوضوح أن الحسين على ه السلام قطب رحاها ومجد منتهاها.

وتكفى الإشاره فيما تقدم أن الله نظفه، وأن فيه الإمامه والوراثه والخزانه .

وقفه على باب من أبواب الخصوصيات

عندما نقرأ مراحل ما قبل ولاده الحسين عليه السلام وكيف كانت البشائرمن السماء بولاداته إلى سيد الأنبياء صلى الله عليه واله ونجد أثناء حمله فى بطن سيده النساء عليه السلام وإخبارها عن الحسين عليه السلام وهو فى الأحشاء، وأقوال الرسول صلى الله عليه واله : إنك ستدلين حجه لهذا الخلق (٢)..

وأن للحسين عليه السلام فى بواطن المؤمنين معرفه مكتومه..

ندرك من كل ذلك وغيره أن الحسين عليه السلام سر من أسرار الله فى هذه الحياه، وخصوصاً عندما نقرأ الواقع فى الحياه الدنيا، نجد أن كل ما ورد حول هذا الدين

١- كان النبى صلى الله عليه واله يغذيه من يده الشريفه.

٢- يحسن مراجعه الحديث الطويل فى بحار الأنوار ج ٤٣ص ٢٧٢.

قد تقلص من هنا أو هناك ما عدا سيره الحسين عليه السلام ، نجدها تزداد إناره وتتوهج شعاعاً. وكلما جاد الزمن بجيل من الأمانات(١)يتعلق بالحسين أكثر .

الحسين هو صفوه من الصفوه

عندما نحاول التعرف على حقائق الأشياء نجد لكل شيء صفوه خالصه، وهذا معنى جار فى جميع المخلوقات، من جماد ونبات وحيوان وإنسان.

ولا شك أن الإنسان هو صفوه المخلوقات.

وقاعده الصفوه ساريه ضمن أفراد الإنسان فى الدارين، فى الدنيا والآخره، وهذا الميزان سار على الجميع، ونتلمس ذلك بالوجدان بين أفراد الإنسان.

وهذا القانون سار أيضاً فى الملائكه عليهم السلام ، فصفوه الخلائق كلها هم الأنبياء عليهم السلام ، وصفوه الأنبياء عليهم السلام سيدهم محمد بن عبد الله صلى الله عليه واله ، وفيه ختمت النبوه.

وعندما نبحث بحثاً موضوعياً نجد أن هذه الخصوصيات وهذه الصفوه قد تجمعت بالحسين عليه السلام من كل جوانبها باستثناء النبوه، فالنور واحد، وبعد انشطاره اجتمع بالحسين عليه السلام(٢).

وقفه عند باب الصفات

يتمايز أفراد الإنسان عن بعضهم البعض فى تفاضل الصفات، وبها تتفاوت

١- المراد أمانات الله فى خلق الإنسان جيلاً بعد جيل.

٢- يحسن مراجعه أوائل البحث حول النور، ومراجعه البحار ج ۴۳ من ص٢٧٩ حول الآيه ٧۴ من سوره الفرقان: «رب هب لنا من أزواجنا ذريه»..

المراتب، سواء فی الدنیا أو فی الآخره، وهذا المعنی من الأمور الوجدانیه، وقد تسالم علیها جمیع العقلاء.

ولـذا کـان التقـدیر لکـل فرد بحسب مـا یمتلـک من الفضائـل، ومعلوم أن الفضائل درجات، ولها مراتب، ولأعلی مراتبها ما کان مقبولاً عند الله.

فعنـدما نبحث أبحاثاً موضوعیه واقعیه نبحث عن فضائل الصـفات العملیه، ومنها تأخذ الموازین، وعلیها تترتب الأحکام، سواء فی الأمور الظاهریه أو الأمور المعنویه.

لنقرأ جانباً من حدیث .. قالت فاطمه علیها السلام: یا رسول الله هذان ابناک فانحلهما.

فقال رسول الله صلی الله علیه واله: أما الحسن فنحلته هیبتی وسؤددی، وأما الحسین فنحلته سخائی وشجاعتی (۱).

عندما نقرأ حول جوانب من سیره الحسـین علیه السلام نجد کلا من الصفتین : السخاء والشجاعه، لم تکونا فی أحد بعد الحسین علیه السلام بالمرتبه التی تحققت به علیه السلام.

وهنا ندرک مغزی ما نحله إیاه النبی صـلی الله علیه واله، حیث لم یحدث التاریخ عن أحد مثل ما حصل مع الحسین علیه السلام، من سخاء وشجاعه(۲)، باستثناء النبی صلی الله علیه واله وعلی علیه السلام.

۱- بحار الأنوار ج ۴۳ ص ۲۶۴.

۲- والحدیث عن الشجاعه والسخاء فوق رسم الحروف والکلمات .

ومن يتابع هذه السيره تظهر له أسرار وأسرار.

ويكفى ما قاله صلى الله عليه واله: الحسن والحسين خير أهل الأرض بعدى وبعد أبيهما وأمهما أفضل نساء أهل الأرض(۱).

فعندما نغوص فى التنقيب حول الفضائل نجد جميع الفضائل الساميه قد تجمعت عند الحسين عليه السلام، من كل الجوانب الظاهريه منها والباطنيه، النظريه والعمليه، وهى التى استمرت وتبقى حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

إن سيره الحسن والحسين عليهما السلام قد حارت بها العقول، بل أصبحا ميزاناً للدنيا والآخره، ويكفى معنى هذا الحديث الشريف عن على عليه السلام قال: يا على لقد أذهلنى هذان الغلامان يعنى الحسن واحسين أن أحب بعدهما أحداً إن ربى أمرنى أن أحبهما وأحب من يحبهما(۲).

إن الأحاديث حول حبها من الرسول صلى الله عليه واله فوق الحصر وفوق العد، وليس لعقولنا مجال لإدراك ما ورد بحقهما، والأمر بحبهما.

لم يبق جانب من جوانب التعبير حول أرقى الأوصاف إلا وجاء حول الأمر بالاقتداء بسيره الحسن والحسين عليهما السلام، ولا شك أننا نعجز عن الأبعاد الحقيقيه لمعانى ما ورد بحقهما. وبالحسين خصوصاً: حسين منى وأنا من

حسين.

وقفه:

عندما نقرأ أو نبحث حول الظواهر فقط، نجد ما هو أبعد من إدراك

۱- بحار الأنوار ج ۴۳ ص ۲۶۴.

۲- بحار الأنوار ج۴۳ ص ۲۶۹.

العقول:

عند الولاده .. التنظيف من الله..

وعند اللباس.. من ثياب الجنه..

والخياط .. رضوان خازن الجنان..

وعند التهنئه.. أفواج الملائكه..

وعند المناغات.. جبرائيل عليه السلام..

وعند المشى.. على أكتاف النبى..

فهل بقى شىء فوق ذلك؟ من هنا تكمن الأسرار .

إن لأهل البيت علهم السلام أسراراً فوق المحسوسات، ومن يتابع من البدايه إلى النهايه يتلمس شيئاً من حقائق الأسرار.

هذه الحقائق النورانيه يحتاج النظر إليها إلى بصائر صافيه، وإلى عقول نيره، وإلى نفوس لم تتلوث بأوحال الدنيا، لأن الأسرار والأنوار لم يحملها أو يتحملها أى مخلوق، لأن هذا الكون ليس ما هو مادى فحسب، بل هو قائم على أسرار وأنوار.

الأسرار والأنوار

عندما نقرأ لفظ نور أو سر .. يتبادر إلى أذهاننا فوراً المحسوسات، ولكن فى الواقع هذه الألفاظ ما هى إلا إثارات لما هو أبعد من المحسوسات، والإنسان مهما حاول أن يتعرف على حقائق الوجود يبقى العجز حليفه، بل حتى لو عرف شيئاً ما فى هذه الدنيا لا يعدو أن يكون ومضه من إشعاعات.

ص: ٣٤٠

وهنا نقف لنقرأ بهدوء هذه الآيه :«اللَهُ يَصْطَفِى مِنَ الْمَلَائِكَهِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ ۚ إِنَّ اللَهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ»(۱).

هذا الاصطفاء ليس لأى مخلوق دور فيه، ولا ندرك منه إلا ما هو الظاهر، أما ما هو أبعد من الظاهر فلا ندرك منه شيئاً.

فالرسل من الملائكه للأنبياء عليهم الصلاه والسلام، والرسل من الناس البقيه المخلوقات، ونقطه الارتكاز تدور حول الإنسان، فالإنسان فى هذا الكون أو جده الله سبحانه لحكمه بالغه، وجعله ملتقى لكل ما هو مخلوق، وحيث أن الإنسان مركب من جوانب عديده، ومنها الجوانب السلبيه، شاء الله سبحانه أن يرسل الرسل للعباد مبشرين ومنذرين لهدايتهم إلى الطريق القويم، لذلك اختار سبحانه من مخلوقاته أصفياء قد اصطفاهم على علم ليكونوا أدله وشهوداً ونموذجاً رفيعاً ليقتدى بهم بقيه العباد.

فالاصطفاء من الملائكه خاص للرسل والأنبياء عليهم الصلاه والسلام، والأنبياء عليهم السلام يرشدون الناس إلى الصراط المستقيم.. فالحسين عليه السلام قد تجمع فيه كل ما تقدم من الصفوه، ومنه استمرت فى الأئمه عليهم السلام(۲).

إشاره من النصوص حول الأئمه

ثبت بما لا شك فيه نص النبى صلى الله عليه واله على إمامه الإثنى عشر عليهم السلام(۳).

۱- الحج ۷۵.

۲- بمعنى أن الصفوه لم تنقطع فالأئمه عليهم السلام امتداد للهدايه .

۳- من أراد التفاصيل فليراجع كتب الفريقين من المسلمين يجد الكثير من النصوص.

عن ابن عباس فی قوله تعالی «(۱)قال هم أهل بیت رسول الله صلی الله علیه اوله:

علی بن أبی طالب وفاطمه والحسن والحسین وأولادهم إلی یوم القیامه هم صفوه الله وخیرته من خلقه(۲).

وهنا نرسم هذا الحدیث لذوی النهی، وهو:

عن سعید بن جبیر فی قوله تعالی« والذین یقولون ربنا هب لنا من أزواجنا و ذریاتنا»الآیه، قال: نزلت هذه الآیه والله خاصه فی أمیر المؤمنین علیه السلام .

قال: کان أکثر دعائه یقول:« ربنا هب لنا من أزواجنا»یعنی فاطمه «وذریاتنا»الحسن والحسین قره أعین.

قال أمیر المؤمنین علیه السلام : والله ما سألت ربی ولداً نضیر الوجه، ولا سألته ولداًحسن القامه، ولکن سالت ربی ؤلداً مطیعین لله خائفین وجلین منه، حتی إذا نظرت إلیه وهو مطیع لله قرت به عینی.

قال:«واجعلنا للمتقین إماماً»قال: نقتدی بمن قبلنا من المتقین فیقتدی المتقون بنا من بعدنا.

وقال الله:«أؤلئک یجزون الغرفه بما صبروا»یعنی علی بن أبی طالب والحسن والحسین وفاطمه «ویلقون فیها تحیه وسلاماً خالدین فیها حسنت مستقرا ومقاماً».

۱- النحل ۵۹.

۲- بحار الأنوار ج۴۳ ص ۲۷۹.

وقد روى أن «والتين والزيتون»نزلت فيهم.

وعن الصادق عليه السلام : فى قوله تعالى «يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نوراً تمشون به »قال: الكفلين الحسن والحسين والنور على.

وفى روايه سماعه عنه عليه السلام: «ونوراً تمشون به »قال: إماما تأتمون به فى محبه النبى صلى الله عليه واله لهما(۱).

وعن أبى هريره: قال النبى صلىالله عليه واله: من أحب الحسن والحسين فقد أحبنى ومن أبغضهما فقد ابغضنى(۲).

وفى جامع الترمذى وفضائل أحمد وشرف المصطفى وفضائل السمعانى وأمالى ابن شريح وإبانه ابن بطه أن النبى صلى الله عليه واله أخذ بيد الحسن والحسين فقال : من أحبنى وأحب هذين وأبا هما وأمهما كان معى فى درجتى فى الجنه يوم القيامه .

وقد نظمه أبو الحسين فى نظم الأخبار فقال

أخذ النبى يد الحسين و صنوه*** يوماً وقال وصحبه فى مجمع

من و دنى يا قوم أو هذين أو*** أبويهما فالخلد مسكنه معى(۳)

ومثل هذه النماذج من الأحاديث لا حصر لها فى مجامع الأحاديث الشريفه(۴).

۱- بحار الأنوار ج۴۳ ص ۲۷۹.

۲- بحار الأنوار ج۴۳ ص ۲۸۰.

۳- بحار الأنوار ج ۴۳ ص ۲۸۰.

۴- فلتراجع كتب الأوائل.

الحسن والحسين صفوه الله

لكل شيء فى هذا الوجود مصدر يرتكز الباحث عليه، ومصادر ما فى الكون تنتهى إلى الأنبياء عليهم السلام، وعندما نحاول أن نبحث فى موضوع يتعلق بالسر والأسرار لا بد لنا من الرجوع والأخذ مما ورد عن النبى المختار صلى الله عليه واله، حيث لم يسر إلى السماء سوى سيد الأنبياء صلى الله عليه واله، وقد جاب السماوات وما فيها، وقد أخبرنا عن كثير مما شاهد فى ذاك العالم، ومعلوم أن أخبار السماء من الأنبياء.

ومماورد مرفوعاً إلى ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه واله : ليله عرج بى إلى السماء رأيت إلى باب الجنه مكتوباً: لا إله إلاـ الله محمد رسول الله صلى الله عليه واله، على حبيب الله، الحسن والحسين صفوه الله، فاطمه أمه الله، على باغضيهم لعنه الله(١).

الإصطفاء سر من الأسرار

عندما يبصر العقل الإنسانى فى هذا الوجوديرى لكل شيء سراً من الخالق المعبود، ومن هذه الأسرار ما هو ظاهر للحواس، ومنها ما لا يزال كامناً فى عوالم الغيب، ومنها ما نعرف منه الإسم فقط، مثل اسم الجنه..

كل هذه الأشياء قد دل عليها العقل تارةً والشرع تاره أخرى، والشرع يعرف من الرسل والأنبياء عليهم السلام، ومن هنا نحاول أخذ إشارات ترمز إلى الكثير من أسرار هذا الكون الذى جعل الله سبحانه بإزائه العقل..

فالعقل الكامل أودعه الله تعالى عند الذين اصطفاهم واختارهم، وخصهم بخصائص فى الدارين..

١- بحار الأنوار ج ۴۳ ص ۳۰۳.

لنقرأ هذا الحديث بتدبر، قال صلى الله عليه واله: إ ن الجنه تشتاق إلى أربعه من أهلى قد أحبهم الله وأمرنى بحبهم: على بن أبى طالب والحسن والحسين والمهدى صلوات الله عليهم الذى يصلى خلفه عيسى بن مريم ع(١).

وقفه:

الجانب الأول: الجنه سر من الأسرار، وكل ما نعرف عنها أنها موجوده نؤمن بها، وأنها جزء من وجود الكون الفسيح الذى بدأ العلم يكتشف المعات وإشارات عن الأبعاد الواقعيه له.. وهو الكون الملىء بالأسرار.

الجانب الثانى: وأمر آخر ذكر فى الحديث وهو: حب الله..

هذا الحب تكمن فيه كل أسرار الوجود، وعندما نقول: حب، فمعنى ذلك أن هناك محبوب يستحق هذا الحب من علام الغيوب .

حيث الحقائق الكامنه مكشوفه هنا، فهو الصانع والمبدع والخالق والمكون، فيقع الحب على ذوى شأن رفيع، ومعنى بديع، والمخبر عن كل ذلك «لا ينطق عن الهوى»(٢).

الجانب الثالث: فى الحديث وهو الأمر بحبهم عليهم السلام ، وهذا الأمر إلزامى، بل هو فوق الواجبات، لأنه ليس فوق وبعد الحب الحقيقى أمر آخر، بل منتهى الحب فوق كل اعتبار.

وعندما نتدبر الآمر وحقيقه المأمور و متعلق الأمر بالحب تتضح لنا الكثير من أسرار هذا الوجود، ومن هذه الأسرار ندرك أن هؤلاء الأربعه أركان لمستودع

١- بحار الأنوار ج٤٣ ص ٣٠٤.

٢- وتفاصيل هذا البحث ليست هنا، إنما ساقه التداعى، فأمل أن يكون القارئ متنبها لذلك.

الأسرار من العليم المختار.

الجانب الرابع: أن المهدى عجل الله فرجه، الذى انتهت إليه أمانات الأسرار هو الذى يصلى خلفه نبى من أنبياء الله سبحانه، بقيت رسالته متصله برساله سيد الأنبياء صلى الله عليه واله ، وهذه أبعاد ومعان جامعه لكل المبدأ والمنتهى فى مسيره الأنبياء عليهم السلام ، فهذه الصفوه التى اختارها الله سبحانه قد مهدت الطريق للإمام المهدى عجل الله فرجه.

سلسله الأنوار

إن البحث حول الأسرار والأنوار هو فوق تقدير الأفكار، فلا بد من التبصر فى الحقائق الواقعه على الأرض، فقدنقرأ حديثاً ما ولا ندرك الإشارات والتنبيهات بمعانى حروفه، فالحسين عليه السلام هو نقطه الارتكاز والارتباط بكل مسيره الحياه(۱). فعندما نقرأ الواقع نجد أنه عليه السلام قطب الرحى، فالحسين عليه السلام كما أنه قد اجتمعت فيه سلسله الأنوار، كذلك استمر هذا النور إلى السلسله الذهبيه من الأئمه عليهم السلام،إلى صاحب العصر عجل الله فرجه.

ومن هنا تبدأ المسيره للحياه الجديده على هذه الأرض، والتى تتحقق فيها مسيره القسط والعدل(۲).

لنقرأ هذا الحديث مع قراءه الواقع، ومنه تنفتح كوه نور لذوى الأبصار، وندرك ومضات للمستقبل...

۱- وقد تقدم انتهاء النور للحسين عليه السلام، ونشير هنا إلى المستقبل.
۲- إشاره لما هو معروف مشهور من أنه عليه السلام يملأ الأرض قسطاً وعدلاً.

عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال الحسين عليه السلام : التاسع من ولدك يا حسين هو القائم بالحق المظهر للدين الباسط العدل.

قال الحسين عليه السلام: فقلت: يا أمير المؤمنين، وإن ذلك لكائن؟

فقال عليه السلام: إي والذى بعث محمداً بالنبوه واصطفاه على جميع البريه، ولكن بعد غيبه وحيره لا تثبت فيها على دينه إلا المخلصون المباشرون لروح اليقين، الذين أخذ الله ميثاقهم بولايتنا وكتب فى قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه(۱).

فعندما نقرأ الواقع بإنصاف نجد أن سيره الحسين عليه السلام قد تجاوزت أتباعه ومحبيه إلى كل بقاع الأرض، بل أصبح الحسين عليه السلام رمزاً عالمياً لجميع شعوب الأرض، وقد بدأت شراره الصراع بين الحق والباطل.

قد نقرأ بعضا من آيات أو بعضا من أحاديث، ولكن قليلا ما نقرأ ما يحصل على أرض الواقع، أو ما فيه إشارات للمستقبل.

فقد نشرق ونغرب فى المواعظ، ولكن كثيراً ما لا نحسن ربط الماضى بالحاضر والمستقبل، ومن هنا وقعت البشريه فى حيره من أمرها، وخصوصاً فى هذه الأمه التى تنكبت عن الصراط، وتاهت كما تاه فى سيناء من تاه..

لنقرأ هذا الحديث: عن أبى عبد الله جعفر بن محمد عن آبائه عليهم السلام قال :زاد الفرات على عهد أمير المؤمنين عليه السلام فركب هو وابناه الحسن والحسين عليهم السلام فمربثقيف فقالوا: قد جاء على يرد الماء.

فقال على عليه السلام: أما والله لأقتلن أنا وابناى هذان وليبعثن الله رجلاً من

۱- بحار الأنوار ج ۵۱ ص ۱۱۰.

ولدی فی آخر الزمانییطالب بدمائنا ولیغیبن عنهم تمییزاً لأهل الضلاله حتی یقول الجاهل: ما لله فی آل محمد من حاجه(۱).

حدیث جامع

عندما نحاول الکتابه حول الأسرار کثیراً ما تجنح بنا الأفکار، وها نحن نجدد عهدنا بالکتابه بعد أن کنا فی ظلال القرآن فی شهر رمضان، ونبدأ بحدیث یتعلق بصاحب الزمان عجل الله فرجه.

عن سعید بن جبیر عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلی الله علیه واله :

علی بن أبی طالب علیه السلام إمام امتی وخلیفتی علیهم بعدی، ومن ولده القائم المنتظر الذی یملا الله عزوجل به الأرض عدلا وقسطاً کما ملئت جوراً وظلماً.

والذی بعثنی بالحق بشیراً، إن الثابتین علی القول به فی زمان غیبته لأ عزمن الکبریت الأحمر.

فقام إلیه جابر بن عبد الله الأنصاری فقال: یا رسول الله، وللقائم من ولدک غیبه؟

فقال: إی وربی، ولیمحص الله الذین آمنوا ویمحق الکافرین.

یا جابر إن هذا الأمر من أمر الله و سرمن سر الله مطوی عن عباده؛ فإیاک والشک فی أمر الله فهو کفر(۲).

إن الأحادیث الأسرار إشارات ومعانی رفیعه عند أفکار الأخیار، لذلک

۱- بحار الأنوار ج ۵۱ ص ۱۱۲.

۲- بحار الأنوار ج ۵۱ ص ۷۳.

جعلت عنـد أهلها، ويعرف ذلك من المواقع على مر العصور والـدهور، ويظهر الأمر فى هذه الأزمنه أكثر مما مضـى، وخصوصـاً عصـر العولمه، وهنـا نتوجه لـذوى العقول بحـديث أجمعت الأمه على مضامينه ومعانيه وهو قول الرسول صـلى الله عليه واله : من أنكر القائم من ولدى فقد أنكرنى(١).

وفى حديث آخر: من أنكر القائم من ولدى فى زمان غبيه مات ميته جاهليه(٢).

إن مسـيره الحياه مليئه بكثير من الأسرار، وأدق ما فيها كامن فى الإنسان، فعندما نخوض فى لجج التاريخ نجد ما كان سراً وخافياً قـد ظهر وتحقق، ومنهـا مسـيره الأنبياء والأولياء عليهم السـلام، فقـد أخبر هؤلاء عن حقائق لم تكن ظاهره وموجوده فى أزمنتهم، ولكن فيما بعد ظهرت إلى عالم الوجود الخارجى.

فعنـدما تقرأ أحاديث عن النبى محمد صـلى الله عليه واله فيها إخبارات عما هو قادم نجد أن ذلك قد تحقق وحصل تماماً، ومثل هذا لا ينكره عاقل منصف.

ومما جـاء فى الأخبار عما جرى للحسـين عليه السـلام فى كل مراحل حياته، نجـد أن ذلك قـد وقع بالفعل، ومن الأخبار ما جاء حول القائم المنتظر عليه السلام، وأنه سوف يملأ الأرض قسطاً وعدلاً.

عن أبى سـعيد الخـدرى قال: سـمعت رسول الله صـلى الله عليه واله يقول على المنبر: إن المهدى من عترتى من أهل بيتى يخرج فى آخر الزمان، تنزل له السماء قطرها وتخرج

١- بحار الأنوار ج ٥١، ص ٧٣.

٢- بحار الأنوار ج ٥١ ص ٧٣.

له الأرض بها فيملا الأرض عدلاً وقسطاً كما ملأها القوم ظلماً وجوراً(۱).

مثل هذا الحديث أحاديث أخرى متواتره متفق عليها بين جميع علماء وعقلاء الأمه، وهى كثيره جداً ومتنوعه، وهى سر من الأسرار، و جميع الأسرار قد تجعت عند الحسين عليه السلام، وهو قطب رحاها.

ومن هذه الأسرار ما قد ظهرت وتحقق، ومنها ما لم يزل فى عوالم الغيب، ومنها ما تظهر بوادره فى هذه الأزمنه، ونحن نرى تباشير العلامات قريبه، وإن كان يرى الآخرون أنها بعيده، فالبصر والبصيره تتفاوت بين الناس، والحق يعرف عند أهله، والأسرار فى مخزن الأبرار.

طرف من حديث

قال رسول الله صلى الله عليه واله لفاطمه: يا بنيه، إنا أعطينا أهل البيت سبعاً يعطها أحد قبلنا:

نبينا خير الأنبياء وهو أبوك.

ووصينا خير الأوصياء وهو بعلك.

و شهيدنا خير الشهداء وهو عم أبيك حمزه.

ومنا من له جناحان كان خضيبان يطير بهما فى الجنه وهو ابن عمك جعفر .

ومنا سبطا هذه الأمه وهما ابناك الحسن والحسين.

ومنا والله الذى لا إله إلا هو مهدى هذه الأمه الذى يصلى خلفه عيسى ابن

۱- بحار الأنوار ج ۵۱ ص۷۴.

مريم.

ثم ضرب بيده على منكب الحسين عليه السلام فقال : من هذا، ثلاثاً(۱).

من هنا ندرك أن الحسين عليه السلام هو نقطه الارتكاز لما سبق ولما هو آت، وعنده معادن أسرار الكائنات، وهذه الأسرار لا بد من إظهارها وتحقيق معانيها.

إن التعرف على أسرار الحسين عليه السلام يؤخذ من أحاديث السماء، وهى التى جاء بها جبرائيل إلى النبى صلى الله عليه واله، وكثيراً ما نرسم مثل هذه الأحاديث دون الخوض بتفاسير معانيها، لأنا نرى أنها داله على خصوصيات لأهل البيت عليهم السلام ، حيث أنهم لا يقاس بهم أحد، وهم صفوه الخلائق، وإن الحديث عن الأسرار هو فوق معادلات الأفكار، وإنما ندرك بعض ما تحقق من تلك الأحاديث التى هى بمثابه إشارات لذوى العقول.

وهنا نرسم هذا الحديث الجامع لأسمى الفضائل لأربابها:

عن أبى عبد الله عليه السلام قال: خرج النبى صلى الله عليه اوله ذات يوم وهو مستبشر يضحك سروراً، فقال له الناس: أضحك الله سنك يا رسول الله وزادك سروراً.

فقال رسول الله صلى الله عليه واله: إنه ليس من يوم ولا ليله إلا ولى فيهما تحفه من الله،ألاوإن ربى أتحفنى فى يومى هذا بتحفه لم يتحفنى بمثلها فيما مضى.

إن جبرئيل عليه السلام أتانى فأقرأنى من ربى السلام وقال: يا محمد ان الله جل وعز اختار من بنى هاشم سبعه لم يخلق مثلهم فيم مضى ولا يخلق مثلهم فيمن بقى:

أنت يا رسول الله سيد النبيين .

۱- بحار الأنوار ج ۵۱ ص ۷۶.

وعلى بن أبى طالب وصيك سيد الوصيين.

والحسن والحسين سبطاك سيدا الأسباط .

وحمزه عمك سيد الشهداء .

وجعفر ابن عمك الطيار فى الجنه يطير مع الملائكه حيث يشاء.

ومنكم القائم يصلى عيسى ابن مريم خلقه إذا أهبطه الله إلى الأرض من ذربه على وفاطمه ومن ولد الحسين عليه السلام(١).

من هذا الحديث ندرك الأسرار التى استقرت عند الحسين عليه السلام ، حيث كانت البدايه تشير إليه، والنهايه تكون باسمه، لأن القائم عجل الله فرجه الشريف يصلح العالم بسيره الحسين عليه السلام، ويأخذ الثأر من كل من ظلم الحسين عليه السلام، وليس للبشريه صلاح وإصلاح إلا بمسيره الحسين عليه السلام ، وهنا الأسرار.

عندما نحاول البحث فى الأحاديث الشريفه نجد بعضها مفصلاً وبعضها مختصراً.

ومنها ما قاله رسول الله صلى الله عليه واله: نحن بنو عبد المطلب سادات أهل الجنه أنا وأخى على وعمى حمزه وجعفر والحسن والحسين والمهدى (٢).

من مصدر الأسرار

إن الحياه لدى الإنسان كلها أسرار، بدءً من وجوده، مروراً بكل حياته،

١- بحار الأنوار ج ٥١ ص ٧٨.

٢- بحار الأنوار ج ٥١، ص ٨٣.

وهذه الأسرار تظهر تدريجياً، وهذا التدرج لحكمه من خالق الأكوان والإنسان، ووجه الحكمه يتناسب وطبيعه هذه الحياه.

فعندما نغور فى الأبحاث عن مسيره الإنسان نجد أن الأنبياء عليهم السلام قد بعثهم الله لصلاح وإصلاح الحياه لمسيره الإنسان، فكان خاتمهم سيد الأنبياء صلى الله عليه واله ، فالأسرار عرفت منهم، وكان كل نبى يخبر أمته بما يأتى، ويبشر بمن يكون الإصلاح على يديه، وهذا ما حصل بالفعل على أرض الواقع، والحياه لم تزل مستمره ومحورها مسيره الإنسان.

وعندما نقرأ الواقع المعاش فى عصرنا الحاضرنجد أن الفساد قد استفحل فى مسيره البشريه، والظلم قد أطمس الحقائق، والجور قد أعمى الخلائق.

وبحسب قاعده الحكمه، وأنه لا بد من الصلاح والإصلاح، ندرك بحكم العقل قبل النقل أنه لا بد من مصلح عالمى يصلح مسيره البشريه، ومثل هذا المصلح متسالم عليه عند جميع العقلاء، وعند أرباب الشرائع والأديان على اختلاف و تنوع مشاربهم ومذاهبهم، والكل يتوقع ظهوره، ولكن كل يتمناه على هواه.

ولكن نقول: لا بد من مصدر لتعيين ذلك، وقد ثبت عن خاتم الأنبياء صلى الله عليه و اله أن المصلح العالمى من ذريه الحسين عليه السلام ، لذلك نقول: مصدر الأسرار عند الأئمه الأطهار، وهذا ثابت بالنص الصريح.

عن على بن أبى طالب عليه السلام قال: قلت: يا رسول الله صلى الله عليه واله، أمنا آل محمد المهدى أم من غيرنا؟

فقال رسول الله صلى الله عليه واله: لا بل منا يختم الله به الدين كما فتح بنا، وبنا ينقذون

من الفتنه كما أنقذوا من الشرك، وبنا يؤلف الله بين قلوبهم بعد عداوه الفتنه كما ألف بين قلوبهم بعد عداوه الشرك، وبنا يصبحون بعد عداوه الفتنه إخواناً كما أصبحوا بعد عداوه الشرك إخواناً فى دينهم(۱)..

هذه الأحاديث تشير إلى الأسرار الآتيه حول إصلاح هذه الأرض وصلاح البشريه فى مسيرها الطويل وهو المتوقع حتماً بدون شك.

أسرار الحسين لا نهايه لها

كلما انطوت الأيام والسنون بدأت تبزغ أنوار الأسرار، وكلما لاح لنا خيط من نور كلما انفتحت كوه ينساب منها شعاع ضياء الحسين عليه السلام ، فكأنه عليه السلام قد اجتمع فيه ما هو سابق وما هو لاحق، فقد عرفنا فيما تقدم أن أنوار الولايه والهدايه قد استقرت عند الحسين عليه السلام،والآن نحاول التعرف على ما هو آت لصلاح الأمه وإقامه العدل على هذه الأرض.

عن أمير المؤمنين أنه قال للحسين عليه السلام : التاسع من ولدك يا حسين هو القائم بالحق المظهر للدين الباسط للعدل.

قال الحسين عليه السلام : فقلت يا أمير المؤمنين، وإن ذلك لكائن؟

فقال عليه السلام: إى والذى بعث محمداً بالنبوه واصطفاه على جميع البريه، ولكن بعد غيبه وحيره لا تثبت فيها على دينه إلا المخلصون المباشرون لروح اليقين الذين أخذ الله ميثاقهم بولايتنا وكتب فى قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه(۲).

۱- بحار الأنوار ج ۵۱ ص ۹۳ وهو من الأحاديث المتفق على صحتها.

۲- بحار الأنوار ج ۵۱ ص ۱۱۰.

عندما نذكر حديثاً هنا وحديثاً هناك نجد فى كل كلمه أسراراً تتضمن أبعاداً واقعيه تتعلق بأسرار بقاء هذه الرساله السماويه، التى كان حدوثها على يد سيد الكائنات صلى الله عليه واله، وقد ثبت أن عله بقائها على يد الحسين عليه السلام ، ومن هنا تنساب الأنوار ونتلمس إظهار الأسرار.

فعندما نقرأ واقع الحياه فى عصر النبى صلى الله عليه واله إلى وقتنا الحاضر نجد أن إحياء وتجديد وبقاء هذا الدين القويم يعود إلى سر الحسين عليه السلام ، ونجد أيضاً فيما تواترعن النبى صلى الله عليه واله أن الحسين عليه السلام هو قطب رحى هذا الدين بقاءً، وهذه المعانى متضمنه بأسرار من أحاديث النبى المختار، ومنها عن على حيدر الكرار، مع حذف الأسانيد... فكان إذا أقبل ابنه الحسن يقول: مرحباً بابن رسول الله وإذا أقبل الحسين يقول: بأبى أنت يا أبا اين خيره الإماء.

فقيل: يا أمير المؤمنين ما بالك تقول هذا للحسن وهذا للحسين؟ ومن ابن خيره الإماء؟

فقال: ذاك الفقيد الطريد الشريد م ح م د بن الحسن بن على بن محمد بن على بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين هذا ووضع يده على رأس الحسين عليه السلام(١).

وفى حديث آخر: كيف أنتم إذا بقيتم بلا إمام هدى ولا علم يرى يبرأ بعضكم من بعض(٢).

وهنا نرسم حديثاً لذوى العقول: زاد الفرات على عهد أمير المؤمنين عليه السلام

١- بحار الأنوار ج ٥١ ص ١١٠.

٢- بحار الأنوار ج ٥١ ص ١١١.

فركب هو وابناه الحسن والحسين عليهم السلام فمر بثقيف فقالوا: قد جاء على يرد الماء.

فقال على عليه السلام: أما والله لأقتلن أنا وابنای هذان، وليبعثن الله رجلاً من ولدی فی آخر الزمان يطالب بدمائنا، وليغيبن عنهم تمييزاً لأهل الضلاله حتى يقول الجاهل: ما لله فی آل محمد من حاجه(۱).

من الأسرار أربعه عشر نوراً

هذه الأنوار قبل خلق الخلق، وهذا الحديث من أسرار الأنوار، وقد تقدم فی أوائل الأبحاث جانب من الأنوار، أی قبل أن يخلق الله المخلوقات، وهنا نشير إلى حديث فيه تفاصيل عن القائم عجل الله فرجه، وهو من عوالم الأسرار.

قال الصادق عليه السلام : إن الله تبارك وتعالى خلق أربعه عشر نوراً قبل خلق الخلق بأربعه عشر ألف عام فهی أرواحنا.

فقيل له: يا ابن رسول الله ومن الأربعه عشر؟

فقال : محمد وعلى وفاطمه والحسن والحسين والأئمه من ولد الحسين عليهم السلام ، آخرهم القائم الذی يقوم بعد غيبته فيقتل الدجال ويطهر الأرض من كل جور وظلم(۲).

وقد روى عن نبی الله موسى عليه السلام الحديث التالی:

عن وهب بن منبه قال : إن موسى عليه السلام نظر ليله الخطاب إلى كل شجره فی الطور و كل حجر ونبات تنطق بذكر محمد واثنی عشر وصياً له من بعده، فقال

۱- بحار الأنوار ج ۵۱ ص ۱۱۲.

۲- بحار الأنوار ج ۵۱ ص ۱۴۴.

موسى: إلهى لا أرى شيئاً خلقته إلا وهو ناطق بذكرمحمد وأوصيائه الإثنى عشر فما منزله هؤلاء عندك؟

قال : يا ابن عمران إلى خلقتهم قبل خلق الأنوار و جعلتهم فى خزانه قدسى، يرتعون فى رياض مشيتى، ويتنسمون من روح جبروتى، ويشاهدون أقطارملكوتى، حتى إذا شئت مشيتى أنفذت قضائى وقدرى.

يا ابن عمران، إنى سبقت بهم استباقى حتى أزخرف بهم جنانى.

يا ابن عمران تمسك بذكرهم فانهم خزنه علمى وعيبه حكمتى ومعدن نورى(۱)..

عندما يتأمل العاقل بكل سيره الحسين عليه السلام، يجد أن العلم والحكمه ومعادن النور قد تجمعت عند الحسين عليه السلام، حتى أن ما يأتى به القائم عجل الله فرجه هو شعار: يا لثارات الحسين.

النجاه مضمونه لشيعه آل بيت محمد

عندما نحاول أن نتأمل جيداً فى مسيره هذه الحياه، نجد أن لكل شىء صفوه، بدءًمن النبات، مروراً بالمعادن وصولاً للحيوان، وقوفاً عند واقع الإنسان.

فالصفوه لها خصوصيه ميزتها عن غيرها، وأفراد الإنسان متفاوته باستمرار من جيل إلى جيل، ومن زمان إلى آخر، ومن مكان إلى مكان.

من هنا ندرك الفوارق، فعندما نقرأ سيره الحياه لبنى البشر نجد أن الصفوه

۱- بحار الأنوار ج ۵۱ ص ۱۴۹.

منهم أقل عدداً وأعظم شأناً، بدءً من الأنبياء عليهم السلام مروراً بالأوصياء والأولياء، إلى الأتباع لهم، عليهم السلام جميعاً.

ففى هذه الأزمنه ختمت النبوات والرسالات بسيد الكائنات صلى الله عليه واله ، فماذا جرى من بعده؟

الذين ثبتوا على الحق هم دون القليل، واستمرت المسيره إلى عصر غيبه القائم عجل الله فرجه، والثابتون اليوم أقل من القليل(١)..

سئل الإمام موسى بن جعفر عليه السلام: يا ابن رسول الله أنت القائم بالحق؟

فقال: أنا القائم بالحق، ولكن القائم الذى يطهر الأرض من أعداء الله ويملؤها عدلاً كما ملئت جوراً هو الخامس من ولدى.

له غيبه يطول أمدها خوفاً على نفسه يرتد فيها أقوام ويثبت فيها آخرون.

ثم قال عليه السلام: طوبى لشيعتنا المتمسكين بحبنا فى غيبه قائمنا الثابتين على موالاتنا والبراءه من أعدائنا، أولئك منا ونحن منهم، قد رضوا بنا ائمه ورضينا بهم شيعه، وطوبى لهم، هم والله معنا فى درجتنا يوم القيامه(٢).

فعندما نقرأ واقع البشريه اليوم نجد نسبه الشيعه الأقل عدداً، وعندما نجرى عليهم استطلاعاً نجد أقل القليل ممن هو ثابت على ولايه القائم المنتظر عجل الله فرجه، ومن هؤلاء يتغربل الكثير..

من هذا الحديث وشبهه ندرك مضامين أحاديث الحق الوارده فى سياق

١- أى عندما نأخذ نسبتهم من أعداد البشر اليوم.

٢- بحار الأنوار ج ٥١ ص ١٥١.

الثبات، منها ما معناه أن الثبات على الحق أصعب من الوصول إليه، وندرك أيضاً معانى انتظار الفرج.

إن قراءه واقع الحال أبعد وأكبر من قراءه الحروف والكلمات، وخصوصاً فى عصرنا الحاضر، حيث تتزاحم الجيوش على حرب المسلمين وخصوصاً فى بلاد الرافدين (العراق)، والمؤامرات من كل حدب وصوب(١)..

مواقف الحسين وامتثاله

عندما نحاول أن نقرأ واقع الحياه نجد فى كل شىء ظاهراً وباطناً، وكثيراً ما نقف عند ظواهر الأشياء ولا نقف فى بواطن الأمور، مع أن الظواهر أثر لما هو باطن.

وهذه المعانى كامنه فيها هو محسوس وفيما هو وراء المحسوس، ولذلك لا يكون التطبيق دائماً واقعاً على حقائق الأمور، وخصوصاً عندما نحاول تقييم أعمال معينه.

ففى هذه الأزمنه نجد كثيراً ممن كتب ويكتب عن مواقف الحسين عليه السلام ، نراه يقف عند ما هو ظاهر فقط، ويقيم هذا الظاهر بمقدار ما يقرأ من واقع الحياه التى يمارسها الناس.

من هنا وقع كثير منهم بتقييمات قاصره ومشوهه لمواقف الحسين عليه السلام ، وماجرى معه على أرض الواقع، ولكن عندما نحاول أن نقرأ الباطن قبل الظاهر

١- كانت كتابه هذه الأسطر فى ٢٣ شباط ٢٠٠٣ الموافق ل ٢٢ ذى الحجه ١٤٢٣ للهجره، ونسجل للتاريخ أن الحرب واقعه عن قريب، والفتن تتراكم، والإحباط عند الكثيرين، ولكن نحن نتفاءل... وقد اندلعت فعلاً حرب العراق بعد فتره وجيزه من هذا التاريخ: أقل من شهرين.

يمكن لنا أن ندرك ما هو أبعد مما نراه.

من أسرار خبر اللوح

امتثل الحسين عليه السلام خطاباً خاطبه الله به فى صحيفه مكتوبه له خاصه، هذه الصحيفه جاء بها جبرائيل عليه السلام وأودعها عند النبى صلى الله عليه واله، ثم سلمها النبى صلى الله عليه واله إلى على عليه السلام، ثم سلمها على عليه السلام إلى الحسن عليه السلام، ثم سلمها الحسن المجتبى عليه السلام للحسين عليه السلام عند وصيته، فامتثل خطاباً خاصاً من تكاليفه الخاصه(١).

وهنا نذكر حرفياً هذه الوصيه مما يتوفر لدينا من مصادر ..

عن أبى عبد الله الصادق عليه السلام قال: إن الله عز وجل أنزل على نبيه كتاباً قبل أن يأتيه المؤت فقال: يا محمد هذا الكتاب وصيتك إلى النجيب من أهل بيتك.

فقال: ومن النجيب من أهلى يا جبرئيل؟

فقال: على بن أبى طالب عليه السلام، وكان على الكتاب خواتيم من ذهب فدفعه النبى صلى الله عليه واله إلى على عليه السلام وأمره أن يفك خاتماً منها ويعمل بما فيه، ففك عليه السلام خاتماً وعمل بما فيه.

ثم دفعه إلى ابنه الحسن عليه السلام ففك خاتماً وعمل بما فيه.

ثم دفعه إلى الحسين عليه السلام ففك خاتماً فوجد فيه أن: اخرج بقوم إلى الشهاده فلاشهاده لهم إلا معك، واشر نفسك لله عزوجل، ففعل.

ثم دفعه إلى على بن الحسين عليه السلام ففك خاتماً فوجد فيه: اصمت والزم

١- راجع خصائص الحسين عليه السلام للشيخ جعفر التسترى من ص ١۴۶.

منزلك واعبد ربك حتى يأتيك اليقين، ففعل.

ثم دفعه إلى محمد بن على عليه السلام ففك خاتماً فوجد فيه: حدث الناس وأفتهم ولا تخافن إلا الله فإنه لا سبيل لأحد عليك.

ثم دفعه إلى ففككت خاتماً فوجدت فيه: حدث الناس وأفتهم وانشرعلوم أهل بيتك و صدق آباءك الصالحين ولا تخافن أحداً إلا الله وأنت فى حرز وأمان،ففعلت.

ثم أدفعه إلى موسى بن جعفر وكذلك يدفعه موسى إلى الذى من بعده ثم كذلك أبداً إلى قيام المهدى عجل الله تعالى فرجه الشريف(١).

إشاره سريعه:

قد تقدم أن الحسين عليه السلام قد انتهت إليه كل جوانب الأنوار، واجتمع لديه كل عوالم الأسرار، وما ظهر من مواقفه ما هو إلا فيوضات إلهيه وخيوط نورانيه فيها شعاعات للعقول البشريه، لئلا ينطفئ النور عن عوالم الأكوان، ولئلا تبقى فى الظلام عقول الأنام، فكان موقف الحسين عليه السلام نوراً انساب من عوالم الأسرار ليضىء الطريق لعباد الله الأخيار.

فكانت حادثه كربلاء بظواهرها محسوسه، ولكنها مخفيه بأسرارها، ولذا لم يدرك أبعادها الأوائل فى عصره عليه السلام، ولم نزل نحوم حول تلك الأسرار كما تحوم الفراشه حول الضياء.

وعندما نقرأ بعضاً من الأحاديث نقف حائرين لعجزنا عن معرفه الأسرار

١- بحار الأنوار ج ٣۶ ص ١٩٢.

وضعف بصائرنا عن إدراك ضياء الأنوار .

يوم ندعو كل أناس بإمامهم

فی مضامین ومعانی کل آیه من آیات القرآن الحکیم أسرار وأسرار، وموضوع الأسرار یدرک أبعاد معانیه الأخیار، الذین خصهم الله بخصائص تعرف من معادن الأبرار، وهذه الآیه فیها نص واضح عن الإمامه، وقد أجمع العقلاء علی وجوب الإمامه، ولکن تتفاوت أقوالهم فی تعیین و تشخیص الإمام، فالشیعه الإمامیه قد أثبتوا تعیین الإمام، وهذا التعیین قد امتازوا وانفردوا به عن بقیه المذاهب، واستدلوا بآیات قرآنیه وأحادیث نبویه.

وأهم ذلک قولهم بوجوب العصمه للإمام کعصمه النبی تماماً، حیث أن الإمام المعصوم هو المبین للأحکام بعد النبی صلی الله علیه واله (۱)، ولدیهم تفاصیل وأدله کثیره، لسنا هنا بصددها، وإنما نشیر غالباً لما یتعلق بأسرار الحسین وأهل بیته علیهم السلام، وتتضح أسرار معانی هذه الآیه المبارکه عندما نأخذ معها ما تقدم وتأخر عنها من آیات، حیث تقدمت آیه: «وَلَقَدْ کَرَّمْنَا بَنِی آدَمَ»، وتلتها آیه:«وَمَنْ کَانَ فِی هَذِهِ أَعْمَی فَهُوَ فِی الْآخِرَهِ أَعْمَی وَأَضَلُّ سَبِیلًا»(۲).

هذه الآیات مرتبطه بالانساء ابتداءً وسلوکاً، وانتهاءً ومصیراً.

وکل ذلک یتوقف علی معرفه أسرار الإمامه التی بها قبول الأعمال فی

۱- یحسن مراجعه مقدمه أصول الدین (من منهاج الصالحین) للمرجع الکبیر وحید الخراسانی، ویمکن القول أنه وحید عصره، مع تقدیرنا لکل المراجع.
۲- الإسراء ۷۰-۷۲.

الاالـدارين، وهنـا نحـاول رسم بعض مـا ورد حول إمامه الأئمه المعصومين عليهم السـلام ، وقـد ورد فى خطبه شـريفه(١) للإمام الصادق عليه السـلام، يصف فيها مقام العصـمه والإمامه السامى، رواها شـيخ المحدثين محمد بن يعقوب الكلينى، عن محمد بن يحيى (الـذى يقول فى حقه النجاشـى: شـيخ أصـحابنا فى زمانه، ثقه، عين، روى نحو سـته آلاف روايه)عن أحمد بن محمد بن عيسـى (شيخ القميين، ووجههم وفقيههم غير مدافع، ومن أصحاب الرضا والجواد والهادى عليهم السلام) عن الحسن بن محبوب (أحـد أربعه هم أركـان زمـانهم، ومن أصـحاب الإجمـاع الـذين أجمعت الطائفه على صـحه ما يروى عنهم بسـند صـحيح، ومن أصـحاب الإمام الكاظم والإمام الرضا عليهما السلام) عن إسحاق بن غالب (الذى يضاف إلى توثيقه الخاص روايه أمثال صفوان بن يحيى عنه):

عن أبى عبـد الله عليه السـلام فى خطبه له يذكر فيها حال الأئمه عليهم السـلام وصـفاتهم: إن الله عزوجل أوضح بأئمه الهدى من أهل بيت نبينا عن دينه وأبلج بهم عن سبيل منهاجه، وفتح بهم عن باطن ينابيع علمه.

فمن عرف من أمه محمد صلى الله عليه واله واجب حق إمامه وجد طعم حلاوه إيمانه، وعلم فضل طلاوه إسلامه، لأن الله تبارك وتعالى نصب الإمام علماً لخلقه وجعله حجه على أهل مواده وعالمه وألبسه الله تاج الوقار وغشاه من نور الجبار.

يمد بسـبب إلى السـماء لا ينقطع عنه مواده، ولا ينال ما عند الله إلا بجهه أسـبابه، ولا يقبل الله أعمال العباد إلا بمعرفته ، فهو عالم بما يرد عليه من ملتبسات الدجى ومعميات السنن و مشبهات الفتن.

١- يحسن مراجعه مقدمه أصول الدين (من منهاج الصالحين) ص ٢٠۴.

فلم يزل الله تبارك وتعالى يختارهم لخلقه من ولد الحسين عليه السلام من عقب كل إمام يصطفيهم لذلك ويجتبيهم ويرضى بهم لخلقه وير تضيهم.

كلما مضى منهم إمام نصب لخلقه من عقبه إماماً علماً بيناً وهادياً نيراً وإماماً قيماً وحجه عالماً، أئمه من الله يهدون با لحق و به يعدلون.

حجج الله ودعاته ورعاته على خلقه، يدين بهديهم العباد وتستهل بنورهم البلاد وينمو ببركتهم التلاد.

جعلهم الله حياةً للأنام ومصابيح للظلام ومفاتيح للكلام ودعائم للإسلام، جرت بذلك فيهم مقادير الله على محتومها.

فالإمام هو المنتجب المرتضى، والهادى المنتجى، والقائم المرتجى، اصطفاه الله بذلك واصطلنعه على عينيه فى الذر حين ذراه، وفى البريه حين براه ظلًا قبل خلق نسمه عن يمين عرشه.

محبواً بالحكمه فى علم الغيب عنده، اختاره بعلمه، وانتجبه لطهره، بقيه من آدم عليه السلام، وخيره من ذريه نوح، ومصطفى من آل إبراهيم، وسلاله من إسماعيل، وصفوه من عتره محمد صلى الله عليه واله .

لم يزل مرعياً بعين الله، يحفظه ويكلؤه بستره، مطروداً عنه حبائل إبليس وجنوده، مدفوعاً عنه وقوب الغواسق ونفوث، كل فاسق مصروفا عنه قوارف السوء، مبرأً من العاهات محجوباً عن الآفات، معصوماً بين الزلات مصوناً عن الفواحش كلها، معروفاً بالحلم والبر فى يفاعه، منسوباً إلى العفاف والعلم والفضل عند انتهائه، مسنداً إليه أمروالده، صامتاً عن المنطق فى حياته .

فإذا انقضت مده والده إلى أن انتهت به مقادير الله إلى مشيئته وجاءت

الإراده من الله فيه إلى محبته وبلغ منتهى مده والده عليه السلام فمضى، وصار أمر الله إليه من بعده وقلده دينه وجعله الحجه على عباده وقيمه فى بلاده، وايده بروحه وآتاه علمه وأنباه فصل بيانيه واستودعه سره وانتدبه لعظيم أمره وأنبأه فضل بيان علمه ونصبه علماً لخلقه، وجعله ﷺجه على أهل عالمه، وضياءً لأهل دينه ، والقيم على عباده، رضى الله به إماماً لهم .

استودعه سره، واستحفظه علمه، واستخباه حكمته، واسترعاه لدينه، وانتبه لعظيم أمره، وأحيا به مناهج سبيله وفرائصه و حدوده.

فقام بالعدل عند تحير أهل الجهل، وتحيير أهل الجدل بالنور الساطع والشفاء النافع بالحق الأبلج والبيان اللائح من كل مخرج على طريق المنهج الذى مضى عليه الصادقون من آبائه عليهم السلام.

فليس يجهل حق هذا العالم إلا شقى، ولا يجحده إلا غوى، ولا يصد عنه إلا جرى على الله جل وعلا(۱).

إشارات حول الخطبه :

إن موضوع الإمامه والإمام فى شريعه خير الأنام من أدق المواضيع فى هذه الأمه، وفيها جوهر الأنوار ومعدن الأسرار، وليس يدرك أبعادها إلا ذوى العقول.

فالإمام المعصوم الذى خصه الله بالإمامه هو الحامل لأعباء الرساله بعد النبى صلى الله عليه واله، والإمام له خصائص تعجز الأقلام عن بيانها، والأفهام عن كنه

۱- الكافى ج ۱ ص ۲۰۴، وفيه ألفاظ ودرر الخطبه، فلينظر ناظر بعقله، ويتدبر بقلبه.

أسرارها.

فعندما نقرأ هذه الخطبه والأحاديث حول الإمام ينفتح لنا كوه من شعاع النور التى تبثها الآيات القرآنيه .

إن إمام الأمه لا بد أن يكون إمام الهدايه، لأن القدوم على الله بدون هدايه يوقع الإنسان فى الغوايه .

والآيه المتقدمه: «يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ »(۱)تدل على مدى خطوره القدوم ليوم الحساب.

وقد أودع الله معدن الأسرار فى الإمامه بعد النبوه(۲)

إن الإنسان هو محور الوجود فى هذا الكون الفسيح، وقد خصه الله بخصوصيات مميزه عن بقيه المخلوقات، وهذه الخصوصيات منها ما هو مشترك بين جميع أفراد الإنسان، ومنها ما هو خاص بأفراد معينين، وهذا المعنى من بديهيات الأمور فى هذه الحياه، فالذين لهم خصوصيات مميزه عن الجميع هم الأنبياء عليهم السلام ، وهم الذين خصصهم بخصائص منذ الخلق الأول.

وقد ختم الأنبياء عليهم الصلاه والسلام بسيد الكائنات النبى محمد صلى الله عليه واله، ومعلوم أن لكل نبى أوصياء يحملون عبء الرساله من بعده، وهم الأوصياء الذين اختارهم لذلك(۳).

۱- الإسراء ۷۱.

۲- راجع أصول الكافى ج ۱ ص ۲۰۳ حديث ۲.

۳- راجع بصائر الدرجات حول أسرار الله من ص۳۹۷.

لمحه موجزه عن الإمام الحسين

١.الحسين عليه السلام هو الإمام الثالث من أئمه أهل بيت العصمه عليهم السلام، و هو أشهر من أن يعرف، ولكن تبركاً نشير إلى بعض الجوانب.

٢. وُلد الإمام الحسين بن على بن أبى طالب عليه السلام عام الخندق بالمدينه المنوره، والأشهر أنه ولد لثلاث خلون من شهر شعبان.

٣. شهادته يوم العاشر من المحرم سنه إحدى وستين للهجره.

۴. وعمره الشريف ست وخمسون سنه وشهوراً.

۵. كنيته أبو عبد الله، وألقابه كثيره منها: الشهيد السعيد، السبط الثانى، والرشيد، والطيب، والوفى، والسيد، والزكى، والمبارك، والتابع لمرضاه الله، والدليل على ذات الله عز وجل.. ولهذه الألقاب أبعاد ومعان رفيعه تعرف من أسراره(١).

فضائل الحسين

فضائله عليه السلام لا حصرها لها مهما قيل أو يقال، لأن الحسين عليه السلام قد اجتمعت به خصائص وفضائل و مناقب الأولين والآخرين، من بدء الخلائق إلى يوم الدين، وقد ألمحنا سابقاً فى بحثنا حول الأسرار أن الحسين عليه السلام هو نقطه الارتكاز من عوالم الأنوار.

وهو الذى اجتمعت فيه جميع صفات أهل بيت العصمه عليهم السلام ، فلا يمكن حصر تلك الفضائل.

١- راجع مقدمه أصول الدين (من منهاج الصالحين) للوحيد الخراسانى ص ٣۴٣.

وهنا يحسن القول أنه يكفى ما قاله سيد الكائنات صلى الله عليه واله من الإشارات حول الحسين عليه السلام، منها ما قاله صلى الله عليه واله: حسين منى وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسيناً(١)

وقال صلى الله عليه واله: وأما الحسين فنحلته سخائى وشجاعتى (٢).

وهنا نقف لنتدبر ونتأمل .. أليس سيد الكائنات محمد بن عبد الله صلى الله عليه واله هو صفوه الخلائق من الأولين والآخرين؟ وقد اختاره دليلاً ومنذراً..

ميزان التفضيل

كثيراً ما نتحدث عن التفضيل والفضائل، وقد لا نلتفت إلى حقائق ذلك من جوانب الأسرار.

وهذه القضيه بالذات تحتاج إلى أبحاث وتفاصيل.

نقول: عندما نحاول أن نقرأ وقائع الحياه من الابتداء إلى الانتهاء نجد معادن و كوامن الأسرار التى لا حصر ولا حدود لها.

أولاً: بدأ السر من خلق آدم عليه السلام من تراب، ومن هنا ندرك بعضاً من هذا السر، وأن كل ذره من التراب تحمل أسراراً(٣) .

وأسرار التراب التى تكون منها جسم الإنسان وخلاياه تحولت إلى خلق بأحسن تقويم.. وهذا الإنسان هو الكامن بذاته وصفاته، وهو ما نعجز عن بيانه

١- كامل الزيارات ص ٥٢.

٢- هذه الأقوال من مصادر العامه والخاصه، وهى مجمع عليها بلا مخالف ولا منازع.

٣- يحسن مراجعه بحثنا حول خلق الإنسان من تراب .

وحصره وتحديده، إلا بإشارات وألفاظ قد لا ندرك أبعادها، وإنما نشاهد بالمحسوس آثارها.

فالإنسان حامل لأسرار الوجود، ومن تركيباته ندرك خلائق المعبود :

ثانياً: الفضائل الكامله والأسرار الكامنه نجدها فى الأنبياء والأولياء عليهم الصلاه والسلام، وهذه من الأسرار التى لم تكتشف لحد الآن، فالأسرار التى أودعها الله سبحانه فى خصائص الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاه والسلام لم تعرف إلا بالآثار التى ظهرت منهم عليهم السلام .

فعندما نحاول أن نقرأ الإنسان عموماً ونبحث بالفضائل خصوصاً، نجد الفوارق بين إنسان وآخر، وهذا المعنى بحد ذاته سر من الأسرار.

ورغم أن العلم قد تقدم كثيراً فى فهم خصائص الإنسان، ولكن بقى هذا التقدم متوقفاً عند ما هو محسوس من الماديات، من دم وعظم وأعصاب وخلايا و عوارض و ما شابه ذلك.

من هنا ندرك ونتلمس عوارض الجسم المحسوس والخاضع للتحاليل، وأن فيه سلامه وكمالاً، وفيه نقص واضمحلال.

كذلك عيناً يجرى هذا الحكم بالفضائل التى لها آثار وهى فوق المحسوسات، لأن آثار الشىء هى غير ذات الشىء.

وعندما نقول عن شىء أن وراءه سر، فمعنى ذلك أننا تلمسنا بعض آثار ذلك السر، فالفضائل تظهر آثارها كما تظهر آثار النفس، ويبقى السؤال المستمر لدى عقول البشر أنه: ما هو سبب الفوارق بين إنسان وآخر فى حقائق الأشياء؟ مع أن الجميع متساوون بالخلق.

والجواب أن الإنسان يتمايز بالفضائل وليس بتكوين الجسم المادى المحسوس.

وحتى هـذه الفضائل نجـدها متفاوته بين هذا وذاك، ولكن ندرك أن منبعها ومصدرها واحد، لأن التفاوت خاضع لموازيين غير الذات.

لذلك يمكن القول أن جسم الإنسان المادى له منبع خاص و موازين معينه، والنفس التى تصدر عنها الفضائل لها منبع و موازين خاصه.

ثالثاً: الفضائل يمكن حصرها بقسمين أساسيين، هما: الفضائل الذاتيه، والفضائل الكسبيه.

وفى هـذين القسـمين مهمـا قيـل أو يقال تبقى الأسـرار كامنه وراء كل قول، ومصادر كلا القسـمين تبقى خافيه على عقولنا مهما بلغت من الارتقاء فى هذه الدنيا .

فـإذا كان الإنسان هو الإنسان من حيث التكوين المادى، وخلايا الجسم من حيث الإبتـداء واحـده، فلماذا نجـد على أرض الواقع تبايناً بين هـذا وذاك، وكـل ما نراه من تفاوت و اختلافات لا بـد أن يكون راجعاً إلى مصـدر الـذات، لأن الآثار تشـير إلى منبع المؤثر، من هنـا وقفت العقول عاجزه عن إدراك وتحليل آثار ما يصـدر عن الإنسان، وان قالوا أنه راجع للوعى واللاوعى، فحتى هذا يحتاج إلى دليل للإثبات، ولكن قد اعتادت أفكارنا أن تقف عندما تعجز عن المعرفه أو التوضيح

الأسرار فوق الأفكار

وقفه خاصه عند أسرار الحسين عليه السلام : فى هذه الأزمان وما قبلها قد قيل

الكثير حول أسرار خامس أهل الكساء، ففی کل عصر من العصور الغابره نجد وجهات متعدده ومتفاوته، بل نجد أن الناس فی کل عصر یأخذون من سیره الحسین علیه السلام ما یرونه مناسباً لواقعهم، حتی أعداء الدین!

ففی عصرنا الحاضر قد کثر الحدیث والتحلیلات من أتباع الحسین علیه السلام بحسب ظواهرهم، منهم من یحاول منع شعائر تتعلق بمظاهره معبره حول الحسین علیه السلام، ومنهم من یجعل هذه الظواهر والشعائر ذات آثار للأجیال والأفکار.

ولکن لحد الآن لم نجد ولم نعثر علی من یبحث عن السر وراء حادثه الحسین علیه السلام عموماً، ووقعه کربلاء خصوصاً، فمن یبحث فی مضامین الأحادیث یدرک ضیاءً من نور الأسرار، وأنها مرسومه من الخالق سبحانه(۱).

وقفه عند لقب من ألقاب الحسین

وهو التابع لمرضاه الله، والدلیل علی ذات الله .

من هذا اللقب ندرک خیط نور من الأسرار:

الأول: أن کل ما قام به الحسین علیه السلام هو لمرضاه خالق الکون، وهذا یدلنا علی مضامین الأحادیث التی تشیر أن الحسین علیه السلام من الرسول الأعظم بکل تفاصیل ومعانی الکلمات من الحدیث: حسین منی وأنا من حسین، أحب الله من أحب حسیناً(۲).

۱- ینبغی مراجعه المصادر التی تتعلق بالأنوار قبل إظهار الخلق.

۲- کامل الزیارات ص ۵۲.

فكما أن النبى صلى الله عليه واله قد اجتمع فيه علم الأولين والآخرين، فإن هذا العلم كله قد استقر عند الحسين عليه السلام بكل معانيه وتفاصيله.

الثانى: مما هو معلوم أنه لم يبق من أهل الكساء عليهم الصلاه والسلام إلا الحسين عليه السلام ، لذلك كان الدليل الواضح بكل تصرفاته على ذات الله سبحانه(١)وهذا يعرف من مواقفه فى كربلاء التى لا حصر لها، ومنها لسان حاله القائل:

تركت الخلق طرا فى هواكا ***وأيتمت العيال لكى أراكا

فلو قطعتنى فى الحب إربا*** لما حن الفؤاد إلى سواكا

هذا الدليل قد ترجم عملياً فى واقعه كربلاء، وهى التى أرست قواعد الدين إلى يوم القيامه، وقد قيل: الدين محمدى الوجود حسينى البقاء.

وسر ذلك أن الإصلاح العالمى وتحقيق العدل والقسط على هذه الأرض سوف يتحقق على يد الحجه المنتظر بسيره الحسين عليه السلام ، وهذا ما يشير إلى معنى: الدليل على ذات الله..

إن كل ما ظهر من مواقف الحسين عليه السلام ما هو إلا خيط من أنوار وأسرار كربلاء، فإنا نهيب بالعلماء والأدباء أن لا يحاولوا تحجيم شعائر كربلاء، فإن كثيراً من المظاهر والظواهر لم ندرك بعد أبعاد أسرارها، فقد يمارس بعض الناس شيئاً من المظاهر بدون إدراك أبعادها ومعانيها، ومما لا شك فيه أنه ستأتى أجيال من الناس تستكشف أسرار تلك المظاهر وأبعاد تلك الشعائر، لأن مسيره كربلاء هى أكبر وأوسع من زمن أو جيل محدود.

١- هناك تعابير عظيمه الشأن فى أدعيته عليه السلام ، راجع دعاءه عليه السلام فى يوم عرفه وغيره

حديث يتضمن أسرار المستقبل

عن يونس بن عبد الرحمن قال : دخلت على موسى بن جعفر عليه السلام فقلت له: يا ابن رسول الله، أنت القائم بالحق؟

فقال: أنا القائم بالحق، ولكن القائم الذى يطهر الأرض من أعداء الله ويملؤها عدلاً كما ملئت جوراً هو الخامس من ولدى.

له غيبه يطول أمدها خوفاً على نفسه يرتد فيها أقوام ويثبت فيها آخرون.

ثم قال عليه السلام : طوبى لشيعتنا المتمسكين بحبنا فى غيبه قائمنا الثابتين على موالاتنا والبراءه من أعدائنا، أولئك منا و نحن منهم، قد رضوا بنا أئمه ورضينا بهم شيعه، وطوبى لهم هم والله معنا فى درجتنا يوم القيامه(۱).

فى هذه الأحاديث التى تتضمن أسرار المستقبل للمؤمنين، ندرك شيئاً من أبعاد شعائر كربلاء التى أرست قواعد الحق للعلماء .

تنبيه وإشاره:

حصلت واقعه كربلاء عملياً فى سنه واحد وستين للهجره، وولد الإمام القائم الحجه المنتظر عجل الله فرجه الشريف سنه مائتين وخمس وخمسون للهجره، فيكون ما بين الواقعه وبين ظهور نور الحجه ما يقارب مائتى سنه.

هذه المقدمه لأجل أن نرسم حديثاً شريفاً له ربط وثيق بين كربلاء وبين الحجه المنتظر عجل الله فرجه، وهذا الربط له أبعاد حول شعائر كربلاء، وهو صادر عن المعصوم عليه السلام.

۱- بحار الأنوار ج ۵۱ ص ۱۵۱.

عن الهروی قال سمعت دعبل بن علی الختزاعی یقول: أنشدت مولای علی بن موسی الرضا علیه السلام قصیدتی التی أولها:

مدارس آیات خلت من تلاوه ***ومنزل و□ی مقفر العرصات

فلما انتهیت إلی قولی:

خروج إمام لا محاله خارج*** یقوم علی اسم الله والبرکات

یمیز فینا کل حق وباطل ***ویجزی علی النعماء والنقمات

بکی الرضا علیه السلام بکاء شدیداً ثم رفع رأسه إلی فقال لی: یا خزاعی نطق روح القدس علی لسانک بهذین البیتین فهل تدری من هذا الإمام ومتی یقوم؟

فقل: لا یا مولای، إلا أنی سمعت بخروج إمام منکم یطهر الأرض من الفساد ویملؤها عدلاً کما ملئت جوراً.

فقال: یا دعبل، الإمام بعدی محمد ابنی، وبعد محمد ابنه علی، وبعد علی ابنه الحسن ، وبعد الحسین ابنه الحجه القائم المنتظر فی غیبته، المطاع فی ظهوره.

لو لم یبق من الدنیا إلا یوم واحد لطول الله ذلک الیوم حتی یخرج فیملاها عدلاً کما ملئت جوراً.

وأما متی؟ فإخبار عن الوقت، ولقد حدثنی أبی عن أبیه عن أبائه عن علی علیه السلام أن النبی : قیل له: یا رسول الله متی یخرج القائم من ذریتک؟

فقال: مثله من الساعه لا یجلیها لوقتها إلا هو، ثقلت فی السماوات والأرض، لا تأتیکم إلا بغته(۱).

۱- بحار الأنوار ج ۵۱، ص ۱۵۴.

الكرامات لمن كرمهم الله

مما لا شك فيه أن كرامات أهل بيت العصمه عليهم الصلاه والسلام لا حصر لها، وهى كرامات بقدره الله سبحانه قد خصهم بها، تجرى على أياديهم بحسب الحكمه، والإمام الحسين عليه السلام قد اجتمعت لديه كل المكرمات، وخصه الله سبحانه بأرقى الخصوصيات، فلا غرابه من الكرامات التى حصلت على يديه.

فهو الذى خصه النبى صلى الله عليه واله بكثير من الأسرار(١)، وقال: علمه علمى.

وهنا يمكن القول أن الكرامات تابعه للعلم، والعلم المكنون واللدنى منبعه من الرسول صلى الله عليه واله، ويكفى أن على بن أبى طالب عليه السلام مخصوص بعلم الكتاب كله(٢).

تابع لكرامات الحسين عليه السلام :

مما هو ثابت أن الإنسان قد كرمه الله سبحانه، والإنسان عموماً هو أكرم المخلوقات، وخصوصاً من لهم كرامات حاصله وواقعه، وهم الأنبياء والأوصياء عليهم الصلاه والسلام، فالحسين عليه السلام قد انتهت إليه جميع كرامات الأولين، وخصه الله منها بما لا يقبل الشك.

والحسين وريث سيد الكائنات صلى الله عليه واله، وهذا الإرث قد ورد بنصوص قد مرت الإشاره إليها، وهنا نذكر كرامةً للحسين عليه السلام قد جرت على يديه بدعاء لله

١- وهنا لا ننسى ما تقدم من أسرار العلم المكنون.

٢- إشاره للآيه الشريفه«ومن عنده علم الكتاب».

سبحانه، وهی ما نقل عن یحیی ابن أم الطویل قال کنا عند الحسین علیه السلام إذ دخل علیه شاب یبکی، فقال له الحسین: ما یبکیک؟

قال : إن والدتی توفیت فی هذه الساعه ولم توص ولها مال وکانت قد أمرتنی أن لا أحدث فی أمرها شیئاً حتی أعلمک خبرها.

فقال الحسین علیه السلام: قوموا بنا حتی نصیر إلی هو الحره.

فقمنا معه حتی انتهینا إلی باب البیت الذی فیه المرأه وهی مسجاه، فأشرف علی البیت ودعا الله لیحییها حتی توصی بماتحب من وصیتها.

فأحیاها الله، وإذا المراه جلست وهی تتشهد، ثم نظرت إلی الحسین علیه السلام فقالت: ادخل البیت یا مولای ومرنی بأمرک.

فدخل وجلس علی مخده ثم قال لها: وصی یرحمک الله .

فقالت: یا ابن رسول الله، إن لی من المال کذا وکذا فی مکان کذا وکذا وقد جعلت ثلثه إلیک لتضعه حیث شئت من أولیائک والثلثان لإبنی هذا إن علمت أنه من مواليک وأولیائک، وإن کان مخالفاً فخذه إلیک فلاحق للمخالفین فی أموال المؤمنین.

ثم سألته أن یصلی علیها وأن یتولی أمرها، ثم صارت المرأه میته کما کانت(۱).

أقف عند نقطتین هما:

۱. قوله علیه السلام: قوموا بنا حتی نصیر إلی هذه الحره..

۱- الخرائج و الجرائح ج ۱ ص ۲۴۶

۲. قول المرأه : فلا حق للمخالفين فی أموال المؤمنين..

ينبغی التدبر فی هذه الكلمات التی تحمل فی مضامينها أرقی المعانی والأبعاد فی مسيره الحياه.

إن وصف الإمام عليه السلام للمرأه بالحره له دلالات دقيقه عند التأمل، وقول المرأه: فلا حق للمخالفين، ذا مغزی بعيد المرمی يدل علی نور البصيره لهذه المرأه(۱).

لقطات وكلمات

من هنا وهناك حول سيره الحسين عليه السلام من ظوهر الحياه .

عندما يتكلم الإنسان أو يكتب قسم المعانی إلی ظواهر وبواطن (أسرار)، ولكن بحسب الواقع لا ينفصل الباطن عن الظاهر، بل لهما ارتباط وثيق بكل أبعاد الحياه لأن إظهار الأمور ناتج عما هو فی بواطنها، حتی الأشياء المحسوسه فی هذه الدنيا، فنجد المعادن تدل علی جوهرها، وجوهر الأشياء حقائق ذاتها.

فالإنسان عندما يصدر عنه أمر من الأمور بالاختيار يدل علی بعد جوهر ذاته، مهما يكن هذا الأمر، سواء من تصرفات أو كلمات أو ما شابه ذلك.

من هنا أدرك العقل أن ما هو ظاهر بالأعمال والتصرفات والأقوال والكلمات هو إشارات من تلك الذات، وقد ورد فی الحكمه عن أمير المؤمنين عليه السلام: ما أضمر أحد شيئاً إلا ظهر فی فلتات لسانه و صفحات وجهه(۲).

۱- إشاره: ليس هنا موقع البيان لكلا النقطتين.

۲- نهج البلاغه: قصار الكلمات.

وقفه تحت شعاع من كلمات للحسين

هنا نغض الطرف عن رسم حروف الأسرار، ونرسم ما هو ظاهر ومعلوم عند الأخبار والأبرار.

عندما أراد الحسين عليه السلام أن يخرج من مدينه جده ومسقط رأسه ونشأه حياته، كتب وصيته لأخيه محمد بن الحنفيه، وهو أخوه من أبيه على أمير المؤمنين عليه السلام، وهذا ما جاء فى وصيته وتناقلته الأجيال جيلاً بعد جيل حتى وصل إلينا، ومما جاء فى وصيته عليه السلام :

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما أوصى به الحسين بن على بن أبى طالب إلى أخيه محمد المعروف بابن الحنفيه أن الحسين يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله جاء بالحق من عند الحق.

وأن الجنه والنار حق، وأن الساعه آتيه لا ريب فيها، وأن الله يبعث من فى القبور.

وأنى لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح فى أمه جدى صلى الله عليه واله، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيره جدى وأبى على بن أبى طالب عليه السلام.

فمن قبلنى بقبول الحق فالله أولى بالحق، ومن رد على هذا أصبر حتى يقضى الله بينى وبين القوم بالحق وهو خير الحاكمين(١)..

١- بحار الأنوار ج ۴۴ ص ٣٢٩.

لمحه ونوع من تحليل

نكتب على هـذه الأوراق بعض الكلمات والإشارات عن أسـرار الحسـين عليه السـلام، رغم انشـداد الفكر لما يحصل على أرض العراق خصوصاً(١)، ويقصد منها كل أرض مقدسه عموماً.

والعراق بالـذات لم يهـدأ ولم ينعم منـذ أن حصـلت ملحمه كربلاء، والله العالم سـيبقى حتى ظهور الحجه المنتظر عجل الله فرجه الشريف.

ولعـل الحكمه فيمـا حصـل فى هـذه الأزمـان بالخصوص أن تتعرف كل شـعوب الأرض على العراق، وحكمه هـذا التعرف إلقاء الحجه الظـاهره لكل الأجيال من بنى البشـر لئلا يصـموا أسـماعهم عن النـداء الآتى حتماً بين السـماء والأرض عنـد خروج القائم المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف:«أتى أمر الله فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى عما يشركون».

ومن بعد هذا النداء تبدأ مسيره العدل على الأرض، التى يملؤها قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً.

والعدل هذا يكون بسيره الحسـين عليه السـلام، وهذا الأمر يعتبر من أدق الأسـرار التى خص بها الحسين عليه السلام ، فهو معدن الأسـرار منـذ تكوينه وولادته ومسـيره حياته واسـتمرار نهجه إلى يوم القيامه، وحتى فى الآخره هو عليه السـلام سـيد شـباب أهل الجنه، بنوره ونور أخيه الحسن عليه السلام تتزين الجنان .

وعندما نتأمل ونتدبر بوصيته وكلماته نتلمس ضياء نور من تلك الأسرار .

١- كتبت هذه الكلمات يوم السبت ١٢ نيسان ٢٠٠٣ للميلاد الموافق ١٠ صفر ١پ١۴٢۴ ه.

دقائق ولطائف:

قد جاء فی وصیته علیه السلام إشارات، من معانیها أن مبدأ الوجود هو الحق، ومما لا شک فیه أن کل شیء یعود ویرجع إلی الحق، وما بین المبدأ والمعاد مسیره حیاه المخلوقات، والإنسان هو المخلوق الأسمی من هذه المخلوقات علی تنوعها وتعدد أجناسها، فالإنسان قد حمل الأمانه، ولکن یبقی السؤال: لیس کل من حمل أمانه أداها، وأداؤها یتوقف علی أمور:

الأمر الأول: معرفه الحق، والثانی: الالتزام به، والثالث: التطبیق العملی بحسب ما هو مطلوب.

لنقرأ الفقره الأولی من الوصیه: أن الحسین یشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شریک له وأن محمداً عبده ورسوله جاء با لحق من عند الحق..

آیه حول الأمم

«کنتم خیر أمه أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنکر ».

من هذه الآیه ندخل لأعظم غایه قام لأجلها الحسین علیه السلام، وهو القائل :

وإنما خرج لطلب الإصلاح فی أمه جدی.

نقول وبه نستعین: أن هذه الأمه هی آخر الأمم، ومعلوم أنه قد مرت أمم عدیده علی هذه الأرض، من أن خلق الله سبحانه آدم علیه السلام ، وأهبطه علی هذه الأرض، فکان أول إنسان صالح ونبی مرسل.

ثم بدأت تتکون أمه بعد أمه، فکل أمه لها نبی یرشدها إلی الحق واتباعه،فکانت هذه الأمم تستقیم تارهً وتنحرف أطواراً، وکلما استفحل الانحراف

وطغى الظلم والجهل يبعث الله سبحانه من يصلح البشر على وجه هذه الأرض، من نبى ووصى.

فكان ختام النبوات والرسالات ما جاء به سيد الكائنات والرسول المسدد محمد بن عبد الله صلى الله عليه واله.

ومعلوم أيضاً أن الله تعالى قد بعث النبى صلى الله عليه واله والناس فى جاهليه جهلاء، لا يقيمون وزناً للحق ولا يسعون لمعرفته، فأسس مناهج الحق وقضى على الجاهليه، وبدأ شعاع النور يضىء الطريق للعقول والنفوس، ويلهم الفطره فى ضمائر البشريه.

وبعد أن تكونت أمه تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وفارق النبى صلى الله عليه واله هذه الدنيا إلى الرفيق الأعلى، عادت الجاهليه تظهر من جديد.

وهنا لا أدخل بسرد تواريخ، وإنما أحاول الإشاره للوصول للغايه التى قام لأجلها الحسين عليه السلام، وهى من أدق الأسرار، وإن كانت ظاهره بحسب الواقعه والحدث.

هذه الأمه التى بدأت المسيره فى إصلاح البشريه بالتصدى لإصلاح الجاهليه، والإصلاح الثانى (عند أول منعطف وهو إبعاد من اختاره الله سبحانه)، فى صون و حفظ تأويل ومعانى الرساله التى تحققت عند تنزيلها.

وقفه للتدبر:

إن الأمم تصلح وتبقى بصلاح قادتها، فعندما يتولى قياده الأمه جهلاؤها تنحرف عن مسيرها، وقد تزول عندما يعم انحرافها، وإن لم يبق مجال لأن يوقف عقلاؤها تلك الإنحرافات، فإن الأمم تندثر وتبيد .

وبعد أن سادت هذه الأمه وهى آخر الأمم التى تتحمل مسؤوليه ختام الرسالات من رب الأرض والسماء، ثم وصلت الأمه إلى منتهى الإنحراف بمن تولى أمرها من الجهلاء، قام الحسين عليه السلام بالنداء قولاً وعملاً، فحدد الغايه من أول ساعه، وهو القائل : أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير بسيره جدى وأبى على بن أبى طالب عليه السلام(١).

من هنا يجب علينا أن نتدبر الأبعاد الحقيقه ونتلمس الإشارات من هذه الوصيه لأخيه ابن الحنفيه، لتبقى مشعل نور للأمه، ومسيره حياتها،وللأجيال وصون وجودها، لأنه ليس بعد هذه الأمه رساله.

عود على بدء:

«كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّهٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ»(٢)..

هنا يمكن القول أن الإنسان يكون إنساناً بإنسانيته، عندما يكون صالحاً، مهتدياً، عاملاً بالحق، ساعياً لمرضاه خالقه.

ولا يبق الإنسان إنساناً عندما يصبح مفترساً، ضالاً، مغموراً بالجهل، أو متنكباً عن طريق الحق.

فالسر بمواقف الحسين عليه السلام كامن بالغايه التى حددها بقوله: فمن قبلنى بقول الحق فالله أولى بالحق.

حيث لن تنزل إلى الأرض بعد هذه الرساله رساله قط، وليس بعد أمه

١- بحار الأنوار ج ۴۴ ص ٣٢٩.

٢- آل عمران ١١٠.

محمد صلى الله عليه واله أمه، وليس بعد نبوته نبوه.

فعندما تحفظ هذه الرساله لهذه الأمه، معناه أن ثمره الرسالات السابقه ومبادئ الأمم قد انحصرت واجتمعت فى هذه الرساله، وفى هذه الأمه.

ولكى تبقى هذه الأمه (خير أمه)، فلا بد من تضحيه ووقفه تصونها، فكانت ملحمه كربلاء، وفعلاً تحققت الغايه واستمرت، وبها يكون صلاح البشريه، رغم ما هو حاصل من السلبيات.

آل البيت هم أهل سر الله

مما لا شك فيه أن فى هذه الحياه وهذا الكون أسرار، تظهر منذ الخليقه بالتدرج، بدءً من خلق الأكوان وصولاً إلى خلق الإنسان.

من هنا ندرك أن خزائن الأسرار قد أودعها الله سبحانه فى عباده الأبرار، ومعلوم أن الأمانات لله قد استقرت عند النبى المختار صلى الله عليه واله.

هذه الإشارات من المعانى أصبحت من الواضحات، فكلما مرت الدهور تنكشف الحقائق لذوى البصائر. وقد ألمحنا فيها تقدم كثيراً أن الأمانات قد استقرت عند الحسين عليه السلام، ومما لا شك فيه أن هذه الأمانات قد توارثها الأئمه عليهم السلام من على عليه السلام إلى صاحب الأمر الحجه المنتظر عجل الله فرجه، وعندما نقول أنها لدى الحسين عليه السلام أى أنها لم تنتقل لغير الأئمه من بنيه عليهم السلام.

وهنا نشير إلى حديبى عن الحسين عليه السلام حول تلك الأسرار والخصوصيه التى خصهم الله سبحانه بها من جميع المخلوقات، وهذا ثابت الأدله.

الأصبغ بن نباته قال: سألت الحسين عليه السلام فقلت: سيدى، أسالك عن شىء

أنا به موقن وأنه من سر الله وأنت المسرور إليه ذلك السر؟

فقال: يا أصبع، أتريد أن ترى مخاطبه رسول الله لأبى دون يوم مسجد قبا؟ قال: هذا الذى أردت .

قال : قم فإذا أنا وهو بالكوفه، فنظرت فإذا المسجد من قبل أن يرتد إلى بصرى.

فتبسم فى وجهى فقال: يا أصبغ إن سليمان بن داود أعطى الريح غدوها شهر ورواحها شهر وأنا قد أعطيت أكثر مما أعطى سليمان.

فقلت: صدق والله يا ابن رسول الله .

فقال: نحن الذين عندنا علم الكتاب وبيان ما فيه، وليس لأحد من خلقه ما عندنا إنا أهل سر الله.

فتبسم فى وجهى ثم قال: نحن آل الله و ورثه رسوله(۱)..

والحديث طويل أخذت منه موضع الحاجه.

وفى حديث آخر عن الحسين بن على عليه السلام قال: إن يهوديا من يهود الشام وأخبارهم قال لأمير المؤمنين عليه السلام :

فإن هذا سليمان قد سخرت له فسارت به فى بلاده غدوها شهر ورواحها شهر.

قال له على عليه السلام: لقد كان كذلك، ومحمد صلى الله عليه واله أعطى ما هو أفضل من هذا، إنه سرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى مسيره شهر وعرج به فى

۱- مناقب آل أبى طالب ج۴ ص ۵۲.

ملكوت السماوات مسيره خمسين ألف عام فى أقل من ثلث ليله حتى انتهى إلى ساق العرش(١)..

الأسرار يحملها الأبرار

عندما تجوب العقول حول الأكوان تدرك أن هناك أسراراً وأسرار، ولكن لا تعرف تلك الأسرار إلا من خالقها ومبدعها، ولذا أدركت العقول السليمه ما جاء به الأنبياء والرسل عليهم السلام ، فالأنبياء والأوصياء هم الذين حملوا أسراراً من وحى الله إليهم، فكانوا الأمناء على ما جاءهم من السماء.

فالسماء بالنسبه للإنسان هى العطاء، بدءً من الوجود مروراً بالمعرفه .

فعندما نقرأ آيات قرآنيه أو أحاديث نبويه ندرك أن أسرار الحياه ومعانيها قد أودعها الله سبحانه صفوه عباده، من أنبياء وأوصياء، وهذا ما تدلنا عليه الأحاديث الشريفه.

عن أبى بصير قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: أسر الله سره إلى جبرئيل وأسره جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه واله وأسره محمد صلى الله عليه واله إلى على وأسره على صلىالله عليه واله إلى من شاء واحداً بعد واحد(٢).

وفى حديث آخر عن أبى جعفر عليه السلام قال: إن رسول الله صلى الله عليه واله دعا علياً عليه السلام فى المرض الذى تؤفى فيه فقال:

يا على ادن منى حتى أسر إليك ما أسر الله إلى وأئتمنك على ما ائتمننى الله

١- الإحتجاج ص ٢٢٠.

٢- بصائر الدرجات ج٨ ص ٣٧٧.

علیه.

ففعل ذلک رسول الله صلی الله علیه واله بعلی علیه السلام وفعله علی علیه السلام بالحسن وفعله الحسن بالحسین وفعله الحسین بأبی وفعله أبی بی(۱).

وعن أبی الحسن علیه السلام قال: لا یقدر العالم أن یخبر بما علم، فإن سرالله أسره إلی جبرئیل وأسره جبرئیل إلی محمد صلی الله علیه واله وأسره محمد صلی الله علیه واله إلی من شاء الله(۲).

ومضات من أسمی حیاه

عندما نحاول أن نرسم حروفاً حول أسرار الحسین علیه السلام نجد أنفسنا بحاجه ماسه إلی استناره من حیاه الإمام الشهید الحسین علیه السلام، وهذه الاستناره نتلمسها من جوانب حیاته، ومنها تأخذ ضیاءً لعقولنا،مع العلم أنا قاصرون عن إدراک تلک الشخصیه التی حارت حول معرفتها العقول، حتی الملائکه فی السماء.

ولکن نحاول إدراک ما نتوفق لإدراکه، وبمقدار ما یسع وعاء صدورها، وأکثر ما یحیط بنا العجز أننا لم ندرک من أی باب ندخل، ومن أی خیط نور نتلمس، لأن سیره الحسین علیه السلام هی أوسع من دائره الأکوان لدی حیاه الإنسان.

فکلما تقدمنا نحو جهه یحیط بنا القصور والعجز، ونجد بحوراً من الضیاء ینبهر بها العقل، ویکل عن بیانها اللسان.

۱- بصائر الدرجات ج۸ ص ۳۷۷.

۲- المصدر السابق ص۳۷۸، والکتاب الشیخ القمیین أبی جعفر محمد بن الحسن الصفار، من أصحاب الإمام العسکری علیه السلام.

ولا غرو أن يقال: يا عله الأكوان والسر الخفى..

يه وواقع

غالباً ما تكون الكلمات تحاكى النظريات، وعندما نقرأ فى القرآن وواقع الإنسان نجد أن الآيات ترسم لنا واقع الحياه، من هنا تفاوتت المراتب لدى كل عامل وعند كل إنسان، فعندما نقرأ الواقع لكل نماذج البشريه لا نجد مثيلاً جامعاً مثل الإمام الحسين عليه السلام، فهو الجامع لمعانى الآيات، وحقيقه واقع الحياه.

وهذه الإشاره ليست من باب المبالغه، بل هى من الواقعيه التى جسدها الإمام الحسين عليه السلام، لقد جسدها نظرياً علمياً وتنفيذاً عملياً.

فعندما نقرأ واقع كلماته نجد أنها فوق كلمات المخلوقات ودون كلمات الخالق، من هنا قد نشأت الحيره عند العقلاء، ولدى العقل البشرى فى تقييم مواقف ومواقع الحسين عليه السلام.

لقد حمل لنا التاريخ كلمات فى أعظم واقعه فى تاريخ البشريه وهى ليله العاشر من شهر محرم الحرام سنه إحدى وستين للهجره(١).

نموذج رفيع فى ليله عاشوراء

عاشوراء بكل معانيها وأبعادها قد أصبحت منهاجاً ومدرسه وسلوكاً لجميع الأحرار من بنى البشر.

قال على بن الحسين زين العابدين عليه السلام : .. فسمعت أبى عليه السلام يقول لأصحابه: أثنى على الله أحسن الثناء وأحمده على السراء والضراء، اللهم إنى

١- أى الهجره النبويه من مكه إلى المدينه المنوره فى الحجاز .

أحمدك على أن أكرمتنا بالنبوه وعلمتنا القرآن وفقهتنا فى الدين وجعلت لنا أسماعاًوأبصاراً وأفئده فاجعلنا من الشاكرين.

أما بعد، فإنى لا أعلم أصحاباً ولا أهل بيت أبر ولا أوصل من أصحابى وأهل بيتى فجزاكم الله عنى خير الجزاء، ألا وإنى لأظن يوماً لنا من هؤلاء، ألا وقد أذنت فانطلقوا جميعاً فى حل، ليس عليكم منى ذمام، هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملًا(۱)..

والحديث مع أصحابه عليه السلام فى ليله عاشوراء ذو شجون، وفيه الكثير من السر المكنون، وأسرار عاشوراء تضىء الطريق للسالكين إلى يوم اللقاء، ففيها أنوار الضياء.

وقفه عند باب الصبر

عندما نحاول قراءه الواقع العملى لا نجد فى كل تاريخ البشريه منذ آدم عليه السلام إلى آخر الدهر إنساناً أصبر من الحسين عليه السلام فى يوم عاشوراء، من هنا ندرك المقام الرفيع لعظمه الإمامه.

لنقرأ هذه الآيه بقلب صاف وعقل سليم، ونقرأ واقعه كربلاء بما حققت فى واقع الحياه: قال تعالى:«وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا»(۲)

المرتبه التى تعجبت منها ملائكه السماوات هى فوق الحصر والتقديرات، بل فوق كل ما يمكن أن يقال بحروف الكلمات، من هنا عجزت العقول عن

۱- روضه الواعظين ج ۱ ص ۱۸۳.

۲- السجده ۲۴.

إدراك أسرار الإمامه، فالحسين عليه السلام وهو خامس أهل الكساء عليهم السلام قد انتهت إليه نقطه الارتكاز حول الإمامه، ولذا نجد كل ما تقدم للبشريه، وكل ما هو مؤخر يتمحور حول الحسين عليه السلام، وهو الجامع لمسيره الأولين والآخرين(۱).

وقفه نتلمس بها الشكر عند الحسين

إن لباب الشكر أبعاداً لدى المخلوقات، وكل مخلوق يؤدى ذلك بحسبه، فالمخلوقات متنوعه ومتفاوته، والإنسان هو الأرقى، و أرقى الأفراد عموماً هو الواصل لأرفع درجات الشكر، فعندما نحاول أن نتلمس الشكر عند الحسين عليه السلام يقف الفكر عاجزاً لأن الشكر الحقيقى فوق جوارح المحسوسات.

وعندما نقرأ واقعه كربلاء ومقدار عظمه البلاء نجد أن الحسين عليه السلام قد وجد هذا الضراء رحمه وليس بلاءً.. ويكمن فى هذا المعنى سر الأسرار،ولذا نجد فى دعاءالحسين عليه السلام ليلهعاشوراء:ربنا فاجعلنا من الشاكرين .

وهنا تظهر لدينا معالم الأسرار فى تلك الواقعه، عندما يردد عليه السلام هذه الكلمات الخالده: اللهم إنى أحمدك على أن أكرمتنا بالنبوه، وعلمتنا القرآن وفقهتنا فى الدين، وجعلت لنا أسماعاً وأبصاراً وأفئدهً، فاجعلنا من الشاكرين(۲).

لئن شكرتم لأزيدنكم

الشكر لله من أرفع موازين الأعمال، والآيات القرآنيه والأحاديث النبويه

۱- إشاره: البشريه لم تصل إلا بنهج الحسين عليه السلام إلى يوم القيامه .
۲- من كلماته عليه السلام المتقدمه آنفاً.

مجمعه على ذلك، ومنها قوله سبحانه: «وَلِكَلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا»(۱).

كثير من الناس ينظرون إلى شيعه الحسين عليه السلام أنهم مبالغون فى حبه وفى إظهار شعائر كربلاء، وهذا ما نراه فى كل عصر من العصور، وحتى فى هذه الأزمنه، وهنا لا أدخل فى سجال ومناظره بل أحاول الإشاره لما ندرك بمقدار ما نقدر على بيانه .

الأول: إن الأعمال تدور مدار العلم والإيمان، وهذا ما تنص عليه الآيات القرآنيه، قال سبحانه:«يَرفَعِ الله الَّذينَ آمَنو مِنكُم والَّذينَ أُتُوا العلم دَرَجاتٍ»(۲)

الثانى: لا بد من معرفه كل عمل وما يترتب عليه، وعندما نضم هذه الآيات من الشكر والدرجات، إلى قراءه واقع الأعمال ومخاطبه الحسين عليه السلام لخالقه عز وجل ندرك خيط الأسرار.

فقرات من دعاء عرفه

العلم، والمعرفه، والإيران: جسدها الإمام الحسين عليه السلام بمواقف كربلاء،وكل ذلك كان يبرز بكلماته ودرره المضيئه التى لا تنفطئ أبداً.

يخاطب عليه السلام الخالق سبحانه بأعز موقف فى عرفه، عندما يدعو بدعاء رفيع نعجزعن بيانه، وهو يقول:

يا مولاى أنت الذى أنعمت، أنت الذى أ حسنت، أنت الذى أجملت، أنت

۱- الأنعام ۱۳۲.

۲- الأحقاف ۱۹.

الذى أفضلت، أنت الذى أكملت، أنت الذى رزقت، أنت الذى وفقت، أنت الذى أعطيت، أنت الذى أغنيت، أنت الذى أقنيت، أنت الذى آويت، أنت الذى كفيت، أنت الذى هديت، أنت الذى عصمت، أنت الذى سترت، أنت الذى غفرت، أنت الذى أقلت، أنت الذى أعززت ، أنت الذى أعنت، أنت الذى عضدت، أنت الذى أيدت، أنت الذى نصرت، أنت الذى شفيت، أنت الذى عافيت، أنت الذى أكرمت، تباركت وتعاليت، لك الحمد دائماً، ولك الشكر واصباً أبدا(١)..

إيضاح وبيان: هذه الفقرات ورد الخطاب فيها سبعه وعشرين مره بصيغه الخطاب، وهذا يدلنا على مقام الحضور لدى خالقه ومدبر الأمور.

الإنسان والكمال

الإنسان فى هذه الدنيا له أبعاد عديده، وأرقى ما يمكن الوصول إليه هو الكمال الإنسانى، وهذه العباره لها تفاسير كثيره عند ذوى الأفهام والأقلام، وهنا نحاول رسم بعض الحروف والكلمات حول ذلك:

الأول: أن معانى الكمال مختلفه ومتفاوته من شخص لآخر، فقسم من الناس يرون الكمال فى الكمال الدنيوى، وقسم يرون الكمال فى الكمال الأخروى، وقسم آخر يرونه تابعه للنسبه(٢)..

وحديثنا هنا ليس عن الكمال المطلق، فالكمال المطلق للخالق وحده عز اسمه.

١- البلد الأمين ص٢٥٥، وهذه الفقرات من دعاء كبيرعظيم الشأن والبركات، من دعاء عرفه .

٢- توجد تقسيمات كثيره بحسب الاعتبارات.

والإنسان فی هـذه الـدنیا یسـعی جاهداً نحو الکمال المتعلق بالمخلوق، ومما هو معلوم أن لکل مخلوق خصوصـیاته، وأیضاً لکل فرد معطیاته، فعندما نحاول أن ننظر للإنسان نجد أنه یسعی للوصول إلی المعرفه، ومنها یسعی نحو الکمال.

الثانی: أن الکمال الحقیقی هو معرفه الله سبحانه(۱)، ولهذه المعرفه ابتداء ولکن لیس لحدودها انتهاء.

من هنا نـدرک معانی التفاوت نحو الکمال، والإنسان قد میز بمراتب المعرفه، فقد یخیل أن المعرفه من الأمور السـهله، ولکن فی الواقع هی أشد شـیء عند العقلاء، لأن المعرفه هی إدراک حقائق الأشـیاء، لذلک نری معظم أبناء البشـر یرتعون فی الجهل وهو ظلام.

إن إدراک المعـارف الحقـائق الأـمور تحتاج إلی العناء الکثیر، بل لا بـد من الجهـد المتواصل، وهـذا کثیراً ما تعرض عنه النفس البشریه، وعندما ننظر فی الأمم السابقه والحاضره نجد أکثر الناس قد استکانت الظواهر الدنیا، ومعلوم أن ظواهر الدنیا من جوارح المحسوسات، وهی من الأمور البسیطه جداً، ومعرفتها لا تحتاج إلی جهد، بل ندرکها بحواسنا الطبیعیه، بالحواس الخمس(۲).

الإنسان أبعد من الحواس

عندما ننظر لأنفسنا نظره أولیه نجد أن حقیقه الإنسان فوق ما هو

۱- تفاصیل ذلک فی کتب علم الکلام وعلوم الفلسفه.

۲- وهی السمع والبصر والشم والحین والذوق.

محسوس، لأن المحسوس أمر مجسد، والإنسان كما قيل: روح و جسد(۱).

فكل حواس الإنسان هى وسائل، وليست منتهى حقيقه الإنسان، ولا يقف الإنسان عند المحسوسات إلا بمقدار ما يتناسب وهذه الدنيا، وهذه المعانى يدركها الإنسان وإن عجز عن البيان.

فإن مجرد وجود العجز هو دليل على ما هو أبعد مما وصل إليه الإنسان، ومهما توصل إلى اكتشافات ومخترعات يبقى الإنسان عاجزاً عن اكتشاف ذاته وحقيقه نفسه.

ولذا تأتى قاعده المعرفه بالحث على معرفه النفس الإنسانيه، ولذا قيل :معرف النفس باب الوصول، ومنها تبدأ أمهات المعارف، وقد ورد فى الأحاديث: من عرف نفسه عرف ربه(۲).

ابتداء المعرفه عند ابتداء النفس

يتدرج الإنسان بالمعرفه عند ابتداء نفسه، والنفس هى نقطه الارتكاز فى كيان الإنسان، لذلك يجب الوصول إلى معرفتها، لأن الجهل بواقع النفس الإنسانيه هو جهل بكيان ذات الإنسان، والجهل نقيض العلم والمعرفه، فبقدر ما يترقى الإنسان بمعرفه نفسه يمكن أن يصل إلى حقيقه ما يجب عليه .

وهنا يمكن ذكر الحديث المشهور: قيمه كل امرئ ما يحسنه(۳) .

۱- روى عن الإمام زين العابدين عليه السلام: فالروح بغير جسد لا تحس، و الجسد بغير روح صوره لا حراك بها، فإذا اجتمعا قويا و صلحا (التوحيد للصدوق ص ۳۶۶).

۲- يحسن مراجعه أبحاثنا حول آيات النفس، وهى لا تزال مخطوطه.

۳- الأمالى للصدوق ص ۴۴۷.

فالنفس لها تدرج فی نمو کیانها، وکذلک تتدرج فی الوصول إلی المعرفه الحقه، ومعرفه الحق هی الغایه لخلق الإنسان، فمن عرف ذلک سلک طریق الوصول، ومن جهل ذلک لم یصل إلی الغایه .

من هذه المعانی یمکن لعقولنا أن تدرک شیئاً من أسرار المعرفه، وخصوصاً فیما یتعلق بأسرار الحسین علیه السلام .

أسرار الحسین فوق ادراکات عقولنا

تمتد بعض خیوط الأنوار والأسرار من کلمات مواقف الحسین علیه السلام .

لنقرأ هذه التعابیر من درر الکلمات، لعلنا نتلمس ومضات لمعرفه أنفسنابعد أن وصل علیه السلام إلی أرقی مراتب الکمال.

یکرر علیه السلام هذه التسبیحات بعنوان التهلیل اثنی عشر مره، وفیها دلالات واشارات لو أدرکتها عقولنا لأضاءت، یقول الحسین علیه السلام :

لا إله إلا أنت سبحانک إنی کنت من الظالمین، لا إله إلا أنت سبحانک إنی کنت من المستغفرین، لا إله إلا أنت سبحانک إنی کنت من الموحدین، لا إله إلا أنت سبحانک إنی کنت من الخائفین، لا إله إلا أنت سبحانک إنی کنت من الوجیین، لا إله إلا أنت سبحانک إنی کنت من الراجین، لا- إله إلا- أنت سبحانک إلی کنت من الراغبین، لا- إله إلا أنت سبحانک إنی کنت من المهللین، لا- إله إلا- أنت سبحانک إنی کنت من السائلین، لا- إله إلا- أنت سبحانک إنی کنت من المسبحین، لا- إله إلا- أنت سبحانک إنی کنت من المکبرین، لا إله إلا أنت سبحانک

ربی ورب آبائی الأولین(۱)..

وقفه فیها إشارات لأبعاد هذه التحلیلات:

الأول: البعد النفسی مع الخالق عز وعلا. وهذا البعد هو نقطه الانطلاق الحقیقه الأبرار، لأن الإنسان لا بد أن یبدأ من ذاته نحو خالقه ومبدعه، وهذا یحتم علینا الإقرار والتوسل والتسبیح والتهلیل. فابتدأ علیه السلام بالتهلیل الأول: لا إله إلا أنت سبحانک إلی کنت من الظالمین، وهذا دعاء نبی الله یونس، ولا شک أن فی ذلک أسراراً.

الثانی: البعد العملی، وهو التربیه الخاصه لأهل بیت العصمه علیهم السلام بقوله عند إتمام التهلیلات، حیث قال علیه السلام : لا إله إلا أنت سبحانک ربی ورب آبائی الأولین.

نقول وبه نستعین: إن التعابیر الوارده فی الأدعیه الصادره عن أهل بیت العصمه علیهم السلام ذات أبعاد ومعان رفیعه، فالمقطع الأخیر (ربی ورب آبائی الأولین) فیه أبعاد منها:

أولاً: التربیه الربانیه، وهذه التربیه تاره تکون تشریعیه وتاره تکوینیه، من هنا ندرک الخصوصیه لأهل بیت العصمه علیهم السلام..

ثانیاً: تربیه المعصوم تمتاز عن معانی التربیه العامه، لأن خصوصیات المعصوم فوق الإدراکات التی نعرفها عند بقیه الأفراد، فالنبی والرسول (۲)والإمام علیهم السلام لا بد لهم من خصوصیات تمیزهم عن غیرهم، لأن حمل الرسالات

۱- البلد الأمین ۲۵۶.

۲- إشاره لاحادیث کثیره ومنها: أدبنی ربی ...

السماويه لها اختيار خاص.

التربيه التشريعيه: إن التربيه التشريعيه هى الأساس الواقعى لحياه الإنسان، وبدونها يفقد الإنسان إنسانيته، فكان لا بد من مرب جامع لكل الصفات الحميده والمعانى الرفيعه، ويحتم حكم العقل أن يكون المربى معصوماً عن كل خطأ أو نقص، وعندما نقول (تشريع) فمعناه أن الإنسان لا بد له أن يتعبد بما هو حق وصحيح، وهذا لا يمكن أن يحصل إلا عن طريق المعصوم.

من هنا كانت حكمه الخالق سبحانه أن يرسل الرسل مبلغين الحق لبنى البشر، فالتربيه التشريعيه هى الميزان للإنسان فى الدارين، أى الدنيا والآخره.

فعندما نبحث فى سيره أهل بيت العصمه عليهم السلام نجد فى كل تصرفاتهم وأقوالهم وأفعالهم الزام بتربيه النفوس وهدايه العقول.

ومنها يصل الإنسان إلى أعلى مراتب التوحيد، وهو الأساس الحقيقى لكل عبادات الإنسان(۱).

التوحيد الأسمى

عندما نغور ونتابع سيره أسرار الحسين عليه السلام نجد أنه عليه السلام وصل إلى أعلى مراتب التوحيد، والتوحيد الحقيقى هو منتهى الغايات، وهو أسمى مراتب العبادات، وعليه تقام معانى الحياه.

لنقرأ هذه الفقرات من درر الأسرار، يقول الله : إن قوماً عبدوا الله رغبةً فتلك عباده التجار، وإن قوماً عبدوا الله رهبةً فتلك عباده العبيد، وإن قوماً عبدوا

۱- إشاره للآيه ما «خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون»

الله شكراً فتلك عباده الأحرار، وهى أفضل العباده(۱).

ونقرأ هذه الإضاءات من بعض الفقرات من دعاء يوم عرفه، يقول عليه السلام :

أنت الذى أشرقت الأنوار فى قلوب أوليائك حتى عرفوك ووحدوك [ووجدوك]، وأنت الذى أزلت الأغيار عن قلوب أحبائك حتى لم يحبوا سواك، ولم يلجئوا إلى غيرك، أنت المونس لهم حيث أوحشتهم العوالم، وأنت الذى هديتهم حيث استبانت لهم المعالم، [إلهى] ماذا وجد من فقدك، وما الذى فقد من وجدك، لقد خاب من رضى دونك بدلا(۲)..

عند محاولتنا للكتابه حول الأسرار نقتطف من هنا زهره ومن هناك ورده، ومن هنالك نظره لنروى ظماءً لنفوس ترنو نحو المعرفه، لذلك لم يكن لكتابتنا منهج أو أسلوب محدد، بل نجول هنا مره ونحتار مراراً..

وهنا نشير إلى طرف حول التوحيد، والتوحيد هو البدايه، وإليه وصول النهايه، حيث أن التوحيد أساسى لكل أمر من أمور الحياه، بل هو طريق للفوز والنجاه، وعند فقدانه الخسران للإنسان، من هنا ندرك أن التوحيد قائم على أصول المعرفه، التى هى رأس العلم.

قال الصادق عليه السلام: العارف شخصه مع الخلق وقلبه مع الله، لؤ سها قلبه عن الله طرفه عين لمات شوقاً إليه.

والعارف أمين ودائع الله وكنز أسراره ومعدن نوره و دليل رحمته على خلقه، ومطيعه علومه وميزان فضله وعدله.

۱- تحف العقول ص ۲۴۶.

۲- إقبال الأعمال ج ۱ ص ۲۴۹.

قد غنى عن الخلق والمراد والدنيا لا مونس له سوى الله، ولا نطق ولا إشاره ولا نفس إلا بالله ولله ومن الله ومع الله، فهو فى رياض قدسه متردد، ومن لطائف فضله إليه متزود، والمعرفه أصل فرعه الإيمان(۱).

وقفه:

مما لا شك فيه أن للمعرفه أهلاً، وأنها تتوقف على أمور كثيره أهمها العلم، وفى جوهرها تكمن الأسرار، وبها تنكشف الأستار، وهى رأس العلم.

جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه واله قال: ما رأس العلم؟

قال : معرفه الله حق معرفته .

قال: وما ك معرفته؟

قال : أن تعرفه بلا مال ولا شبه، و تعرفه إلها واحداً خالقاً قادراً أولا وآخراً وظاهراً وباطناً، لا كفو له ولا مثل له، فذاك معرفه الله حق معرفته(۲).

قال النبى صلى الله عليه واله: أفضلكم إيماناً أفضلكم معرفه(۳).

وروى عن بعض العلماء عليه السلام أنه قال: فى تفسير هذه الآيه «هل جزاء الإحسان إلا الإحسان»ما جزاء من أنعم الله عليه بالمعرفه إلا الجنه(۴)..

۱- بحار الأنوار ج۳ ص۱۴.
۲- بحار الأنوار ج۳ ص۱۴.
۳- بحار الأنوار ج۳ ص۱۴.
۴- بحار الأنوار ج ۳ ص ۱۳.

حديث حول التوحيد

نفتتح ونتبرك برسم هذا الحديث، عن مولانا الإمام على بن موسى الرضا عليه السلام حيث وفقنا الله سبحانه لزيارته هذا العام (۱)مرتين:

عن أبى المفضل عن الليث بن محمد العنبرى عن أحمد بن عبد الصمدعن خاله أبى الصلت الهروى قال: كنت مع الرضا عليه السلام لما دخل نيسابور وهو راكب بغله شهباء وقد خرج علماء نيسابور فى استقباله فلما صار إلى المربعه تعلقوا بلجام بغليه وقالوا: يا ابن رسول الله حدثنا بحق آبائك الطاهرين حديثاً عن آبائك صلوات الله عليهم أجمعين.

فأخرج رأسه من الهودج وعلى مطرف خز فقال:

حدثنى أبى موسى بن جعفر عن أبيه جعفر بن محمد بن على عن أبيه محمد بن على عن أبيه على بن الحسين عن أبيه الحسين سيد شباب أهل الجنه عن أمير المؤمنين عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه واله قال:

أخبرنى جبرئيل الروح الأمين عن الله تقدست أسماؤه وجل وجهه قال :

إنى أنا الله لا إله إلا أنا وحدى، عبادى فاعبدونى، وليعلم من لقينى منكم بشهاده أن لا إله إلا الله مخلصاً بها أنه قد دخل حصنى، ومن دخل حصنى أمن عذابى.

قالوا: يا ابن رسول الله، وما إ خلاص الشهاده لله ؟

۱- كتبت هذه الاسطر صباح الأربعاء ۱۰ أيلول ۲۰۰۳ الموافق ۱۳ رجب ۱۴۲۴ ه.

قال: طاعه الله ورسوله وولايه أهل بيته عليهم السلام(۱).

عندما نحاول أن نكتب عن أسرار الحسين عليه السلام نجد أن ذلك لا حدود له، ولذا نأخذ من هنا قطعه ومن هناك إشاره، ونجد فى أعماق ومضامين الأحاديث ما لا حصر له، ونجد أن الحسين عليه السلام قد حمل من الأسرار منذ عوالم الأنوار إلى عوالم الظهور مروراً بمراحل حياته كلها ما عجزت العقول عن إدراكه.

ولكن لا بد من الإشارات ولو بالنزر القليل من رسم كلمات وأحاديث وإشارات لعل جيلًا يأتى يدرك أبعاد تلك الأسرار.

ومن تلك الدرر نرسم هذه الأحرف، من حديث صحيح عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه كان إذا أقبل ابنه الحسن يقول: مرحباً بابن رسول الله.

وإذا قبل الحسين يقول: بأبى أنت يا أبا ابنى خيره الإماء.

قيل: يا أمير المؤمنين ما بالك تقول هذا الحسين وهذا للحسين؟ ومن ابن خيره الإماء؟

فقال : الله الفقيد الطريد الشريد م ح م د بن الحسين بن على بن محمد بن على بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين هذا.

ووضع يده على رأس الحسين عليه السلام(۲).

من هذا الحديث ندرك الأبعاد الواقعيه التى حملها الحسين عليه السلام من الأسرار التى تتناقل من جيل إلى جيل، ومن زمن إلى أزمان، و من واقعه إلى إظهار الحقائق.

۱- بحار الأنوار ج۳ ص۱۵.

۲- بحار الأنوار ج ۵۱، ص ۱۱۰.

فالحسين عليه السلام هو قطب الرحى فيما حمل من أسرار النبوه وأنوار الإمامه،ليبقى هذا النور شعاعاً لمن يهتدى فى كل زمان ومكان.

وعندما نقرأ الواقع العملى فى هذه الأزمنه نجد أن الحسين عليه السلام بسيرته الوضاءه ينيرالقلوب والعقول للهدايه والحق.

إن حديث أمير المؤمنين عليه السلام فيه رموز لكل مراحل و محطات ومنعطفات الحياه، حيث أن الحسين عليه السلام حامل للأسرار التى أودعها الله عند النبى المختار صلى الله عليه واله.

أسرار أشار إليها أمير المؤمنين

من هذه الأسرار ما جاء فى بعض خطبه عليه السلام حول إثبات الوصيه، قال عليه السلام :

الحمد لله الذى تحود بصنع الأشياء، وفطر أجناس البرايا على غير أصل ولا مثال سبقه فى إنشائها، ولا إعانه معين على ابتداعها، بل ابتدعها بلطف قدرته،فامتثلث فى مشيته خاضعةً ذليلةً مستحدثه لأمره.

الواحد الأحد الدائم بغير حد ولا أمدٍ ولاأمد زوال ولا نفاد، وكذلك لم يزل ولا يزال، لا تغيره الأزمنه ولا تحيط به الأمكنه ولا تبلغ صفاته الألسنه ولا تأخذه نوم ولا سنه.

لم تره العيون فتخبر عنه برؤيه، ولم تهجم عليه العقول فتتوهم كنه صفته ،ولم تدر كيف هو إلا بما أخبر عن نفسه..

ليس لقضائه مرد ولا لقوله مكذب، ابتدع الأشياء بغير تفكر ولا معين ولا

ظهير ولا وزير، فطرها بقدرته وصيرها إلى مشيته، وصاغ أشباحها وبرأ أرواحها واستنبط أجناسها خلقاً مبروءاً مذروءاً فى أقطار السماوات والأرضين.

لم يأت بشىء على غير ما أراد أن يأتى عليه ليرى عباده آيات جلاله وآلايه، فسبحانه لا إله إلا هو الواحد القهار وصلى الله على محمد و آله وسلم تسليماً.

اللهم من جهل فضل محمد صلى الله عليه واله فإنى مقر بأنك ما سطحت أرضاً ولا برأت خلقاً حتى أحكمت خلقه وأتقنته من نور سبقت به السلاله، وأنشأت آدم له جرماً فأودعته منه قراراً مكيناً و مستودعاً مأموناً.

وأعذته من الشيطان وحجبته عن الزياده والنقصان وحصلت له الشرف الذى يسامى به عبادك.

فاى بشر كان مثل آدم فيما سابقت به الأخبار وعرفتنا كتبك فى عطاياك، أسجدت له ملائكتك، وعرفته ما حجبت عنهم من علمك، إذ تناهت به قدرتك وتمت فيه مشيتك.

دعا بما أكننت فيه فأجبته إجابه القبول، فلما أذنت اللهم فى انتقال محمد صلى الله عليه واله من صلب آدم ألفت بينه وبين زوج خلقتها له سكنا، ووصلت لهما به سببا، فنقلته من بينها إلى شيت اختياراً له بعلمك، فإنه بشر كان اختصاصه برسالتك.

ثم نقلته إلى أنوش فكان خلف أبيه فى قبول كرامتك واحتمال رسالاتك، ثم قدرت المنقول إليه قينان وألحقته فى الحظوه بالسابقين وفى المنحه بالباقين، ثم جعلت مهلائيل رابع أجرامه قدره تودعها من خلقك من تضرب لهم بسهم

النبوه وشرف الأبوه، حتى إذا قبله برد عن تقديرك تناهى به تدبيرك إلى أخنوخ

فكان أول من جعلت من الأجرام ناقلاً للرساله وحاملاً أعباء النبؤه.

فتعاليت يا رب، لقد لطف حلمك، وجل قدرتك عن التفسير إلا بما دعوت إليه من الإقرار بربوبيتك.

وأشـهد أن الأعين لا تدركك، والأوهام لا تلحقك، والعقول لا تصـفك، والمكان لا يسعك، وكيف يسع من كان قبل المكان ومن خلق المكان؟

أم كيف تدركه الأوهام ولم تؤمر الأوهام على أمره؟

وكيف تؤمر الأوهام على أمره وهو الذى لا نهايه له ولا غايه؟

وكيف تكون له نهايه وغايه وهو الذى ابتدأ الغايات والنهايات ؟

أم كيف تدركه العقول ولم يجعل لها سبيلاً إلى إدراكه؟

وكيف يكون له إدراكه بسبب وقد لطف بربوبيته عن المحاسه والمجاسه؟

وكيف لا يلطف عنهما من لا ينتقل عن حال إلى حال؟

وكيف ينتقل من حال إلى حال وقد جعل الإنتقال نقصاً وزوالًا؟

فسبحانك ملات كل شيء، وباينت كل شيء، فأنت الذى لا يفقدك شى، وأنت الفعال لما تشاء، تبارك يا من كل مدرك من خلقه، و كل محـدود من صـنعه، أنت الـذى لا يسـتغنى عن المكان، ولا نعرفك إلا بانفرادك بالوحدانيه والقدره وسـبحانك ما أبين اصـطفاءك لإدريس على من سـلك من الحاملين، لقد جعلت له دليلاً من كتابك إذ سـميته صديقاً نبياً، ورفعته مكاناً علياً، وأنعمت عليه نعمه حرمتها على خلقك إلا من نقلت إليه نور الهاشميين، وجعلته أول منذر من

أنبيائك.

ثم أذنت فی انتقال محمد صلیالله علیه واله من القابلین له متوشلخ ولمک المفضیین إلی نوح فی آلائک یا رب علی ذلک لم توله؟ وأی خواص کرامتک لم تعطه ؟

ثم أذنت فی إیداعه ساماً دون حام ویافث فضرب لهما بسهم فی الذله، وجعلت ما أخرجت من بینهما لنسل سام خولًا.

ثم تتابع علیه القابون من حال إلی حال ومودع إلی مستودع من عترته فی فترات الدهور حتی قبله تارخ أطهر الأجسام وأشرف الأجرام ونقلته ومنه إلی إبراهیم فاسعدت بذلک جده وأعظمت به مجده وقدسته فی الأصفیاء وسمیته دون رسلک خلیلًا.

تم خصصت به إسماعیل دون ولد إبراهیم فانطقت لسانه بالعربیه التی فضلتها علی سائر اللغات، فلم تزل تنقله محظوراًعن الإنتقالی فی کل مقذوف من أب إلی أب، حتی قبله کنانه عن مدرکه.

فأخذت له مجامع الکرامه و مواطن السلامه وأجلت له البلده التی قضیت فیها مخرجه.

فسبحانک لا إله إلا أنت أی صلب أسکنته فیه لم ترفع ذکره؟

وأی نبی بشر به فلم یتقدم فی الأسماء اسمه؟

وأی ساحه من الأرض سلکت به لم تظهر بها قدسه؟

حتی الکعبه التی جعلت منها مخرجه غرست أساسها بیاقوته من جینات عدن، وأمرت الملکیین المطربین جبرئیل و میکائیل فتوسطا بها أرضک ،وسمیتها بیتک واتخذتها معبداً لنبیک، وحرمت وحشها وشجرها، وقدست حجرها ومدرها، وجعلتها مسلکاً لوحیک ومنسکاً لخلقک، ومأمن المأکولات وحجاباً

للأكلات العاديات، تحرم على أنفسها إذعار من أجرت.

ثم أذنت للنضر فى قبوله وإيداعه مالكاً، ثم من بعد مالك فهراً، ثم خصصت من ؤلد فهر غالباً، وجعلت كل من تنقله إليه أميناً لحرمك، حتى إذا قبله لؤى بن غالب آن له حركه تقديس فلم تودعه من بعده صلباً إلا جللته نوراً تأنس به الأبصار وتطمن إليه القلوب.

فأنا يا إلهى وسيدى ومولاى المقرلك بانك الفرد الذى لا ينازع ولا يغالب ولا يشاركك.

سبحانك لا إله إلا أنت، ما لعقل مولود وفهم مفقود مدحق من ظهر مريج نبع من عين مشيج بمحيض لحم وعلق ودر إلى فضاله الحيض وعلالات الطعم وشاركته الأسقام والتحقت عليه الآلام، لا يقدر على فعل ولا يمتنع من عله ضعيف التركيب والبينه، ما له والإقتحام على قدرتك، والهجوم على إرادتك، وتفتيش ما لا يعلمه غيرك.

سبحانك أى عين تقوم نصب بهاء نورك؟ وترقى إلى نور ضياء قدرتك؟ وأى فهم يفهم ما دون ذلك إلا أبصار كشفت عنها الأغطيه؟ وهتكت عنها الحجب العميه؟

فرقت أرواحها إلى أطراف أجنحه الأرواح، فناجوك فى أركانك وألحوابين أنواربهائك،ونظروا من مرتقى التربه إلى مستوى كبريائك، فسماهم أهل الملكوت زواراً، ودعاهم أهل الجبروت عماراً.

فسبحانك يا من ليس فى البحار قطرات، ولا فى متون الأرض جنبات، ولا فى رتاج الرياح حركات، ولا فى قلوب العباد خطرات، ولا فى الأبصار لمحات

ولا على متون السحاب نفحات، إلا وهى فى قدرتك متحيرات.

أما السماء فتخبر عن عجائبك، وأما الأرض فتدل على مدائحك، وأما الرياح فتنشر فوائدك، وأما السحاب فتهطل مواهبك.

وكل ذلك يحدث بتحننك، ويخبر أفهام العارفين بشفقتك، وأنا المقر بما أنزلت على السن أصفيائك أين أبانا آدم عند اعتدال نفسه وفراغك من خلق رفع وجهه فواجهه من عرشك وسم فيه : لا إله إلا الله محمد رسول الله فقال : إلهى من المقرون باسمك؟

فقلت: محمد خير من أخرجه من صلبك، واصطفيته بعدك من ولدك، ولولاه ما خلقتك.

فسبحانك لك العلم النافذ والقدر الغالب، لم تزل الآباء تحمله، والأصلاب تنقله، كلما أنزلته ساحه صلب جعلت له فيها صنعاً يحث العقول على طاعته، ويدعوها إلى متابعته.

حتى نقلته إلى هاشم خير آبائه بعد إسماعيل، فأى أب وجد ووالد أسره ومجتمع عتره و مخرج طهر ومرجع فخر جعلت يا رب هاشماً، لقد أقمته لدن بيتك وجعلت له المشاعر والمتاجر، ثم نقلته من هاشم إلى عبد المطلب، فانهجته سبيل إبراهيم وألهمته رشداً للتأويل، وتفصيل الحق ووهبت له عبد الله وأبا طالب وحمزه وفديته فى القربان بعبد الله كسمتك فى إبراهيم بإسماعيل، ووسمت بأبى طالب فى ؤلده كسمتك فى إسحاق بتقديسك عليهم وتقديم الصفوه لهم.

فلقد بلغت إلهى ببنى أبى طالب الدرجه التى رفعت إليها فضلهم فى الشرف الذى مددت به أعناقهم، والذكر الذى حليت به أسماء هم وجعلتهم

معدن النور وجنته، وصفوه الدين وذروته، و فريضه الوحى وسنته، ثم أذنت لعبد الله فى نبذه عند ميقات تطهير أرضك من كفار الأمم الذين نسوا عبادتك، وجهلوا معرفتك، واتخدوا أنداداً، وجحدوا ربوبيتك وأنكروا وحدانيتك وجعلوا لك شركاء وأولاداً وصبوا إلى عباده الأوثان وطاعه الشيطان.

فدعاك نبينا صلوات الله عليه بنصرته فنصرته بى وبجعفر وحمزه، فنحن الذين اخترتنا له و سميتنا فى دينك لدعوتك أنصاراً لنبيك، قائدنا إلى الجنه خيرتك، وشاهدنا أنت رب السماوات والأرضين، جعلتنا ثلاثه ما نصب لنا عزيز إلا أذللته بنا، ولا ملك إلا طحطحته.

«أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً»وصفتنا يا ربنا بذلك وأنزلت فينا قرآناً جليت به عن وجوهنا الظلم، وأرهبت بصولتنا الأمم، إذا جاهد محمد رسولك عدواً لدينك تلوذ به أسرته، وتحف به عترته، كأنهم النجو الزاهره إذا توسطهم القمر المنير ليله تمه [تمه].

فصلوا على محمد عبدك ونبيك وصفيك وخيرتك وآله الطاهرين، أى منيعه لتهدمها دعوته؟

وأى فضيله لم تنلها عترته؟

جعلتهم خيرأئمه أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويجاهدون فى سبيلك ويتواصلون بدينك.

طهرتهم بتحريم الميته والدم ولحم الخنزير وما أهل ونسك به لغير الله .

تشهدلهم وملائكتك أنهم باعوك أنفسهم، وابتذلوا من هيبتك أبدانهم،شعثه رءسهم تربةً وجوههم ،تكاد الارض من طهارتهم تقبضهم اليها و من

فضلهم تميد بمن عليها .

رفعت شانهم بتحريم آنجاس المطاعم والمشارب من أنواع المسكر، فأى شرف يا رب جعلته فى محمد وعترته؟

فو الله أقولن قولاً لا يطيق أن يقوله أحد من خلقك: أنا علم الهدى وكهف التقى ومحل السخاء وبحر الندى وطود النهى ومعدن العلم، ونور فى ظلم الدجا، وخير من آمن واتقى، و أكمل من تقمص و ارتدى، و أفضل من شهد النجوى بعد النبى المصطفى.

وما أزكى نفسى ولكن بنعمه ربى أحدث.

أنا صاحب القبلتين وحامل الرايتين فهل يوازى فى أحد؟

وأنا أبو السبطين فهل يساوى بى بشر؟

وأنا و خير النسوان فهل يفوقنى أحد؟

وأنا القمر الزاهر بالعلم الذى علمنى ربى، والفرات الزاخر، أشبهت من القمرنوره وبهاءه، ومن الفرات بذله وسخاءه.

أيها الناس: بنا آثار الله السبل وأقام الميل، وعبد الله فى أرضه و تناهت إليه معرفه خلقه، و قدس الله جل وتعالى بإبلاغنا الألسن، وابتهلت بدعوتنا الاذهان فتوفى الله محمداً صلى االه عليه واله سعيداً شهيداً هادياً مهدياً قائماً بما استكفاه حافظاً استراعاه، تمم به الدين وأوضح به اليقين.

وأقرت العقول بدلالته و آبانت □جج أنبيائه واندمغ الباطل زاهقاً ووضح العدل ناطقاً و عطل مظان الشيطان وأوضح الحق والبرهان.

اللهم اجعل فواضل صلواتك ونوامى بركاتك ورأفتك ورحمتك على محمد نبى الرحمه وعلى أهل بيته الطاهرين (١).

وقفه عند فقرات هذه الخطبه الحاويه لكثير من الأسرار:

السر الأول: أن الله سبحانه توحد بصنع وإبداء الأشياء. السر الثانى : أنه قد برأ الأرواح فى أقطار السماوات.

السر الثالث: بعد خلق آدم عليه السلام أودع الله سبحانه فى صلبه أنوار محمد وآله عليهم السلام.

السر الرابع: انتقال هذه الأنوار من نبى إلى آخر حتى وصل إلى هاشم ومنه إلى عبد المطلب(٢).

وفى هذه الخطبه أسرار فوق إدراك عقولنا، وتحتاج هذه العقول إلى بصائر صافيه لإدراك الحقائق الساطعه التى ظهرت من ابتداء صنع وإنشاء آدم عليه السلام ، إلى إظهار نور سيد الكائنات، وهذا النور من الأسرار لم يزل ينتقل ويظهر على فترات إلى ظهور الحجه المنتظر عجل الله فرجه.

وكل ذلك متصل بأسرار وأنوار الحسين عليه السلام، فمن يبحث يعرف، وليس كل ما يعرف يكتب.

ومن الأسرار ما جاء فى هذا الحديث، عن أبى حمزه الثمالى قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: إن الله خلقنا من أعلى عليين، وخلق قلوب شيعتنا مما خلقنا

١- بحار الأنوار ج ٢٥ ص ٢٦، عن إثبات الوصيه ص١٢٧.

٢- إشارهإلى أن هاشم الذى كان فيه النور من أبرز أجداد النبى صلى الله عليه واله ، ويحسن مراجعه ابحاثنا حول ابتداء البعثه الشريفه.

وخلق أبدائهم من دون ذلک، فقلوبهم تهوی إلینا لأنها خلقت مما خلقنا.

ثم تلا هذه الآیه «کلا إن کتاب الأبرار لفی علیین * وما أدراک ما علیون* کتاب مرقوم *یشهده المقربون».

وخلق عدونا من سجین وخلق قلوب شیعتهم مما خلقهم منه، وأبدائهم من دون ذلک، فقلوبهم تهوی إلیهم لأنها خلقت مما خلقوا منه.

ثم تلا هذه الآیه «کلا إن کتاب الفجار لفی سجین * وما أدراک ما سجین * کتاب مرقوم»(۱).

أسرار من القرآن

عندما نحاول رسم حروف من أسرار القرآن الحکیم، لا بد من الرجوع لمصدر نزول القرآن المجید، ومعانی القرآن الکریم تبدأ من عند سید الأولین والآخرین، محمد بن عبد الله صلی الله علیه واله.

عن أنس بن مالک قال: بینا رسو الله صلی الله علیه واله صلی صلاه الفجر ثم استوی فی محرابه کالبدر فی تمامه فقلنا: یا رسول الله إن رأیت أن تفسر لنا هذه الآیه قوله تعالی «فأولئک مع الذین أنعم الله علیهم من اللنبیین والصدیقین والشهداءوالصالحین».

فقال النبی صلی الله علیه واله: أما النبیون فأنا، وأما الصدیقون فعلی بن أبی طالب، وأما الشهدا فعمی حمزه، وأما الصالحوین فابنتی فاطمه وولداها الحسن والحسین(۲)..

۱- الکافی ج ۱ ص ۳۹۰.

۲- بحار الأنوار ج ۲۵ ص۱۶، وللحدیث تتمه طویله ومهمه وفیه إشاره للأنوار.

تنبيه:

عندما نرسم حديثاً من هنا أو هناك لا بد من إدراك أن القرآن وما فيه من أسرار ومعان لا تعرف إلا من بيان أهل بيت العصمه عليهم السلام ، والأسرار ومعرفه الأنوار مخزونه عند النبى المختارصلى الله عليه واله .

نموذج من أحاديث النور والطينه

إن أحاديث الأنوار هى مستودع الأسرار، ومما لا شك فيه عند ذوى الألباب أن هذه الأسرار قد أودعها الله سبحانه عند رسوله المختارصلى الله عليه واله، وينبغى علينا أن لا نتعجب ولا ننكر ذلك عندما تعجز عقولنا عن إدراك هذه الحقائق الربانيه، لأن عقولنا كثيراً ما تعجز عن هذه المعانى، لأنها انغمست فى المحسوسات فى هذه الدنيا وألفت ذلك.

ومن يجاهد نفسه فى مده حياته قد يدرك شيئاً من هذه الأنوار، وإن كانت الحروف والكلمات عاجزه عن بيان حقائق المعانى، فالحروف ما هى إلا إشارات ورموز لمعانى الحقائق، ونحن عندما نرسم ذلك نأمل أن يبعث الله سبحانه أجيالاً قد تدرك ذلك، فالعجزعن الإدراك إدراك..

وقد ثبت بالأدله والبراهين أن الله تعالى قد أودع أنوار محمد صلى الله عليه واله فى صلب آدم بعد خلقه، وقد تنقل هذا النور من صلب لآخر بعنايته سبحانه(١).

عن ابن عباس أنه قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: اتقوا فراسه المؤمن فإنه ينظر بنور الله.

١- من شاء التفاصيل فليراجع المصادر الموثوقه بنيه صافيه.

قال: فقلت يا أمير المؤمنين كيف ينظر بنور الله عزوجل؟

قال عليه السلام : أنا خلقنا من نور الله، وخلق شيعتنا من شعاع نورنا، فهم أضفياء أبرارأطهار متوسمون، نورهم يضيء على من سواهم كالبدر فى الليله الظلماء(١).

وروى صفوان عن الصادق عليه السلام أنه قال: لما خلق الله السماوات والأرضين استوى على العرش فامر نورين من نوره فطافا حول العرش سبعين ،مره فقال عزوجل : هذان نوران لى مطيعان.

فخلق الله من ذلك النور محمداً وعلياً والأصفياء من ولده عليهم السلام ، وخلق من نورهم شيعتهم، وخلق من نور شيعتهم ضؤء الأبصار(٢) .

إرشاد وتنبيه:

عندما نقرأ معظم الأحاديث عندها ندرك أن بعضها يوضح بعضاً، ونقترب من المعانى أكثر .

سأل المفضل الصادق عليه السلام: ما كنتم قبل أن يخلق الله السماوات والأرضين؟

قال عليه السلام : كنا أنواراًحول العرش نسبح الله ونقدسه حتى خلق الله سبحانه الملائكه، فقال لهم: سبحوا

فقالوا: يا ربنا لا علم لنا.

١- بحار الأنوار ج ٢٥ ص ٢١.

٢- المصدر السابق.

فقال لنا: سبحوا.

فسبحنا فبحست الملائكه بتسبيحنا.

ألا- إنا خلقنا من نور الله وخلق شيعتنا من دون ذلك النور، فإذا كان يوم القيامه التحقت السفلى بالعليا، ثم قرن عليه السلام بين إصبعيه السبابه والوسطى وقال : كهاتين.

ثم قال: يا مفضل أتدرى لم سميت الشيعه شيعه؟

يا مفضل شيعتنا منا ونحن من شيعتنا، أما ترى هذه الشمس أين تبدو؟

قلت: من شرق.

وقال: إلى أين تعود؟

قلت: إلى مغرب.

قال عليه السلام : هذا شيعتنا منا بدءوا وإلينا يعودون(۱).

وروى أحمد بن حنبل عن رسول الله صلى الله عليه واله أنه قال: كنت أنا وعلى نوراًبين يدى الرحمن قبل أن يخلق عرشه بأربعه عشر ألف عام(۲).

وفى حديث جامع رواه جابر بن عبد الله فى تفسير قوله تعالى «كنتم خير أمه أخرجت للناس تأمرون بالمعروف»

قال: قال رسول الله صلى الله عليه واله: أول ما خلق الله نورى، ابتدعه من نوره واشتقه من جلال عظمته، فأقبل يطوف بالقدره حتى وصل إلى جلال العظمه فى ثمانين

۱- بحار الأنوار ج ۲۵ ص ۲۱.

۲- المصدر السابق.

ألف سنه ثم سجد لله تعظيماً ففتق منه نور على عليه السلام، فكان نورى محيطاً بالعظمه ونور على محيطه بالقدره.

ثم خلق العرش واللوح والشمس وضوء النهار ونور الأبصار والعقل والمعرفه وأبصار العباد وأسماعهم وقلوبهم من نورى، ونورى مشتق من نوره، فنحن الأولون ونحن الآخرون ونحن السابقون ونحن المسبحون ونحن الشافعون.

ونحن كلمه الله ونحن خاصه الله ونحن أحباء الله ونحن وجه الله ونحن جنب الله ونحن يمين الله ونحن أمناء الله ونحن خزنه وحى الله وسدنه غيب الله ، ونحن معدن التنزيل ومعنى التأويل، و فى أبياتنا هبط جبرئيل.

ونحن محال قدس الله، ونحن مصابيح الحكمه ونحن مفاتيح الرحمه ونحن ينابيع النعمه ونحن شرف الأمه، ونحن ساده الأئمه ونحن نواميس العصر وأخبار الدهر.

و نحن ساده العباد ونحن ساسه البلاد، ونحن الكفاه والؤلاه والحماه والسقاه والرعاه وطريق النجاه.

و نحن السبيل والسلسبيل، ونحن النهج القويم والطريق المستقيم.

من آمن بنا آمن بالله، ومن رد علينا رد على الله، ومن شك فينا شك فى الله ، ومن عرفنا عرف الله، ومن تولى عنا تولى عن الله، ومن أطاعنا أطاع الله .

ونحن الوسيله إلى الله والؤصله إلى رضوان الله، ولا العصمه والخلافه والهدايه، وفينا النبوه والولايه والإمامه، ونحن معدن الحكمه وباب الرحمه وشجره العصمه، ونحن كلمه التقوى والمثل الأعلى والحجه العظمى والعروه

الوثقی التی من تمسک بها نجا(۱).

معرفه النفس

لکل ما کتب ویکتب هدف وغایه، فعندما نحاول التعرف علی أسرار الحسین علیه السلام وآل بیت النبی صلی الله علیه واله تکون هذه المحاوله للوصول إلی مقدار من المعرفه.

ولیس للمعرفه حدود، فکلما بحث الإنسان کلما تحققت المعرفه عنده، ولیست معرفه النفس محصوره فی باب معین بل یمکن ذلک فی کل أبواب الحیاه، مع تفاوت فی هذه الأبواب، لذلک یجد القارئ فی أبحاثنا مواضیع متعدده علی خلاف ما تعارف من الحصر، وهنا نحاول الإشاره ولو تلمیحاً إلی أساس الإیمان والتوحید، وهو معرفه الإنسان نفسه.

لأن الإنسان یصل إلی الغایه الکبری عندما یتلمس معرفه نفسه فی واقعها وما یتعلق بها، وقد وردت آیات وأحادیث حول النفس لا حصر لها، ویکفی قوله تعالی:«سَنُرِیهِمْ آیَاتِنَا فِی الْآفَاقِ وَفِی أَنْفُسِهِمْ حَتَّی یَتَبَیَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ»(۲).

من هذه الآیه ومثیلاتها ندرک الأبعاد الواقعیه لمعرفه النفس الإنسانیه .

وقفه عند درر من الأحادیث حول النفس(۳): ولنقرأ هذه الآیه قبل إیراد الأحادیث، قال عز من قائل:«یَا أَیُّهَا الَّذِینَ

۱- بحار الأنوار ج ۲۵ ص ۲۱.

۲- فصلت ۵۳.

۳- راجع أبحاثنا حول النفس ضمن آیات بینات، أکثرمن مائتی آیه .

آمَنُوا عَلَيْكَمْ أَنْفُسَكَمْ ۖ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ۚ إِلَى اللَهِ مَرْجِعُكَمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكَمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ»(۱)

من ظواهر هذه الآيه المباركه ندرك أهميه الهدايه، ومعرفه الهدايه تتوقف على الدرايه وليس مجرد سرد الروايه.

فالمعرفه أساس يرفع عليه صرح البناء الأبراج النفس التى جعلها الله سبحانه نقطه الإرتكاز للإنسان.

يقول أميرالمؤمنين عليه السلام: العارف من عرف نفسه وأعتقها ونزهها من كل ما يبعدها ويوبقها.

ويقول عليه السلام: أفضل العقل معرفه الإنسان نفسه، فمن عرف نفسه عقل ومن جهلها ضل.

ويقول عليه السلام : من عرف نفسه قد انتهى إلى غايه معرفه.

ويقول عليه السلام: نال الفوز الأكبر من ظفر بمعرفه النفس (۲).

وقفه

عندما نحاول التعرف على النفس الإنسانيه فلا بد من التعرف ولو إجمالاً على معرفه خالقها.

إن الآيه المتقدمه «سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِى الْآفَاقِ وَفِى أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ

۱- المائده ۱۰۵.

۲- راجع الأنوار الساطعه فى شرح الزياره الجامعه جا من ص ۷۳.

الْحَقُّ»(۱)تتضمن أصلين أساسيين للمعرفه، هما الآفاق والأنفس، ومنها ينطلق الفكر إلى أبواب المعرفه التى خلق لأجلها، لأن الجاهل لا قيمه لوجوده، ولذا جاء عن أمير المؤمنين عليه السلام: لا تجهل نفسك فى الجاهل بمعرفه نفسه جاهل بكل شىء(۲).

فمعرفه الأنفس أنفع المعارف كما ورد فى الأخبار، وكما أن معرفه الآفاق لا حدود لها كذلك معرفه الأنفس، أوسع مجالاً وأدق معرفه بما لها من ارتباط مع خالقها سبحانه، ومنها تبدأ مسيره المعرفه نحو العالم الأكبر:

وتحسب نفسك جرم صغير*** وفيك انطوى العالم الأكبر

وهنا نشير إلى قاعده أساسيه وهى أن معرفه الأنفس ليست أمراً ممتنعاً، بل تحتاج إلى بصائر صافيه وعقول رزينه، فالنفس هى الميدان الأوسع، ومعرفتها بالواقع هى الفوز الأكبر، وفى حديث مهم، دخل رجل اسمه مجاشع فقال: يا رسول الله كيف الطريق إلى معرفه الحق؟

فقال عليه السلام: معرفه النفس(۳).

تنبيه لذوى العقول من الأجيال القادمه:

نكتب هذه المواضيع المتنوعه وخصوصاً حول النفس لأجيال قادمه، تحمل معها معرفهً أكبر، وإدراكاً أوسع، وعلماً قد يكون أنفع، وكتابتنا هنا ما هى إلا

۱- فصلت ۵۳.

۲- الأنوار الساطعه ج۱ ص۷۴.

۳- بحار الأنوار ج ۶۷ ص ۷۲ من حديث طويل مهم ذكرناه سابقاً.

إشارات لمن يـدرک حل رموزها، ولذا ورد حول النفس الكثير، وعلم الأنفس لا حدود له، وقد قال أمير المؤمنين عليه السـلام : من عرف نفسه فقد انتهى إلى غايه كل معرفه(۱).

من هنا ندرک أن أسرار الحياه والوجود لا تقف عند حدود.

وعندما نحاول رسم حروف حول النفس نجد باباً واسعاً، وأبواب النفس فوق الحصر، فهى قطب الرحى لمسيره الإنسان.

وتاره نحاول البحث عن ذاتها، وتاره عن مصيرها وصفاتها، ومهما يكن فلا بد من التعرف على بعض جوانبها.

و آيات النفس قد وردت فى القرآن الكريم بأكثر من عشرات الآيات، وفى كل آيه إشارات من الأسرار، ففى آيه الآفاق الوارده لمعرفه الحق:«....وَفِى أَنْفُسِهِمْ حَتّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ»(۲).

وعنـدما نقرأ آيه خلقها: «ونفسٍ وما سواها»نـدرک المعانى التى تتعلق بالسـلوک والتقوى «فألهمها فجورها وتقواها»، هذه النفس التى يدور مدارها الإنسان هى نقطه الارتكاز فى دائره الحياه، ولذا نجد أن النبى صـلى الله عليه واله والأئمه الأطهارعليهم السـلام قد أوضحوا لنا الكثير حول النفس.

يقول إمام المتقين عليه السلام: إن النفس لجوهره نفسيه من ضانها رفعها، ومن ابتذلها وضعها(۳). ولهذه الجوهره أسرار وأسرار..

۱- ميزان الحكمه ج ۶ ص ۱۴۱.

۲- فصلت ۵۳.

۳- ميزان الحكمه ج ۱۰ ص۱۲۵.

صون النفس من أوجب الواجبات

الإنسان فی هذه الدنیا قد حمل مسؤولیات عدیده، ولا شک أن بعضها أولی من بعض، وعند التأمل نجد کل ذلک عائداً للنفس الإنسانیه، من هنا وجب علینا البحث حولها، وقد رسم لنا أهل البیت علیهم السلام الطریق الواضح لمن أراد نجاه نفسه.

قال الصادق علیه السلام: من رعی قلبه عن الغفله ونفسه عن الشهوه وعقله عن الجهل فقد دخل فی دیوان المتنبهین، ثم من رعی عمله عن الهوی ودینه عن البدعه وماله عن الحرام فهو من جمله الصالحین.

قال رسول الله صلی الله علیه واله: طلب العلم فریضه علی کل مسلم ومسلمه وهو علم الأنفس(۱)..

من هنا نـدرک أن علم الأنفس هو المیزان لکل إنسان، ومن هـذا العلم نـدخل لجمیع العلوم، وندرک أیضاً أن علم الآفاق جعل مع علم الأنفس، وهذا العلم لیس کبقیه العلوم، فهو الکنز المخبأ فی ذات الإنسان ولیس فی مکان آخر.

مسلک دقیق للنفس

مما هو معلوم أن هناک مسالک عدیده لإصـلاح النفس البشریه، وأهمها ما هو مختص بالقرآن الحکیم، وفیه من أنواع التربیه ما یسـمو بالإنسان إلی أعلی المراتب، فإن علوم القرآن و معارفه ترفع الرذائل عن النفس، ویتحقق ذلک عنـدما ندرک ونعمل علی حقیقتین أساسیتین، وهما: العزه، والقوه.

۱- بحار الأنوار ج ۶۷ ص ۶۸.

وينالها الإنسان عندما يربط هذه النفس بالله سبحانه حيث قال الله تعالى :«إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا »(۱)، ويقول عزاسمه: «أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا»(۲).

يقول صاحب ميزان الحكمه: والتحقق بهذا العلم الحق لا يبقى موضوعا لرياء، ولا سمعه، ولا خوف من غير الله ولا رجاء لغيره، ولا ركون إلى غيره، فهاتان القضيتان إذا صارتا معلومتين للإنسان تغسلان كل ذميمه وصفا أو فعلا عن الإنسان وتحليان نفسه بحليه ما يقابلها من الصفات الكريمه الإلهيه من التقوى بالله، والتعزز بالله وغيرهما من مناعه وكبرياء واستغناء وهيبه إلهيه ربانيه (۳).

سبب صلاح النفس

نقف هنيئه عند هذا العنوان، وهو كيف يمكننا إصلاح أنفسنا؟

نقول وبه نستعين: كل مخلوق فى هذا الوجود متوقف على سبب أو أسباب، ومما لا شك فيه أن النفس البشريه إذا صلحت يصلح الإنسان، وهذا الصلاح ينعكس على كل أبعاد الحياه، سواء فى هذه الدنيا أو فى الآخره التى هى دار البقاء .

يقول أمير المؤمنين عليه السلام : سبب صلاح النفس العزوف عن الدنيا(۴).

لذلك نحاول الإشاره إلى هذه الغايه الكبرى،والأحاديث الشريفه تضع

۱- يونس ۶۵.

۲- البقره ۱۶۵.

۳- ميزان الحكمه ج ۱۰ ص ۱۴۰.

۴- ميزان الحكمه ج ۱۰ ص۱۴۳.

لنا موازين التطبيق هذه المهمه الكبيره التى لا يمكن تجاهلها فى مسيره حياتنا.

النقرأ جيداً ما قاله سيد البلغاء وإمام الأتقياء، قال عليه السلام : لاتترك الإجتهاد فى إصلاح نفسك، فإنه لا يعينك عليها إلا الجد.

ويقول عليه السلام : صلاح النفس مجاهده الهوى(١)

والمجاهده ليست كلاماً يقال، بل هى عمل شاق ومهمه كبيره خلق الإنسان لأجلها، وعليها تدور سنه الحياه.

وقفه:

النقف أمام أنفسنا وقفه منصف ونضعها فى ميزان الواقع العملى، ونحاسبها أدق محاسبه كما يحاسب الشريك شريكه.

إن الميزان الحقيقى عند المعصوم لا ـ عند سواه، فمن عدل إلى غيره فقد وقع فى التيه، وهنا نشير إلى ميزان العدل، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: فساد الأخلاق بمعاشره السفهاء، وصلاح الأخلاق بمنافسه العقلاء.

والخلق أشكال ف«كل يعمل على شاكلته » .

والناس إخوان فمن كانت إخوته فى غير ذات الله فإنها تحوز عداوه وذلك قوله تعالى «الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين»(٢).

سبب صلاح النفس الورع

عندما نحاول التحدث عن صلاح وإصلاح النفس البشريه التى هى نقطه

١- ميزان الحكمه ج ١٠ ص١۴٣.

٢- بحار الأنوار ج ٧۵ ص٨٢.

الارتكاز لسعاده الإنسان فى الدارين، نجد من الضرورى أن يكون صلاحها من داخلها، ولذا قال أمير المؤمنين عليه السلام : لا تترك الإجتهاد فى إصلاح نفسك فانه لايعينك عليها إلا الجد(۱).

لإصلاح النفس أبعاد فى حياه الإنسان، وهذا المعنى يبدأ من ذات النفس، فالداء والدواء كامن فى ذاتها، وقد حدد ذلك أمير المؤمنين عليه السلام بكثير من حكمه وبلاغته، قال عليه السلام : دواء النفس الصوم عن الهوى والحميه عن لذات الدنيا(۲).

ومعلوم أن تهذيب النفس يبدأ من داخلها، وهذا التهذيب يرتكز على أسس وقواعد ثابته، وهذه الأسس تؤخذ ممن حملوا أسرار الوجود ورسالات الحياه، وأمانات الخالق الخلقه، وهم أهل بيت العصمه عليهم السلام ، فقد جاء فى خبر الشيخ الشامى: قال أمير المؤمنين عليه السلام : يا شيخ من اعتدل يوماه فهو مغبون، ومن كانت الدنيا همته اشتدت حسرته عند فراقها، ومن كان غده شر يوميه فمحروم، ومن لم يبال ما رزئ من آخرته إذا سلمت له دنياه فهو هالك، ومن لم يتعاهد النقص من نفسيه غلب عليه الهوى، ومن كان فى نقص فالمؤت خير له(۳).

وقفه لذوى الأبصار

أقسام العلماء: فى كتاب منيه المريد عن بعض المحققين قال :

العلماء ثلاثه:

عالم بالله غير عالم بأمر الله فهو عبد استولت المعرفه الإلهيه على قلبه فصار

۱- ميزان الحكمه ج ۱۰ ص۱۴۳.
۲- ميزان الحكمه ج ۱۰ ص ۱۴۴.
۳- بحار الأنوار ج ۸ ص ۱۸۱.

مستغرقاً بمشاهده نور الجلال والكبرياء، فلا يتفرع لتعلم علم الأحكام إلا ما لا بدمنه.

وعالم بأمر الله غير عالم بالله وهو الذى عرف الحلال والحرام ودقائق الحكام لكنه لا يعرف أسرار جلال الله .

وعالم بالله وبأمر الله فهو جالس على الحد المشترك بين عالم المعقولات وعالم المحسوسات، فهو تاره مع الله بالحب له وتاره مع الخلق بالشفقه والرحمه، فإذا رجع من ربه إلى الخلق صار معهم واحد منهم كأنه لا يعرف الله، وإذا خلا بربه مشتغلاً بذكره وخدمته فكانه لا يعرف الخلق.

فهذا سبيل المرسلين والصديقين وهو المراد بقوله صلى الله عليه واله: سائل العلماء وخالط الحكماء وجالس الكبراء.

فالمراد بقوله صلى الله عليه واله : سائل العلماء العلماء بأمر الله تعالى غير العالمين بالله فامر بمساءلتهم عند الحاجه إلى الإستفتاء .

وأما الحكماء: فهم العالمون بالله الذين لا يعلمون أوامر الله فأمربمخالطتهم.

وأما الكبراء فهم العالمون بها فأمر بمجالستهم لان فى مجالستهم □ير الدنيا والآخره(١)..

ثلاثه عوالم وثلاث مسافرين

مما هو معلوم أن العوالم ثلاثه:

١- منيه المريد ص١٢۴.

١. عالم الحين والدنيا .

٢. وعالم الغيب والعقبى.

٣. وعالم القدس والمأوى.

ومما هو واضح لأهله أن المسافرين على أصناف ثلاثه:

١. صنف يسافر فى الدنيا ورأس ماله المتاع والثروه، وربحه المعصيه والندامه .

٢. وصنف يسافر إلى الآخره ورأس ماله العباده وربحه الجنه.

٣. وصنف يسافر إلى الله تعالى ورأس ماله المعرفه، وربحه الجنه. ومن هنا قالوا: إن المعرفه أصل كل سعاده، والجهل رأس كل شقاوه(١).

وقفه عاجز عند هذه العوالم

إذا أراد الإنسان أن يقرأ مسير وسفر حياته يجد نفسه أنه يبدأ بعوالم المحسوسات، ويقطع المسافه من عالم إلى آخر.

المرحله الأولى هى رغبه النفس وهواها فى المحسوسات، وهذا يتناسب وصوره الطبع والحس، لذلك يتلهى الولد بأبسط المحسوسات، ويرضى ويغضب لها إن وجدت أو فقدت، فقد يشيب ويبقى متلهياً بها، وقد يتجاوزها لما هو أرفع وأسمى، فإذا تجاوز عن هذه المرحله باختياره يدخل فى مرحله ثانيه، وهى صوره النفس، التى هى أول درجات الإنسان، وهذه المرحله فيها محطات

١- راجع الأنوار الساطعه ج١ من ص ١٣٩، بتصرف.

عديده، بعضها أرقى من بعض.

فإذا تجاوزها ينتقل إلى مرحله ثالثه، وهى: صوره العقل ومنازله(۱)، ومن هنا يصبح مؤهلاً لما هو فوق المحسوسات، وهو الدخول فى الأنوار.

النور أو النار

مما هو معلوم أن الألفاظ إشارات وقوالب للمعانى، والإنسان هو المميزعن بقيه المخلوقات لإدراكها.

ولفظ النور والنار قد ورد بكثير من الآيات والروايات، حيث لا شىء من المحسوسات أوضح لدى الإنسان من النور، فأقصى ما يمكن إدراكه بالعقل عند الإنسان أن ينعم بالنور، فقد يتخيل بعض الناس أن النور هو الضوء المحسوس، ولكنه أسمى وأعلى من ذلك.

وهذا لا يدرك إلا بنور العقل، وعقل الإنسان دائماً يسعى ويطلب جوهر النور.

من هنا حارت العقول بإدراك ما هو مجهول، فالإنسان بمسيره حياته قد يتلمس ويصل إلى معدن النور، وقد يضل فيصل إلى جحيم النار، وليس للإنسان الوصول لغيرهما فى نهايه المطاف.

و آيات النور من أدق الأسرار ومن أوضح الواضحات.

لنقرأ هذه الآيه:«رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا »(۲).

۱- راجع الأنوار الساطعه ج۱ من ص ۱۴۰.

۲- التحريم ۸.

وتتضمن الآیه أسرار ومعانی ومواضیع عدیده، وفیها: «نورهم یسعی بین أیدیهم وبأیمانهم ».

هـذا النور هو الغایه الکبری التی یصل إلیها الإنسان، ولست هنا فی سیاق التفسیر وإنها أحاول الإشاره لـذوی البصائر، لعل جیلاً یأتی یسعی جاهداً نحو هذا النور باله العقل ونور المعرفه.

فإن اجتماعهما (العقل والمعرفه) ینتج عنه ما لا یکتب علی الورق، أو یرسم بالحروف، أو تناله الکلمات.

وقـد ورد فی الأـدعیه النبویه مـا فیه الإشـارات لکـل هـذه المعانی، منها: اللهم اجعل لی نوراً فی قلبی ونوراً فی بصـری ونوراً فی سمعی(۱)..

وهنا أرسم حروفا من حـدی فیه أسـرار: عن علی بن سوید قال: کتبت إلی أبی الحسن موسـی علیه السـلام وهو فی الحبس کتاباً أسأله عن حاله وعن مسائل کثیره فاحتبس الجواب علی أشهراً، ثم أجابنی بجواب هو نسخته:

بسم الله الرحمن الرحیم

الحمـد لله العلی العظیم الـذی بعظمته ونوره أبصـر قلوب المؤمنین، وبعظمته ونوره عـاداه الجاهلون، وبعظمته ونوره ابتغی من فی السـماوات ومن فی الأـرض إلیه الوسـیله بالأعمـال المختلفهوالأدیان المتضاده فمصـیب و مخطئ وضال ومهتـد؛ وسـمیع وأصـم وبصیر وأعمی حیران.

۱- بحار الأنوار ج ۸۴ ص ۳۵۵.

فالحمد لله الذی عرف و وصف دینه محمد صلی الله علیه واله(۱)..

وقد ورد بدعاء الجوشن الکبیر هذه الکلمات: یا نور النور، یا منور النور، یا خالق النور، یا مدبر النور، یا قدر النور، یا نور کل نور، یا نوراً قبل کل نور، یانوراً بعد کل نور، یا نوراً فوق کل نور، یا نوراً لیس کمثله نور(۲)..

هذه التعابیر والآیات حول النور هی إشارات ولها أبعاد، ومعلوم أن لهذه الألفاظ مراتب ومعانی ودرجات، ویکفی بیانها لأولی الألباب فی قوله سبحانه:«قَدْ جَاءَکُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَکِتَابٌ مُبِینٌ»(۳).

والنور هنا إشاره إلی النبی صلی الله علیه واله والأئمه علیهم السلام ، والکتاب هو القرآن الکریم، والقرآن الحکیم له ظاهر و باطن، والباطن فیه الأسرار التی یدرک معانیها الأبرار، ولیس للأسرار حدود، وعلمها عند الخالق المعبود.

لا طاعه لمخلوق فی معصیه الخالق

عندما نحاول الکتابه عن السر والأسرار، ندرک أننا نخوض فی لجج البحار، ولا ضیر أن نسبح علی الشواطئ حیث کل یغوص بمقدار قدرته.

وتبقی أسرار الحسین علیه السلام هی البحور التی یدور علی شواطئها ذوو الأفکار، من هنا نأخذ دره من هذا الجانب ودره من هناک، حیث لا نتمکن من الغوص الکامل ولا من قطع المسافه، فلیعذرنا القارئ الکریم، فیما یجد من لقطه هنا أو هناک.

۱- الکافی ج ۸ ص ۱۲۴.

۲- البلد الأمین ص ۴۰۶.

۳- المائده ۱۵.

هـذا الحـديث الـذى وضـعناه عنوانـاً، فيه مناهـج حيـاه، وهو مطـابق لكثير من الآيـات، والإنسان بحاجه دائماً لمعرفه ما ينجيه وما يسعده فى الدارين .

قال تعالى: «وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِى الدُّنْيَا مَعْرُوفًا»(۱).

مصـباح الشريعه قال الصادق عليه السلام: بر الوالدين من حسن معرفه العبد بالله، إلا عباده أسرع بلوغاً بصاحبها إلى رضى الله من حرمه الوالدين المسلمين لوجه الله تعالى، لأن حق الوالدين مشتق من حق الله تعالى إذا كانا على منهاج الدين والسنه(۲)..

أسـرار الآيات والأحاديث يعرف كنهها الـذين تحملوا أسـرار الوحى والتنزيل، وليس كل ظاهر يؤخـذ بلا دليل و برهان، وعندما نبحث فى أعماق الحياه والتاريخ نجد الكثير ممن وقع فى المعصيه المهلكه.

لنرسم هنا هذا الحديث المتضـمن نوعاً من الأسرار التى حاد عنها الكثير من الغابرين، وأكثر منهم من الحاضرين، ولم تزل أجيال من البشر تقع فريسه! مع حذف الأسانيد :

مرالحسـين عليه السـلام على عبد الله بن عمرو بن العاص قال عبد الله : من أحب أن ينظر إلى أحب أهل الأرض إلى أهل السماء فلينظر إلى هذا المجتاز.

فما كلمته مذن ليالى صـفين، فاتى به أبو سعيد الخدرى إلى الحسين عليه السللام فقال له الحسين: أ تعلم أنى أحب أهل الأرض إلى أهل السماء وتقاتلنى وأبى يوم

۱- لقمان ۱۵.

۲- بحار الأنوار ج ۷۱ ص ۷۷.

صفين ؟ والله إن أبى لخير منى.

فاستعدر وقال: إن النبى صلى الله عليه واله قال لى: أطع أباك.

فقال له الحسين عليه السلام:أما سمعت قول الله تعالى «وإن جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما»

وقول رسول الله صلى الله عليه واله : إنما الطاعه الطاعه فى المعروف.

وقوله: لا طاعه لمخلوق فى معصيه الخالق(١).

من هذا الحديث وشبهه ندرك مدى الانحراف عن معرفه الحق وأهله أثناء التطبيق العملى، فالنظريات والعموميات تدركها معظم الناس، ولكن يبقى الميزان الصحيح عند تحديد المصاديق العمليه أثناء مسيره الحياه، وهنا تكمن الأسرار.

أسرار فى زياره الحسين

قال الصادق عليه السلام : إن أيام زائرى الحسين بن على عليه السلام لا تعد من آجالهم(٢).

وفى روايه أيضاً: لو أن أحدكم حج دهره ثم لم يزر الحسين بن على عليه السلام لكان تاركاًحقاً من حقوق رسول الله صلى الله عليه واله، لأن حق الحسين عليه السلام فريضه من الله تعالى واجبه على كل مسلم(٣).

١- بحار الأنواج۴۳ ص۲۹۷.

٢- تهذيب الأحكام ج ۶ ص ۴۳.

٣- تهذيب الأحكام ج۶ ص ۴۲.

للحسين عليه السلام أسرار جامعه لكل مسيره الحياه فى الدارين، وهذه الأسرار يعرفها من يبحث فى أغوار الكنوز التى تحتاج إلى وسائلها .

أسرار بعض من خطبه الزهراء

عن على بن أبى طالب عليه السلام قال: لما حضرت فاطمه عليها السلام الوفاه دعتنى فقالت: أ منفذ أنت وصيتى وعهدى؟

قال: قلت: بلى أنفذها.

فأوصت إليه وقالت: إذا أنامت فادفنى ليلاً ولا تؤذنن رجلين ذكرتهما.

قال:فلما اشتدت علتها اجتمع إليها نساء المهاجرين والأنصار فقلن: كيف أصبحت يا بنت رسول الله من علتلك ؟

فقالت(١):

.. أصبحت والله عائفه لدنيا كن قاليةً لرجالكن ، لفظتهم بعد أن عجمتهم، وشنأتهم بعد أن سبرتهم .

فقبحاً لفلول الحد، واللعب بعد الجد، وقرع الضفاه وصدع القناه وخطل الآراء وزلل الأهواء، وبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم، وفى العذاب هم خالدون.

لا جرم لقد قلدتهم ربقتها وحملتهم أوقتها وشننت عليهم غارها، فجدعا وعقراً وبعداً للقوم الظالمين.

ويحهم انى زعزعوها عن رواسى الرساله وقواعد النبوه والدلاله ومهبط

١- بحار الأنوار ج۴۳ ص۱۵۹.

الروح الأمين والطبين بأمور الدنيا والدين ألا ذلك هو الخسران المبين.

وما الذى نقموا من أبى الحسن؟

نقموا منه والله نكير سيفه وقله مبالاته بحتفه وشده طاته ونكال وقعته وتنمره فى ذات الله.

وتالله لو مالوا عن المحجه اللائحه وزالوا عن قبول الحجه الواضحه لردهم إليها وحملهم عليها ولساربهم سيراًسجحاً، لا يكل خشاشه ولا يكل سائره ولا يمل راكبه، ولأوردهم منهلًا نميراً صافياً روياً تطفح ضفتاه ولا يترنق جانباه ولاصدرهم بطاناً ونصح لهم سراً وإعلاناً ولم يكن يحلى من الغنى بطائل ولا يحظى من الدنيا بنائل غيرى الناهل وشبعه الكل ولبان لهم الزاهد من الراغب والصادق من الكاذب.

«ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون».

«والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيئات ما كسبوا وما هم بمعجزين. »

ألا هلم فاستمع، وما عشت أراك الدهر عجباً، وإن تعجب فعجب قولهم.

ليت شعرى إلى أى سناد استندوا، وعلى أى عماد اعتمدوا، وبأيه عروه تمسكوا، وعلى أيه ذريه أقدموا واحتنكوا.

لبئس المولى ولبئس العشير، وبئس للظالمين بدلاً، استبدلوا والله الذنابى بالقوادم والعجز بالكاهل، فرغماً لمعاطس قوم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً، ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون.

ويحهم «أفمن يهدى إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدى إلا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون ».

أما لعمرى لقد لقحت فنظره ريثما تنتج، ثم احتلبوا ملء القعب دماً عبيطاً وذعافاً مبيداً، هنالك يخسر المبطلون، ويعرف التالون غب ما أسس الأولون.

ثم طيبوا عن دنياكم أنفساً واطمئنوا للفتنه جأشاً وأبشروا بسيف صارم وسطوه معتد غاشم وبهرج شامل واستبدا من الظالمين يدع فيئكم زهيداً وجمعكم حصيداً، فيا حسره لكم وأنى بكم وقد عميت عليكم، أنلزمكموها وأنتم لها كارهون(١)...

وهذا حديث شريف عن رسول الله صلى الله عليه واله فيه إشارات من الأسرار، ننقله بحذف الأسناد: وأما ابنتى فاطمه فانها سيده نساء العالمين من الأولين والآخرين وهى بضعه منى وهى نور عينى وهى ثمره فؤادى وهى روحى التى بين جنبى وهى الحوراء الإنسيه متى قامت فى محرابها بين يدى ربها جل جلاله زهرنورها لملائكته السماء كما

يزهر نور الكواكب لأهل الأرض، ويقول الله عز وجل لملائكته: يا ملائكتى انظروا إلى أمتى فاطمه سيده امائى قائمه بين يدى ترتعد فرائصها من خيفتى، وقد أقبلت بقلبها على عبادتى، أشهدكم أنى قد آمنت شيعتها من النار(٢)..

وقد تقدم الحديث المهم: عن حذيفه بن اليمان قال : رأيت النبى صلى الله عليه واله آخذاً

١- بحار الأنوار ج ۴۳ ص ۱۶۰.

٢- بحار الأنوار ج۴۳ ص ۱۷۲، والحديث طويل تحسن مراجعته .

بيد الحسين بن على عليه السلام وهو يقول: يا أيها الناس هذا الحسين بن على فاعرفوه فوالذى نفسى بيده إنه لفى الجنه ومحبيه فى الجنه ومحبى محبيه فى الجنيه(۱).

وقفه مع الأحاديث الشريفه

كما قلنا سابقاً ونكرر دائماً: قد تأتى أجيال تعرف حقيقه أهل بيت النبوه عليهم الصلاه والسلام، وخصوصاً أسرار الحسين عليه السلام، فكلما طال الزمن والأيام كلما انكشف الظلام وبان الحق لذى عينين.

عن أبى جعفر عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه واله لأمير المؤمنين عليه السلام: اكتب ما أملى عليك.

قال : يا نبى الله أخاف على النسيان؟

فقال: لست أخاف عليك النسيان، وقد دعوت الله لك أن يحفظك ولا ينسيك، ولكن اكتب لشركائك.

قال: قلت: ومن شركائى يا نبى الله؟

قال: الا ئمه من ولدك، هم تسقى أمتى الغيث وهم يستجاب دعاؤهم وهم يصرف الله عنهم البلاء وبهم تنزل الرحمه من السماء، وهذا أولهم وأؤما بيده إلى الحسن عليه السلام ، ثم أومأ بيده إلى الحسين عليه السلام، ثم قال صلى الله عليه واله : الأمه من ولده(۲) .

إن ما نجده فى الأخبار عن الأنبياء عليهم السلام هو من أسرار الحياه، وكل ما أخبروا به نراه يتحقق على أرض الواقع مهما طال الزمن وتعاقبت الدهور، ومن

۱- بحار الأنوار ج ۴۳ ص ۲۶۲.

۲- كمال الدين و تمام النعمه ج۱ ص۲۰۷.

يبحث بتجرد يجد ذلك بلا ريب ولا شك، وهذا ما أثبتته الوقائع منذ عصور ودهور، وخصوصاً ما يتعلق بالإمام الحسين عليه السلام منذ ولادته وحتى عصرنا الحاضر.

ومن يبصر بعين الحقيقه يدرك ويعرف ما هو آت، وهذا كله موجود ومغمور فى طيات الكتب والأحاديث الصحيحه .. وقل اعملوا.. .

عندما نرسم حديثاً هنا أو هناك نقصد تنبيه العقول نحو الحجج عليهم السلام ، حيث ودائع الأسرار مخزونه لديهم، وإنما أفاضوا علينا منهم بمقدار ما تتحمل عقولنا وتهتدى إلى طريق النجاه، وعندما نتدبر فى هذا الوجود وفى حقيقه الإنسان نجد أن كل ذلك قد أفاضه الله تعالى من عوالم الأسرار، بدءً من الخليقه مروراً بكل مراحل الإنسان الذى هو قطب رحى المخلوقات .

ولذا عندما نقارن بين القرآن الصامت والقرآن الناطق نجد المطابقه بينهما، والحقيقه واضحه عند ذوى الألباب، وهذا ما نريد التنبه إليه.

وهنا نرسم هذا الحديث، قال الرضا عليه السلام : نحن حجج الله فى خلقه وخلفاؤه فى عباده و أمناوه على سره، ونحن كلمه التقوى والعروه الوثقى، ونحن شهداء الله وأعلامه فى بريته.

بنا يمسك الله السماوات والأرض أن تزولا وبنا ينزل الغيث وينشر الرحمه، ولا تخلو الأرض من قائم منا ظاهر أو خاف ولؤ خلت يوماً بغير حجه لماجت بأهلهاكما يموج البحر بأهله(١).

عندما نقرأ مثل هذه الأحاديث، لا ينبغى وزن معانيها على عقولنا

١- كمال الدين وتمام النعمه ج ١ ص ٢٠٢.

القاصره، بل لا بد من الرجوع إلى موازين الأسرار لدى الأبرار، وهنا نأخذهذه الدره من العباره (وأمناؤه على سره).

النتأمل جيداً بلفظ (أمناء) و (سر)..

وعنـد التدبر ندرك أن منتهى الأمانات ومعدن الأسـرار قد أودعه الله عند النبى المختار صـلى الله عليه واله، ونأخذ هنا شاهداً من ظواهر هذه الآيه القرآنيه وهى قوله سبحانه:«أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا»(۱).

وتظهر بعض معانى هـذه الآيه عنـدما نتـدبر الآيه اللاحقه، وهى: «وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا»(۲).

نكرر القول أنا لسنا بصدد تفسير الآيات المباركه، وإنما نأخذ منها ما يتلاءم مع الموضوع.

وقـد ثبت أن أولى الأمر هم الأئمه المعصومون عليهم السـلام ، وهم الذين يسـتنبطون المعانى الحقيقيه من الآيات القرآنيه، وهذا الاستنباط لا يستخرج إلا بالعقول المؤيده بروح القدس.

وعنـدما نرجع لأصـل اللغه أو مـا يشـير إليه لفظ (الاسـتنباط) نجـد أن هـذه الكلمه تـدل على اسـتخراج شـىء، واسـتنبطت الماء استخرجته، والماء نفسه إذا

۱- النساء ۸۲.

۲- النساء ۸۳.

استخرج نبط، ومعنى ذلك: هو اخراج شيء من باطن شيء أو قعره، ومن مصاديقه : استخراج الماء من قعر البئر أو باطن الأرض، وهنا استخراج المشكل من الأحكام والعلوم من مصادرها(۱).

ولذا يقال: استنبط الفقيه، اذا استخرج الفقه الباطن باجتهاده. ومعلوم أن للاستنباط أهله.

ومن أسرار هذه الآيه النهى عن إفشاء الأسرار المربوطه بالحرب والغزوات، فهى تنهى عن إذاعه ما يتعلق بأمور المسلمين خيراً أو شراً بمجرد سماع أو اطلاع من دون علم أو يقين به، بل يجب أن تكون الوظيفه إرجاعه إلى من له إحاطه وبصيره به وله إمكان التحقيق والاستنباط من مصادره الموجوده عنده، وتخريجها من الخفاء والباطن إلى الظهور، وهنا تقف عقولنا حائره عند كل آيه من كتاب الله، بل عند كل حكم من حلال أو حرام، وفى تعبير الآيه لطافه «ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم».

وتكمن فى هذه الآيه المباركه أسرار، منها الإشاره الواضحه إلى أن هذا القرآن الذى هو كلام الله تعالى ودستوره للعباد لا يعلم ولا يعرف أسرار ما فيه إلا أهل بيت العصمه الذين أمر الله سبحانه باتباعهم، والأخذ بسنتهم، ومن هنا ندرك معنى الاستنباط الحقيقى لمعانى الآيات القرآنيه والأحكام الإلهيه،حيث يتحقق الإيمان بالتزام معرفه حلال الله وحرامه، وهذا هو الواجب على المؤمنين معرفته .

وعندما نعجز عن إدراك المعانى حقا لا بد من الرجوع إلى الصفوه من أهل

۱- راجع التحقيق بكلمات القرآن الجريم ج ۱۲ من ص ۲۷ لفظ: نبط..

بیت العصمه علیهم السلام .

وفی الآیه أیضاً إشارات لکل ما مر علی الأمم السابقه، فعندما تخلفوا عن إطاعه الأنبیاء والرسل علیهم السلام کان هلاکهم، حیث استجابوا لأهوائهم واتباع الشیاطین والجهلاء.

وقد ورد فی کثیر من الأحادیث الشریفه : من وضع ولاه أمر الله عز وجل وأهل استنباط علمه فی غیر الصفوهمن بیوتات الأنبیاء علیهم السلام فقد خالف أمر الله عزوجل، وجعل الجهال ولاه أمر الله، والمتکلفین بغیر هدی من الله عزوجل، وزعموا أنهم أهل استنباط علم الله، فقد کذبوا علی الله ورسوله ورغبوا عن وصیه علیه السلام وطاعته(۱)..

من هنا ندرک أن علم الغیب أودعه الله عند خاتم الأنبیاء محمد صلی الله علیه واله، وأهل بیته علیهم السلام ، الذین أمر الله بطاعتهم والرجوع إلیهم فی کثیر من الآیات البینات.

والآیه واضحه ظاهراً وباطناً وهی قوله تعالی:«تِلْکَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَیْبِ نُوحِیهَا إِلَیْکَ»(۲).

وعند التدبر فی آیات القرآن الکریم نجد أن الآیات یعضد بعضها بعضاً ویفسر بعضها بعضاً، فأسرار علم الغیب مخزونه عند الذین اختارهم الله عز وجل لیکونوا أدلاء علیه وعلی طاعته، وعلی عبادته التی یرضاها لهم.

والله تعالی یظهر الغیب لرسوله ولأهل بیت العصمه، من آدم إلی یوم

۱- الکافی ج۸ ص ۱۱۹.

۲- هود ۴۹.

القیامه.

ومما أخبروا به من الأسرار، حدیث من الأسرار فی عوالم الأنوار.

عن علی بن الحسین علیه السلام یقول: إن الله تبارک وتعالی خلق محمداً وعلیاً والأئمه الأحد عشر من نور عظمته أرواحاً فی ضیاء نوره یعبدونه قبل خلق الخلق یسبحون الله عیز وجل ویقدسونه وهم الأئمه الهادیه من آل محمد علیهم السلام(۱).

إن أسرار الکائنات فی الإنسان والمخلوقات هی أبعد بکثیر مما نراه فی الحیاه، وعلم الأسرار مکنوز عند أهل البیت علیهم السلام .

عن أبی جعفر علیه السلام قال: قال رسول الله صلی الله علیه واله: ما من أرض مخصبه ولا مجدبه ولا فئه تضل مائه وتهدی مائه إلا أنا أعلمها وقد علمتها أهل بیتی یعلم کبیرهم وصغیرهم إلی أن تقوم الساعه(۲).

من هنا ندرک ما کان یقول أمیر المؤمنین علیه السلام : سلونی قبل أن تفقدونی (۳).

عن سلمان الفارسی رحمه الله عن أمیر المؤمنین علیه السلام قال قال : سلونی عمایکون إلی یوم القیامه، وعن کل فئه تضل مائه وتهدی مائه وعن سائقها وناعقها وقائدها إلی یوم القیامه(۴)؟.

لنقرأ هذا الحدیث و نتعرف علی واقع العلم والأسرار:

عن أبی حمزه عن سوید بن غفله قال: [بینا] أنا عند أمیر المؤمنین علیه السلام إذا

۱- کمال الدین و تمام النعمه ج ۱ ص ۳۱۸.

۲- بصائر الدرجات ص۳۱۷.

۳- الأصول السته عشر ص ۲۴۲، بصائر الدرجات ج۱ ص ۲۶۶.

۴- بصائر الدرجات ص۳۱۸.

أتاه رجل فقال:

يا أمير المؤمنين جئتك من وادى القرى وقد مات خالدن بن عرفطه.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام : إنه لم يمت.

فأعادها عليه.

فقال له على عليه السلام : لم يمت، والذى نفسى بيده لا يموت.

فأعادها عليه الثالثه، فقال: سبحان الله، أخبرك أنه مات و تقول لم يمت ؟

فقال له على عليه السلام : لم يمت، والذى نفسى بيده لا يموت حتى يقود جيش ضلاله يحمل رايته حبيب بن جماز .

قال: فمسع بذلك حبيب فأتى أمير المؤمنين فقال ناشدك فى وأنا لك شيعه وقد ذكرتنى بأمر لا والله ما أعرفه من نفسى.

فقال له على عليه السلام : إن كنت حبيب بن جماز فتحملها، فولى حبيب بن جماز، وقال إن كنت حبيب بن جماز لتحملنها.

قال أبو حمزه: فو الله ما مات حتى بعث عمر بن سعد إلى الحسين بن على عليه السلام وجعل خالد بن عرفطه على مقدمته و حبيب صاحب رايته(١).

وقد ورد الكثير الكثير من هذه الأسرار، ومما قالوه عليهم السلام: .. ولكنا نحدثكم بأحاديث نكنزها عن رسول الله صلى الله عليه واله كما يكنز هؤلاء ذهبهم وفضتهم(٢).

وقد استقر علم الأولين والآخرين عند أهل بيت العصمه عليهم السلام ، ويكفى

١- بصائر الدرجات ص٣١٨.

٢- بصائر الدرجات ص٣١٩.

للإشاره لذلک هذا الحدیث الشریف الذی یتضمن کل أسرار الوجود.

عن الأصبغ بن نباته عن أمیر المؤمنین علی علیه السلام قال سمعته یقول إن رسول الله صلی الله علیه واله علمنی ألف باب من الحلال والحرام ومما کان وما هو کائن إلی یوم القیامه، کل یوم یفتح ألف باب، فذلک ألف ألف باب حتی علمت المنایا والوصایا وفصل الخطاب(۱).

وقفه وتنبیه:

فی کل زمان وفی کل مکان تتفاوات عقول البشر، ولیس عند أفراد البشر شیء ینکرونه کإنکارهم الجهل، وقد ورد: الإنسان عدو ما یجهل.

وعندما بعث الله محمداً صلیالله علیه واله لتبلیغ آخر وأعظم رساله، استنکرها الجهلاء وأصحاب الأهواء، وحاربوه بکل وسیله حتی نصره الله سبحانه علیهم، فأقروا بعد العجز، وأضمروا العداوه لأهل الصفوه.

ولم تزل هذه السیره فی کل زمان و مکان، منهم المطیع ومنهم المنکر العاصی.

وهنا نشیر إلی نقطه أساسیه وهی أن هذه الأمه واحده بحسب الظواهر، ولکن فی الواقع الحقیقی لیست کذلک بل یوجد: أمه ضلال، وأمه هدی.

فللهدی أهل یسیرون علیه، وللضلال أهل یتبعونه، وعند التدبر ندرک أن الرسالات السماویه التی جاء بها الأنبیاء علیهم السلام قد حملها وحماها قوم، وأنکرها وحاربها أقوام.

من هنا لا بد من التدبر والتأمل فی هذه الأمه، سابقاً ولاحقاً وحاضراً.

۱- بصائر الدرجات ص۳۲۵.

ولا بـد من التعرف بإنصاف على الـذين حفظوا هذه الرساله، وهذا الدين، وحافظوا عليه، فإنا نجد أن أسـرار هذه الرساله وحقيقه هذا الدين قد حفظت فى منهج أهل بيت الرسول صـلى الله عليه واله، وهم المعصومون الذين أودع النبى صلى الله عليه واله أمانه السماء عندهم. وهذا الموضوع يحتاج لبحث مستقل .

وإنما أشرنا إليه هنا من باب التنبيه، ومفتاح الأسرار الذى أودعه صلىالله عليه واله عند على وأهل بيته عليهم السلام، فالأوصياء هم حملته أسرار العلوم الربانيه، التى بلغها الأنبياءعليهم الصلاه والسلام، ولجميع الأنبياء عليهم السلام أمناء وأوصياء(١).

إكمال الدين فى الولايه

أسـرار الولايه تعرف من مصادرها، وأول ما فرضت الصـلاه ثم الزكاه ثم الصوم ثم الحج، وفى كل ذلك كان الرسول صـلى الله عليه واله يعلم المسـلمين تفاصـيل هـذه الفرائض الواجبه، وبعـد ذلـك فرضت الولاـيه بكـل تفاصـيلها وأبعادهـا، فكمـا أن هـذه الوجابات نزلت بوحى من الله سـبحانه كذلك الولايه نزلت بوحى صريح واضح لذى قلب سليم، ونتعرف على ذلك بجانب من حديث مهم عن أبى جعفر عليه السلام:

فرض الله عزوجل على العباد خمساً أخذوا أربعاً وتركوا واحداً.

قلت: أ تسميهن لى جعلت ذاك؟

فقال: الصلات وكان الناس لا يدرون كيف يصلون، فنزل جبرئيل عليه السلام

١- راجع كتاب كمال الدين وتمام النعمه من ص٢١١، باب ٢٢ حول اتصال الوصيه من لدن آدم عليه السلام إلى يوم القيامه.

فقال: يا محمد أخبرهم بمواقيت صلاتهم.

ثم نزلت الزكاه فقال: يا محمد أخبرهم من زكاتهم ما أخبرتهم من صلاتهم.

ثم نزل الصوم فكان رسول الله صلى الله عليه واله: إذا كان يوم عاشوراء بعث إلى ما حوله من القرى فصاموا ذلك اليوم. فنزل شهر رمضان بين شعبان وشوال.

ثم نزل الحج فنزل جبريل عليه السلام قال: أخبرهم من حجهم ما أخبرتهم من صلاتهم وزكاتهم وصومهم.

ثم نزلت الولايه، وإنما أتاه ذلك فى يوم الجمعه بعرفه أن الله عز وجل «اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى »وكان كمال الدين بولايه على بن أبى طالب عليه السلام.

فقال عند ذلك رسول الله صلى الله عليه واله : أمتى حديثو عهد بالجاهليه ومتى أخبرهم بهذا فى ابن عمى يقول قائل ويقول قائل.

فقلت فى نفسى من غير أن ينطق به لسانى، فأتتنى عزيمه من الله عزوجل بتله أوعدنى إن لم أبلغ أن يعذبنى فنزلت: «يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدى القوم الكافرين(۱) ..

وقفه مع آيه

وهى قوله سبحانه: «أَمَن يُجيبُ المضطَرَّ إذا دعاه وَيكشف السّوءَ وَيَجعَلُكُم

۱- الكافى ج ۱ ص ۲۹۰.

خُلَفاءَ الأَرضِ أَ إِله مَعَ الله قليلًا ما تَذَكَّرُونَ»(۱).

فی هـذه الآـیه المبـارکه أسـرار ومعان فوق إدراک عقولنا، وإنا نأخـذ منها بمقـدار ما هو ظاهر، لأن کل إنسان یأخـذ من ظواهر الآیات بمقداره ومقدار علمه، لذلک نجد الآیات تتضمن أکثر من معنی.

وهـذا سـر من أسـرار القرآن أمر الله تعالی باتباعه، سواء أدرک الإنسان معانیه أم لم یدرک، فللإیمان مراتب ودرجات، وأسـرار القرآن لا حـدود لها، ولا تنتهی عنـد جیل من الأجیال، بل یوجـد فی ظواهر القرآن بلاغ وهدایه لکل إنسان بل لکل مخلوق من ذوی الإدراک.

نأخذ بعضاً من ظواهر الآیه:

۱. إجابه الدعاء .

۲.کشف السوء.

۳. الاستخلاف فی الأرض.

وقبل الإشاره إلی ما ورد حول الآیه نشیر إلی بعض جوانب هذه المواضیع الثلاثه:

ممـا هو معلوم بالبـداهه أن الإنسـان یتوسـل لقضـاء حاجـاته عنـدما یکون عـاجزاً عن تحقیق بعض رغباته، فیلجأ إلی من یمتلک القدره علی قضاء غایاته، فتاره یتوسل إلی مخلوق، وتاره یتوسل إلی الخالق سبحانه، وهنا تکمن أسرار المعرفه والإیمان.

۱- النحل ۶۲.

فمن لا ـ يرى أن له خالقاً يلجأ إلى المخلوقين ويتوسل إليهم، ولكن من يرى أن له خالقاً قادراً موجداً يسعى إليه بتوسله لقضاء حاجته.

وهذا أول باب لدخول حقيقه الإيمان، ومما لا ـ شك فيه أن سر الدعاء فوق إدراكنا، لأن عقولنا ألفت المحسوسات وكأنها انطبعت على ما هو محسوس لذلك قلما ندرك أسرار ما هو غائب، فالدعاء وسيله لتحصيل ما هو غائب عنا.

ومن هنا نحاول تقريب معانى الدعاء با ورد من بعض الآيات القرآنيه والأحاديث النبويه، ومنها نتلمس أسرار الإجابه.

الدعاء

آيات وأحاديث:

قال تعالى:«قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ»(۱).

وقال سبحانه:«وقالَرَبُّكُمُ ادعُونى أَستجِب لَكُم إنَّ الّذِينَ سَستَكبِرُونَ عَن عِبادَتى سَيَد خُلُونَ جَهَنَّمَ داخِرِين»(۲).

وقال عز وجل:«وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِى وَلْيُؤْمِنُوا بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ»(۳)

من هذه الآيات ومثيلاتها ندرك أهميه أسرار الدعاء، والأحاديث الآتيه توضح لنا من أسرار الدعاء ما يجعلنا ندرك أنه مخ العباده..

۱- الفرقان ۷۷.

۲- المؤمن ۶۰.

۳- البقره ۱۸۶.

عن الرضا عن آبائه صلوات الله عليهم قال : قال رسول الله صلى الله عليه واله: الدعاء سلاح المؤمن وعماد الدين ونور السماوات والأرض..

وفى حديث مثله وزاد فى آخره: فعليكم بالدعاء وأخلصوا النيه(١).

وفى حديث: الدعائ مخ العباده ولا يهلك مع الدعاء أحد(٢).

والدعاء مفتاح الرحمه.

القرآن دواء للإنسان

عندما نحاول الكتابه حول الأسرار نجد أنها كامنه فى تكوين الإنسان، وكشفها كامن فى آيات القرآن.

وآيه بحثنا هنا «أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ»(٣)ترمز بمضامينها إلى نوع من الارتباط الوثيق بين الدواء والداء الذى يتعرض له الإنسان، وسر هذه الآيه سوف يتحقق على هذه الأرض، والبشريه قاطبه تنتظر تحقيق هذا الأمر الموعود من الخالق المعبود، حيث الفطره الإنسانيه والعقول البشريه تتوقع العدل الإلهى .

هذا العدل قد وعد به الإنسان منذ الأزل، من هنا ينبغى البحث الموضوعى حول أسرار القرآن المجيد، ومن هذه الأسرار نرسم هذا الحديث عن الأخيار الأبرار..

وفى تفسير على بن إبراهيم رحمه الله : وقوله: «أمن يجيب المضطر إذا دعاه

١- بحار الأنوار ج ٩٠ ص ٢٨٨.

٢- بحار الأنوار ج ٩٠ ص ٣٠٠.

٣- النمل ٦٢.

ویکشف السوء ویجعلکم خلفاء الأرض »:

فإنه حدثنی أبی عن الحسن بن علی بن فضال عن صالح بن عقبه عن أبی عبد الله علیه السلام قال: نزلت فی القائم من آل محمد صلی الله علیه واله ، هو والله المضطر إذا صلی فی المقام رکعتین، ودعا الله فأجابه ویکشف السوء ویجعله خلیفه فی الأرض(۱).

حدیث آخر:

قال أبو جعفر علیه السلام: هو، والله، المضطر فی کتاب الله فی قوله و«أمن یجیب المضطر إذا دعاه ویکشف السوء ویجعلکم خلفاء الأرض ».

فیکون أول من یبایعه جبرائیل علیه السلام ثم الثلاثمائه والثلاثه عشر رجلا. فمن کان ابتلی بالمسیر وافاه، ومن لم یبتل بالمسیر فقد عن فراشه. وهو قول أمیر المؤمنین علیه السلام : هم المفقودون عن فرشهم. وذلک قول الله «فاستبقوا الخیرات أین ما تکونوا یأت بکم الله جمیعاً»، قال : الخیرات الولایه(۲)..

وفی شرح الآیات الباهره: قال محمد بن العباس - رحمه الله - : حدثناإسحاق بن محمد بن مروان، عن أبیه، عن عبید الله بن خنیس، عن صباح المزنی، عن الحرث بن حصیره، عن أبی داود، عن بریده قال: قال رسول الله صلی الله علیه واله وعلی علیه السلام إلی جنبه:«أمن یجیب المضطر إذا دعاه ویکشف السوء ویجعلکم خلفاء الأرض»قال: فانتفض علی علیه السلام انتفاض العصفور.

فقال له النبی صلی الله علیه واله: لم تجزع، یا علی؟

۱- تفسیر القمی ج۲ ص ۱۳۰.

۲- کنز الدقائق ج ۷ ص ۳۶۲.

فقال: ألا أجزع وأنت تقول:«ويجعلكم خلفاء الأرض».

قال: لا تجزع، فو الله، لا يبغضك مؤمن ولا يحبك كافر(۱).

وفی حدیث آخر: یا علی، لا یحبک إلا مؤمن ولا یبغضک إلا منافق إلی یوم القیامه.

وفی حدیث آخر:

عن أبی عبد الله علیه السلام قال: إن القائم عجل الله تعالی فرجه الشریف إذا خرج دخل المسجد الحرام فیستقبل الکعبه، ویجعل ظهره إلی المقام، ثم یصلی رکعتین، ثم یقوم فیقول:

یا أیها الناس، أنا أولی الناس بآدم، یا أیها الناس، أنا أولی الناس بإبراهیم، یا أیها الناس، أنا أولی الناس[بإسماعیل، یا أیها الناس، أنا أولی الناس] بمحمد صلی الله علیه واله. ثم یرفع یدیه إلی السماء فیدعو ویتضرع حتی یقع علی وجهه، وهو قوله عز وجل: «أمن یجیب المضطر إذا دعاه ویکشف السوء ویجعلکم خلفاء الأرض أإله مع الله قلیلًا ما تذکرون»(۲).

وفی حدیث آخر: عن أبی جعفر علیه السلام فی قوله عز وجل:«أمن یجیب المضطر إذا دعاه»قال: هذه نزلت فی القائم عجل الله تعالی فرجه الشریف. إذا خرج تعمم وصلی عند المقام وتضرع إلی الله، فلا ترد له رایه أبدا(۳).

۱- کنز الدقائق ج ۷ ص ۳۶۳.

۲- کنز الدقائق ج ۷ ص ۳۶۴.

۳- المصدر السابق .

آیه مبارکه من آیات الأسرار

قال عز وجل:«»(۱)

هـذه الآیه المبارکه تظهر أسـرارها فیما بعد، فکثیر من الآیات المبارکه لیس العقولنا مجال فی إدراک أبعادها، فقد نتلمس بعض الظواهر من الألفاظ ولکن تبقی المعانی فی خزائن أسـرار هـذا القرآن، من هنا لا بـد من الرجوع إلی مفاتیـح هذه الخزائن، وهم الذین أشار إلیهم منزل القرآن الذین أوتوا العلم، بقوله سبحانه:«بَلْ هُوَ آیَاتٌ بَیِّنَاتٌ فِی صُدُورِ الَّذِینَ أُوتُوا الْعِلْمَ »(۲).

وقد جمعت فی معانی وأبعاد هذه الآیه المبارکه کل ما فی القرآن الحکیم، وهنا نقف لنسأل: من هم أولوا العلم؟

بعـد التـدقیق والأبحـاث فی کثیر من وقائع الأدله، ثبت لـدینا أن الـذین کمل العلم عنـدهم هم أهل بیت العصـمه علیهم الصـلاه والسـلام، وهم الـذین خصـهم الله سـبحانه بعلم الأولین والآخرین، وهـذا الاختصاص واضح أوضح من نور الشـمس برابعه النهار لمن یتبصر.

فقد جاء عن أبی جعفر علیه السلام قال: إن هذا العلم انتهی إلی آی فی القرآن، ثم جمع أصابعه ثم قال: «بل هو آیات بینات فی صدور الذین أوتوا العلم »(۳).

وفی حدیث آخر: سأل رجل أبا عبد الله علیه السلام عن قوله عز وجل «بل هو

۱- النحل ۸۲.

۲- العنکبوت ۴۹.

۳- بصائر الدرجات ج۱ ص۲۰۶.

آیات بینات فی صدور الذین أوتوا العلم »قال : نحن هم.

فقال الرجل: جعلت فداک حتی یقوم القائم عجل الله تعالی فرجه الشریف .

قال : کلنا قائم بأمر الله، واحد بعد واحد، حتی یجی ء صاحب السیف، فإذا جاء صاحب السیف جاء أمر غیر هذا(۱)..

وقد لاحت البشائر فی هذه الأزمان بقدوم ظهوره لإنقاذ البشریه من الظلم والجور.

إن البحث حول هذه الآیه المبارکه أبعد من إدراک عقولنا، لأن العلم الذی خصه الله سبحانه لأنبیائه ورسله هو من أسرار السماوات، وهذه الأسرار لا یتحملها إلا من اختارهم عز وجل. ومن هنا ندرک أبعاد القصور لعقولنا، وتکفینا الإشارات فی الأحادیث الشریفه.

وقد سئل الإمام الصادق علیه السلام عن هذه الآیه، فقال علیه السلام: هم الأئمه من آل محمد - صلوات الله علیهم أجمعین - باقیه دائمه فی کل حین(۲).

وهذا البقاء إشاره لبقیه الله فی أرضه.

علامات ومبشرات وإشارات

فی هذه الأیام قد اتسعت دائره المعرفه عند الناس، وقد تحققت بعض العلامات والإشارات حول الحجه، وهنا نرسم بعضاً من الأحادیث الشریفه التی أصبح لها مصادیق علی أرض الواقع، وهذه الکلمات نقلت عن أمیر

۱- بحار الأنوار ج۲۳ ص ۱۸۹.

۲- کنز الدقائق ج ۷ ص ۵۴۳.

المؤمنين عليه السلام ، من بعض خطبه التى تكمن فى معانيها أسرار وأسرار.

قال أمير المؤمنين عليه السلام لبعض أصحابه صعصعه بن صوحان : الحظ فإن علامه ذلك إذا أمات الناس الصلاه وأضاعوا الأمانه واستحوا الكذب وأكلوا الربا وأخذوا الرشا وشيدوا البنيان وباعوا الدين بالدنيا واستعملوا السفهاء وشاؤروا النساء وقطعوا الأرحام واتبعوا الأهواء واستخفوا بالدماء .

وكان الحلم ضعفاً والظم فخراً وكانت الأمراء فجره والوزراء ظلمه والعرفاء خونه والقراء فسقه.

وظهرت شهاده الزور واستعلين الفجور وقول البهتان والإثم والطغيان ومحليت المصاحف وزخرفت المساجد وطولت المنارات وأكرمت الأشرار وازدحمت الصفوف واختلقت القلوب ونمضت العهود واقترب الموعود وشارك النساء أزواجهن فى التجاره حرصاً على الدنيا وعلت أصوات الفساق واستمع منهم .

وكان زعيم القوم أرذلهم واتقى الفاجر مخافه شره صدق الكاذب واؤتمن الخائن واتخذت القائم والمعازف .

ولعن آخر هذه الأمه أولها وركب ذوات الفروج السروج وتشبه النساء بالرجال والرجال بالنساء وشهد الشاهد من غير أن يتشهد وشهد الأخير قضاء للذمام بغير حق عرفه.

وتفقه للغير الدين وآثروا عمل الدنيا على الآخره ولبسوا جلود الضأن على قلوب الذئاب وقلوبهم أنتن من الجيف وأمرمن الصبر.

فعند ذلك الوحا الوحا ثم العجل العجل.

خير المساكين يؤم بيت المقدس، وليأتين على الناس زمان يتمنى أحدهم أنه من سكانه(۱)..

وبعد الآيه السابقه آيات أيضاً تتضمن الأسرار، وهى قوله تعالى :«وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّهٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ*حَتَّى إِذَا جَاءُوا قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِى وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ»(۲).

إن معرفه أسرار القرآن الكريم تحتاج إلى إحاطه بالعلوم، وهذه الآيه واضحه بأنكم (لم تحيطوا بها علماً)، فمصدر هذا العلم عنده أهل البيت عليهم الصلاه والسلام، وقد قيل حول هذه الآيه وماهيه هذه الدابه الكثير، ونحن لا نملك إلا النزر القليل مما ورد من الأحاديث حول معانى الآيات المباركه، وحتى معانى الأحاديث تبقى مجمله لدينا.

من أسرار الأحاديث: الدجال

وقد ورد اسمه فى كثير من الأحاديث عند معظم المذاهب، ولا نعرف سوى أوصاف وردت حول معرفته، منها ما ورد فى حديث: ألا ان وإكثرأتباعه يومئذ أولاد الزنا وأصحاب الطيالسه الخضر، يقتله الله عزوجل بالشام على عقبه

تعرف بعقبه أفيق لثلاث ساعات مضت من يوم الجمعه على يد من يصلى المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام خلفه.

ألا إن بعد ذلك الطاقه الكبرى.

۱- كمال الدين وتمام النعمه ج ۲ ص ۵۲۵، والحديث طويل.

۲- النمل ۸۴-۸۳.

قلنا: وما ذلك يا أمير المؤمنين؟

قال: خروج دابه من الأرض من عند الصفا معها خاتم سليمان بن داؤد وعصا موسى عليه السلام يضع الخاتم على وجه كل مؤمن فينطبع فيه هذا مؤمن حقاً ويضعه على وجو كل كافر فينكتب هذا كافرحقاً.

حتى إن المؤمن لينادى الويل لك يا كافر وإن الكافر ينادى طوبى لك يا مؤمن، وددت أنى اليوم كنت مثلك فأفوز فوزاً عظيماً.

ثم ترفع الدابه رأسها فيراها من بين الخافقين بإذن الله جل جلاله وذلك بعد طلوع الشمس من مغربها.

فعند ذلك ترفع التوبه فلا توبه تقبل ولا عمل يرفع ولا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيراً.

ثم قال عليه السلام: لا تسألونى عما يكون بعد هذا فإنه عهد عهده إلى حبيبى رسول الله صلى الله عليه واله أن لا أخبر به غير عترتى.

قال النزال بن سبره: فقلت لصعصعه بن صوحان: يا صعصعه ما عنى أميرالمؤمنين عليه السلام بهذا؟

فقال صعصعه : يا ابن سبره إن الذى يصلى خلفه عيسى ابن مريم عليه السلام هو الثانى عشر من العتره، التاسع من ولد الحسين بن على عليه السلام وهو الشمس الطالعه من مغربها يظهر عند الركن والمقام فيطهر الأرض ويضع ميزان العدل فلا يظلم احد احداً.

فأخبر أمير المؤمنين عليه السلام أن حبيبه رسول الله صلى الله عليه واله عهد إليه أن لا يخبر بما

يكون بعد ذلك غير عترته الأمه صلوات الله عليهم أجمعين(۱)..

تنبيه : هذه الأحاديث تتضمن أسرار لا تنالها أفهامنا، وكثير من الأحادث وصلت إلينا منذ مئات السنين حرفياً، والآن قد كشف الواقع عن حقائق عديده لم تكن ظاهره من قبل، ومن يتابع يدرك ذلك.. لمن كان له قلب.

آيه مباركه

قال تعالى:«وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَهِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا»(۲).

فى هذه الآيه وما يليها أسرار تتعلق بكل مسيرات الحياه والمصير، ويظهر ذلك بإكمال الآيات البينات إلى آخر آيه «وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا»(۳)

فى هذه الآيات أسرار وإشارات، وفيها ما لا تدركه حروف الكلمات، وعندما نحاول الكتابه لعل باباً من أبواب المعرفه والهدايه يفتح لنا، لأن الإنسان وجد لغايه كبرى و هدف سام، وهو معرفه خالقه وطاعته.

من هنا نسعى بقدر طاقتنا المحدوده لطرق الباب من الأسرار.

ولست هنا فى محاوله لتفسير الآيات، إنما نتلمس من ظواهرها مقداراً من أنوارها، لأن كل حرف من حروف القرآن المجيد له حقائق كامنه يدركها من نزل عليه القرآن، واختص بأسرار معانيه، وقد أوضح لنا أهل بيت العصمه عليهم السلام

۱- كمال الدين وتمام النعمه ج ۲ ص ۵۲۷.

۲- الإسراء ۱۳.

۳- الإسراء ۱۵.

مقداراً نتحمله ونسير به فى حياتنا:

أولاً: الآيه الأولى تشير إلى أعمال كل إنسان.

ثانياً: الآيه الثانيه : كل إنسان يحاسب نفسه بنفسه .

ثالثاً: الآيه الثالثه: الهدايه والضلال يعودان على فاعلهما.

وفى آيه «وكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه »نوع من الأسرار، وهى تشمل كل أفراد الإنسان.

وتاره نأخذ بظواهر الألفاظ، وتاره نحاول معرفه أسرارها.

أما الظواهر فلا خلاف مهم حولها، ولكن يبقى ما هو كامن فى عوالم الغيب، وهذه العوالم مخزونه عند أهل بيت العصمه عليهم السلام ، وبقيه الناس تتفاوت أبعادها، وقد اختلف الناس فى هذا التفاوت على مر العصور والدهور، ولذا انقسم الناس إلى قسمين أساسيين: قسم لم يؤمن بالغيب، وقسم آمن بالغيب وما هو أسرار وغائب عن ما هو محسوس.

فالآيه المباركه وما يليها فيها من أسرار الغيوب وعوالمه ما هو فوق إدراك العقول القاصره، مع أن الظواهر واضحه كوضوح الشمس المنيره.

ومن هنا نتلمس إعجاز القرآن الكريم، ففى الحروف معان ظاهره ومعان باطنه.

كذلك ذات الأنسان، تنطوى فيه الظواهر، وتكمن فيه البواطن والأسرار،ولذا فإن كوامن الأسرار فى ذات الإنسان لا يعلمها غير الخالق سبحانه، الذى كون الإنسان، جسمه من التراب، ونفسه وروحه وعقله من الأسرار .

عن سدير الصيرفى قال: دخلت أنا والمفضل بن عمر وأبو بصير وأبان بن تغلب على مولانا أبى عبد الله الصادق عليه السلام فرأيناه جالساً على التراب و عليه مسح خيبرى مطوق بلا جيب مقصر الكمين وهو يبكى بكاء الواله الثكلى ذات الكبد الحرى قد نال الحزن من وجنتيه وشاع التغيير فى عارضيه وأبلى الدموع محجريه وهو يقول: سيدى غيبتك نفت رقادى وضيقت على مهادى وابتزت منى راحه فؤادى. .

سيدى غيبتك أوصلت مصابى بفجائع الأبد وفقد الواحد بعد الواحد يفنى الجمع والعدد.

فما أحس بدمعه ترقى من عينى وأنين يفترمن صدرى عن دوارج الرزايا وسوالف البلايا إلا مثل بعينى عن غوابر اعظمها وأفضعها وبواقى أشدها وأنكرها ونوائب مخلوطه بغضبك ونوازل معجونه بسخطك.

قال سدير: فاستطارت عقولنا ولها وتصدعت قلوبنا جزعاً من ذلك الخطب الهائل والحادث الغائل وظننا أنه سمت لمكروهه قارعه أو حلت به من الدهر بائقه، فقلنا: لا أبكى الله يا ابن خيرالورى عينيك، من أيه حادثه تستنزف دمعتك؟وتستمطر عبرتك؟ وأيه حاله حتمت عليك هذا المأتم؟

قال: فرفر الصادق عليه السلام زفره انتفخ منها جوفه واشتد عنها خوفه وقال:

ويلكم، نظرت فى كتاب الجفر صبيحه هذا اليوم وهو الكتاب المشتمل على علم المنايا والبلايا والرزايا وعلم ما كان وما يكون إلى يوم القيامه الذى خص الله به محمداً والأئمه من بعده عليهم السلام .

وتأملت منه مؤلد قائمنا و غيبته وإبطاء و طول عمره وبلوى المؤمنين فى

ذلک الزمان وتولـد الشـکوک فی قلوبهم من طول غیبته وارتـداد أکثرهم عن دینهم وخلعهم ربقه الإسـلام من أعناقهم التی قال الله تقدس ذکره«وکل إنسان الزمناه طائره فی عنقه»یعنی الولایه.

فأخذتنی الرقه واستولت علی الأحزان.

فقلنا : یا ابن رسول الله کرمنا وفضلنا بإشراکک ایانا فی بعض ما أنت تعلمه من علم ذلک.

قال: إن الله تبارک وتعالی أدار للقائم منا ثلاثهً أدارها فی تلاثه من الرسل علیهم السلام :

۱. قدر مولده تقدیر مولد موسی علیه السلام .

۲. وقدر غیبته تقدیر غیبه عیسی علیه السلام .

۳. وقدر إبطاءه تقدیر إبطاء نوح علیه السلام .

وجعل له من بعد ذلک عمر العبد الصالح أعنی الخضرعلیه السلام دلیلًا علی عمره.

فقلنا علیه السلام: اکشف لنا یا ابن رسول الله عن وجوه هذه المعانی.

قال علیه السـلام: أما مولد موسـی علیه السـلام: فإن فرعون لما وقف علی أن زوال ملکه علی یده أمر بإحضار الکهنه فدلوه علی نسـبه وأنه یکون من بنی إسرائیل ولم یزل یأمر أصحابه بشق بطون الحوامل من نساء بنی إسرائیل حتی قتل فی طلبه نیفاً وعشرین ألف مولود وتعذر علیه الوصول إلی قتل موسی علیه السلام بحفظ الله تبارک وتعالی إیاه.

وكذلك بنو أميه وبنو العباس لما وقفوا على أن زوال ملكهم وملك الأمراء والجبابره منهم على يد القائم ما ناصبونا العداوه ووضعوا سيوفهم فى قتل آل الرسول صلى الله عليه واله وإباده نسله طمعاً منهم فى الوُصول إلى قتل القائم.

ويأبى الله عزوجل أن يكشف أمره لواحد من الظلمه إلا أن يتم نوره... ولو كره المشركون. .

وأما غيبه عيسى عليه السلام: فإن اليهود والنصارى اتفقت على أنه قتل فكذبهم الله جل ذكره بقوله «وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ».

كذلك غيبه القائم فإن الأمه ستنكرها ليطولها فمن قائل يهذى بأنه لم يولد وقائل يقول إنه يتعدى إلى ثلاثه عشر وصاعداً وقائل يعصى الله عز وجل بقوله إن روح القائم ينطق فى هيكل غيره.

وأما إبطاء نوح عليه السلام : فانه لما استنزلت العقوبه على قومه من السماء بعث الله عز وجل الروح الأمين عليه السلام بسبع نويات فقال:

يا نبى الله إن الله تبارك وتعالى يقول لك إن هؤلاء خلائقى وعبادى ولست أبيدهم بصاعقه من صواعقى إلا بعد تأكيد الدعوه والزام الحجه فعاود اجتهادك فى الدعوه لقومك فإنى مثيبك عليه واغرس هذه النوى فإن لك فى تباتها وبوغها وإدراكها إذا أثمرت الفرج والخلاص فبشر بذلك من تبعك من المؤمنين.

فلما نبتت الأشجار وتازرت وتسوقت وتغصنت وأثمرت وزها التمرعليها بعد زمان طويل استنجز من الله سبحانه وتعالى العده فأمره الله تبارك وتعالى أن يغرس من نوى تلك الأشجار ويعاود الصبر والإجتهاد ويؤكد الحجه على قومه فأخبر بذلك الطوائف التى آمنت به فارتد منهم ثلاثمائه رجل وقالوا:

لو كان ما يدعيه نوح حقاً لما وقع فى وعد به خلف.

ثم إن الله تبارك وتعالى لم يزل يأمره عند كل مره بأن يغرسها مره بعد أخرى إلى أن غرسها سبع مرات.

فما زالت تلك الطوائف من المؤمنين ترتد بينه طائفه بعد طائفه إلى أن عاد إلى نيف وسبعين رجلًا.

فأوحى الله تبارك وتعالى عند ذلك إليه وقال : يا نوح الآن أسفر الصبح عن الليل لعينك حين صرح الحق عن محضه وصفا الأمر والإيمان من الكدربارتداد كل من كانت طينه خبيثه، فلو أنى أهلكت الكفاروأبقيت من قد ارتد من الطوائف التى كانت آمنت بك لما كنت صدقت وعدى السابق للمؤمنين الذين أخلصوا التوحيد من قومك واعتصموا بحبل نبوتك بأن أستخلفهم فى الأرض وأمكن لهم دينهم وأبدل خوفهم بالأمن لكى تخلص العباده لى بذهاب الشك من

قلوبهم.

وكيف يكون الاستخلاف والتمكين وبدل الخوف بالأمن منى لهم مع ماكنت أعلم من ضعف يقين الذين ارتدوا وخبث طينهم [طينتهم] وسوء سرائرهم التى كانت نتائج النفاق وسنوح الضلاله؟

فلو أنهم تسنموا منى الملك الذى أوتى المؤمنين وقت الإستخلاف إذا أهلكت أعداءهم لنشقوا روائح صفاته ولاستحكمت سرائر نفاقهم [و]تابدت حبال ضلاله قلوبهم ولكاشفوا إخوانهم بالعداوه وحاربوهم على طلب الرئاسه والتفرد بالأمر والنهى.

وكيف يكون التمكين فى الدين وانتشار الأمر فى المؤمنين مع إثاره الفتن

وإيقاع الحروب كلا واصنع الفلك بأعيننا ووحينا(۱).

قال الصادق علیه السلام: وكذلك القائم فإنه تمتد ایام غیبته لیصرح الحق عن محضه ویصفو الإیمان من الكدر بارتداد كل من كانت طینته خبیثه من الشیعه الذین یخشی علیهم النفاق إذا أحسوا بالاستخلاف والتمكین والأمن المنتشر فی عهد القائم عجل الله تعالی فرجه الشریف(۲).

قال المفضل: فقل یا ابن رسول الله فأن هذه النواصب تزعم أن هذه الآیه نزلت فی أبی بكر وعمر وعثمان وعلی علیه السلام .

فقال: لا یهدی الله قلوب الناصبه، متی كان الدین الذی ارتضاه الله ورسوله متمكنا بانتشار الأمن فی الأمه وذهاب الخوف من قلوبها و ارتفاع الشك من صدورها فی عهد واحد من هؤلاء؟

وفی عهد علی علیه السلام مع ارتداد المسلمین والفتن التی تثور فی أیامهم والحروب التی كانت تنشب بین الكفار وبینهم؟

ثم تلا الصادق علیه السلام: «حتی إذا استیاس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا(۳).

۱- من هذا الحدیث الشریف تتضح الكثیر من أسرار هذا الكون، وحقیقه مضمرات القلوب، وهذه الأبعاد تنیر لنا مسیره وحقائق القائم المنتظر عجل الله فرجه الشریف.

۲- من هنا یشیر تمام الحدیث لهذا الزمن الذی كثرت فیه الفتن.

۳- من هذا الحدیث ندرك الكثیر من أسرار الأمم السابقه والكثیر من أسرار هذه الأمه سابقاًولاحقاً، وخصوصاً فی عصرنا الحاضر الذی شاعت فیه الفتن وكثر الهرج والمرج، وأصبح من یسمون بحكام الإسلام یناصرون الكفار ویدعمون إسرائیل بكل ما أمكن.

وأما العبد الصالح أعنى الخضر عليه السلام فان الله تبارك وتعالى ما طول عمره لنبوه قدرها له ولا كتاب ينزله عليه ولا لشريعه ينسخ بها شريعه من كان قبله من الأنبياء ولا لإمامه يلزم عباده الإقتداء بها ولا إطاعه يفرضها له، بلى إنه الله تبارك وتعالى لما كان فى سابق علمه أن يقدر من عمر القائم عجل الله تعالى فرجه الشريف فى أيام غيبته ما يقدر وعلم ما يكون من إنكار عباده بمقدار ذلك العمر فى الطول طول عمرالعبد الصالح فى غير سبب يوجب ذلك إلا لعله الإستدلال به على عمر القائم عجل الله تعالى فرجه الشريف وليقطع بذلك حجه المعاندين لئلا يكون للناس على الله ﷻجه(۱)

وفى مضامين هذا الحديث الشريف أسرار ومعانى وحقيقه أخبار نشاهدها

على أرض الواقع عملياً، وهناك أبعاد لم تقع بعد، وليست بعيده بمنظار وإشارات الحاضر، وسوف نشاهدها أو يشاهدها الأبناء والأحفاء..

آيه

من يتابع الآيات البينات يدرك حقائق كامنه تظهرها الأيام، منها هذه الآيه المباركه مع بعض الأحاديث الشريفه.

عن أبى بصير قال : قال الصادق جعفر بن محمد عليه السلام: فى قول الله عزوجل «يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيراً» .

يعنى خروج القائم المنتظر منا.

ثم قال عليه السلام: يا أبا بصير طوبى لشيعه قائمنا المنتظرين لظهوره فى غيبته

۱- كمال الدين وتمام النعمه، ج ۲ ص ۳۵۲.

والمطيعين له فی ظهور أولئک أولياء الله الذی لا خوف عليهم ولا هم يحزنون(۱).

تنبيه:

آخر الآيه: «قول انتظروا إنا منتظرون»وأولها:«هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكه أو يأتی ربک أو يأتی بعض آيات ربک يوم يأتی بعض آيات ربک ».

من هنا ندرک أن کل حرف وکلمه من الآيات لها معانی ومضامين وأسرار يدرکها الأبرار، ومن هنا کانت معاجز القرآن.

من بعض أسرار هذه الآيه: عن أبی عبد الله عليه السلام أنه قال: فی قول الله عزوجل«يوم يأتی بعض آيات ربک لا ينفع نفساً إيمانها لم تکن آمنت من قبل »

فقال : الآيات هم الأئمه والآيه المنتظر هو القائم عجل الله تعالی فرجه الشريف(۲).

وقد أوقفنی حديث مهم حول معانی الحجه فی آخر الزمان، عن أبی عبد الله عليه السلام قال : أقرب ما يکون العباد من الله عزوجل وأرضی ما يکون عنهم إذا افتقدوا حجه الله عزوجل فلم يظهر لهم ولم يعلموا بمکانه وهم فی ذلک يعلمون أنه لم تبطل حجج الله عنهم وبيناته فعندها فتوقعوا الفرج صباحاً ومساءً.

وإن أشد ما يکون غضب الله تعالی علی أعدائه إذا افتقدوا حجه الله فلم يظهر لهم وقد علم أن أولياءه لا يرتابون ولو علم أنهم يرتابون لا غيب عنهم حجته طرفه عين ولا يکون ذلک إلا علی رأس شرار الناس(۳) .

وورد من الأسرار والإشارات عن القائم عجل الله تعالی فرجه الشريف: يغيب غيبه يرتاب فيها

۱- کمال الدين و تمام النعمه ج ۲ ص ۳۵۷.

۲- بحار الأنوار ج ۱، ص ۵۱.

۳- کمال الدين وتمام النعمه ج ۲ ص ۳۳۷.

المبطلون ثم يظهره الله عزوجل فيفتح الله على يده مشارق الأرض ومغاربها وينزل روح الله عيسى ابن مريم عليه السلام فيصلى خلفه.

وتشرق الأرض بنورربها ولا تبقى فى الأرض بقعه عبد فيها غير الله عز وجل إلا عبد الله فيها ويكون الدين كله لله ولو كره المشركون(۱).

وفى حديث يتضمن التمحيص، قال أبو عبد الله عليه السلام: يا منصور إن هذا الأمرلا يأتيكم إلا بعد إياس، لا والله لا يأتيكم حتى تميزوا، لا والله لا يأتيكم حتى تمحصوا، ولا والله لا يأتيكم حتى يشقى من شقى ويسعد من سعد(۲).

عندما نحاول الكتابه حول الأسرار نجد كل أسرار الحياه والوجود كامنه فى حقيقه الإنسان، وهذه الحقيقه تمر بأدوار فيها ظواهر الأسرار، فكل سر من أسرار الوجود له مظهر من المظاهر التى تشير إليه، ومن أبرز الظواهر إبداع وإنشاء الإنسان حيث تضمن فيه المظهر وأسرار المظهر، ويكفى الإشاره: وفيك انطوى العالم الأكبر.

وغايه بحثنا هنا: «وَكُلِّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِی عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ یَوْمَ الْقِیَامَهِ کِتَابًا یَلْقَاهُ مَنْشُورًا»(۳).

من هذه الآیه المبارکه أحاول الربط مع أول السوره: «سبحان الذى أسرى بعبده ليلا».

والتسبيح هو التنزيه عن كل عجز، ومن هنا ندرک بعضاً من الظواهر،

۱- كمال الدين و تمام النعمه ج ۲ ص ۳۴۵.

۲- كمال الدين و تمام النعمه ج ۲ ص ۳۴۶.

۳- الإسراء ۱۳.

و نتلمس بعضاً من فيض البواطن، التى فيها مكمن الأسرار، والأسرار تدرک بالآثار.

فالإسـراء لاـ يخضع لإـدراک عقولنـا القاصـره وإنا نتلمس ما ورد من أحاديث فيها إشارات لـذوى الأفهام التى تظهر من تراكيب الكلام، ولـذا قيل : الحروف قوالب المعانى، فقد أوقفنى كثيراً حديث شـريف وهو: عرج النبى صـلى الله عليه واله مائه وعشـرين مره مـا من مره إلاـ وقـد أوصـى الله عزوجـل فيهـا النبى صـلى الله عليه واله بالولاـيه لعلى والأـمه عليهم السـلام أكثر ممـا أوصـاه بالفرائض(۱)..

عندما نقرأ بعض الآيات القرآنيه أو الأحاديث النبويه ندرک بصيصاً من أنوار الأسرار التى جاءت من السماء لسكان الأرض.

وقد جاء فى الأحاديث الشريفه: والله ما جاءت ولايه على عليه السلام من الأرض ولكن جاءت من السماء مشافهه(۲).

وهذه المشافهه بنص واضح: «فأوحى إلى عبده؛ ما أوحى».

من هنا ندرک مخزن الأسرار عند الأطهار الأبرار، أليس كل حق على الأرض قد نزل من السماء؟

ومن أهمها الوحى والأمر بالطاعه ومعرفه الولايه .

ألم نقرأ قوله سبحانه: «أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ»(۳)

۱- الخصال ج ۲ ص ۶۰۰.

۲- الكافى ج ۱ ص ۴۴۳.

۳- النساء ۵۹.

وهنا تكمن أسرار الطاعه، من هنا وجب على أهل العقول البحث عن أسرار العبوديه والطاعه للرسول صلى الله عليه واله ، وآله الأطهار عليهم السلام، الذين هم مستودع الحق ومناره الأسرار، وهم الذين اختارهم الله سبحانه لحمل الأمانه التى عجزت السماوات والأرض عن حملها.

وقفه مع حمل الأمانه

كلمه أمانه هى أبعد مما تعارف الناس عليها، فإنها تحمل الكثير من المصاديق، فالأمانه من السماء بدأت للأنبياء عليهم السلام ، من هنا لا بد من معرفتها على وجه الحقيقه من البدء، وهذا البحث يأخذ بنا إلى ما قبل المحسوسات التى ألقتها العقول، لأن كل شىء محسوس له سبب ابتداء .

فالإنسان لم يزل يجهل نفسه وذاته، من هنا يسأل الإنسان كيف كان أول الابتداء؟ فعندما ننظر بذاتها للمحسوسات ندرك ذلك، ولكن هناك مرحله قبل ما هو محسوس، وهناك من هو أول المخلوقات.

من هنا انقسم الناس قسمين: قسم وقف عند حدود المحسوسات مما يقع على اللمس، وقسم حاول التعرف على ما هو فوق ذلك، وهذا الذى ينبغى البحث حوله وما يتبعه.

ونحن نحاول التعرف على ذلك دون الدخول فى القواعد الفلسفيه التى رسم الكثير من الأوائل قواعد ومصطلحات حولها، بل تكفى الإشارات لمن تكفيه.

وقبل الدخول بالمصاديق والمقدمات والتفاصيل نعتمد على ما هو منالمسلمات بقانون الفطره السليمه.

ومن المسلمات أن الإنسان لم يكن موجوداً، ولم يكن لديه قدره على إيجاد ذاته ونفسه، ويدرك بالفطره السليمه أن كل ما هو موجود يحتاج إلى من أوجده، سواء كان من المركبات أو مما هو بسيط .

ص: ۴۶۵

كتب للمؤلف

من الأبحاث المخطوطه للمؤلف حول آيات القرآن الكريم :

١. آيات الصبر.

٢. آيات النفس.

٣. آيات التقوى والمتقين.

٤. آيات الغيب .

٥. آيات خلق الإنسان.

٦. آيات القلب.

٧. آيات الأرض.

٨. أسرار الحسين عليه السلام (وهو هذا الكتاب).

الفهرس

تقديم...٥

مقدمه...٧

حديث لذوى الألباب ...١٣

نوع من بيان ...١٥

الإمام الحسين سر من أسرار الله ...١٦

وقفه مع حديث: علمه علمى...١٧

العلم قسمان: علم لدنى وعلم كسبى ...١٩

فى كل كائن سر من الأسرار ...٢٠

الله يختص بفضله من يشاء ...٢٤

لكل إنسان مقدار معين من التحمل ...٢٦

ابتداء خلق نور الحسين عليه السلام ...٢٧

تنبيه وإرشاد ...٢٨

وقفه مع نصوص الأحاديث ...٢٩

معرفه أهل السماء بهم أكثر من معرفه أهل الأرض...٣١

حديث ذو أبعاد ...٣٥

لكل شىء حمل وأرباب هم أهله ...٣٦

أول الحلق أهل البيت عليهم السلام ...٤٠

وقفه فيها عبره ...۴۲

العوالم ثلاثه ...۴۳

نموذج من أحاديث ...۴۳

نور البصيره...۴۵

الإنسان أرقى المخلوقات ...۴۶

وقفه ...۴۷

وقفه عند نوع من الأحاديث ...۴۸

حديث مهم له ظاهر و باطن ...۴۸

وقفه مع الحديث: أنت السيد بن السيد أبو الساده ...۴۹

عرف الحقائق من أهلها ...۵۱

نظره خاطفه ...۵۲

بيان حول الحجه ...۵۷

حديث مهم عن مروج الذهب ...۵۹

حديثنا عن الأسرار والأنوار ...۶۱

مراحل واطوار الخلق ...۶۲

المخلوق الأول ...۶۲

وقفه وعوده للابتداء ...۶۳

السفينه ...۶۵

الوجود ...۶۵

للكون بكل ما فيه ابتداء ...۶۶

باب حول معانی السر ...۶۹

ابتداء خلق الأنوار ...٧١

بدء مراحل النور المحمدى فى العوالم ...٧٢

لمحه فيها إشارات حول أنوار الإمامه ...٧٤

نظره خاصه حول الآيه ...٧٥

النور الحقيقى ابتداء ...٧٦

الانسان مفطور على حب النور ...٧٧

وقفه عند لفظ الكنز ...٧٧

النور يعرف بالنور ...٨٠

النور الحقيقى فوق ادراكنا...٨٠

الامامه هى النور ...٨١

حديث عن الأنوار والاسرار ...٨٣

أولاظً: ما قيل حول الملائكه ...٨٣

وجوب الإيمان بالملائكه ...٨٤

الفرق بين الملائكه وغيرهم ...٨٥

وقفه عاجز عند حروف العرش ...٨٦

ولايه أهل البيت مؤكده فى الميثاق ...٨٦

فى القرآن مخازن الأسرار ...٨٧

استمرار الهدايه...٨٩

إشاره إلى العلوم اللدنيه...٩١

علم وأسرار...٩١

دفع وهم ...۹۲

ص: ۴۶۹

وقفه وعوده للعلم ...٩٤

مصيبه الحسين عند السابقين ...٩٦

الفارق الكبير بين موقفين لآدم ...٩٧

ابتداء مسيره الحسين مع آدم عليها السلام ...٩٨

الداء والدواء ...١٠٠

الوجود سر وغيب ...١٠٣

وقفه مع آيه الذبح العظيم ...١٠٥

من خصوصيات الحسين: العبره ...١٠٦

وقفه عاجز عند الخصوصيات ...١٠٨

نظره خاصه ...١٠٩

الغايه ...١٠٩

وقفه عند لمعه الضياء ...١١٠

وقفه عند الابتداء ...١١٢

وقفه عند باب المحسوسات ...١١٥

حديث قبل الخلق ...١١٦

وقفه تأمل ...١١٨

أنواع الخلق ...١١٩

وقفه عند أسرار تكوين الإنسان ...١٢٠

وقفه متكرره عند باب السماء ...١٢٢

إشارات حول ابتداء الخلق ...١٢٢

حدیث جامع ...۱۲۴

ص: ۴۷۰

الأنوار الأربعه عشر...۱۲۵

الحسين اولديعه...۱۲۶

وقفه ...۱۲۷

أسرار الحياه كامنه فى خلق الإنسان ...۱۲۸

وقفه متأمل حول الإنسان ...۱۳۱

وقفه ...۱۳۳

حديث جامع ...۱۳۵

من أحاديث المعراج ...۱۳۷

أسرار حول خلق الإنسان ...۱۴۳

الشعاع يدل على مصدر النور...۱۴۵

وقفه عند آيه ...۱۴۶

لمحه خاطفه عن ولاده الحسين عليه السلام ...۱۵۰

نماذج من فضائله عليه السلام ...۱۵۳

وقفه متيم عند باب الحسين ...۱۵۵

ما المراد من الابتداء ...۱۵۶

من نماذج الأسرار الواقعيه ...۱۶۱

وقفه على أبواب الأسرار...۱۶۲

خير الخلائق ...۱۶۶

الأسباب والمسببات ...۱۶۷

وقفه عند حديث من أحاديث المعراج ...۱۶۹

وقفه عند باب حب الحسنين ...١٧١

ص: ۴۷۱

للحسين عليه السلام سر فى القلوب ...١٧٢

علم وأسرار ...١٧٤

علم الأئمه من علم الله تعالى ...١٧٦

الله أعلم حيث يجعل رسالته ...١٧٨

وقفه ملتمس على باب الحسين ...١٧٩

أدوار ومحطات الإمام الحسن مع الأمه ...١٨٠

يعرف الحق منأهله ...١٨٢

الحكمه الواقعيه عند الأئمه ...١٨٥

حديث يتضمن قواعد الحكمه...١٨٥

عود على بدء ...١٨٧

تجلى حكمه الله...١٨٨

من خصائص الحسين أن مصيبته من أعظم المصائب ...١٩٠

أسرار ووقائع ...١٩٣

أسرار الحسين مستقبلا ...١٩٥

وقفه عند ضوء الأسرار ...١٩٦

لم نفقه أبعاد كثير من الأحاديث ...١٩٩

الأسرار تعرف بعد الإظهار...٢٠١

خلق الإنسان للنور...٢٠١

السراء...٢٠٤

سعاده الإنسان فى إصلاح سريرته ...٢٠٥

وقفه عند باب من أبواب السريره ...٢٠٦

ص: ۴۷۲

وقفه لا بد منها لكل عاقل ...٢٠٩

عله الامتحان والابتلاء ...٢١٠

حفظ الأسرار من صفات الأخيار...٢١٤

الأمر الأول: العفو عند المقدره ...٢١٧

العفو سر من الأسرار ...٢١٨

الأمر الثانى: الأمر بالمعروف ...٢١٩

الأمر الثالث: وأعرض عن الجاهلين ...٢٢٠

وقفه لطرد الجهل ...٢٢٠

الجهلاء والدواء ... ٢٢١

وقفه عاجز عن البيان ...٢٢

عوده حول الأمر الثالث: وأعرض عن الجاهلين ...٢٢٣

وقفه باحث عن مصدر الجهل ...٢٢٧

وقفه عند الحديث...٢٢٨

حديث جامع...٢٢٩

إشاره حول خلق الإنسان ...٢٣٠

الثالث: دور الإنسان وغايته ...٢٣٢

علم السر والنفس ...٢٣٢

ما هو علم الأسرار ...٣٣

وقفه عند باب العقل ...٢٣٨

الإنسان والدنيا ...٢٣٩

الحجه...٢٤١

الإنسان والطاعه ...٢٤٢

العقل والدين ...٢٤٤

حديث جامع شامل ...٢٤٦

اضرب بطرفك حيث شئت ...٢٥٢

الانسان انسان بعقله ...٢٥٢

العقول والأدله ...٢٥٣

ابتداء الحديث ...٢٥٤

الانسان وكماله...٢٥٤

انتصار الأنبياء ...٢٥٥

سرالبقاء...٢٥٥

أعقل الناس ...٢٥٦

المقطع الثالث من الوصيه ...٢٥٧

أسرار الكون تكشف بالعقل ...٢٥٨

القرآن وبقاوه...٢٥٩

القرآن مصدر العلم ...٢٦٠

لعلكم تعقلون ...٢٦١

القرآن حبل الله ..٢٦٢

للقرآن طرفان ...٢٦٣

المقطع الرابع : وعظ...٢٦٥

ص: ۴۷۴

الخير كله لذوى العقول ...٢٦٦

ما هى الحكمه؟ ...٢٦٧

العقل والأدب ...٢٦٨

الاغنى أكبر من العقل ...٢٦٩

من أروع ما قيل ...٢٧٠

العاقل والمعقول ...٢٧١

البرهان الثانى على وجود العلم ...٢٧٣

البرهان الثالث ...٢٧٤

البرهان الرابع ...٢٧٤

العلم سر من الأسرار ...٢٧٤

العلم وحقيقته ...٢٧٥

الفيض للعلم ...٢٧٥

وقفه عند باب العلم ...٢٧٦

العلم الحضورى والحصولى...٢٧٨

العلم حياه ...٢٧٩

علم الأسرار سعاده للأبرار ...٢٨١

وقفه عند باب من أبواب العلم ...٢٨٢

العلم ميزان بين الحق والباطل ...٢٨٢

ما هى حقيقه العلم؟ ...٢٨٣

العلم الحضورى والحصولى ...٢٨٥

سر العلوم من عالم القدس ...۲۸۶

أسرار الأكوان مبثوثه فى الإنسان والقرآن ...۲۸۶

القرآن نزل لهدايه الإنسان ...۲۸۸

القرآن مدرسه الإنسان ...۲۸۹

الإنسان والأسرار ...۲۸۹

الدنيا مظهر من مظاهر الأسرار ...۲۹۲

العقل والإنسان ...۲۹۳

العقل سر من أسرار الوجود ...۲۹۶

أسرار الحياه كامنه فى ثناياها ...۲۹۹

أولاً: آثار زياره الحسين ...۲۹۹

ثانياً: الشوق والمحبه لآل الحسين ...۳۰۱

بالإخلاص تتفاضل مراتب المؤمنين ...۳۰۲

حديث فى قضيه موسى وشعيب ...۳۰۳

انما يتقبل الله من المخلصين ...۳۰۴

حقيقه الإخلاص ...۳۰۵

سلامه القلب ...۳۰۶

زياره الحسين سر من الأسرار ...۳۰۷

وقفه عند مصدر الأنوار ...۳۱۰

الأسرار يعرفها الأخيار ...۳۱۳

حديث عن أنوارهم عليهم السلام ...۳۱۹

كيف نتعرف على ميزان الإيران؟ ...٣٢١

ص: ۴۷۶

حديث جامع ...٣٢٢

من عوالم الأنوار ...٣٢٤

أهل الكساء ...٣٢٥

أسرار.. وأسرار ...٣٢٨

من إرث أسرار النبوه ...٣٢٩

وقفه ثانيه عند الخصوصيات ...٣٣٢

عجز وتنبيه ...٣٣٣

وقفه وتأملات ...٣٣٤

من أسرار الخصوصيات الظاهره ...٣٣٥

وقفه على باب من أبواب الخصوصيات ...٣٣٦

الحسين هو صفوه من الصفوه ...٣٣٧

وقفه عند باب الصفات ...٣٣٧

الأسرار والأنوار ...٣٤٠

إشاره من النصوص حول الأئمه ...٣٤١

الحسن والحسين صفوه الله ...٣٤٤الإصطفاء سر من الأسرار ...٣٤٤

سلسله الأنوار ...٣٤٦

حديث جامع ...٣٤٨طرف من حديث ...٣٥٠

من مصدر الأسرار ...٣٥٢

أسرار الحسين لا نهايه لها...٣٥٤

من الأسرار أربعه عشر نوراً ...۳۵۶

النجاه مضمونه لشیعه آل بیت محمد...۳۵۷

مواقف الحسین وامتثاله ...۳۵۹

من أسرار خبر اللوح ...۳۶۰

یوم ندعو کل أناس بإمامهم ...۳۶۲

لمحه موجزه عن الإمام الحسین ...۳۶۷

فضائلالحسین ...۳۶۷

میزان التفضیل ...۳۶۸

الأسرار فوق الأفکار...۳۷۰وقفه عند لقب من ألقاب الحسین ...۳۷۱

حدیث یتضمن أسرار المستقبل ...۳۷۳

الکرامات لمن کرمهم الله ...۳۷۵

لقطات و کلمات ...۳۷۷وقفه تحت شعاع من کلمات للحسین ...۳۷۸

لمحه ونوع من تحلیل ...۳۷۹ آیه حول الأمم ...۳۸۰

آل البیت هم أهل سر الله ...۳۸۳

الأسرار یحملها الأبرار ...۳۸۵

ومضات من أسمی حیاه ...۳۸۶

آیه وواقع ...۳۸۷

نموذج رفیع فی لیله عاشوراء ...۳۸۷

وقفه عند باب الصبر ...۳۸۸

وقفه نتلمس بها الشكر عند الحسين ...۳۸۹

لئن شكرتم لأزيدنكم ...۳۸۹فقرات من دعاء عرفه ...۳۹۰

الإنسان والكمال...۳۹۱

الإنسان أبعد من الحواس ...۳۹۲

ابتداء المعرفه عند ابتداء النفس ...۳۹۳

أسرار الحسين فوق ادراكات عقولنا...۳۹۴

التوحيد الأسمى ...۳۹۶حديث حول التوحيد ...۳۹۹

أسرار أشار إليها أمير المؤمنين ...۴۰۱

أسرار من القرآن ...۴۱۰

نموذج من أحاديث النور والطينه ...۴۱۱

معرفه النفس ...۴۱۵

صون النفس من أوجب الواجبات ...۴۱۹

مسلك دقى للنفس ...۴۱۹

سبب صلاح النفس ...۴۲۰ سبب صلاح النفس الورع ...۴۲۱

وقفه لذوى الأبصار ...۴۲۲

ثلاثه عوالم وثلاث مسافرين ...۴۲۳

وقفه عاجز عند هذه العوالم ...۴۲۴

النور أو النار ...۴۲۵

لا طاعه لمخلوق فی معصیه الخالق...۴۲۷

أسرار فی زیاره الحسین ...۴۲۹

أسرار بعض من خطبه الزهراء ...۴۳۰

إکمال الدین فی الولایه ...۴۴۱

وقفه مع آیه ...۴۴۲

الدعاء...۴۴۴

القرآن دواء للإنسان ...۴۴۵

آیه مبارکه من آیات الأسرار ...۴۴۸

علامات ومبشرات وإشارات ...۴۴۹

من أسرار الأحادیث : الدجال ...۴۵۱

آیه مبارکه ...۴۵۳

آیه ...۴۶۰

وقفه مع حمل الأمانه ...۶۴۶

کتب للمؤلف ...۴۶۶

الفهرس ...۴۶۷

ص: ۴۸۰

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

هَلْ يَسْتَوِی الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ۹

عنوان المكتب المركزی

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلی، الرقم ۱۲۹، الطبقة الأولی.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكترونی : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزی ۰۳۱۳۴۴۹۰۱۲۵

هاتف المكتب فی طهران ۸۸۳۱۸۷۲۲ ـ ۰۲۱

قسم البيع ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹شؤون المستخدمين ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹.

مركز القائمية للبحوث والتحريات الكمبيوترية
اصبهان
www
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاءِ من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹